شرح صحيح البخاري
لابن بطال

بني العباس
جميل بن خلف
بحمان

الجزء العاشر

مكتبة الرشد
الرياض
كتاب الفتن

وقول الله تعالى ﴿وأبصروا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصيتكم﴾ (1) وما كان النبي ﷺ يحذر من الفتن

فيه: أسامة قال: قال النبي - عليه السلام -: "أنا على حوضي أنتظر من يرد عليّ، فيؤخذ بناس من دوني، فأقول: أمتي، فيقال: لا تدري، مشوا القهقري؟" وقال ابن أبي مليكة: اللهم إنا نعوذ بك أن نرُد (2) على أعقابنا أو فتن.

وفيه: عبد الله قال النبي - عليه السلام -: "أنا فرطكم على الحوض، ليدفنن إلي رجال منكم، حتى إذا أهوت لنأولهم اختلوا دوني، فأقول: أي رب، أصحابي، يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك".

وفيه: سهل قال النبي - عليه السلام -: "أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظلم أبداً، ليرد علي أجوام أعرفهم و يعرفوني (3) ثم يحال بيني وبينهم" وزاد أبو سعيد قال: " إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا من بدل بعدي".

(1) الأنفال: 25
(2) في «هـ، ن»: نرجع.
(3) زاد في «الأصل»: يحال.
قال المؤلف: كان النبي - عليه السلام - يستعيد من الفتن ومن
شرها ويцовف من وقوعها، لأنها تذهب بذوق الدين. وقيل:
قول الله: «واتنقوا فتنة لا تصیب الذين ظلموا منكم خاصة» (1)
قال: إن الفتنة إذا عمت هلك الكل، وذلك عند ظهور المعاصر
وانتشر المنكر، وقد سألت زريب النبي - عليه السلام - عن هذا
معنى فقالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصاحبون؟ قال: نعم
إذا كثر الخبيث وفسر العلماء الخبیث أولاد الزنا، فإذا ظهرت المعاصر
(2/0515-1) ولم تغير، وجب على المؤمنين المنكرین لها بقلوهم هجران تلك
البلدة والهرب منها، فإن لم يفعلوا فقد تعرضوا للهلاك، إلا أن
الهلاك طهارة للمؤمنين ونقمة على الفاسقين، وهذا قال السلف.
وروى ابن وهب عن مالك أنه قال: تهجر الأرض التي يصنع فيها
المنكر جهاراً ولا يستقر فيها، واختص بصنع أبي الدرداء في خروجه
عن أرض معاوية حين أعلن بالربا وهو من الكبائر، وأجاز بيع مقاربة
الذهب باكثر من وزنها فقال له أبو الدرداء: «سمعت رسول الله
عليه السلام - ينهى عن مثل هذا إلا مثلاً مثل. فقال معاوية: ما أرى
مثل هذا بأسًا. فقال أبو الدرداء: من يعذري من معاوية، أنا أخبره
عن رسول الله ﷺ بخبرني عن رأيه لا أساكن بأرض أنت بها».
وأما أحاديث أهل هذا الباب في ذكر من يعرف النبي من أمه،
ويحال بينهم وبيته، لما أخذوا بعده، فذلك كل حدث في الذين لا
يرضاهم الله من خلاف جماعة المسلمين، وجميع أهل البشرين فيهم
مبدلون محذرون، وكذلك أهل الظلم والجور، وخلاف الحق وأهله
كلهم محدث مبدل ليس في الإسلام داخل في معنى هذا الحديث.
وقوله: "اختلفوا دوني". قال صاحب العين: خلجلت الشيء،
(1) الأنقلح: 25. (2) زاد بالأصل هنا: قال.
قال أبو جعفر الداودي: وليس هذا مما يحتم به للمختصرين بدخول النار؛ لأنه يحمل أن يختلفوا وقتًا فينفقهم من هؤلاء اليوم وشهدت ما شاء الله، ثم يتلقاهما الله بما شاء من رحمته، ولا يدل قوله: "سأحقّنا سحقًا" أنه لا يشفع لهم بعد؟ لأن الله - تعالى - قد يلقي لهم ذلك في قلبه وقتًا ليアクبهما بما شاء إلى وقت يشاء، ثم يعفف عليهما فينفق لهم، وقد جاء في الحديث: "شفاعتي لاهل الكبار من أمتى".

وقد قال بعض السلف: فالذين يعرفهم النبي ويجال بينهم وبينه أنهم هم المرتدون، واستدل على ذلك بقوله: "أي رب أصحابي". فقيل: إنهم ارتدوا بعدك على أذى حدهم التفوق، ذكره في باب الحوض في آخر [الرقاق] (3) وفي هذه الأحاديث الإيمان بحوض النبي - عليه السلام - على ما ذهب إليه أهل السنة.

باب: قول النبي عليه السلام سترون بعدي أمورًا تنكرونها.
وقال عبد الله بن زيد: قال النبي - عليه السلام -: "اصبروا حتى تلقوني على الحوض".
فيه: ابن مسعود قال النبي - عليه السلام -: "إنكم(1) سترون بعدي أمورًا(2) غير مقررة(3) من هؤلاء(4) وأمر(5) في الآية: "أموار، والمثبت من "ه"."
تنكرونها. قالوا: فما تأمننا يا رسول الله؟ قال: أدعو إليهم حقهم
واسألوا الله حكمهم».

وفيه: ابن عباس قال النبي - عليه السلام -: «من كره من أمره شيتاً
فليصر، فإنه من خرج من السلطان شيرًا مات ميتة جاهلية».

وفيه: عبادة: «بابعتنا النبي - عليه السلام - على السمع والطاعة في
منشتنا ومكرهنا ويسراً وعسرنا وأثرنا علينا، وألا ننزاع الأمر أهل إلا
أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان».

وفيه: أسيد بن حضرير: «أن رجلاً أتى النبي - عليه السلام - فقال:
يا رسول الله، استعملت فلاناً ولم تستعملني. قال: إنكم سترون بعدي
أثرًا فاصبروا حتى تلقونني».

قال المؤلف: في هذه الأحاديث حجة في ترك الخروج على أثمة
الجور، ولزوم السمع والطاعة لهم [1] والفقهاء [مجمعون] [2]
على أن الإمام المتغلب [طاعته لازمة، ما أقام الجمعات [1]
والجهاد، وأن طاعته خبر من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء
وتسكن الدهماء، إلا ترى قوله - عليه السلام - [لأصحابه:
«سترون بعدي أثرًا وأمورًا تكنرونها» فوصف [1] أنهم سيكون عليهم
أمراء يأخذون منهم الحقوق ويستأثرون بها، ويوثرون بها من لا تجب
له الآثار، ولا يعدلون فيها، و أمرهم بالصبر عليهم والتزام طاعتهم على
ما فيهم من الجور، وذكر علي بن معد، عن علي بن أبي طالب أنه

1) من هـ.
2) في «الأصل»: المجمعون. والمثبت من هـ.
3) في «الأصل»: لا يوجد أمه. والمثبت من هـ.
4) في «الأصل»: ولا. والمثبت من هـ.

- 8 -
فما بال الفاجرة ؟ قال: تقام بها الحدود، وتأمن بها السبل، ويقسم بها الفيء، ويجاهد بها العدو. ألا ترى قوله عليه السلام في حديث ابن عباس: "من خرج من السلطان شرًا مات ميتة جاهلية". وفي حديث [عبادة] (1): "باعتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والطاعة" إلى قوله: "ولأ تنازع الأمة أهلها، إن أنتوا كفرًا بواحًا" فدل هذا كله على ترك الخروج على الأئمة، ولا يشقي عصا المسلمين، ولا يتسبب إلى سفك الدماء وهتك الحرم، إن أن يكفر الإمام ويظهر خلاف دعوة الإسلام، فلا طاعة لمخلوق عليه، وقد تقدم في كتاب الجهاد، وكتاب الأحكام هذا.

قال الخطابي: "بواحًا" يريد ظاهرًا باديًا، ومنه قوله: باب بالشيء يوح به بواح وعوادًا، إذا أذمه وأظهره ومن رواه "براحًا" فالبراح بالشيء مثل البواح أو قريب منه، وأصل البراح الأرض الغنر التي لا تني ولا بناء فيها، وقال غيره: البراح: البيان، يقال: برح الحفاء أي ظهر.

* * *

باب: قول النبي عليه السلام هلاك أمتي على يدي

أغيلمة سفهاء من قريش

فه: أبو هريرة قال: قال النبي ﷺ: "هلاة أمتي على يدي علماً من قريش" (1) فقال مروان: "لعن الله عليهم طلماً. فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبري فلان لفعلت".

(1) في الأصل: أبي عبادة، والثابت من "هـ"
قال المؤلف: وفي هذا الحديث أيضًا حجة لجماعة الأمة في ترك القيام على أئمة الجور ووجوب طاعتهم والسمع والطاعة لهم، إلا أنه عليه السلام قد أعلم أبا هريرة بآسمائهم وأسماء أباهم، ولم يأمره بالخروج عليهم ولا يحاربهم، وإن كان قد أخبر أن هلاك أمه على أيديهم، إذ الخروج عليهم أشدّ في الهلاك وأقوى في الاستنسل، فاختارت عليه السلام لامته أيسر الأمرين وأخف الهلاكين، إذ قد جرى قدر الله وعلمه أن أئمة الجور أكثر من أئمة المؤمنين وأئمة العدل وأنهم يتعلبن على الأمة، وهذا الحديث من أقوى ما يرد به على الخوارج.
فإن قيل: فلم ذكر البخاري في الترجمة أغلبها سفهاء من قريش، ولم يذكر "سفهاء" في حديث الباب?قيل: كثيرًا ما يفعل مثل هذا، وذلك أن تأتي في حديث لا يرضي إسناه لفظة تبين معنى الحديث فيترجم بها ليدل على المراة بالحديث، وعلى أنه قد روي من العلماء ثم لا يسعه أن يذكر في حشو الباب إلا أصح ما روي فيه لاشرافه الصَحِّحة في كتابه، وقد روي ذلك علي بن معبد قال حدثنا أشعث بن (1) من هـ.
سعيد، عن سماك، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: "إن فساد أمتي، أو هلاك أمتي على رؤوس غلما سفهاء من قريش".
فبان بهذا الحديث أن الغلما سفهاء، وأن الموجب لهلاك الناس بهم أنهم رؤساء وأمراء متغليبين.

* * *

باب: قول النبي عليه السلام ويل للعرب من شر قد اقترب فيه: زينب قالت: "استيقظ رسول الله ﷺ من النوم محرماً وجهه، يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم ياجوج وامأوج مثل هذه، وعقد تسعين أو مائة، قبل : أهلك وفينا الصالحين؟ قال: نعم إذا كثر الخبث".
وفيه: أسماء: "أشرف النبي ﷺ على أطلع من آئمة المدينة فقال: هل ترون ما أرى؟ فقالوا: لا. فقال: إني لأرى الفتى تقع خلال يختكم كوقع القطر".

قال المؤلف: هذه الأحاديث كلها ما أنذر النبي - عليه السلام - بها أمته وعرقهم قرب الساعة لكي يتوبوا قبل أن يهجم عليهم وقت غلق باب التوبة حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنة من قبل، وقد ثبت أن خروج ياجوج وامأوج من آخر الأشراف، فإذا فتح من ردمهم في وقته عليه السلام مثل عقد التسعين أو المائة فلا يزال الفتح يستدير ويتسع على [مر] (1) الأوقات، وهذا الحديث في عني قوله عليه السلام: "بعثت أنا والساعة كهاتين. وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها" وقد روى النضر بن شميل، عن محمد بن عمورو، عن أبي سلمة، عن أبي بكر.

(1) في الأصل : ممر. والثبت من هـ.
صرة قال: قال رسول الله: "ويل للعرب من شر قد اقترب، موتها إن استطعتم" وهذا غاية في التحذير من الفتى والحوض فيها حين جعل الموت خيراً من مباشرةها، وكذلك أخبر في حدث إسامة بوقوع الفتى خلال بيوتهم ليتوقفوا ولا يخوضوا فيها ويتلوها بالصبر، ويسألوا الله العصمة منها والنجاة من شرها.


* * *

باب: ظهور الفتى

فيه: أبو هريرة قال: قال النبي - عليه السلام -: "يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقى الشح، وتنظر الفتى، ويكشر الهرج. قالوا: يا رسول الله، أيما هو؟ قال: القتل القتل.

وفيه: عبد الله وأبو موسى: قال النبي - عليه السلام -: "إن بين يدي الساعة لأيام ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكشر فيها الهرج.

الهرج بلسان الحبشة: القتل.

وقال عبد الله لأبي موسى: تعلم الآيام التي ذكر النبي - عليه السلام - أيام الهرج قال: سمعت النبي - عليه السلام - يقول: "من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء".

---

(1) في [النور] : امرأته. والثابت من [هذه].
(2) من [هذه].
(3) النور: ٢٦.
قال المؤلف: هذا كله إخبار من النبي بإشارات الساعة، وقد رأينا هذه الأشارات عيانًا وأدركتها، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقي بالشح في القلوب، وعمت الفتن، وكثر القتل، وليس في الحديث ما يحتاج إلى تفسير غير قوله: "يتقارب الزمان" ومعنى ذلك - والله أعلم - تقارب أحوال أهلنا في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهي عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهلهم، وقد جاء في الحديث: "لا يزال الناس بخير ما تفضلوا، فإذا نساوا هلكوا" يعني لا يزالون بخير ما كان فيهم أهل فضل وصلاح وخوف الله يلجأ إليهم عند الشدائد، ويستشفى بآرائهم، ويترك بدعائهم، ويؤخذ بتوثيقهم وأثارهم.

وقال الطحاوي: قد يكون عناية في ترك طلب العلم خاصة والإرضاء بالجهل، وذلك أن الناس لا يتساءلون في العلم، لأن درج العلم تتفاوت، قال الله تعالى: "وفوق كل ذي علم على" (1) وإنما يتساءلون إذا كانوا جهالا.

قال الخطابي: وأما حديث الآخر: "أن يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالأجمع، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة" فإن حماد بن سلمة قال: سأله عنه أبو سلمان (2) فقال: ذلك من استلذاد العيش. يريد - والله أعلم - خروج المهدى ووقوع الأمنة في الأرض ببسطه العدل فيها فيستلذ العيش عند ذلك وتستنصر مده، ولا يزال الناس يستقضون أيام الرخاء وإن طالت، ويستطيلون [أيام] (3) المكروه وإن [قصرت] (0) للعرب في مثل هذا: مر بنا يوم كعرقوب القطا - قصرًا.

وقوله عليه السلام: "إن من شرار الناس من تدركهم الساعة"

(1) يوسف : 76. (2) من 9. (3) في الأصل: قصر. والثبوت من 9.
أحياء فإنه وإن كان لفسقه الععموم فلما ورد به الخصوص، ومعناه: أن
الساعة تقوم في الأكبر والأغلب على [ شرار (1) الناس بدليل قوله
عليه السلام: لا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرها
من ناوها أخرى تقوم الساعة.]
فقل هذا الخبر أن الساعة تقوم أيضًا على قوم فضلاء، وأنهم في
يصرهم على دينهم كالفاضل على الجمر، وقد ذكر في مواضع.

***

باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه
فيه: الزبير بن عدي: أني أنا بن مالك نشكو إليه ما [ نلقي (2)
من الحجاج، فقال: اصرروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر
منه حتى تلقوا ركبهم، [ سمعته (3) من نبيكم - عليه السلام - ].
وفيه: أم سلمة: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة (4) فزعم يقول:
سبيح الله، ماذا أنزل من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ
صاحب الحجرات - يريد أزواجه - لكي يصلين؟ رب كاسية في
الدنيا عارية في الآخرة.
قال المؤلف: حديث أنس من علامات النبوة لإخبار النبي - عليه
السلام - بغير الزمان وفساد الأحوال، وذلك غيب لا يعلم بالرأي،
والإمامة علم بالوحي، ودل حديث أم سلمة على الوجه الذي يكون به
الفساد، وهو ما يفتح الله عليهم من الخزائن وأن الفتن مقرورة بها، ويشهد

---

(1) في الأصل: ﷺ، والمقت من هـ.
(2) في الأصل: ﷺ، لقي، والبحث من هـ.
(3) في الأصل: ﷺ، ف سمته، والبحث من هـ.
(4) من هـ. ن.
لذلك قول الله - تعالى - : «كلا إن الإنسان ليطغى ْ أن رآه
استغفِي» (1) فمن فتنة المال آلا ينفِق في طاعة الله ، وأن يمنع منه حق
الله ، ومن فتنة السرف في إطفاقي آلا ترى قوله عليه السلام : «رب
كاسِبة في الدنيا عارية في الآخرة» .

قال المهلب : فأخبر أن فيما فتح من الخزائن فتنة الملابس ، فحذَّر
عليه السلام أزواجه وغيرهن / أن يفتح في لباس رفع النبأ التي يفتح (128/10-128)
النفس في الدنيا وحقيقها وغليظها ، وحذَّرهن التعرُّف يوم القيامة منها
ومن العمل الصالح ، وحضَّهُن بهذا القول أن يقدم ما يفتَح عليهن
من تلك الخزائن للآخرة وليوم يحضر الناس عراة ، فلا يكسب إلا
الأول والآخر في الطاعة والصدقة ، والإنفاق في سبيل الله ، فمن أراد
أن تسبق إليه الكسوة فليقدمها لآخرته ، ولا يذهب طبيعته في الدنيا
وليرفعها إلى يوم الحَدِيثة.

وقوله : « من يوقظ صاحب الحجرات » ندب بعض خدمه لذلك،
كما قال يوم الخندق : « من يأتي بخبر القوم » وكذلك قال من
يسهل عليه في الليل أن يدور على حجر نسائه ، فيوقظهن للصلاة
 والاستعاذة مما أراه الله من الفتنة النازلة كي يوافقن الوقت المرجو فيه
الإجابة ، وأخبرنا عليه السلام أن حين نزول البلاء ينبغي الفزع إلى
الصلاة والدعاء ، فيرجى كشفه لقوله تعالى : « فلولا إذ جاءهم بأُنَّا
تضرعوا » (2) الآية ، وقد تقدم حديث أم سلمة في كتاب الصلاة
في باب تجريف النبي - عليه السلام - على صلاة الليل وذكرنا فيه
معنىً زائدًا ] (3) .

(1) العلق : 6 - 7 . (2) الأنعام : 42 .
(3) في « الأصل » : 342 . والثبوت من هـ .
باب: قول النبي عليه السلام: من حمل علينا السلاح فليس منا فيه: ابن عمر وأبو موسى قالا: قال النبي – عليه السلام –: "من حمل علينا السلاح فليس منا".
وفيه: أبو هريرة قال النبي: "لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدرى لعل الشيطان أن ينزع في يدهقيقع في حفرة من النار".
وفيه: أبو موسى قال النبي – عليه السلام –: "إذا مر أحدكم في مسجدي أو سوقنا ومعه نبل فليمسك بنصلها – أو [فليقض] [2]، بكفه – أن يصيب أحدكم من المسلمين منها شيء".
قال المؤلف: قوله عليه السلام: "ليس منا" يعني ليس متبغاً لسنا ولا سالكنا [سيلة] [3]، كما قال عليه السلام: "ليس منا من شق الجيوب ودعا بدعو الجاهلية" لأن من حق المسلم على المسلم أن ينسره ولا يخذله ولا يسلمه، وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشيد بعضه بعضًا، فمن خرج عليهم بالسيف بتأويل قاسد رأته، فقد خالف ما ستة النبي – عليه السلام – من نصرة المؤمنين وتعاون بعضهم لبعض، والفقهاء مجمعون على أن الخوارج من جملة المؤمنين إجماعهم كلهم على أن الإيان لا يزيله غير الشرك بالله ورسوله ولجد لذلك، وأن المعاصي غير الكفر لا يكره من إخوته، ذكر أسد بن موسى في كتاب الكف عن

1. من "ه".
2. في "الأصل": من دخل.
3. في "الأصل": ليقض.
4. في "الأصل": لسيلة. والثبت من "ه".
أهل القبلة قال: حدثنا هشيم بن بشير قال: حدثنا كوثر بن حكيم
قال: حدثنا نافع، عن ابن عمر: "أن رسول الله - عليه السلام -
قال لابن مسعود: أندري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة؟
قال: الله ورسوله أعلم. قال: حكم الله فيها أن لا يقتل أسرها ولا
يقسم فيها، ولا يجلز على جريحها ولا يبيع مدرتها".

وبهذا عمل علي بن أبي طالب، ورضيت الأمة جميع بفعله هذا
فيهم، وقال الحسن بن علي: لولا علي بن أبي طالب لم يعلمن
الناس كيف يقاتلون أهل القبلة، فقاتله عليهم بما كان عنده من العلم
فيهم من النبي - عليه السلام - فلم يكفرهم ولا سبأهم ولا أخذ
أموالهم، فمواريثهم قائمة، ولهم حكم الإسلام.

وقوله - عليه السلام -: "لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح"
وأمره للذي مر بالسهام في المسجد أن يمسك بنصالها، هو من باب
الأدب وقطع الذرائع إلا يشير أحد بالسلاح خوف ما يثول منها
ويخشى من نزغ الشيطان.

وقوله: "فيقع في حفرة من النار" معناه: إن أنقذ الله عليه
الوعيد، وهذا مذهب أهل السنة، ومن روى في الحديث "نزغ في
يده" فقال صاحب العين: [نزغ] (1) بين القوم نزغًا: حمل
بعضهم على بعض بفساد بينهم، ومنه نزغ الشيطان. وقال صاحب
الأفعال: نزغ: طعن، ومن روى "نزغ" بالعين فهو قريب من هذا
المعنى. قال صاحب العين: نزعت الشيء من الشيء، نزغًا: قلعته,

* * *

(1) في "الأصل" : نزغًا. والمثبث من "ه".
(2) في "الأصل" : السهم. والمثبث من "ه".
باب: قول النبي عليه السلام: لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض

فيه: عبد الله قال النبي - عليه السلام -: "سباب [المسلم] (1) فسوق وقتاله كفر".

وفيه: ابن عمر ابن عباس وجرير و [أبو بكرة] (2) قال النبي - عليه السلام -: "لا ترجعوا بعدي كفارًا تضرب بعضكم رقاب بعض".

وفي حديث أبي بكرة: «فلمما كان يوم حرق ابن الخطزمي حين حرقه جارية بن قامة، قال: أشرفا على أبي بكرة، قلنا: هذا أبو بكرة يراك، قال عبد الرحمن: فحدثني أمي عن أبي بكرة أنه قال: لو دخلوا علي ما بهشت بقصبة».

قال المؤلف: هذا الباب في معنى الذي قبله، في النهي عن قتل المؤمنين بعضهم بعضًا، وتفرق كلمتهم وتشتيت شملهم، وليس معنى قوله: «لا ترجعوا بعدي كفارًا» النهي عن الكفر الذي هو ضد الإيمان بالله ورسوله، وإنما المراد بالحديث النهي عن كفر حق المسلم على المسلمين الذي أمر به النبي - عليه السلام - من الناسر والتعاضد، والكفر في لسان العرب: النغطية، وكذلك قوله: "سباب المسلم فسوق، وقتيته كفر" يعني: قتاله كفر بحقه وترك موالاته، للإجماع على أن أهل المعاصي لا يكفرون بارتكابها.

قال أبو سليمان الخطابي: قيل: معناه لا يكفرون بعضكم بعضًا فنتكلموا أن يقاتلو ويضرب بعضكم رقاب بعض، وقال: إنه أراد بالحديث أهل الردة أذربيجاني إبراهيم بن فراس قال: سمعت موسي بن هارون يقول: هؤلاء أهل الردة فعلهم أبو بكر. وقد تقدم في كتاب

(1) في "الأصل": المؤمن، واللبث من "هدن".
(2) في "الأصل": أبو بكرة، واللبث من "هدن".

- 18 -
الحج في باب الخطبية في أيام مني زيادة في [معنى] (1) هذا الحديث من كلام الطبري.
قال المهلب: وابن الحضرمي رجل امتنع عن الطاعة فأخرج إليه جارية بن قدامة جيشا فقف به في ناحية من العراق، وكان أبو بكرة يسكنها، فأمر جارية بصلبه فصلبه ثم ألقى النار في الجذع الذي صلب فيه بعد أيام، ثم أمر جارية خينمته أن يشقروا على أبي بكرة ليخبر إن كان يحارب فعلم أنه على غير طاعة أو يستسلم فعرف أنه على طاعة، فقال له خينمته: هذا أبو بكرة يراك وما صنعت في ابن الحضرمي وما أنكر عليك بكلام ولا بسلاح، فلما سمع أبو بكرة ذلك [ وهو ] (1) في عاليته قال: لو دخلوا علي داري ما بهشت بقصبة كيف إن أقاتلهم بسلاح؟ لأنني لا أرى الفتنة في الإسلام، ولا التحرك فيها مع إحدى الطائفتين.
قال الطبري: (ما بهشت إليهم بقصبة) يعني ما تناولتهم ولا مددت يدي إليهم بسوء، قال للرجل إذا أراد معرف الرجل أو أراد مكرهه وتعرض خيره أو شرهم: يهش فلان إلى كذا وكذا، ومنه قوله: التالية:
سبيت الرجسال الباهشين إلى العلا
كسيبق الجوال اصطاد قبل الطوارد
* * *
(1) من "هم".
(2) في الأصل: العين، والثبت من "هم".
- 19 -
باب: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم

فيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام-: «ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم. والقائم فيها خير من المشي، والمشي فيها خير من الساعي.»

من تشرف لها [تستشرفه] (1) فمن وجد ملجأً أو معادًّا فليخذ به.

قال الطبري: إن قال قائل: ما معنى هذا الحديث، وقلت: المراد به كل فتنة بين المسلمين أو بعض الفتنة دون بعض؟ فإن قلت: المعنى به كل فتنة، فما أنت قائل في الفتنة التي مضت، وقد علمت أنه نهض فيها من خيار المسلمين خلق كثير، وإن قلت المعنى به البعض، فليتها المعنيّة به، وما الدليل على ذلك؟

قيل: قد اختلف السلف في ذلك، فقال بعضهم: المراد به جميع الفتنة وغير جائز للمسلم النهوض في شيء منها. قالت عليه: وعليه أن يستسلم للقليل إن أردت نفسه ولا يدفع عنها، والفتنة: الاختلاف الذي يكون بين أهل الإسلام ولا إمام لهم مجتمع على الرضا بإمامته لما يستنكتر من سيرته في رعيته (2)، فاقتصرت رعيته عليه حتى صار افتراقهم إلى القتال بأن رضيت منهم فرقة إمامًا غيره، وأقامت فرقة على الرضا به، قالتوا: وإذا كان كل واحد من هذين المعينين [فهي] (3) التي أمر النبي - عليه السلام - بكسر السيف فيها وزوم البيت، وهي التي قال عليه السلام: «القاعد فيها خير من القائم» ومن فقد في الفتنة حذيفة، ومحمد بن سلمة، وأبو ذر، وعمرو بن حصين، وأبو موسي الأشعري، وأسامة بن زيد، وأهبان بن صيفي، وسعد ابن أبي وقاص، وأبي عمر، وأبو بكر، ومن التابعين شريح والخني.

(1) في الأصل: استشرفته، والمنبت من هه، نه.
(2) في الأصل: وsockets . والمنبت من هه.
(3) في الأصل: فهو، والمنبت من هه.
وحجتهم من طريق النظر أن كل فريق من المقتلين في الفتنة فإنه يقاتل على تأويل، وإن كان في الحقيقة خطاً فهو عند نفسه في محق وغير جائز لأحد قتله، وسبيله سبيل حاكم من المسلمين يقضي بقضاء ما اختلف فيه العلماء على ما يراه صواباً، فغير جائز لغيره من الحكم نقضه إذا لم يخالف بقضائه ذلك كتابًا ولا ستة ولا جماعة، فكل ذلك المقتلون في الفتنة كل حزب منهم عند نفسه محق دون غيره بما يدعون من التأويل، وغير جائز لأحد قتالهم، وإن هم قصدوا لقتله فغير جائز دفعهم بضرب أو جرح؛ لأن ذلك إما يمسقه من قاتل وهو متعمد الإثم في قتله، والواجب على الناس إذا اقتتل حزبان من المسلمين بهذه الصفة ترك معاونة أحدهما على الآخر وعليهم لزوم البيوت، كما أمر النبي - عليه السلام - أبا ذر ومحمد بن سلمة وعبد الله بن عمر، وما عمل به من تقدّم ذكرهم من الصحابة.

قال آخرون: إذا كانت فتنة بين المسلمين، فالواجب على المسلمين لزوم البيوت وترك معاونة أحد الخزينين، ولكن إن دخل [علي (1)] بعض من قد اعتزل الفريقين منزله، فأتي من يريد نفسه، فعليه دفعه عن نفسه [وإن (2)] أتي الدفع على نفسه، روي ذلك عن عمران بن حصن وابن عمر وعبدة السلماني، واحتجوا بعلة الذين تقدم قولهم غير أنهم اعتزلوا في إباحة الدفع عن أنفسهم بالأخبر الواردة عن [النبي (3)] أنه قال: «من أريدت نفسه وماله فقتل فهو شهيد». 

فالواجب على كل من أريدت نفسه وماله ظلمًا دفع ذلك ما وجد إليه سبيل، متأولاً كان المريد أو متعمداً للظلم، لأن ذلك عندهم ظلم [وو (1)] على كل أحد دفع الظلم عن نفسه بما قدر عليه.

(1) من هـ. (2) في الأصل: إن وإن، والنبت من هـ. (3) في الأصل: البراء، والنبت من هـ.  

- 21 -
وقال آخرون: كل فرقتين اقتتلا، فغير خارج أحدهما من أحد وجهن من أن تكون الفرقتان مخطئتان في [قتل] [1] بعضهم بعضًا، وذلك كقتال أهل [العصبة] [2] والقاتلين على النهب، وأشبة ذلك بما لا [شبهة] [3] في أن اقتتلاهم حرام، وأن على المسلمين الأخذ على أعيادهم وعقوبتهم بما يكون نكالا لهم، أو تكون إحداها مخطئة والآخرة مصيبًا، فالواجب على المسلمين الأخذ على أعياد المخطئة ومعونة المصيبة؛ لأن النبي - عليه السلام قد أمر بالأخذ على يدي الظالم بقوله: ﴿ لتأخذوا على يدي الظالم حتى تأطروه على الحق أطرًا أو ليسلمون الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم ﴿ إذا كان كما قلنا، وكان غير جائز أن تكون فرقتان تقاتل كل واحدة منهما صاحبتها أو سبق بعضها دماء بعض كلاهما مصيبًا؛ لأن ذلك لى جاز جاز أن يكون الشيء الواحد حرامًا حالًا في حالة واحدة، وإذا كان كذلك فالواجب على المسلمين معونة المحقّة من الفئتين، وقتل المخطئة حتى ترجع إلى حكم الله، فلا وجب لسكر السيف والاختفاء في البيوت عند هيج الفئة، روي ذلك عن علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وعائشة وطلحة، وزواية عن ابن عمر، روى الزهري، عن حمزة بن عبد الله بن عمر، عن أبيه أنه قال: ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت أي لم أقتل هذه الفئة الباعية كما أمرني الله.


مع علي في الرجاء، وقيل لإبراهيم النخعي: من كان أفضل علامة
أو الأسود؟ فقال: علامة; لأنه شهد صفين وخشى بسيط فيها.
وقال ابن )1( إسحاق: (شهد ) (2) مع علي عبيدة السلاماني
[علامة ] (3) وابن واثل وعمرو بن [ شريبيل ] (4). وقال ابن
إسحاق: خرج مع )5( ابن [ الشهذة في الجماجم ثلاثة آلاف من
التابعين ليس في الأرض مثلهم: أبو البخترى، والشعبي، وسعد
ابن جبير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، والحسن البصري.
وقال آخرون: كل قتال وقع بين المسلمين ولا إمام جماعتهم يأخذ
للملوك من الظلم فذلك القتال هو الفتنة التي أمر رسول الله
بالاختفاء في البيوت فيها وكرس السيف، كان الفريقان مختلتين أو
كان أحدهما مختطاً والآخر مصيبًا، وجي ذلك عن الأوزاعي قال /:
ما كانت منذ بث الله نبى إلى اليوم طائفتان من المؤمنين اقترنت إلا كان
قتلهم خطأ ومصيب، فإن كانتا في سواد العامة، فإمام الجماعة
المصلح بينهم يأخذ من الباغية القصاص في القتل والجراح كما كان بين
تينك الطائفتين اللتين نزل فيها القرآن إلى رسول الله وإلى الولاة
[بعده] (6) وإن كان قتلهم وليس للناس إمام يجمعهم فهي الفتنة التي
النجاح منها الأخذ بعهد النبي - عليه السلام - أن يعزل تلك الفرق
كلها ولو أن بعض بأصل الشجرة حتى يدركه الموت، وإن كانت
خارجية فشهدت على أميتها بالضلالة في إيمانها وبالكفير لم تسم فيه
باغية، وقد برئت من ولايتها قبل خروجه عليها، فكفي بالخروج
براءة ويرجوع فلهم إذا هزموا إلى مقامهم مروقًا.

(1) في ﴿هَٰلَّ﴾ ﴿هَٰلَّ﴾ ﴿هَٰلَّ﴾ ﴿هَٰلَّ﴾ ﴿هَٰلَّ﴾ .
(2) في ﴿فَٰعَلَهُ﴾ ﴿فَٰعَلَهُ﴾ ﴿فَٰعَلَهُ﴾ ﴿فَٰعَلَهُ﴾ ﴿فَٰعَلَهُ﴾ ﴿فَٰعَلَهُ﴾ .
(3) في ﴿شَرَّاحِي﴾ ﴿شَرَّاحِي﴾ ﴿شَرَّاحِي﴾ ﴿شَرَّاحِي﴾ ﴿شَرَّاحِي﴾ ﴿شَرَّاحِي﴾ .
(4) في ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ .
(5) في ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ .
(6) في ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ ﴿الْأَصِلِّ﴾ .

٢٣
قال الطيربي: وَأَنَا قَأِلُ بَالْصَوَابِ فِي ذلِكَ وَمَبِينٌ مِّنْ مَعْنَى الفِتْنَةِ الَّتِي القَاعُدُ فِيهَا خَيْرٌ مِّنَ القَائِمِ وَ[ أَمْرِهِ ] (1) - عِلْيَ الْسَلَام - بِكَسَرَ السَيْفِ وَلَزْوَمِ الْبِيوتِ وَالْهَرِيبِ فِي الْجِبَالِ، وَالْخَبِيرِ [ المَعَارِض ] (2) لَهُمَا وَهُوَ أَمْرُهُ - عِلْيَ الْسَلَام - بِقِتَالِ النَّافِئِينِ وَالْقَاسِطِينِ وَالْمَارِقِينِ وَالْأَخْدَعُ عَلَى يَدِ السَّفَهَاءِ وَالْظَّالِمِينَ، إِذْ غِيْرُ جَائِزٌ التَّعَاذِبُ فِي أَخْبَاهُ.

(3) : مَّا كَانَ مَعْلُوْمًا أَنْ مِنْ أَعْنَانِ فِي الفِتْنَةِ فِي الْحَقِّ عَلَى فَرِيقِ الْبَاطِلِ فَهُوَ مَسْبِعُ أَمْرِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَمِنْ أَنْكَرِ مَا قَلْنَا قَبْلَهُ: أَرَأَيْتُ الأَفْتَاتِينَ، الْمَلْكِيَّينَ وَلِيَةٌ أَمْرِ الْأَمَامِ فِي حَالِ لَأَمَامُ لَهُمْ يَقِيمُ عَلَيْهِمْ الْحَقَّ، هَلْ خَلَوُا عَنْدَكَ مِنْ أَنْحَادٍ ثَلَاثّةٍ؟ إِنَّمَا يَكَانُ كَلاًّ هُمْ مَحْقِقِينَ أَوْ كَلاًّ مَبْطَلِينَ أَوْ أَحَدُهُمَا مَحْقِقًا وَالآخَرُ مَبْطَلًا؟ إِنْ قَالُ: نَعْمَ، قَبْلَ لَهُ، أَوْ لَيْسَ (الْفَرِيقَانِ) (5) إِذَا كَانَا مَبْطَلِينَ حَقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ الْأَخْدَعُ عَلَى أَيْدِيهِمَا إِنْ قَدْ رَوَّا عَلَى ذلِكَ، إِنْ لَمْ تَكُن لَهُمْ طَأْقَةٌ، فَكَرَاهَةُ أَمْرِهِمَا وَالْقَعُودُ عَنْهُمَا وَتَرْكُ مَعْوَنَةٍ أَحْدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ فقدْ أُجْبِرُ عَلَى الْقُوْمِ تَرَكُّمُهُمَا بَعْدَ حَكِيمِ اللهِ، وَإِنْ قَالَ [ بِلِّ ] (6) الْوَاجِبُ عَلَى أَنْ يَرَكُّمُهُمَا وَالْقُوْمُ يَقِتَالُونَ وَاعْتَزَالُهُمَا، أَبْحَرْتُ لِلْمُسْلِمِينَ تَرَكُّمُ المَكَرِ وَهُمْ عَلَى ذلِكَ قَادِرُونَ، وَسُئِلَ عَنْ رِجْلٍ

(1) في الأصل: أمر. والثبت من: هَوٰا.
(2) في الأصل: المقارن والثبت من: هَوٰا.
(3) في الأصل: جعله والثبت من: هَوٰا.
(4) في الأصل: في استخدام الفثقين. والثبت هو الصواب.
(5) في الأصل: قال والثبت من: هَوٰا.

- 24 -
 automátياً لا يجوز لهم تركه، فإن أجاب ذلك لم يكن خصمه الإيابة عن خطأ قوله بأكثر من ذلك، فإن أوجب منعه والأخذ على يده، قبوله فيما الفرق بينه وبين من رأى يريد قتل رجل ظلمًا وعدوانًا، وما الذي أوجب عليهم منع ذلك ظاهراً وأباح لهم ترك من يريد قتل النفس التي حرمها الله. ويقال له: أراك إن كان أحد الفريقين محققاً والآخر مبطلاً أوجب على المسلمين معونة المحق على البطل؟ فإن قال: لا أوجب ترك [الساعي] في الأرض بالفساد، وهذا خلاف قوله تعالى: "إذا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله" الآية. فإن قال: نجب معونة المحق على البطل، أوجب قتال الفرقة الباغية.

وأما الحالة الثالثة فإنها حالة ممنع في العقل وجودها، وذلك حال حرب فريقين من المسلمين يقتلا، وهو جميعاً محقان في ذلك، ولو جاز أن يكون كل واحد منهم مصيب حقيقة حكم الله في ذلك لجاز أن يكون الشيء الواحد بحكم الله حالاً وحراً في حالة واحدة وشخص واحد، وهذا ما لا يجوز أن يوصف به تعالى، فإن قيل: فما تذكر أن يكون الفريقان المقتلا مصيبين في قتال كل واحد منهم صاحبه حقيقة حكم الله إذا كان قتالهما في جهة التأويل لا من جهة الخلاف للتصرف الذي لا يحتمل التأويل، فقد علمت قول من قال باتهم الرأي فيما لا نقص فيه من أن كل [مجتهد] مصيب، وأن حكم الله في الحادثة على كل مجتهد ما أداه إليه اجتهاده، وأنه لا خطأ في شيء من ذلك.

(1) في "الأصل": السعي، والثبت من "ه".
(2) المائدة: "33" من "ه".
(3) في "الاستثناء": "144" من "ه".
صحة ذلك بما يكون من الصحابة / رضوان الله عليهم - فيما لا نص فيه ولي الرسول من الاختلاف بينهم ، ثم لم يظهر واحده [ منهم ] (1) لصاحب البراءة ولا الخروج من ولايته ، قال : فكذلك الفريقان المقتتلان إذا كنا كلاهما طالبي الحق عند أنفسهما ورأى كل واحد منهما أنه محق كالمختلفين من أصحاب رسول الله .
قيل له : أما قول من قال : كل مجتمد وإن كان غير مصيب في خطبه حكم الله الذي طلبه فأضلته فقد اخطأ ، وذلك كالمتمس عين القبلة للصلاة إليها في يوم دخن في فلاة من الأرض بالدلائل غير موجب له التماسه إياها ، وقد أخطأنا أن يكون مصيبًا في طلب جهتها ، فكذلك المقتتلان على التاویل الذي يقدر فيه المخطئ ؛ إذا أخطأ أحدهما حكم الله في قتلة الفريق المصيب حكم الله .
وإن عذر بالخطأ الذي وضع عنه الوزير فيه إذا كان سبيله فيما كلف فيه سبيل المحتلة والابتلاء ، إذا لم يوقفوا على عينه بالنص الذي لا يحتمل التأويل ، وأما استشهاد من قال : كل مجتمد مصيب باختلاف أصحاب النبي - عليه السلام - فيما لا نص فيه بعينه ، فإن أصحاب النبي لم ينكروا فيما قالوا فيه من الاجتهاد والاستنباط أن يكون فيهم مصيب ومخطيئ ، فلا حجة لم يجعل باختلافهم ، فإذا بطل الوجه الثالث وهو أن [ يكون ] (2) معًا محققين ثبت أن قوله - عليه السلام : « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم » غير معني به القتال الذي هو معونة المسلمين للمحق [ والفتة ] (3) الذي يكون من المسلمين لاهل السّه والفسق لأخذ على أيديهم ومنعمهم من السعي في الأرض بالفساد . فإن قيل : فأي حالة هي التي وصف النبي - عليه السلام - من الفتنة أن القاعد فيها خير من القائم ؟ قيل : هذه

(1) في الأصل : منهما . والمثبت من نه.
(2) في الأصل : يكون . والمثبت من نه.
(3) في الأصل : والفتة . والمثبت من نه.
حالة لها ثلاث منازل: أحدها: أن يكون الفريق المنتمون مطلبين، وسائر المسلمين مفهورين بيهما لا طاقة لمن أراد الأخذ على أيديهما على التهور في ذلك، فإن هو [نهض] (1) عرض نفسه للهلاك، ولم يرج إصلاحًا بيهما فهذه حالة هو فيها معدور بالختل، والسلامة له في الهرب وكسر السيف، وهذه التي قال عليه السلام: "القاعد فيها خير من القائم" يعني القاعد عن هذه الفتنة خير من القائم فيها للتهور فيها [معين] (2) اهلهها لأن خير من القائم بذكر الله والعمل بطاعته. والخالة [الثانية] (3): أن يكون أحد الفريقين مخطئًا والآخر مصيبًا، وأمرهما مشكل على كثير من الناس لا يعرفون الحق فيها من البطل، فمن أشكل عليه أمرهما فواجب عليه اعتزال الفريقين ولزوم المنازل حتى يتضح له الحق ويبين الحق منهما، وتنكشف عنه الشبهات فيلمه من معونة أهل الحق ما لزم أهل البصائر.

وأما المنزلة الثالثة: فإن يكون مخرج الكلام من رسول الله في ذلك كان في حاصل من الناس على ما روي عن [عمر بن ياسر] (4) أنه قال لأبي موسي حين روى عن النبي أنه قال: "إذا وضعت الفتنة فاضربوا سيوفكم بالحجارة..." الحديث فقال له عمر: أنشدك الله يا أبا موسي قال هذا رسول الله [الله] (1) لا تحدث خاصة قال: نعم. ولو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيف، لم أقيم الله تعالى - حق ولا أبطل باطل، ولوجد أهل [التفاق] (5) والفجور سبيلًا إلى استحلال كل ما جزّ الله عليه من أموال المسلمين ونسائهم، وسفك دمائهم بأن يتحيزوا عليهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه:

(1) من "ه" (2) في "الأصل" معينين. والثابت من "ه".
(2) في "الأصل" "ه" : الثالثة. والثابت هو الصواب.
(3) في "الأصل" "ه" : ابن عباس. والثابت من "ه".
(4) في "التعليل" "التعليل" والثابت من "ه".
(5) في "الأصل" "التعليل" والثابت من "ه".
فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكفي الأيدي والهرب منها.
وذلك مخالفًا لقوله عليه السلام: "خذوا على أيدي سفهائكم".
ولقوله: "مثل القائم والمتهك والمدهن في حدود الله مثل ثلاثة نفر
اصطحبوا في سفينة، فقال أحدهم: نحرف لناخذ الماء وقال الآخر: دعه.
فإنما يحرف مكانه. فإن أخذوا على يده نجا ونجوا جميعًا..." الحديث.
فقد قال قائل: فإنك قد ذكرت أنه لا فتنة تخلو من الأسباب
الثالثة، ثم أوجبت في جميعها على أهل البصائر بالحق النهوض مع
أهل على أهل الباطل لقمعه، وقد علمت أنه لا فتنة كانت ولا تكون
منذ بعث/ الله نبيه - عليه السلام - أفضل أهلا ولا أقوم بالحق ولا
طلب (له) من قوم نهضوا فيها بعد مقتل [ عثمان] (1) فإنهما
كانتا أهل السابقة والهجرة وخير الأمة، ولم تكن [فتنة] (2) يرجى
النهوض ممولة أحد [فريقها] (3) على الآخر ما كان يرجى [فيها] (4)
لو كان النهوض في فتن المسلمين جائزًا، وقد علمت من [تنبظ] (5)
عن النهوض فيها، ومنه عن [المشي] (6) إليها [وأمر] (7)
بالجلوس عنها من جلة الصحابة كسعد وأسامة ومحمد بن مسلمة وأبي
مسعود الأنصاري وأبي عمر وأبي موسى وغيرهم يكثر إحصاؤهم.
قيل له: إن سبيل كل ما احتاج من أمر الدين إلى الاستخراج بالقياس
والاستنباط بالعقول والأفهام سبيل ما كان من الاختلاف بين الذين
نهضوا في القتلة التي تعد عنها من ذكرت من الفاعلين فيها، ولذلك عذر
أهل العلم من تقد عنها، ومن نهض فيها من أهل الدين، ولولا ذلك.

(1) من: هـ. (2) في الأصل: فيه.
(3) في الأصل: فريقًا، وفي: هـ فريقها. والمثبت هو الصواب.
(4) في الأصل: فيها. والمثبت من: هـ.
(7) في الأصل: فامر. والمثبت من: هـ.
عظمت المصيبة وجمست البلية، ولكن قعود، من قعد عنها لما كان بتأويل ونهوض من نهوض فيها مثلا رجا العالمان للعظيم منهم الثواب الجزيل، وعذروا المخطئ في الخطإ؛ إذ كان خطيئه بالتأويل، لا بالخلاف للنص المحكم الذي لا يحتاج للتأويل، ولا شك أن الناهضين في الفتنة التي قعد عنها سعد ومحمد بن مسلمة وأسامة كانوا أفضل وأعلم بالله من قعد عنها، وذلك أن الناهضين فيها كان منهم من يقر له جميع أهل ذلك الزمان بالفضل والعلم، ومنهم من لا يدفعه جميعهم عن أنه إن لم يكن أفضل منه وأعلم أنه ليس بدونه.

وإذا كان الأمر كذلك لم يكن المحتج إذا أغلق سبيل الصواب -لتأويل تأويله وإن كان خطأ - حجة على من خالفه في تأويله. فإن قال: فإن جلوس من جلس عن ذكرنا لم يكن تأويلا، ولكنه كان نصًا لا يحتمل التأويل لقوله: "القاعد فيها خير من القائم" قبل: إنه لا أحد روى عن النبي - عليه السلام - في الفتنة التي قعد عنها أنه عليه السلام ناهج عن النهوض فيها بعينها نصًا، وإنما قال عليه السلام: "القاعد فيها خير من القائم" من غير نص على فئته بعينها أنها هي تلك الفتنة، ومن غير تسمية لها باسم وتوفيق لها بوقت.

وقد روى أهل العراق عن علي ﷺ وعبد الله: "أن النبي، عليه السلام - أمر علبي بقتل الناكثين والقاطيعين والمارقين". وعن أبي سعيد وغيره أن النبي - عليه السلام - قال: "لقتاقلت عن تأويله كما قالت [على تنزيله] (1) "، وروى أهل الشام عن النبي - عليه السلام، في معاوية أنه الذي يقتل على الحق وأنه عليه السلام ذكر فئة فصر بـ عثمان، فقال: "هذا وأصحابه يمتنذ على الحق"، وكل رأو منهم لروابي يدعي أنها الحق، وأن تأويله أولى، فإذا كان الأمر كذلك علم

(1) في "الأصل": بشرته، والثابت من "هد". .
أن القول في ذلك من غير وجه النص الذي لا يحتمل التأويل. وأن الاختلاف بينهم كان من جهة الاستنباط والقياس، والذي لا يوجد في مثله إجماع من الأمة على معني واحد، ولذلك قيل في قتلي الفريقين:
[ ما قيل ] (1) من رجاء الفريق الآخر الإصابة وأمن على فريق الشبهة.

وكذلك ما حدثنا خلاد بن أسيل قال: حدثنا النضر بن شميل عن:
[ ابن عون ] (2) عن ابن سيرين: أن عائشة سمعت صوائنا فقالت:
من هذا [ أخالد ابن ] (3) الواشمة؟ قال: نعم. قالت: أشذك الله إن سألت عن شيء أصدقني؟ قال: نعم. قالت: ما فعل طلحة؟ قال:
قال: قلت: بل إننا إنا الله وإنا إليه راجعون على زيد وأصحاب زيد، والله لا يجمعهم الله وقد قتل بعضهم بعضًا. قالت: أو لا تدري؟ وسعت
رحمته كل شيء وهو على كل شيء قادر. قال: فكانت أفضل مني.

وحدثنا ماجد بن موسى، حدثنا يزيد، حدثنا الفوّام بن
حوشيب، عن عمرو بن مرة، عن أبي واثل قال: رأى [ عمرو ] (4)
ابن شريح. أبا ميسرة وكان من أفضل الناس عند الله، قال: رأيت
كأنى دخلت الجنة، فإذا قباب مضروبة فقالت: إن هذه؟ فقالوا:
لذي الكلاع وحوشيب، وكانا [ ممن قتل مع ] (5) معاوية. قلت:
فأتين عمار وأصحابه؟ [ قال ] (6) أمامن. قلت: وقد قتل
بعضهم بعضًا? قيل: إنهم لقوا الله فوجدوه راست المغفرة. قلت:
فما فعل / أهل النهر؟ قال: لقوا برجاء.

* * *

(1) في [ الأصل ]: أحيا الدين. والمثبت من [ هـ ].
(2) في [ الأصل ]: عمر. والمثبت من [ هـ ].
(3) في [ الأصل ]: من قطلي. والمثبت من [ هـ ].
(4) في [ الأصل ]: فقالا. والمثبت من [ هـ ].
باب: إذا التقى المسلمان [بسفيهما] (1)


قال المؤلف: لهذا الحديث أيضًا عدد من عقد من الصحابة عن الدخول في الفتنة وزجوا بيتهما، فقرر أهل العلم هذا الحديث فقالوا: قوله عليه السلام: "القاتل والمقتول في النار" ليس هو على الحتم لهما بالنار، وإنما معناه أنهما يستحقان النار إلا أن يشاء الله أن يغفر لهما؛ لأنه عليه السلام سماهما مسلمين وإن قتل أحدهما صاحبه، ومذهب جماعة أهل السنة أن الله - تعالى - في وعده لعصاة المؤمنين بالخير إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم، وقد تقدم في كتاب الإيمان.

وقال المؤلف: في حديث أبي بكر دليل أنه [إذا] (3) التقى المسلمان بسفيهما وأختلفت طائفة من التأويل في الدين، ولم يتبع (4) البغي من أحفدهما أنه يجب القعود عنهما وملازمته البيوت، وللعدو تخلف محمد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، وحذيفة وجماعة من تلك المشاهد، لأن الله لم [تتبع] (5) لهم ما قام فيه المقتولون، وأخذوا بقوله عليه السلام:

"فقاتلاً لبغي حتى تفي إلى أمر الله" (6) ولو أمسك

(1) في: الأصل : بسفيهما. والثابت من: هـ، ن
(2) في: الأصل : توجه. والثابت من: هـ، ن
(3) في: الأصل : أراد والثابت من: هـ
(4) في: الأصل : بين. والثابت من: هـ
(5) الحجرات : 9

- 31 -
المسلمون عن قتال أهل الريفي فرضت فرضا من فرائض الله - تعالى - وهذا يدل أن قوله: «فالقتال والقتال في النار» ليس في أحد من أصحاب محمد، لأنهم قاتلوا على التأويل، وقال بعض العلماء: فإن قال قائل: (فأي (1) الطائفين كانت أولى بالحق؟ قيل: كلا الطائفين عندما مجمدة مجهدة بركة قائمة، وقد قعد عنها أصحاب النبي ولم يروا في ذلك بقاء، وهم كانوا أولي بمعرفة الحق كيف يحكم لأحد الفريقين على الآخر، أن النبي شهد، وعلي وطلحة والزبير بالشهادة، فكيف يكون شهيدا من يحل دمه، وكيف يحكم لأحد الفريقين على الآخر وكلاهما شهداء؟ روى خالد بن خداشخ، عن الدراويدي، عن (2) شهيل، عن أبي هريرة قال: «كان النبي - عليه السلام - وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير على حراء فتحرك، فقال رسول الله: أسكن حراء، فنون عليك إلا نبي وصديق وشهد، وكل أصحاب رسول الله يجب على المسلمين توفيهم والإنساك عن ذكر زلتهم ونشر محاسنهم، وكل من ذهب منهم إلى تأويل فهو معذور، وإن كان بعضهم أفضل من بعض وأكثر سوابق.

** ** ** **


(1) في الأصل: فإن. والشبث من <هه.
(2) في الأصل: سهل. والشبث من <هه. وهو الصواب.

قال المؤلف: هذا الحديث من أعلام النبوة، وذلك أنه عليه السلام أخبر حديثًا بأمور مختلفة من الغيب لا يعلمها إلا من أوعي إليه بذلك من أنبيائه الذين هم صفوة خلقه، وفيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك القيام على آية الجهور. ألا ترى أنه عليه السلام وصف أمثاله، وذكره زمان الشر فقال: «دعاء على أبواب جهنم» من أجابهم إليها قذفوه فيها. «فوصفهم بالجحور والباطل والخلاف» لسته؛ لأنهم لا يكونون دعاء على أبواب جهنم إلا وهم على ضلال، ولم يقل فيهم تعري منهم وتنكر، كما قال في الأولين، وأمر مع ذلك بأسلوب جماعة المسلمين وإمامهم، ولم يأمر بفرق كلمتهم وشق عصاهم.


(1) من «هـ»، ن. (2) في الأصل: تقبض. والثبت من «هـ»، ن.
(3) من «هـ»، ن. (4) في الأصل: في آمرهم. والثبت من «هـ».
ذكر من قال ذلك: روي عن ابن سيرين قال: لما قُتل عثمان رضي الله عنه - أُبيت [ أب ] (1) مسعود الأنصاري، فسألته عن الفتنة، فقال: عليك بالجماعة، فإنك لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة، والجماعة خبل الله، وإن الذي تكبرون من الجماعة هو خير من الذي يجدون من الفرق.

واحتجوا بما روى الأوزاعي قال: حدثني قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "إن بني إسرائيل افترقت على [ إحدى وسبعين فرقة]، وإن أمتي تفترق على [ ثنتين] (2) وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة".

وروي معتمر عن سليمان (المزني) (3) عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبدا، ويد الله على الجماعة هكذا، فاتبعوا السواد الأعظم، فإنه من شذ [ شذ ] (4) في النار.

وقال آخرون: الجماعة التي أمر النبي - عليه السلام - بلزومها هي جماعة أئمة العلماء، وذلك أن الله جعلهم حجة على خلقه، وإليهم تفزع العامة في دينها، وهي تبع لها، وهم المعنيون بقوله عليه السلام: "إن الله لن يجمع أمتي على ضلالة".

ذكر من قال ذلك: روي عن المسبب بن رافع قال: كنا إذا جاءهم شيء ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ صوابي الأمر، فجمعوا له العلماء، فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق. وسُلم عبد الله بن المبارك عن الجماعة الذين ينبغي

(1) في «الأسل»: أب، والثبت من «هـ».
(2) في «الأصل»: أتي، والثبت من «هـ».
(3) في «هـ»: المزني.
(4) من المستدرك (1/116).

وقال آخرون: الجماعة التي أمر رسول الله بلزمومها: هم جماعة الصحابة الذين قاموا بالدين بعد مضيّه عليه السلام، حتى أقاموا عمادة وأرسوا أوثاده وردوه، وقد كاد المنافقون أن ينزعوا [أواخيه] (3) وقيلبوه من [أوسيه] (4) إلى [نصابه] (5) وسلكوا في الدعاء منهجاً، فأولئك الذين ضمن الله لنبيه أن لا يجمعهم على ضلالة، قالوا: ولو كان معاً لا يجتمع أمته في زمن من الأزمان من يوم بعثه الله إلى قيام الساعة على ضلالة، بطل معنى قوله عليه السلام: لا تقوم الساعة إلا على شريعة الناس وشبه ذلك من الأخبار المرؤية عنه.

(3) أن من الأزمان أزماناً يجتمع فيها أمته على ضلالة وكفر.

وقال آخرون: الجماعة التي أمر رسول الله بلزمومها: جماعة أهل الإسلام ما كانوا مجتمعين على أمر واجب على أهل الملل اتباعها، فإذا كان فيهم مخالف منهم فليسوا مجتمعون، ووجب تعرف وجه الصواب فيما اختلفوا فيه.

قال الطبري: والصواب في ذلك أنه أمر منه عليه السلام بلزموم إمام جماعة المسلمين ونهى عن فراقهم فيما هم عليه مجتمعون من تأميرهم إياهم فمن خرج من ذلك فقد نكث بيعته ونقض عهده بعد وجوهه، وقد قال عليه السلام: «من جاء إلى أمتي ليفرق جماعتهم فاضروا عنقه كائنا من كان». (6)

(1) في الأصل: الحسين، والثابت من هؤلاء.
(2) في الأصل، هو: السكري. والثابت من هذين الكمال.
(3) أواخي جمع أخاه واته: عود يعرض في المنطق ويذفن طرفاه فيه، ويعتبر وسطه كالمرقعة تندل إليه الذئبة. لسان العرب (14/33).
(4) الآسيوية: الدعامة والسارية، والجمع أواوسي. لسان العرب (14/36).
(5) في الأصل: فضائي. والثابت من هؤلاء ونصاب كل شيء: أصله.
قال المؤلف: وحديث أبي بكرة حجة في ذلك لأنه عليه السلام أمره بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، فبان أن الجماعة الأمور باتباعها هي السواد الأعظم مع الإمام الجمع لهم، فإذا لم يكن لهم إمام فافترق الناس أحزابًا فواجب اعتزال تلك الفرق كلها على ما أمر به النبي عليه السلام أبًا ذو ولو أن بعض بأصل شجرة حتى يدركه الموت، فذلك خير له من الدخول بين طائفة لا إمام لها خشية ما يقول من [ ] عاقبة ذلك من فساد الآدوات باختلاف الأهواء وتشتت الآراء.

وقال صاحب العين: الدخن: الحقد، ويوم دخن: شديد.

(الغم) (1).

* * *

باب: من كره أن يكثر سواد الفتن والظلم

فيه: أبو الأسود: «قطع على أهل المدينة بعث فاكتبت فيه، فلقيت عكرمة فأخبرته، فتائها أشد الله، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله، فإنني السهم فيصيب أحدهم يقتله - أو يضربه فيقتله- فأنزل الله تعالى: { إن الذين توفاهما اللاتين ظلمًا أنفسهم } (3)».

قال المؤلف: ثبت عن النبي أنه قال: من كان مع قوم راضيا بحالهم [ فهو منهم ] (1) صاحبين كانوا أو فاسقين، هم شركاء في الأجر أو الورز، وله يشبه معنى هذا الحديث في مشاركة [ أهل الظلم في الورز ] (2) قوله عليه السلام: { من آوى محددة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين }.

(1) من هـ. (2) في هـ: الغيم. (3) النسة: 97.

(4) في الأصل: أهل الورز في الظلم، والثبوت من هـ.


* * *

باب: إذا بقي في حائرة من الناس فيه: حذيفة قال: "حدثنا رسول الله حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها فقال: ينام الرجل

(1) في الأصل: خوف. والشطب من هه
(2) النساء: 98
(3) في الأصل: هه: أحب إحداهما. والشطب هو الصواب.
النومه فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكالة، ثم ينام
النومه فتقبض، فيه أثرها مثل أثر [المجل] (1) كجزء دحرجه على
رجله فنفط فتراه مثيراً، وليس فيه شيء، ويسبح الناس يتباعون فلا
يكاد أحد يؤدي الأمانة، فقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، وقيل
للرجل ما أعلقه وما أظرقه وما أجلده، وما في قلبه مثال حبة خردل
من إيمان، ولقد أتي عليّ زمان ولا أبالي أيكم بابعت، لن كان مسلمًا
رده علي الإسلام، وإن كان نصارىًا رده عليّ ساعيه، وأما اليوم فلا
كنت أباع إلا فلاناً وفلاناً.

قال المؤلف: هذا الحديث من أعلام النبوة، لأن فيه الإخبار عن
فساد أبان الناس وقعت آماناتهم في آخر الزمان، ولا سبيل إلى معرفة
ذلك قبل كونه إلا من طريق الوعي، وهذا كقوله: "بدا الإسلام
غريبًا وسعود غريبًا كما بدأ" وروى ابن وهب، عن يعقوب بن
عبد الرحمن، عن عمر مولى المطلب، عن العلاء بن عبد الرحمن،
عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله لعبد الله بن عمرو:
كيف بك يا عبد الله، إذا بقيت في حثالة من الناس، قد مرجت
عهودهم وأماناتهم، واصفوا هكذا - وشك بين أصابعه -؟
قال: قلت: يا رسول الله، فما تأمرين؟ قال: عليك بخصاصك،
ودع عنك عوامهم، ومن هذا الحديث ترجم البخاري ترجمة هذا
الباب - والله أعلم - وأدخل معناه في حديث حذيفة ولم يذكر
الحديث بنفس الترجمة، لأنه من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن
أبيه، فإن أبي هريرة، ولم يخرج عن العلاء حديثًا في كتابه.

الحدثة: سفلة الناس، وأصلها في اللغة، مما تراكب من قشور النمر
والشعر وغيرها وهي الخبرة والسخافة.

(1) في "الأصل" المجل، والثبت من "هـ، ن".

-38-
والنتفر: المنتفخ. قال الطوسي: أنتبر الجرح: إذا ورم، ويقال:
سمعت نبرات من كلامه أي: ارتفاعات من صوته.
قال أبو عبد: وقوله: "ما أبالي أيكم بايعت" حمله كثير من الناس على بيعة الخلافة، وهذا خطأ في التأويل، وكيف يكون على بيعة الخلافة وهو يقول: "لن كان يهوديًا أو نصرانيًا رده على سيده" فهو يبيع على الخلافة اليهودي والنصراني؟! ومع هذا إنه لم يكون يجوز أن يبيع كل أحد فيجعله خليفة، وهو لا يرضى بأحد بعد عمر، فكيف يتآول هذا عليه مع مذهبه فيه؟
إذا أراد مباعة البيع والشراء، لأنه ذكر الأمانة وإنه قد ذهبت من الناس يقول: فليس أتئ أنمايכב وأتئمه على البيع والشراء إلا فلانًا وفلانًا لقلة الأمانة في الناس.

1 في في الباء.
2 في في الباء.
3 يخذل، ونوفل ممثا من هم.
4 في في الباء، هم: نفيفات، ونوفل، ونوفل من لسان العرب مادة نفف.
وقوله: "أردّة على ساعيه" يعني: الوالي الذي عليه، يقول:

يا ابن الأكوع، فإن لم يكن له إسلام، وكل من ولي على قوم فهو ساع عليهم، وأكثر ما يقال هذا في ويلة الصدقة قال الشاعر:

معنى عقالاً فلم يترك لنا سبذاً

* * *

باب: التعرف (1) في الفتنة

فيه: سلامة بن الأكوع: "أنه دخل على الحجاج قال: يا ابن الأكوع ارتدت على عقيبك، تعربت؟ قال: لا. ولكن رسول الله أذن لي في البدو، ولما قتل عثمان خرج سلامة إلى البسيرة وتوزعت هناك امرأة ولدت له أولادًا، فلم يزل بها حتى جاء قبل أن يموت بليالي فنزل المدينة.

وفيه: أبو سعيد قال النبي - عليه السلام -: "يا شعب! لا يوجد خير مال السلام عنم يتعبد بها."

التعرب: معتى أن يرجع أعرابًا بعد الهجرة، وكانوا يستعيذون بالله أن يعودوا كالآراء بعدها الهجرة، لأن الأعراب لم يتبعوا بالهجرة التي يحرم بها على المهاجرين الرجوع إلى وطنهم، كما فرض على أهل مكة البقاء مع النبي - عليه السلام -، ولذلك قال الحجاج:

يا ابن (الاكوع) (2) ارتدت على عقيبك، تعربت؟ أي: رجعت عن الهجرة التي فعلتها لوجه الله - تعالى -، بخروجك من المدينة، فأخبرنا أن رسول الله أذن له في مسكنه، فلم يكن خروجك من المدينة فرارًا منها ولا رجوعًا في الهجرة، وهذا لا يحمل لأحد فعله.

(1) في الأصل: التعرف. وهي رواية أبي ذر الهروي، والمثبت من هـ، نـ.
(2) في الأصل: شعب. والمثبت من هـ، نـ.
(3) في الأصل: الحجة. والمثبت من هـ.
ولذلك دعا النبي - عليه السلام - لأصحابه آلا يمرون في غير المدينة التي هاجروا إليها الله - تعالى - فقال: «الله أمن لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم»، لكن البائس سعد بن خولة يرتقي له رسول الله ﷺ من مات بمكة فتوجه رسول الله ﷺ حين مات بمكة في الأرض التي هاجر منها. وذكر البخاري أن سعد بن خولة شهد بدرًا، ثم انصرف إلى مكة ومات بها، وأنه من المهاجرين.

وقوله: «يوشك أن يكون خير مال المسلم عندما يتبها [شفع] (1) الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتنة من أعلام نبوته عليه السلام لأنه أخبار عما يكون في آخر الزمان.

وفي أن اعتزال الناس عند الفتنة والهرب عنهم أفضل من مخالطتهم وأسلم للديني، وسأذكر تفسير [شعف] (1) الجبال في حديث أبي سعيد في كتاب الرقاق في باب العزلة [راحة من خلطات السوء] (2).

* * *

باب: التعوذ من الفتنة

فيه: أن: "سألوا النبي - عليه السلام - حتى أحفظعوا بالساعة فصعد النبي - عليه السلام - ذات يوم المنبر فقال: لا تسألوني عن شيء إلا بيت لكم، فجعلت أنظر بيتًا وشمالًا فإذا كل رجل رأسه في نوبي يكي، فأنشأ رجل كان إذا لاحي يدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبي الله، من أبي؟ قال: أبوك حذافة. ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربابًا وبالإسلام (1) في الأصل، (2) شعب، والثبت من (3) من (4)
دبنًا وبِمُحمَّدٍ رَسُولُ اللهِ نَعُوذُ بِاللهِ مِن سُوءِ الْفَتَنِ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا رَأَيْتُ فِي الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ كَالِيُومَ قَطُّ، إِنَّهُ صُوْرَتِي لِيِّجَنَّةَ وَالنَّارِ حَتَّىِ رَأَيْتُهُمَا دَوَنَ الْحَائِثَةَ... الحَدِيثُ.

وَقَالَ [قَتَادَةَ] (١) ﴿يَذْكُرُ هَذَا الْحَدِيثُ رَبِّيَّةً﴾ (٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسَاءَلُوا عَن أَشْيَاءٍ إِن تَبِدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُمٌ﴾ (٣) ﴿وَقَالَ ﴾كَلْ رُجُلٍ لَيْفُ رَأْسِهِ فِي ثوَابِي بِيِّنَى فَقَالَ ﴾عَائِدًا بَاللهِ مِن سُوءِ الْفَتَنِ، أَوْ أَعُوذُ بِاللهِ مِن سُوءِ الْفَتَنِ﴾ (٤)

وَقَالَ [مَعَتِّمَرَ] (٥) ﴿فِي أَبِيّ، عَن قَتَادَةَ، عَن أَبِي، عَن النَّبِيِّ ﰁ عَلَى الْسَّلَامُ، ﴾إِذَا أَنَذَرَهُ الْمَلَائِكَةُ ﰁ﴾ (٦) ﴿بَاللَّهِ مِن شَرِّ الْفَتَنِ﴾ (٧)

قَالَ صَاحِبُ الْأَفْعَالِ: أَحْكَمُ الرَّجُلُ فِي السَّوَالِ: أَلْحَحُّ، وَفِي الْتَنْزِيلِ ﴿إِن يَسَالُكُمْهَا فَيَفْحَفِقُكُمْ يَخْلَوْا﴾ (٨) ﴿أَيَّ: يَلِحُ عَلَيْكُمْ وَيَلِحُ عَلَيْهِمْ يَبْعُدُ عَن أَمَامَكُمْ، وَلَا أَلْحَناً عَلَى الْنَّبِيِّ ﰁ ﰁ، وَالْمَسَآئِلَةُ كَرَهَ مَسَآئِلَهُمْ، وَوُزُعَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا رَاوَى مِن الإِلْخَافِ عَلَى الْنَّبِيِّ ﰁ ﰁ وَالْتَعْنِيَّةُ لِهِ وَتَوْقُعَ عَقْوَةٍ اللَّهِ أَنْ تَحْلُّ بِهِمْ، وَلِلذِّكَرِ كَبْرِ، فَمَثَلُ اللَّهِ لِهِ الْجَنَّةَ وَالنَّارِ، وَأَرَاهُ كَلْ مَا يَسَالُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الَّمُوْمِلَ، فَقَالَ: ﴿لَاتَسْأَلُونِي عَن شَيْءٍ إِلَّا بَيْنِ لَكُمْ﴾ (٩) ﴿وَقَالَ لِلرَّجُلِ: ﴾أَبُوكَ حَذَافَةُ ﰁ وَرَوْيَ أَمَّ إِبْنَ حَذَافَةُ قَالَتْ لَهُ: ﴾يَا بَني مَا رَأَيْتُ إِبْنَا أَعْقَمَ مَاً (١٠) ﴿تُوْنُكَ أمَّ إِبْنَ حَذَافَةُ قَدْ قَارَبَتْ بِعْضٌ مَا تَقَارَبَ نَسَاءٌ الجَاهِلِيَّةَ ﰁ﴾ (١١) ﴿فَلَبِّتْهَا﴾ (١١) ﴿إِلَى أَعْنِ النَّاسِ، فَقَالَ إِبْنَاهُ: ﴾وَلَّاهُ لَوْ الْحَقِّي بِعَمَّرُ أَسْوَدَ لِلْحِلْقَتِ بَهُ﴾ (١٢).
وفي هذا الحديث فضل عمر بن الخطاب وفهمه، ومكانه من الحمایة عن الدين والذب عن رسول الله ﷺ إذ قال: "رضينا بالله رجاً والإسلام دينًا ومحمد نبى" ومنع من [تعنيه] (1) والخلاج عليه ﷺ، لأن الله تعالى - قد أمر بتعزيره وتوقيره وألا يرفع الصوت فوق صوته، واستعاذ بالله من شر الفتى، وكذلك استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من شر الفتى، واستعاذ من فتنة المحبة والممتات، وإن كان قد أعاده الله تعالى من كل فتنة، وعصمه من [شريحة] (2) ليس ذلك لأمه، فتستعذ منه نبيا - علي السلام - وهذا خلاف [ما] (3) يروي عن بعض من قصر علامة أنه قال: "أسألوا الله الفتنة فإنها حصاد المنافقين، وزمم أن ذلك مروي عن رسول الله ﷺ وهو حديث لا يثبت، والصحيح خلافه من رواية أنس وغيره عن النبي ﷺ علي السلام - .

* * *

باب: قول النبي صلى الله وسلم الفتى من قبل المشرق

 فيه: ابن عمر: "أن النبي ﷺ علي السلام - قام إلى جنب النبي فقال: الفتنة هاهنا الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان. أو قال: قرن الشمس".

 وقال ابن عمر مرةً: "أنه سمع النبي ﷺ علي السلام - وهو مستقبل المشرق يقول: "ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان" .

 وفيه: ابن عمر قال النبي ﷺ عليه السلام - "اللهوم بارك لنا في يمنا"، وفي شامتم قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا فأتيه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتين، ومما يطلع قرن الشيطان ".

 وقال لابن عمر: "حدثنا عن القتال في الفتنة والله - تعالى - يقول: 

(1) في الأصل: "معتنيه"، والمثبت من "هـ".
(2) في الأصل "ذلك"، والمثبت من "هـ".
(3) من "هـ".

٤٣
وقال هؤلاء: هل تدري ما الفتنة، لكل تركت أمك؟ إذا كان محمد يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس بقتالك على الملك.

قال المؤلف: قال الخطابي: [القرآن] (2) في الحيوان يضرب به المثل فيما لا يحمد من الأمور، كقوله عليه السلام في الفتنة وطولها من ناحية المشرق: ومنه يطلع قرن الشيطان. وقال في الشمس أنها تطلع بين قرن الشيطان، والقرآن: الأمة من الناس يحدثون بعد فناء آخرين، قال الشاعر:

إذا ما مضى القرن الذي أنت منهم وخلقت في قرن فاقت غريب.

وقال غيره: كان أهل المشرق يعشقون أهل كفر فاخر عليه السلام أن الفتنة تكون من تلك الناحية، وكذلك كانت الفتنة الكبرى [التي (3)] كانت مفتاح فساد ذات البين وهي مقتل عثمان - رضي الله عنه- وكانت سبب وفعة الجمل وصفين، ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق وما وراءها من المشرق، ومعلوم أن المبدا إنما ابتدأت من المشرق، وإن كان الذين اقتلون بالجمل وصفين بينهم كثير من أهل الشام والشام فكان [الفتنة] (4) وقعت في ناحية المشرق، وكان ذلك سبباً (5) إلى انفراق كلمة المسلمين وفساد نيات كثير منهم إلى يوم القيامة، وكان رسول الله يحذر من ذلك ويعلمه قبل وقوعه، وذلك دليل على نبوته.

* * *

(1) البقرة: 193. (2) من هـ.
(3) في الآصل، هـ. الذي. والثبوت هو الصواب.
(4) في هـ: الفتنة.
(5) في الآصل: سبب. والثبوت من هـ.
باب: الفتنة التي توج كموج البحر

وقال ابن عبيدة عن خلف بن حوشب: كنا نستحبون أن يمثلوا

بهذه الأبيات عند الفتنة:

الحرب أول ما تكون فتية
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها
شمعت ينكر لونها وتغيرت مكروهة للشم والتقبل

فيه: حذيفة: قال عمر: أبكم يحفظ قول رسول الله في الفتنة؟ قال:
فترة الرجل في أهله وماله، ولده وجاهه نكرها الصلاة والصدقة
والأمر المعروف والنبي عن المنكر. قال: ليس عن ذلك أسألك، ولكن
التي توج كموج البحر. قال: ليس عليك منها بأداء أمير المؤمنين
إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال عمر: أبكر الباء أتيفتح؟ قال: بل
ابكر. قال: إذا ليفغلق أبداً. قلت: أهل. قلت: حذيفة: أكان عمر
يعلم الباء؟ قال: نعم، كما أعلم أن دون غنى ليلة، وذلك أني حدثته
حديثًا ليس بالأغلب. [فحينا] (2) أن نسأل من الباء، فأمرنا مسروقاً
فسأله: من الباء؟ قال: الباء عمر.

وفيه: أبو موسى: خرج النبي - عليه السلام - إلى حائط من حائط
المدينة حاجته، وخرجت في أثره، فلما دخل الحائط جلست على بابه.
وقلت: لا تكون بين باب النبي عليه السلام ولم يأمرني، فذهب النبي
وقضى حاجته وجلس على قف الباء، فكشف عن ساقه فدلحاما في
الباء، فجاء أبو بكر بستأذن عليه ليدخل، فقلت: كم أنت
حتى ستأذن لك. فسقط، فجثت إلى النبي قلت: يا النبي الله

(1) في 6 الأصل: «مهياً»، والمث من 5، 6.»
أبو بكر يستأنذن عليك. فقال: أئذن له وشره بالجنة فدخل، فجاء عن
[1] النبي عليه السلام فكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فجاء
عمر، فقال: كما أنت حتى أستأنذن لك، فقال النبي - عليه السلام -:
أئذن له وشره بالجنة، فجاء عن بسار النبي - عليه السلام -، فكشف
عن ساقيه ودلاهما في البئر، فامتعله القف فلم يكن فيه مجلس [1]
ثم جاء عثمان، فقال: كما أنت حتى أستأنذن لك، فقال النبي -
أئذن له وشره بالجنة (مع) [2] بلاء يصيه، فدخل فلم يجد معهم
مجلسًا، فتحول حتى جاء مقابلهم على شفة البئر، فكشف عن ساقيه،
ثم دلاهما في البئر، فجعلت أثنتي أخلي، وأدعو الله أن يأتي »قال ابن
المسب: فتأولت ذلك قبورهم اجتمعها هاهنا، وانفرد قبر عثمان ».
وفيهم: أبو وائل: »قيل لأسانس: ألا تكلم هذا؟ قال: قد كلمته ما
بعد أن يكون أميرًا على رجلين - أنت خير، بعدما سمعت رسول الله
يقول: يجاء برجل يطهر في النار فيطمن فيها كطحن الحمار برحاء،
فطيب به أهل النار، ف يقولون: أي فلان، ألسنت كنت تأمر بالمعروف،
وتنهي عن المنكر؟ يقول: إن كنت آخر بال المعروف ولا أفعله، وأنهي
عن المنكر وأفعله.«.
وفيهم: أبو بكرة قال: »لقد نفعتي الله بكلمة أيام الجمل، لما بلغ النبي
أن فارسًا ملوكا ابنه كسرى قال: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأته«.
وفيهم: أبو مريم: »لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث

[4] في <<الأصل>> يفتحه، والثبت من «هـ، ن». - 46 -
علي إلى عمر بن ياسر وحسن بن علي، فقدما علينا الكوфа نصداً المثير، فكان الحسن بن علي فوق المثير في أعلاه، وقام عمر أسفل من الحسن، فاجتمعا إليههما، فسمعت عمارة يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة، والله إنها لزوجة نبكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله أبتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي؟

وقال مرتين: ولكنها مَا أبتلىهم بها، يعني عائشة.


قال المؤلف: حديث حذيفة وأبي موسى من أعلام النبوة، لأن فهما الأخبار عمداً يكون من الفتنة والغيب، وذلك لا يعرف إلا بوحي من الله.

وقال الخطابي: إذا كان يسأل حذيفة عن الشر يعرف موضعه في وقته، وذلك أن الجاهل بالشريعة أسرع إليه وأشد وقوعاً فيه / وروي (10958-ب) من بعض السلف أنه قبل له: إن فلاً لا يعرف الشر. قال: ذلك أقدر أن يقع فيه، وللذ لك صار عامّة ما يروي من أحاديث الفتنة، أكثر ما يذكر من أحوال المنافقين ونوعتهم مسوية إليه وماخذت عنه.

وقال غيره: وإنما (3) حذيفة حين سأله عمر عن الفتنة

(1) في (2) أسلمنا. (2) في (1) هـ: نكت.

- 47 -
فجاويب عن فتنة الرجل في أهله وماله [ وولده وجاره ] (1) ولم يجاوبه عن الفتنة الكبرى التي توج كموج البحر لنُها يغمه ويُشغله بالله ، إلا ترى قوله لعمر : "ليس عليك منها باسر يا أمير المؤمنين فإن بينك وبينها بابا مغلقا" ولم يقل له نت الباب ، وهو يعلم أن الباب عمر ، فإني أراد حذيفة آلا يواجهه بما يشغ عليه ويهمه ، وعرض له بما فهم عنه عمر أن هو الباب ولم يصرح له بذلك ، وهذا من حسن أدب حذيفة - رضي الله عنه.


وفي حديث أبي موسى البَشَرّ بالجنة لأبي بكر وعمر وعثمان ، إلا أنه قال في عثمان "مع بلاء يصبه" وكان ذلك البلاء أنه قتل مظلومًا شهيداً ، فإن قال : فكيف خُص عثمان بذكر البلاء ؟ وقد أصاب عمر مثله ؛ لأنه طعنه أبو لؤلؤة فمات من طعنته [ شهيدًا ] (6) كما مات عثمان شهيداً ؟ فالجواب : أن عمر وإن كان مات من الطعنة شهيداً ،

(1) في "الله" : إملأ . والثابت من " ه " .
(2) في "الله" : يزل . والثابت من " ه " .
(3) في "الله" : إسحاق . والثابت من " ه " .
(4) في "الله" : وهو . والثابت من " ه " .
(5) في "الله" : عدل . و" عدل " في "الله" : شهيد . والثابت من " ه " .
لذلك وله من شهد شهادة التوحيد فيحاجه بها عند الله يوم القيامة، فكان الذي أصاب عثمان من البلاء غير قتله بلاء شديدًا لم يصب عمر مثله.

قال المهلب: وأما قول أبي وائل: "قيل لأسامة: ألا تتكلم هذا الرجل" يعني عثمان بن عفان ليكلمه في شأن الوليد؛ لأنه ظهر عليه ريح نذير وشهر أمره، وكان أنا عثمان (لأمه) (1)، وكان عثمان يستعمله على الأعمال، فقيل لأسامة: ألا تتكلم في أمره؛ لأنه كان من خاصة عثمان، ومن يخف عليه، فقال: قد كلمته فيما بيني وبينه، وما دون أن أفتح بابًا أكون أول من يفتحه، يريد لا يكون أول من يفتح باب الإنكار على الأئمة علانيةً فيكون بابًا من القيام على أئمة المسلمين فتفرق الكلمة وتتشتت الجماعة، كما كان بعد ذلك من تفرق الكلمة بمواجهة عثمان بالتكر، ثم عرفهم أنه لا يدأه أميرًا أبدًا.

(1) ينصح له في السر جاهد بعدما سمع النبي يقول في الرجل الذي كان في النار كالحمار يدور برحاء، من أجل أنه كان يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن الشر ويفعله يعرفهم أن هذا الحديث جعله ألا يدأه أحدًا، يبتز إليهم مما ظنوا به من سقوطه عن عثمان في أخيه.

(1) من 1 هـ.
فإن قال قائل: فإن الإنكار على الامراء في العلن افة من السنة لما روى سفيان عن علامة بن مروض، عن طارق بن شهاب: «أن رجلاً سأل النبي - عليه السلام - أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند سلطان جائز.»

قال الطبري: قد اختالف السلف قبلنا في تأويل هذا الحديث، فقال بعضهم: إذا عين النبي بقوله: كلمة حق عند سلطان جائز.

بمعنى أنه أمر بقتل أهل الباهت، أو أن يلحقه من البلاء ما لا قيل له به، وهذا مذهب أغلب أهل السنة والجماعة.

وأبو عباس: إذا أمر على نفسه القتال أو أن يلحقه من البلاء ما لا قيل له به، هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

ووادي الزمان: إذا أمر على نفسه القتال أو أن يلحقه من البلاء ما لا قيل له به.

وأبو عباس: إذا أمر على نفسه القتال أو أن يلحقه من البلاء ما لا قيل له به.

وفي تأويلهما إذا ديني إذا لقيش.

وقال آخرون: الواجب على من/ رأى منكرًا من ذي سلطان أن ينكره علانيةً، وكيف أمكنه، روبي ذلك عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب، واحتجو بأقواله على السلام: من رأى منكرًا منكرًا، فليغطر في نفسه، فإن لم يستطع فيgings نفسه، فإن لم يستطع فيgings نفسه.

قال أبو عباس: إذا لقيه، إذا لقيه، إذا لقيه، إذا لقيه.

وقال آخرون: من رأى من سلطانه منكرًا، فالواجب عليه أن ينكره بقلبه دون لسانه، فأيدها جريمة، فلم يستطع فيemens نفسه، فإن لم يستطع فيemens نفسه.

أنه قال: «يا رسول الله، أنا تركت الأمر بعدي، تعرفون وتنكر؟»، فمن كره فقد بريء، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتاب، قالوا: يا رسول الله، أنا تركت الأمر بعدي، تعرفون وتنكر؟».

قال الطبري: والصواب [أن الواجب] على كل من رأى

1) في الأصل: كلمة. والثبوت من هم.

2) من هم.
منكرًا أن يتكره إذا لم يخف على نفسه عقوبة لا قبل له بها ؛ لورود الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة للائمة، وقوله عليه السلام: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه. قالوا: وكيف بذلك نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء ما لا يطاق».

فإن قال قائل في حداث أسامه: فكيف صار الذين كان بأمرهم بالمعروف ويئههم عن المنكر [ معه في النار وهو لهم بالمعروف أمر ، وعن المنكر ] (1) ناه؟ قيل: لم يكونوا أهل طاعة، وإنما كانوا أهل معصية.

وأما حديث أبي بكر في ظاهره توهية لرأي عاشية في الخروج قال المهلب: وليس كذلك لأن المعروف من مذهب أبي بكر أنه كان على رأي عاشية وعلى الخروج معها، ولم يكن وروجه على نية الفتال، وإنما قيل لها: اخرجني لتصبحي بين الناس فإنك أمهم ولم يعقول بقتل. فخرجت لذلك، وكان نية بعض أصحابها إن شبت لهم البغي أن يقاتلوا التي تبغي، وكان منهم أبو بكر، ولم يرجع عن هذا الرأي أصلا وإنما تشاه بقول الرسول ﷺ في مثب قارس أمه أنهم يغلبون، وإنما الفلاح في اللغة الإرقاء؛ لا أن آباؤه وهن رأي عاشية، ولا في الإسلام أحد يقوله إلا الشيعة، فلم يرد أبو بكر بكلمة إلا أنهم يغلبون إن فتبتلوه، وليس الغلبة بدليل على أنهم على باطل؛ لأن أهل الحق قد يغلبون، وتكون لهم العاقبة كما وعد [الله] (1) المتين، وذلك عيان في أصحاب النبي - عليه السلام - يوم حنيس واحد، وجعل الله لهم العاقبة، كما جعلها من غضب لعثمان وتأمل من قبله وطلب دمه، وليس في الإسلام أحد يقول: إن عاشية دعت إلى أبى معها، ولا عارضت علياً في الخلافة، ولا نازعته لأخذ الإمارة، وإنما أتكرت عليه من جهة عثمان، وتركهم دون أن يأخذ منهم حدد الله ودون أن يقتضي لعثمان منهم، لا غير ذلك، فهم الذين خشوا وخشوا على أنفسهم (فورشوا) (2) ودسوا في جميع عاشية من.

(1) من : 5/6 (2) التوريث: التحريش . انظر لسان العرب (371/6) .

وأما حيث أبي موسى وأبي مسعود حين دخل على عمر، فإن عمارا بعثه علي إلى الكوفة ليستنفره، فجرى بينهم ما جرى من تقليب رأي عمار وإسراه في الفتنة بالخروج وكشف وجه [وقد] [3] علم نهي النبي عن حمل السلاح على المسلمين، ثم تويغ عمر لأبي موسى وأبي مسعود على قعودهما عن ذلك، وكل فريق منهم مجتهد له وجه في الصاب، وكان اجتماعهم عند أبي مسعود بعد أن خطب عمر الناس على المبير بالنفير، وكان أبو مسعود كثير المال [جواد] [4] وكان ذلك يوم جمعة فكساهما خليتين ليشهدبا بها الجماعة؛ لأن عمرا كان في نيب السفر وهيئة الحرب فكره أن يشهد الجماعة في تلك النيابة، وكره أن يكسوه بحضور أبي موسى ولا يكسو أبا موسى؛ لأنه كان كريما.

والقف: ما ارتفع عن الأرض، عن صاحب العين.

* * *


- 52 -
باب: إذا أنزل الله بقوم عذاباً

فيه: ابن عمر قال النبي - عليه السلام -: "إذا أنزل الله بقوم عذاباً

أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم".

قال المؤلف: هذا الحديث يبيان حديث زينب بنت جخش: "أنها قالت: يا رسول الله، أنهمك ونفساً الصالحين؟ قالت: نعم، إذا كرر الحديث، يكون إهلاك جميع الناس عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصي، ودُل قوله: "ثم بعثوا على أعمالهم" أن ذلك الهلاك العام يكون طهراً للمؤمنين ونقاءً للفاسقين وقد تقدَّم [هذا في أول كتاب الفتن] (1).

* * *

باب: قول النبي للحسن بن علي إن ابني هذا سيد

ولعِلْ الله أَن يِصَلِّحَ بِهِ بِيْنَ فَتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ


وهذا: حرملاة مولى أسامة قال: "أرسلني أسامة إلى علي بن أبي

(1) من «هـ».

(2) في الأصل: تلقاه فقولاً. وفي «هـ»: تلقاه فقولاً. والمثبت من «ن».

قال المؤلف: فيه فضل السعي بين المسلمين في حسم الفتنة والإصلاح بينهم وإن ذلك مما تستحق به السيادة والشرف، وقول معاوية: من لذراري يدل على أنه كره الحرب وخشى سوء عاقبة الفتنة؛ ولذلك بعث عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة إلى [الحسن] (5) بن علي يسأله الصلح، فاجابه الحسن بن علي رغبة فيه وحقًا لدماء المسلمين وحرصًا على رفع الفتنة، وقد تقدم في الصلح.

وأما قول إسرائيل لابن شيرة [أدخلني على عيسى أعظم عنى: عيسى ابن موسى، فخاف عليه ابن شيرة من ذلك، فدل أن مذهب ابن شيرة] (6) أن من خاف على نفسه لا يلزم الأ默 بالمعروف والنهي عن المنكر.


(1) في الأصل: يسالك، والمثبت من هه، ن
(2) في الأصل: فقال، والمثبت من هه، ن
(3) من ن
(4) في الأصل: فاقروا، والمثبت من هه
(5) في الأصل: الحسين، والمثبت من هه
(6) من هه
(7) من هه.
قال رسول الله : أقتله بعدما قال : لا إله إلا الله ؟ فما زال يكرره
حتى تمنيت ( أن ) لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم قلائل أسامة
علي نفسه أن لا يقاتل المسلمًا أبداً، فلذلك فقد عن علي - رضي الله
 عنه - في الجمل وصفين .

*

باب : إذا قال عند قوم شيئًا ثم خرج فقال بخلافه
فيه : نافع : لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه
ولده، فقال : إنني سمعت النبي - عليه السلام - يقول : ينصب لكل
غادر لواء يوم القيامة، وإنما قد بابعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ،
وإنني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يبايع [ رجل ] (2) على بيع الله
ورسوله، ثم ينصب له القتال، وإنني لا أعلم أحدًا منكم خلعه ولا تابع
في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه ».

وفيه [ أبو ] (3) المنتهاً : لما كان ابن زياد ومروان بالشام، ووثب ابن
الزبير بمكن ووثب القراء بالبصرة، فانطلق مع أبي إلى أبي بزة
الاسلمي حتى دخلنا عليه في داره جالسًا في ظل عليلة فأنشأ أبي
بسطمته الحديث. فقال : يا أبا بزة ألم ترى ما وقع فيه الناس؟ فأول شيء
سمعته تكلم به : إنني أحسب عدادة أنني أصبحت ساحلاً على أحياء قريش،
إنكم يا معشر العرب كتم على الخال التي قد علمتم من القلعة والذلة
والضلاله، وإن الله / أنتمكم بالإسلام ومحمد حتى بلغ بكم ما ترون ،
وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم، إن ذلك الذي بالشام، والله إن

(1) في « هـ » : أبي .
(2) في « الأصل ، هـ » : رجلا . والمثبت من « ن » .
(3) من « هـ » ، ن » .
بقاتل إلا على الدنيا، وإن ذلك الذي يبعة والله إن يقاتل إلا على الدنيا.

وإن هؤلاء الذين بين أظهركم والله إن يقاتلون إلا على الدنيا.

وفي حديث قال: "إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي -عليه السلام- كانوا يومذ بسرون، واليوم يجهرون".

وقال مرة: "إذا كان النفاق على عهد رسول الله، وإذا اليوم فإنا هو الكفر بعد الإيان.".

قال المؤلف: معنى الترجمة إنا هو في خلع أهل الدنيا يزيد بن معاوية ورجوعهم عن بيعته وما قالوا له، وقالوا بغير حضرته [خلف] ما قالوا بحضره، وذلك أن ابن عمر بابع يزيد بن معاوية فقال عنه بالطاعة خلفته، ثم خشي على بني وحشمه النكتة مع أهل المدينة، حين نكثوا بيعة يزيد، فجمعهم ووعظم رأيهم وأخبرهم أن النكتأ أعظم الغدر.

وأما قول أبي بزة: "إني أحبس عند الله أنني أصبت ساحطاً على أحياء قريش". فوجه موقفته الترجمة أن هذا [قول] لا يقبل عند مروان حين بابع بل بابع واتبع، ثم سخط ذلك لما بعد عنه، وكأنه أراد منه أن يترك ما نوزع فيه للآخرة ولا يقاتل عليه كما فعل عثمان فلم يقاتل من نازعه، بل ترك ذلك لن قاتله عليه، ومما فعل الحسن بن علي حين [ترك] القتال لمعاوية حين نازعه أمر الخلافة فسقط أبو بزة من مروان [تسكه] بالخلافة القتال عليها، فقد تبين أن قوله لأبي المهلال وانه بخلاف ما قال مروان حين بابع له، وأما إليه الذي بالشام فإن يقاتل إلا على الدنيا، فوجهه أنه كان يريد أن يأخذ بسيرة عثمان وإلى الحسن] [رضي الله عنهما، وما هي عليه الذي ببكة - يعني ابن الزبير - فإنه لما وجب بيعة بعد أن دخل فيما داخل فيه.

(1) في "الاصل". والثبت من "ه".

(2) في "الاصل". والثبت من "ه".

(3) في "الاصل". وCoefficient. والثبت من "ه".

(4) في "الاصل". والثبت من "ه".

(5) في "الاصل". والثبت من "ه".

- 06 -
 المسلمون جعله نكزاً منه وحرصًا على الدنيا ، وهو في هذه أقوى رأياً منه في الأولى ، وكذلك القراء بالبصيرة ؛ لأنه كان رحمة الله لا يرى الفتنة في الإسلام أصلاً ، فكان يرى أن يرك صاحب الحق حقه من نازعه فيه لأنه مأجور في ذلك ، ومدوج بالإثار على نفسه ، وكان يريد من المقاتل له أن لا يقتتحم النار في قيامه وتفريقه الجماعة وتشيته الكلمة ، ولا يكون سبياً لسفك الدماء واستباحة الخمر أخذًا بقوله عليه السلام : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » فلم ير القتال البئة.

وأما حديث حذيفة قوله : " إن المناقنين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ لأنهم كانوا يسرون قولهم فلا يتعدّى شرهم إلى غيرهم ، وأما اليوم فإنهم يجهرون بالنفاق ويعتنون بالخروج على الجماعة ويوثرون بينهم ويجزونهم أحزابًا ، فمنهم شر منهم حين لا يضرون ما يسرون.

ووجه موافقة للترجمة أن المناقنين بالجزء وإشهار السلاغ على الناس هو القول بخلاف ما قالوه حين دخلوا في بيعة من بابوه من الأئمة ؛ لأنه لا يجوز أن يختلف عن [ بيعة من ] [الجماعة ] [ (1) ] بابه [الجماعة ] [ (2) ] ساعة من الظهر ؛ لأنها ساعة جاهليّة ، ولا جاهليّة في الإسلام ، وقد قال تعالى : " واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا " [ (3) ]. فالتفريق محرّم في الإسلام وهو الخروج عن طاعة الأئمة . وأما قول أبي بزة [ واحسابه ] [ (4) ] سخطه على أحياء قريش عند الله ، فكانه قال : اللهم إنه لا أرضى ما تصنع قريش من التقاتل على الخلافة ، فأنا بذلك من نبيّ ، وأنا أضحك فعلهم واستباحتهم للدماء.

---

(1) في 3 نسيم . (2) في 3 المجلة . (3) في 3 أصل . (4) في 3 الأصل . أحسب أنه . واحسب أنه . والثبت من هذه .
والأموال، فأراد أن يحتسب (ما يكره) (1) من إنكار القتال في الإسلام عند الله اجزاؤه وذخراً، فإنه لم يقدر من التغيير عليهم إلا بالقول والنية التي بها يأجر الله عباده.

* * *

باب: لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور

فيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبير الرجل فيقول: يا ليتني مكانه".

قال المؤلف: تغبط أهل القبور وتمني الموت عند ظهور الفتى إما هو خوف ذهاب الدين لغلبة الباطل وأهل وظهور المعاصي والمنكر.


وقد روى عن النعمان بن بشير، عن النبي - عليه السلام -: "إر فم من أجل الساعة فنتاً كقطع الليل المظلم، يصيح الرجل { فيها [ ] (4) مؤمنًا ويسبي كافراً ويسبي مؤمنًا ويصيح كافراً، يبيع فيها أقوام دينهم (بعرض) (5) من الدنيا يسير".

ومن حديث الحسن عن النبي - عليه السلام - قال: "بين يدي الساعة فتني موت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه".

وعن ابن مسعود قال: سبأني عليكم رمان لو وجد فيه أحدكم

(1) في { هـ } : ما يعتقه.
(2) في { الأصل } : أبي.
(3) في { هـ } : من.
(4) في { الأصل } : فيه.
(5) في { هـ } : بعضه.

- 58 -
الموت يباع لاشتراه، وسأتي عليكم زمان يغط في الرجل بخفة الحاذ
كما يغبط فيه بكثرة المال والولد.

وما من لم يخف فساد دينه وذهب إيمانه فلا يتمى الموت ذلك
لزمان مشابهته بأهله وحرصه فيما دخلوا فيه، بل ذلك وقت يسود فيه
أهل الباطل، ويعلو فيه سفلة الناس ورذالتهم [ وسعود ] (1) بالدنيا
لكن بن لعك.

* * *

باب: [تغير الزمان] (2) حتى تعب الأوثان

فيه: أبو هريرة قال: قال النبي - عليه السلام -: «لا تقوم الساعة
حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخصلة، وذو الخلصة طاغية
دوس [التي] (3) كانوا يعبدون في الجاهلية.

وفي: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: «لا تقوم الساعة حتى
يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعضه».

قال المؤلف: ذكر مسلم في كتابه ما يبين حديث أبي هريرة قال:
حديثنا أبو كامل الجحدري قال: حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا
عبدالمحسن بن جعفر، عن الأسود بن الاعلاء، عن أبي سلمة عن
فاطمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل
والنهار حتى تعد الراتب والعزى فقتل: يا رسول الله إن كنت لأظن
حين أنزل الله: و هو الذي أرسل رسوله بالهدى » إلى
المشركين» (4). إن ذلك تام قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء

(1) في الأصل: ويستعد. والثبت من هـ.
(2) في الأصل: لا تقوم الساعة. والثبت من هـ.
(3) في الأصل: الذي. والثبت من هـ. (4) الفتح: 28.
الله، ثم يبعث الله ريحًا طيبةً [فيتوئي] (1) كل من في قلبه مثال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه [فيرجعون] (2) إلى دين آبائهم».

قال المؤلف: هذه الأحاديث وما جانسها [معناها] (3) الخصوص، وليس المراذ بها أن الدين ينقطع كله في جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شيء؛ لأنه قد ثبت عن النبي ﷺ أن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة إلا أنه يضعف ويعود غربيانً كما بدأ وروى حماد بن سلمة، عن قتادة، عن مطرف، عن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ - عليه السلام -: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين حتى يقاتل آخرهم المسيح النجاح»، وكان مطرف يقول: هم أهل الشام، فبين عليه السلام في هذا الخبر خصوصه [سائر] (4) الأخبار التي خرجت مخرج العموم، وصفة الطائفة التي على الحق مقيمة إلى قيام الساعة أن بها البند المقدس دون سائر البقاع، فهذا تألف الأخبار ولا تعارض، وقد تقدم في كتاب العلم [في باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين] (5).

فإن قال قائل: فما وجه ذكر حديث الحكواتي الذي يسوق الناس بعصابه في هذا الباب؟

قال المهلب: وجه ذلك أنه إذا قام رجل من قطعان ليس من [فخذ] (6) النبوة ولا من رهط الشرف الذين جعل الله فيهم الخلافة وذلك من أثر تغير الزمان وتبديل (أحكام) (7) الإسلام أن يدعي الخلافة، وأن يطاع في الدين من ليس أهل ذلك.

(1) في الأخبل: فيتوئي. والمثبت من هـ.
(2) في الأخبل: فيرجعون. والمثبت من هـ.
(3) في الأخبل: معناه. والمثبت من هـ.
(4) في الأخبل: سائر. والمثبت من هـ.
(5) في الأخبل: قحص. والمثبت من هـ.
(6) في الأخبل: فيذ. والمثبت من هـ.
(7) في الأخبل: أحوال.
باب: خروج النار

وقال أنس: قال النبي - عليه السلام -: "أول أثرات الساعة نار تحشر الناس من الشرق إلى الغرب".

فيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض [1] الحجاز تضيء أعين الآبل بصري".

وفي: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: "يويشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب [فمن حضره] [2] فلا [ياخذ منه شيئا] [3]".

وقال مرة: "جبل من ذهب".

وفي: حارئة بن وهب: قال النبي - عليه السلام -: "تأصدقا فسيأتي زمان يشتي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها".

وفي: أبو هريرة قال: "لا تقوم الساعة حتى تقتتل فتتان عظيمتان يكون بينهما مقاتلة عظيمة دعاهما واحدة [وحتى] [4] يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنت رسل [الله] [1] وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتنارب الزمان، ويكشر الهرج، وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفضى حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، ويقول الذي يعرضها عليه لا أره لي فيه، وحتى يتطاول الناس في البستان وحتى يمر الرجل بقرب الرجل فيقول: يا ليتي مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون فذلك حين لا يبتاعه ولا يطبعه، ولتقوم الساعة، وقد انصرف الرجل بلبن لفتحه فلا يطبعه، ولتقوم الساعة، وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطبعها."
قال المؤلف: ترجم البخاري في باب خروج [ النار ] (1) ولم يسنده في ( هذه المواضع ) (2) اكتفاء بما تقدم من إسناده في كتاب الأنباء، رواه عن ابن سلام، عن الفوزي، عن حميد، عن أنس عن النبي - عليه السلام -، وروى حسين المروزي، عن عباد الولاح، حدثنا عبيد بن عمر، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، عن كعب قال: تخرج نار من قبل اليمين تخشر الناس تغدو معهم إذا غدوا، وتقبل معهم إذا قالوا، وتروح معهم إذا راحوا، فإذا سمعتم بها فاخرجوا إلى الشام \( ^* \).

وكلما ذكرناه في هذا الحديث من الأشراط فهي علامات لقياس الساعة كخروج النار ومعناها واحد، وقد جاء في حديث أن النار آخر أشراط الساعة، رواه ابن عينية، عن فرات الفوزي، عن أبي الطفيل، عن أبي سريحة حذيفة بن أمية قال: «أشرف علينا النبي - عليه السلام - من غمرة فقال: ما تذكرون؟ قلنا: نتذكرو الساع ث ء قال: إنها لا تقوم حتى يكون قبلها عشر آيات: الدجال والدخان، والبادية وطبلة الشمس من مغربها، وياجوج وماجوج ونزول عيسى بن مريم، وثلاثية خسوف: خسوف بالمشرق وخسوف بالمغرب وخسوف بجزيرة العرب، وأخير ذلك نار تخرج من اليمين تطرد الناس إلى محشرهم». وذكر ابن أبي بكر حذيفة محمد بن [ بشر ] (3) عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن عبد الله بن عمرو قال النبي ﷺ: إن أول الآيات

_____________________

(1) من "هـ" في "هـ" هذا الموضوع.
(2) في "الاصلي": بشير، والثابت من "هـ" وهو الصواب، انظر صحيح مسلم (4/226 رقم 1941).

- 27 -
خرجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى،
وأيهمها كانت قبل صاحبها فالأخرى على إثرها قريبا منها.

وحدثت أنس أصح من هذه الأحاديث، وقد روى حماد بن سلمة
عن أبي المهزم يزيد بن سفيان، عن أبي هريرة قال: "خروج الآيات
كلها في ثمانية أشهر، أبو المهزم ضعيف، وقال أبو العالية: الآيات
كلها في ستة أشهر.

وقوله: "تضيء أعناق الإبل بيصري، فالعرب تقول: أضاءت
النار وأضاءت النار غيرها.

* * *

باب: ذكر الدجال

فيه: المغيرة قال: "ما سأل النبي - عليه السلام - أحد عن الدجال ما
سألته، وإنما قال لي: ما يضرك منه؟ قلت: إنهم يقولون: إن معه جبل
خز ونهر ماء قال: هو أهون على الله من ذلك.

وفيه: ابن عمر قال: "أعور عين اليمنى كأنها عنبة طافية".

وفيه: أنس قال: قال النبي - عليه السلام -: "يجيء الدجال حتى
ينزل في ناحية المدينة فترجف ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر
ومنافق.

وفيه: أبو بكر: قال النبي - عليه السلام -: "لا يدخل المدينة رعب
المسيح، لها يومئذ [سبعة] (1) أبواب، لكل باب ملكان".

وفيه: ابن عمر: "قام النبي - عليه السلام - في الناس فأتى على الله

(1) من 1 هـ، ن".
ما هو أهله تم ذكر الدجال فقال: إنني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذر قومه، ولكن يقولكم فيقولا لم يقله نبي لقومه: إنه أعور، وإن الله ليس بأعور. وزاد ابن عباس وأبو هريرة عن النبي - عليه السلام -: "بين عينيه مكتوب كافرج."

وفيه ابن عمر قال النبي - عليه السلام -: "بينا أنا نائم أطف بالكعبة إذا رجل أدم سبت الشعر ينطفأ أو يهرق رأسه ماء؛ فقلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم، ثم ذهبت أنتفث فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور اللعين كأن عينه عينة طافية قالوا: هذا الدجال، أقرب الناس به شبهًا ابن قطن رجل من خزاعة." 

وفيه: عائشة: "سمعت النبي - عليه السلام - يستعجل في صلاته من فتنة الدجال.

وفيه: حذيفة وأبو مسعود: أن النبي - عليه السلام - قال: "الدجال معه ماء ونار، فناره ماء بارد، وماه نار.

إن قال قائل: ما معنى قوله عليه السلام: "ترجف المدينة ثلاث رجفات" وقد قال في حديث أبي بكر: "إنه لا يدخل المدينة رعب المسيح؟" 

قال المهلب: فالفحوب أن رجفات المدينة ليست من رعبه ولا من خوفه، وإنما ترجف المدينة لمن يتضف إلى الدجال من المنافقين فيخرجهم أهل المدينة كما قال عليه السلام: "إنه تفنى خشيها". والدليل على أن المؤمنين فيها لا يرعبون من الدجال؛ أنه يخرج إليه.
فيهم [ رجل ] (1) يناظره وهو الذي يقول له الدجال: أرأيت إن قتلت
هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ نقولون: لا. يعني ف يقول
المناقشة الذين معه غير ذلك الرجل الصالح فيقتله ثم يحييه، فيقول
ذلك الرجل: والله ما كنت قتله قصيرة مني اليوم، فريد الناس
أن يقتله فلا يسلط عليه، فهل يدخل رعبه المدينة وأهله يناظره
ويقاربه ويجهز له بأنه الدجال، ولا يوجه قلبه ما يراه من قدرة الله
[الذي ] (2) أقدر به على أن يقتل رجلاً ثم يحييه ولا ( يخافه ) (3) على
مهجته وهو وحده لا يوجد منه بعد ولا عدة ولا جماعة.
فإن قال قائل: فإذا سلط الدجال على قتل رجل وإحياه فهذا أن
الله قد يعطي آيات الأنبياء وقلب الأعيان أهل الكذب على الله وأشد
أعدائه فرية عليه.
قال الطبري: فقول: إنه لا يجوز أن تعطى أعلام الرسل أهل
الكذب والإفك في الحال التي لا سبيل لمن عاين ما أتي به الفريقان إلى
الفصل بين الحق منهم والمبطل، فأما إذا كان من عاين ذلك سبيل
إلى علم الصادق عن ظهر ذلك على يده من الكاذب، فلا ينكر إعطاء
الله ذلك الكذابين لعلة من العلل كالذي أعطى الدجال من ذلك فئة لم
شاهدته، ومحنة من عاينه ليعمل الله الذين صدقوه ويعمل الكاذبين.
فإن قيل: وما السبب الذي يصيب به من عاين ما يظهر من ذلك
على يد الدجال أنه مبطل؟
قيل: [ أبين ] (4) الأسباب في ذلك أنه ذو أجزاء مؤلفة، وتأليفه

(1) في(avg. "أبو"
(2) في(avg. "أبو"
(3) في(avg. "أبو"
(4) في(avg. "أبو"

- 65 -
عليه بكلبه شاهد، وأن تأثير الصناعة فيه لم ركب أعضاه خلق ذيل وعبد مهين، مع أفة به لازمة من عور إحدى عينيه، يدعو الناس إلى الإقرار بأنه ربه الذي خلقهم، فاسوأ حالات من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن ليسوي خلق غيره ويعده ويحسنه، وهو على دفع العاهات عن نفسه غير قادر.

فأقا ل ما يجب أن يقول له من يدعوه إلى الإقرار له بالله علية: إنك تزعم أنك خالق السماوات والأرض وما فيها وأنت أهور ناصص الصورة، فصور نفسك وعدلها على صورة من أنت في صورته إن كنت محققًا في ذلك، فإن زعمت أن الرب لا يحدث في نفسه شيئًا فإنك راكب من الخطايا أرذلها، فتحول من الجماد إلى أشرف.

[مئة (1) وأزل ما هو مكتوب بين عينيك من الكتاب الشاهد على كذبك.

قال المهلب: وأما قوله في حديث المغيرة: "إنهم يقولون أن معه جبل خيبر ونهر ماء. قال عليه السلام: هو أهون على الله من ذلك";

يريد - والله أعلم - هو أهون من أن يفتت الناس به فيملكه معايش أرزاقهم وحياة أرماهم، فتعظم بذلك فتنهم، بل تبقى عليه ذلة العبودية بتحويجه إلى معالجة المعاش، وقد ملكه ما لا يرضه إلا من قضى الله له بالنشوء في أم الكتاب، وإلاما يوه الناس أن هذه نار يشير إليها ليخافه من لا بصيرة له في دين الله فيتبعها مخافتها على نفسه، ولو أنعم النظر لرأى أنها ماء بارد وكذلك لما توهن به وهو ماء لمن لا بصيرة له ولا عنده علم بما قدمه الرسول من العلم لامته بأن ناره ماء، وماءه نار، ومن أعطي فئته ثم جعل له على تلك الفائتة علم بطلانها ومحالها لم تكن فائتة شاملة، ولا يفتن.

(1) في الأصل: منها، والثبت من هل.
بها إلا [الأول] (1) لafortضاحها بأول من يلقى فيها فيجدها بخلاف ما
أوهم فيها، ولولا انتقاله من بلد إلى بلد لأمنت تلك الفتنة إلا على
الأول، لكنه يرد كل يوم بلدة لا يعرف أهلها ما افتضح من أمرها في
غيرها ففيظل يفنن، ويعصم الله العلماء منه، ومن علم علامة الرسول
وثبته الله واستدل بأن من كان ذا عادة لا يكون إلًا، فقد بان أنه
أهون على الله من أن يكراه من المعجزات كمكينًا صحيحًا، لأن إقراده
على قتل الرجل وإهانته لم يستمر له في غيره ولا استمر به المقتول إلا
ساعة الله، وقد لا يجد لقته أن لقدرته على دفع الله عنه، فإن
الله آمره بذلك في الآخرة، وإن لم يؤله فقد [أدام] (2) له الحياة
بإحياءه، ثم لا يسلط على قتل أحد ولا إحياؤه.

وذكر علي بن معبد عن عبد الله بن عمر، وعن زيد بن أبي أنس،
عن أشعت ابن أبي الشعثاء عن أبيه، عن ابن مسعود قال: إن
الدجال يرحل في الأرض أربعين ليلة، وعن أبي مجلز [ قال: 
إذا(3) / خرج الدجال فالناس ثلاث فرق: فرقة تقاتله، وفرقة تفر
منه، وفرقة تشبهه، فمن تحرز منه في رأس [ جبل ] (4) أربعين ليلة
أتاه رعقه، وأكثر من يشبهه أصحاب العياش يقولون: إننا لنعرف
ضلالته، ولكن لا نستطيع ترك عيانا، فمن فعل ذلك كان منه.

وذكر الطبري بمساندة عن أبي أمامة الباهلي، عن النبي ﷺ أنه
حدثهم عن الدجال: "أنه يخرج بين الشام والعراق يقول أنه نبي،
ثم يشي فيقول: أنا ربك وإنه يأتي بجنة ونار، فتازه جنة ونحشه نار.

(1) في "الأصل": الأقل، والمثبت من "ه".
(2) في "الأصل": أجزاء، والمثبت من "ه".
(3) في "الأصل": مكركة.
(4) في "الأصل": جبال، والمثبت من "ه".
[فمن (1) بثلي بن بره فليستعن بالله، فإنها تكون عليه برداً، وسلاماً]

ومن بثلي به فليقرأ عليه فواتح سورة الكوفة (2) ولا ينفل في وجهه، فإنها لا تعود ذلك، ويقتل رجلاً ثم يحيه وليس يحيي أحداً بعده، وإن له أربعين يوماً يوم كاسبة ويوم كالشهر ويوم كجمعة ويوم كسائر الأيام، ويعدو الرجل من باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى تغيب الشمس، ووروي الطبري بإسناده عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أن النبي - عليه السلام - ذكر عندها الدجال فقال: "إن قبلا خرجته ثلاثة أعوام تمس السماء ثلاث قطراً والأرض ثلاث نباتاتها، والمأمون الثاني تمس السماء ثلاث قطراً والأرض نباتاتها، والمأمون الثالث تمس السماء قطراً والأرض نباتاتها. حتى لا يبقى ذات ضرر ولا ذات ظلب إلا ممات، ومن أعظم فتنته أنه يأتي الرجل فيقول له: إن أحببت لك أباك أو أخاك أو عمل تعلم أني ربك؟ فيقول: نعم، فيمثل له شياطين (عند) (3)، ويأتي الأعرابي فيقول: إن أحببت لك إبك عظامًا ضروها، طوالاً أستمنتها، تعلم أني ربك؟ فيقول: نعم، فيمثل له شياطين عندت. فبيك القوم فقال النبي ﷺ: إن يخرج فيكم فامرأها حجيجة، وإلا فله خليفتي على كل مؤمن. قالت أسماء: ما يكفي المؤمن يومئذ من الطعام (يا رسول الله) (2)، قال: يكفيه ما يكفي أهل السماء التسبيح والتقيديس.

وذكر ابن أبي شيبة بإسناده عن عائشة أن النبي - عليه السلام - قال: "يخرج مع الدجال بهدوه أصبهان، فيقتله عيسى بين مرم باب لد، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة، أو قريب منها وإمامًا عدلًا وحكماً مفسطاً. قال الخطابي: قال ثعلب: الطافية: العينة التي قد خرجت عن "

(1) في الأصل: من، والمثبت من هم. (2) من هاد. (3) في الأصل: غيره، والمثبت من هد.
عدد بنية أخواتها فعلت ونثأت وظهرت، يقال: طفا الشيء إذا علا وظهر، ومنه الطافي من السمك.

باب: لا يدخل الدجال المدينة

فيه: أبو سعيد ( حدثي ) (1) النبي - عليه السلام - عن الدجال فقال: يأتي، وهو محرم عليه أن يدخل ناقب المدينة [ فينزل ] (2) بعض السياح التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل وهو خير الناس أو من خيار الناس فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله حديثه.

فيقول الدجال: أرأيت إن قلت هذا ثم أحببته هل ت يكون في الأمر؟ فيقولون: لا. فيقله ثم يحببته. فيقول: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني اليوم، فبريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه.

وفيه: أبو هريرة: قال النبي ﷺ: "على أنقباب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال".

قال المؤلف: قد تقدم الكلام في حديث أبي سعيد وأبي هريرة، وفيه فضل المدينة وأنها خصت بهذه الفضيلة والله أعلم لبركة النبي - عليه السلام - ودعاته لها، وقد أراد الصحابة أن يرجعوا إلى المدينة حين وقع الويل بالشام، ثقة منهم بقول رسول الله الذي أمرهم دخول الطاعون بلده، وكذلك توقن أن الدجال لا يستطيع دخولها البتة، وفي ذلك من الفقه أن الله - تعالى - يقول ملائكته بأسم الله - تعالى - وصف الله - تعالى - في (3) و(4) من "هـ" و(2) من "هـ".

(1) في "هـ" ن: حدثنا .

(2) من "هـ" .

(3) من "هـ" .

(4) من "هـ" .
ذلك في قوله: "له معقبات من بين يديه" (1) يعني بأمر الله لهم بحفظه.

وروى علي بن معبد قال: ثنا بشر بن بكر، عن الأوزاعي، عن إسحاق بن عبد الله، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس من بلد إلا سبطوه الدجال إلا مكة والمدينة ليس من نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صفين يحرسونها. فينزل بالسياحة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليها كل منافق." 

والأنقباء: الطرق، واحدها نقب، ومنه قوله تعالى: "فتقوا في البلاد" (2) أي جعلوا فيها طرقاً ومسالك، وقال صاحب العين: التنقب والتنقب والمنقبة: الطرق في رأس الجبل.

**

باب: يأجوج ومأجوج


وفيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام - " يفتح الربع ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وعقد تسعين".

(1) الرعد: 11. (2) ق: 36. (3) في "هم: ن": أنهلك.
قال المؤلف: ذكر يحيى بن سلام، عن سعيد بن أبي وروبة، عن قْتَادَة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة: أن رسول الله قال: "إن يأجوج ومأجوج يخرقون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فتخرقونه غداً، فيعبد الله كاأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فتخرقونه غداً إن شاء الله، فigungدون إليه وهو كهيئة حين تركوه فيخرقونه، فيخرون على الناس [فيشنفون] (1) الماء، ويثحصن الناس منهم في حصولهم فيرمون سهامهم فترجع إليهم الدماء فيها، فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فبعث الله عليهم نعّصًا في أقفائهم فقاتلوهم بها".

وذكر علي بن معد بن عاشث بن شعبة، عن أرطاة بن المنذر قال: إذا خرج يأجوج ومأجوج أوثق الله إلى عيسى بن مريم: إنني قد خرجت خلقًا من خلقى لا يطيقهم [أحد] (2) غزيري، فمر من معك إلى جبل الطور ومعه من الذراعي اثنا عشر ألفًا. قال: يأجوج ومأجوج ذرى جهنم، وهم على ثلاثة أئل: ذلك على طول الأرض والسباط، وثالث مربع طوله وعرضه واحد وهم أشد، وثالث يفترش أحدهم أذنه يلتحف بالأخرى وهم ولد بانث بن نوح.

وعن الأوزاعي عن ابن عباس قال: الأرض ستة أجزاء فخمسة أجزاء منها يأجوج ومأجوج، وجزء فيه سائر الحلق.

وعن كعب الأحبار قال: معاقل المسلمين من يأجوج ومأجوج [الطور] (3).

---

(1) في الأصل: فيشنفون، والثابت من: هم.
(2) في الأصل: أحدا، والثابت من: هم.
(3) في الأصل: الطرق، والثابت من: هم.
كتاب الدعاء (۱)

باب: قول الله تعالى: {ادعوني أستجب لكم} (۲)
وقول النبي - عليه السلام - لكل نبي دعوة مستجابة
فيه: أبو هريرة قال: قال النبي ﷺ: "كل نبي دعوة يدعو بها، فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة".
وفيه: أنس قال: قال النبي - عليه السلام -: "كل نبي سأل سؤالاً أو قال - لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيبت، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة".

قال المؤلف: أمر الله - تعالى - عباده بالدعاء وضمن لهم الإجابة في قوله: {ادعوني أستجب لكم} (۳) فإن قيل: فقد علمت تأويل من تأول قوله تعالى: {ادعوني أستجب لكم} (۴) ادعوني بطاعكم إياي وعبادتكم لي: أستجب لكم في الذي التمسم مني بعبادتكم إياي.

قال الطبري: فأخواب: أن من طاعة [العبد ربه] (۵) دعاء إياه ورغبه في حاجته إليه دون ما سواه، والمخلص له العبادة المتضرع إليه في حاجته موقن أن قضاءها بهده متعبر لنجهها منه، ومن عبادته إياه تضرعه إليه فيها، وقد روى وكيع عن سفيان، عن صالح مولى.

(۱) كذا في الأصل، هـ وفي ن: الدعوات.
(۲) غافر: ۲۶. (۳) في الأصل ل: العبودية، والثبت من هـ.
(۴) غافر: ۳۰.
التوهمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: "من لم يدع الله غضب الله عليه".

وروى شعبة: عن منصور، عن ذر، عن يُسَيَّع الحضرمي، عن النعمان بن بشير عن النبي - عليه السلام - قال: "الدعاء هو العبادة" وقرأ: "ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادي" (1) فسمى الدعاء عادة، وروى الأوزاعي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، عن النبي - عليه السلام - قال: "إذا الله يحب الملحين في الدعاء". فإن ظن ظن أن قول أبي الدرداء يكفي عن الدعاء مع العمل ما يكفي الطعام من الملح. وقيل لسفيان: أدع الله؟ فقال: إن ترك الذنب هو الدعاء. مخالف لما جاء من فضل الإلحاح في الدعاء والأمر بالدعاء والضرورة إلى الله، فقد ظن خطأ.

وذلك أن الذي جعلت عليه النفس أن من طلب حاجة ممن هو عليه سائح لأمر تقدّم منه استوجب به سخطه أنه بالحرمان أولى من [هو عنه] (2) راضٍ تحتاته له واجتنابة سخطه، فإذا علم من عبده المطع له حاجة إليه كفاءة البسير من الدعاء. فإن قيل: هل من علامة يعلم بها إجابة الله العبد في دعاة؟ قيل: قد جاء في ذلك غير شيء، منها ما روى شهر بن حوشب: "إن أم الضراء قالت له: يا شهر [إن شفقة المؤمن في قلبه كسعفة أحرقها في النار، ثم قالت: يا شهر] (2) أنت القشبييرة؟ قلت: نعم. قالت: فادع الله فإن الدعاء يستجاب عند ذلك".

وروى ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي جبير، عن أبي الخير: "أنه سمع أبا رهم السماعي يقول: ما يشعر به عند الدعاء و [ (2) العطاس".

(1) غافر: 60 (2) من "هـ".
قال المؤلف: فإن قيل: ما معنى قوله عليه السلام: "لكل نبي دعوة مستجابة". وقد قال الله تعالى للناس كافة: "ادعوني أستجب لكم" (1) فعم كل الدعاء، وهذا وعد من الله لعباده وهو لا يخلف الميعاد، وإنا خصّ كل نبي بدعوة واحدة مستجابة، فأين فضل درجة النبوة؟ قيل: ليس الأمر كما ظننت، ولا يدل قوله تعالى: "ادعوني أستجب لكم" (1) على أن كل دعاء مستجاب لداعيه، وقد قال قتادة: إما يستجاب من الدعاء ما وافق القدر، وليس قوله: "لكل نبي دعوة مستجابة". مما يدل أنه لا يستجاب للأنبياء غير دعوة واحدة، وقد ثبت عن النبي - عليه السلام - أنه أجيب دعوته في المشركين حين دعا عليهم ببعض كسب يوسف، ودعا على صناديد قريش المعاندين له، فقتلوه يوم بدر، وغدَّر ذلك مما يكرر إحصاؤه ما أجاب من دعائه، بل لم يبلغنا أنه رد من دعائه عليه السلام إلا سؤله أن لا يجعل الله باس أمته بينهم خاصة، لما سبق في أم الكتاب من كون ذلك، قال تعالى: "ولو شاء الله ما اقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد" (2). ومعنى قوله: "لكل نبي دعوة مستجابة" يريد أن لكل نبي عند الله من رفع الدرجة وكرامة المنزلة أن جعل له أن يدعو فيما أحب من الأمور ويلبجه أنتميته، فيدعو في ذلك وهو عالم بإجابة الله له على ما شت عنه: "أن جبريل قال له: يا محمد، إن أردت أن يحول الله لك جبال تهامة ذهبًا فعل"، وخيرُه بين أن يكون نبيًا عدلاً وبين أن يكون نبيًا ملكًا، فاختار الآخرة على الدنيا، وليس هذه الدرجة لاحدة من الناس، وإنما [ أمروا ] (3) بالدعاء راجين الإجابة غير قاطعين عليها؛ ليقفوا تحت الرجاء والخوف.

(1) غافر: 60 (2) البقرة: 253 (3) في الأصل، هـ: أمر، والمثبت هو الصواب.
وفي هذا الحديث ببيان فضيلة نبينا - عليه السلام - على سائر الأنبياء عليهم السلام حين أُمرت أمته بما خصص الله به من إيجابية الدعوة بالشفاعة لهم، ولم يجعل ذلك في خاصية نفسه وأهل بيته فجزاء الله عن أمته أفضل الجزاء، صلى الله عليه أطيب الصلاة، فهو كما وصفه الله: 

«بالمؤمنين رؤوف رحيم» (1).

bab: فضل الاستغفار

وقوله تعالى: «استغفروا ربيكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا» (2) والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم (3) الآية.

فهي: شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال: "سيد الاستغفار [أن يقول] (4) اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت [خلقتي] (5) وأنا عبدك، وأنا على عهدي ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوك لك بتعملك علي وأبو بدنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها من [النهر] (6) موقناً بها فمات من يومه قبل أن يسيء فهو من أهل الجحيم، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجحيم.

قال المؤلف: قوله عليه السلام: "أنا على عهدي ووعدك ما استطعت" يعني: العهد الذي أخذه الله على عباده في أصل خلقهم حين أخرجهم من أصلاب آبائهم أمثال الذر، وأشهدوا على أنفسهم:

(4) من « هم » . (5) في « الأصل » ظلمت نفسي، والثبت من « هم » .
(6) غير واضحة بالأصل، والثبت من « هم » .
ألست بريكم قالوا بلى (1). فأتقوا له في أصل [ خلقهم ] (2) بالربوبية، وأذنوا له بالوحدانية، وللوعيد: هو وما عدهم تعالى أنه من مات لا يشرك منهم بالله شيئًا وأدى ما افترض الله عليه أن يدخل الجنة، ف ينبغي لكل مؤمن أن يدعو الله تعالى أن يمته على ذلك العهد، وأن يتوفاه الله على الإيمان؛ لينال ما وعد تعالى من وفى بذلك اتقاد بالنبي - عليه السلام - في دعاته بذلك، ومتى ذلك سأل الأنبياء عليهم السلام - تعالى - في دعائهم، فقال إبراهيم عليه السلام: (3) واجتنبي وبني أن تعبد الأصنام (4). وقال يوسف: (5) توني مسالماً وأخفقي بالصالحين. وقال نبينا: (6) إذا أردت بقوم فتنة فاقضني / إليك غير مفتوح. وأعلم أمه بقوله: (7) أنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أن أحدًا لا يقدر على الإيمان بجميع ما الله، ولا الوفاء (بجميع) (8) الطاعات والشكر على النعم، إذ نعمه تعالى كثيرة ولا يحاط بها، إلا ترى قوله تعالى: (9) واسب علیكم نعمة ظاهرة وباطنة (10). فمن يقدر مع هذا أن يؤدي شكر النعم الظاهرة، فكيف الباطنة؟

لكن قد رفق الله بعباده فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم وتجاوز عما فوق ذلك، وكان عليه السلام يمثل هذا المعنى في مباعته للمؤمنين، فيقول: (10) ابابكم على السمع والطاعة فيما استطعتم. فإن قيل: أين لفظ الاستغفار في هذا الدعاء، وقد سمء النبي - عليه السلام - سيد الاستغفار؟ قيل: الاستغفار في لسان العرب هو طلب المغفرة من الله تعالى وسأله غفران الذنوب السالفة والاعتراف بها، وكان

(1) الأعراف: 167. (2) في الأصل : خلقهم. والثابت من هـ.
دعاء كان فيه هذا المعنى فهو استغفار، مع أن في الحديث لفظ الاستغفار وهو قوله: "فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

وقوله: "من قالها موقتاً بها" يعني مخلصًا من قلبه ومصدقًا بثوابها فهو من أهل الجنة، وهذا كمعنى قوله عليه السلام: "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبي".

وقوله: "أبو لك بنعمتك وأبوء بذنبي" قال صاحب الأفعال: باء بالذنب: أقرّ.

* * *

باب: استغفار النبي عليه السلام في اليوم والليلة

فيه: أبو هريرة: سمعت النبي ﷺ يقول: "والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرةً".

قال المؤلف: أولى العباد بالاجتهاد في العبادة الأثناء - عليهم السلام - لما حباهم الله به من معرفته، فهم ذائعون في شكر ربهم معترفون له بالتقصير [لا] (1) يدلون عليه بالأعمال، مستكينون خاشعين، روي عن مكحول عن أبي هريرة قال: "ما رأيت أحدًا أكثر استغفارًا من رسول الله ﷺ".


(1) من هـ
أنت يا حليفة من المحلاة؟ قال: وما هي؟ قال: "الاستغفار.
إني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة" وقال الله تعالى: "لعاشة وقت الإفك.
إن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه" فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار، وقالت عائشة: "كان النبي قبل أن يموت يكثر من قول سبحانه وتعالى: "استغفر الله واتوب إليه"، فسألته عن ذلك، فقال: أخبرني ربي أنى سأرى علامة في أمتي.
فإذا رأتها أكثر من ذلك، فقد رأتها: "إذا جاء نصر الله والفتح".
وقال أبو أيوب التنصاري: ما من مسلم يقول: "استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم واتوب إليه ثلاث مرات، إلا غفت ذونه، وإن كانت أكثر من ربع البحر، وإن كان فر من الزحف"، وكان ابن عمر كثيرًا ما يقول: الحمد لله واستغفر الله.
فقيل له في ذلك، فقال: إذا هي نعمة فأحمد الله عليها، أو خطيئة.
فاستغفر الله منها.

* * *

باب: توبا إلى الله توبة نصوحاً
[قال قتادة: "توبة نصوحاً. الصادقة: الناصحة"]

(1) سورة النصر. (2) من هـ.

وفيه: أنس قال النبي - عليه السلام -: "الله أفرح بتوية عبده من أحدكم سقط على بعيره، وقد أضله في أرض فلاة".

قال صاحب العين: التوبة النصوحة: الصادقة، وقال: إنما الله التوبة نصوحة؟ لأن العبد ينصح فيها نفسه ويبقيه النار لقوله تعالى: "قوا أنتستكم وأمهلكم تأراك؟ (3) رأوا، فأصل قوله تعالى: "توبة نصوحًا" (4) توبة منصوحًا فيها، إلا أنه أخبر عنها باسم الفاعل المتناول على ما ذكره سبباه عن الخليل في قوله تعالى: "عيسى رضي الله عن«) (5) أي: ذات رضا، وذكر أمثلة لهذا كثيرة عن العرب كقولهم: ليل نائم، وهم ناصب، أي: ينام فيه وينصب، فكذلك "توبة نصوحة" (4) أي: ينصح فيها، والتوية فرض من الله تعالى على كل من علم من نفسه ذنبه صغيرًا أو كبيرًا؛ لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا" (4) قال: "وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون" (6) وقال تعالى: "إذا التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب" (7).

---

(1) في الأصل: ثم قال: والله، والثبت من "هـ، ن ".
(2) في الأصل: علا والله، والثبت من "هـ، ن ".
(3) التحريم: 6.
(4) التحريم: 8.
(5) القارعة: 7.
(6) البقرة: 31.
(7) النساء: 17.
فكل مذنب فهو عند مواقعة الذنب جاهل وإن كان عالِماً، ومن تاب قبل الموت تاب من قريب، وقال النبي - عليه السلام -: "الندم توية". وقال: "إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنَّة. قيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يكون نصب عينيه نائبًا منه فارًا حتى يدخل الجنَّة.

وقال سفيان بن عيينة: "الندم توية نعمة من الله أنعم بها على هذه الأمة دون غيرهم من الأمم، وكانت توية بني إسرائيلقتل. وقال الزهري: لما قبل لهم: "فتوعوا إلى باركم فاقتلو أنفسكم". قاموا صفين وقتل بعضهم بعضًا، حتى قبل لهم: كفوا. فكانت لهم شهادة للمقتول وتوبة للحري، وإذًا رفع الله عنهم القتل لما أعطوا المجهود في قتل أنفسهم، فما أنعم الله على هذه الأمة نعمة بعد الإسلام هي أفضل من التوبة.

إن الرجل ليفني عمره أو ما أفنى منه في المعاصي والآثام، ثم يندم على ذلك ويقطع عنه فيحيطه الله عنه ويقوم و هو حبيب الله، قال تعالى: " إن الله يحب التوابين و يحب المظتهرين". وقال عليه السلام: "القيد من الذنب كمن لا ذنب له".


(1) البقرة: 54. (2) البقرة: 242.
(3) في 8 الأصل: سنت. والمنبت من هـ.
(4) في الأصل: ضيعه. والمنبت من هـ.
المعصية. وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس: كم تائب يرد [يوم](1) القيامة يظن أنه تائب وليس بتائب، لأنه لم يحكم أبواب التوبة. وقال عبد الله بن جعفر: ما دام قلب عبد مصرًا على ذنب واحد، فعمله ملغي في الوعاء، فإن تاب من ذلك الذنب وألا بقي عمله أبدًا ملقيًا.

وروى الأصلي عن أبي القاسم يعقوب بن محمد بن صالح البصري إيلاءً من حفظه، قال: حدثنا بكر بن أحمد بن مقبل قال: حدثنا عمران بن عبد الرحيم الأصباهي، حدثنا خليفة، عن عبد الوهاب، عن محمد بن زيد، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله يقول: "إذا تاب عدي إلي [نسبت] (2) جوارجه، ونسبت البقاع، ونسبت حافظاه حتى لا يشهدوا عليه".

وأما الحديث الذي حدث ابن مسعود عن [نفسه] (1) قوله: "إن المؤمن يرى ذنوبي كأنه قاعد تحت جبل يخشى أن يقع عليه، والفاجر يرى ذنوبي كذباب مرمى على أنه. فبغني لم أر أراد أن يكون من حملة المؤمنين أن يخشى ذنوبي، ويعظم [خوفه] (3) منها، ولا يؤمن عقاب الله عليها فيصغرها، فإن الله - تعالى - يعذب على القليل وله الحجة البالغة في ذلك.

وأما فرح الله بتوبة العبد فقال أبو بكر بن فورك: الفرح في كلام العرب بمعنى السرور، من ذلك قوله تعالى: "حتى إذا كنت في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها" (4). أي: سموا بها.

هذا المعنى لا يلقي بالله - تعالى - لأنه يقتضي جواز الحاجة عليه ونيل

(1) من هـ. (2) في الأصل: نسبت. والثبت من هـ.
(3) في الأصل: خوفه. والثبت من هـ.
(4) يونس: 22.

81

* * *

باب: الضجع على الشق الأيمن

فيه: عائشة: "كان النبي - عليه السلام - يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين، ثم اضعف على شقه الأيمن حتى يجيء المؤذن فيؤذنه ".

هذه هيئة من الهيئات كان يفعلها عليه السلام والله أعلم للأفرقة في الوضع، أو كان يفعلها لفضله [ المياهم ] (4) على الميستر، وهذا كله مباح ليس من باب الوجوب.

* * *

باب: إذا بات طاهراً


(1) القصص: 76. (2) الروم: 32. (3) من 180. (4) في الأصل: الأيمن، والمثبت من هِدِ. (5) من 65، والفتح.
وبنيّك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول.


وروى معاذ عن سعيد الجريري عن أبي السليل عن أبي توبة العجلج قال: من أرى إلى فراشه ظاهرًا أو نام ذاكرًا كان فراشه مسجداً، وكان في صلاة أو ذكر حتى يستيقظ. وقال طاووس: من بات على طهور وذكر كان فراشه له مسجدًا حتى يصبح، ومثل هذا لا يدرك بالرأي وإنما يؤخذ بالتوقف.

**

باب: ما يقول إذا نام


وفيه: البراء: قال النبي - عليه السلام - "إذا أردت مضجعك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك ووجهت وجهي إليك،

(1) كذا في: الأصل، هـ، وفي ن: التفتح: أموت وأحيا.
وأجاتُ ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك، آمت بكتابك الذي أنزلت وبنبائك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة.

ذكر الله مستحب عند النوم ليكون الذكر آخر فعلا، وهذا معنى قوله عليه السلام: "وأجعلهن آخر ما تقول" أي: لا تتكلم بعدهن بشيء من أحاديث الدنيا، ولكن هذا الذكر خاصة عملك، ألا ترى قوله: "فإن مت مت على الفطرة" (1) وقد تقدم حديث معمر عن الجريري في فضل من بات على ذكر وظهر في الباب قبل هذا.

* * *

باب: وضع اليد تحت الحد اليمنى

في حديثه: "كان النبي - عليه السلام - إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده، ثم يقول: اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور".

يحتمل أن يكون وضع النبي - عليه السلام - يده تحت خده عند النوم تذلاً لله وزوج واستشعارًا لحال الموت، وتمثيله لنفسه لتأسسي أمه بذلك، ولا يأمنوا هجوم الموت عليهم في حال نومهم، ويكونوا على (رقبة) (2) من مفاجائه فتتأهوا له في قظتهم وجميع أحوالهم، إلا ترى قوله عليه السلام عند نومه: "اللهم برك أموت وأحيا وإليك النشور".

* * *

(1) من "ه". (2) في "ه": امئة.
باب: الدعاء إذا أتته من النوم

فيه: ابن عباس: "بت عند خالتي ميمونة، فقام النبي - عليه السلام - فألقى فقسامه [شنقاها] (1)، ثم توضأ ووضوء بوضوءين، ثم ينام. أبلغ فقال فتمت كرائحة أن يرى أني كنت أرقه [فتوضات] (2) فقام بصلي، فقمت عن بسارة فأخذ بذني، فدارني عن بذني، فنمت نائمًا، وأيام لا ينام في دعائه: اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نورًا وفي سمعي نورًا واجعل لي نورًا. قال كرب: وسبيع في الناوت فلقيت رجلاً من ولد العباس فحدثني [بهين] (3) أنذرك "عصبي وحمي ودمي وشرني وذكري خصتني."

وفيه: ابن عباس: "كان النبي - عليه السلام - إذا قام من الليل يهودج قال: لله أنت الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن [هين] (4)، وله الحمد [أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، وله الحمد] (5) أنت الحق، ووعدك الحق، وقلوك حق، وقلاوك حق، والجنة حق، والنار [حق] (6)، والساعة حق، والنشور حق، ومحمد حق، الله لك أسلمت وعليك تولكت، وبيك آمنت وإليك أثبت، وليك خاصمت وإليك حامتك، فأغفر لي ما قدمت وما أثمرت وما أسررت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت - أو لا إله غيرك."

قال المؤلف: "كان النبي [يدعو الله عز وجل] (7) في أوقات ليلة نهاره، وعند نومه وربطه بنوع من الدعاء [يصلح] (8) خاله تلك وقوته.

1) في الأصل: "ساقها. والذين من «ه»، ن".
2) في الأصل: "فتوأ. والذين من «ه»، ن".
3) في الأصل: "بهين. والذين من "ه"، ن".
4) في الأصل: "فيهما. والذين من "ه"، ن".
5) من "ه"، ن".
6) من "ه".
7) في الأصل: "فصله. والذين من "ه".
8) من "ه".
ذلك، فمنها: أوقات كان يدعو فيها إلى ربه تعالى، وعين له ما يدعو فيه أوقات الخلوة، وعند فراق بالله وعلومه بأوقات الغفلة التي ترجي فيها الإجابة، فكان يجلع عند ذلك ويجتهد في دعائه، إلا أن سؤاله: "ربه حين أنبه من نومه أن يجعل في قلبه نوراً، وفي بصره نوراً، وفي سموعه وجميع جوارحه؟" ومنها: أوقات كان يدعو فيها بجوامع الدعاء ويقتصر على المعاني دون تعين وشرح، فبنيع الاعتداء بالنبي - عليه السلام - في دعائه في تلك الأوقات، والتأسسي به في كل الأحوال، وقد تقدم حديث ابن عباس في باب التهجد والكلام عليه.

وقوله: "واسع في الحديث يعني: أن النبي سبع خصال من الحديث على ما يقال، لم يحفظ العلم، وعلمه في التبئع، وعلمه مستودع في الصحف، وليس كرب الانثى: فلقت رجلاً من ولد العباس فحدثني بهن، وإنما قاله سلمة بن كهيل [الراوي] عن كرب [مُسَلِّم] [سال] العباس عنده حين نسيهن كرب [فحفظ سلمة] [منهن خمسة ونسبة أيضًا خصلتين.

قال المؤلف: وقد وجدت الخصالتين من رواية داود بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه وهم: "[اللهم] [نوراً في عظامي ونوراً في قريني".

وقوله: "فتمطية كراهية أن يرى أنى كنت أبيغيه" [5] [النطبي: التمدد، وأبيغه: أرضي، قال الخليل: يقال: بغيت الشيء أبيغيه] [إذا نظرت إليه ورصدته، وإذا فعل ذلك ابن عباس ليبري النبي - عليه السلام - أنه كان نائماً وأنه لم يرصده، إذ كل أحد إذا خل في..."

(1) في "الأصل": الرازي، والثابت من "ه". (2) تكررت في "الأصل".
(3) في "الأصل": فسني، والثابت من "ه".
(4) في "الأصل": الله، والثابت من "ه".
(5) تقدم في المتن: أورقي، أما أبيغيه فهي رواية القابسي. (6) من "ه".
بيته قد يأتي من الأفعال ما يجب أن لا يطلع عليه أحد، وإما حمل ابن عباس على ذلك الحرص على التعليم، ومعرفة حركات النبي -عليه السلام- في ليله، وقد تقدم في كتاب الصلاة أن أباه العباس كان أوصي لابنه بذلك.
وفي الحرص على التعليم والرفق بالعلماء، وترك التعرض إلى ما يعلم أنه يشق عليهم.
ذكر الطبري عن معقل بن يسار، عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه - أن النبي -عليه السلام- قال: "الشرك أخفى فيكم من ديب النمل. فقلت: يا رسول الله، فكيف المتجا والمخرج من ذلك؟ قال: "لا أعلمك شيئاً إذا فعلت هذه بثرت من قليله وكثره [وصغره وكبيره] (1)".
قلت: بل يا رسول الله. قال: "قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك، وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم، تقولها ثلاث مرات".

***

باب: التكبير والتسبيح عند المنام

(1) في [الأصل] "ه"، والمثبت من "ه"، ن.
(2) في [الأصل] "أربعاً وثلاثين"، والمثبت من "ه"، ن.
هذا نوع من الذكر عند النوم غير ما جاء في حديث البراءة، وحديث حديثها والأحاديث الأخرى، وقد يمكن أن يكون النبي - عليه السلام - يجمع ذلك كله عند نومه، وقد يمكن أن يقتصر منها على بعضها إعلامًا منه لامته أن ذلك معناه الحب والندب، لا الوجب والفرض، وفي هذا الحديث حجة لم فضل الفقر على الغنى؛ لأنه عليه السلام قال: "ألا أدلكما على ما هو خير لكم من خادم فعلمهمما الذكر، ولو كان الغني أفضل من الفقر لأعطاهما الخادم وعلمهمما الذكر، فلما معهما الخادم وقرههما على الذكر خاصة علم أنه عليه السلام إما اختيار لهما الأفضل عند الله، والله الموفق.

باب: التعود والقراءة عند النوم

فيه: عائشة: "أن النبي - عليه السلام - كان إذا أخذ مضجعه نفت في يديه وقرأ بالموعذات ومسح بهما جسده".

وفي: أبو هريرة قال: قال النبي - عليه السلام -: "إذا أرى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه داخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خللقه عليه ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي و بك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمهما، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين".

وهذه أنواع أخرى أيضًا غير ما مر من الأحاديث المتقدمة، وفيها استسلام لله وإقرار له بالإحياء والإماتة، وفي حديث عائشة رد قول من زعم أنه لا يجوز الرقى واستعمال الموعظة إلا عند حلول المرض ونزول ما يعود بالله منه، ألا ترى أن النبي عليه السلام نفت في [يده] (1) وقرأ الموعظات ومسح بهما جسده، واستعاذ بذلك من شر ما يحدث عليه في ليلته مما يتوقعه وهذا من أكبر الرقي، وفي حديث

(1) في الأصل: يده، والثبت من هؤلاء.
أتي هربة أدب عظم علامة النبي أطه، وذلك أمره بتفسف فراشه عند
النوم خشية أن يأتي إليه بعض الهوام الضارة تؤذيه سماها، والله أعلم.

* * *

باب: الدعاء نصف الليل

فيه: أبو هربة أن النبي - عليه السلام - قال: "نزل رينا عز وجل
كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى [ثلث الليل] (1) الآخر يقول: من
يدعوني [فاستجيب] (2) له من سألاني فأعطه، من يستغفرني فأغفر له.

هذا وقت شرف مرغوب فيه خصبة الله - تعالى - بالنزل فيه،
وتفضّل على عباده بإجابة من دعا فيه، وإعطاء [3] من سأله، إذ
هو وقت خلوة وغفلة واستغراق في النوم واستلذاذ به، ومفارقة الدعة
واللذة صعب على العباد، لا سيما لاهل الرخافة في زمن البرد
ولاهل التجربة والنصب في زمن قصر الليل، فمن آخر القيام لمناجاة
ربه والتضرع إليه في غفران ذنوبه، وفكاك رقيته من النار وسائله التوبة
في هذا الوقت الشاق على خلوة نفسه بلذتها ومفارقة دعتها وسكنها،
فذلك دليل على خروج نيته وصحة رغبته [فيما] (4) عند ربه،
فضمت له الإجابة التي هي مقومة بالخلاص وصدق النية في
الدعاء، إذ لا يقبل الله دعاء من قلب غافل له.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله: "والصلاة بالليل
والنارات ناميم"، فذلك نبية لله عبادة على الدعاء في هذا الوقت الذي
تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا، وعلقه ليس شعرا للعدج الجد
والخلاص لربه فتعق الإجابة منه تعالى رفقة من الله بخلقه.

(1) في "الأصل" : الثالث . والمثبت من "هـ" ، ن.
(2) في "الأصل" : استجيب . والمثبت من "هـ" ، ن.
(3) في "الأصل" : أعطى . والمثبت من "هـ" ، ن.
(4) في "الأصل" : فيها . والمثبت من "هـ" ، ن.
ورحمة لهم فله الحمد دائماً والشكر كثيرًا على ما ألهم إليه عباده من
مصالحهم، ودعاه إليه من منافقهم لا إله إلا هو الكريم الوهاب.
ثلث الليل إلا أن ذكر النصف في كتاب الله يدل على تأكيد المحافظة
على وقت التنزل قبل دخوله لأتيي أول وقت الإفاحة، والعبد مرتقب
له مستعد للإفاحة يكون ذلك / سببًا للإفاحة، وينفيه ألا يمر وقت من
الليل والنهاير إلا أحدث العبد فيه دعاء وعبادته لله تعالى.

* * *

باب: الدعاء (مقدم) (3)

فيه: أنس: "كان النبي - عليه السلام - إذا دخل الخلاء قال: "اللهم
إني أعوذ بك من الحبش والخبيث".

قال المؤلف: "الخبيث" [1] والخبيث هو الشيطان الرجيم، روي
هذا عن الحسن ومجاهد، وقد جاء معنى أمره عليه السلام بالاستعذاء
عند دخول الخلاء في حديث رواه معمر عن قتادة، عن النضر [2]
أنس بن مالك أن رسول الله قال: "إن هذه الحشوش
محتشرة، فإذا دخلها أحدكم فبقي: اللهم إني أعوذ بك من الخبيث
والخبيث". فإذا في هذا الحديث أن الحشوش موطن للشياطين،
فلذاك أمر بالاستعذاء عند دخولها، وروى ابن وهب عن

(1) من "الحي" (2) الزمل: 2 - 3 (3) تكررت في "الأصل".

90 -
حبة بن شريح، عن أبي عقيل أنه سمع [سعيداً] (1) المقرب يقول: إذا دخل الرجل النكف لحاجته، ثم ذكر اسم الله كان سترًا بينه وبين الجهن، فإذا لم يذكر الله نظر إليه الجهن يسترخون ويستهزئون به.

وروي عن النبي أنه قال: "إذا خرج أحدكم من الغائط فليقل: الحمد لله الذي أخرج عني ما يؤذيني وأمسك علي ما ينفعني".

* * * * *


وفي حديث: "كان النبي إذا أراد أن ينام قال: باسمك اللهم أموت وأحيا، وإذا استيقظ من نامه قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما آمنا وإليه النشور". وعن أبي ذر مثلاه.

قال المؤلف:معنى ذكر الله عند الصباح ليكون مفتتح الأعمال وابتداؤها ذكر الله، وكذلك ذكر الله عند النوم ليختم عمله بذكره تعالى، فكتب الحفظة في أول صحتيه عملا صالحا وتختمهما مثله، فيرجى له مغفرة ما بين [ذلك] (3) من ذنبه.

وروي الطبري من حديث الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "يقول الله - عز وجل - (4) إذا من أول النهار سنة، ومن آخره ساعة أكثرك ما بينهما". وكان الصالحين من السوق يجعلون أول يومهم وآخره لأمر الآخرة، ووسطه لميشة الدنيا، وإذا كانوا يعملون ذلك لرغبته عليه السلام على الدعاء طرفي النهار.

(1) في "الأصل": سعيد. والثبوت من "ه".
(2) في "الأصل": قال. والثبوت من "ه".
(3) في "الأصل": قال. والثبوت من "ه".
(4) في "الأصل": سعيد. والثبوت من "ه".
ولكان عمر بن الخطاب يأمر التجار فيقول [فيقول] (1): اجعلوا أول نهاركم لآخركم، وما سوى ذلك لذنيكم، وقد روي عن النبي - عليه السلام - ما يدل على هذا المعنى، قال عليه السلام: "يقول الله - تعالى:- يَا ابن آدم لا تعجزن عن أربع ركعات أول النهار أكفيك آخره".

* * *

باب: الدعاء في الصلاة

فيه: أبو بكر أنه قال للنبي - عليه السلام -: "علمني دعاءَ أدعو به في صلاتي. قال: اللهم إني ظلمت نسيئًا صفيَّا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنا فغفر لي مغفرةً من عندك وأراهنك، إنك أنت الغفور الرحيم". وفيه: عائشة: "ولا تجهر بصلاتك ولا تخفى..." (2) نزلت في الدعاء.

وفيه: ابن مسعود عن النبي - عليه السلام -: "أنه ذكر التشهد...

إلى قوله "ثم ليتخير من الثناء ما شاء".

قال الطبري: في حديث أبي بكر من الفقه أن للمصمِّل أن يدعو الله في جميع صلواته بما بدأ له من [جلالات] (3) ديانه وآخريته، وذلك أنه عليه السلام علم إيا بكر مسألة ربه المغفرة للذنوب في صلاته، وذلك من أعظم حاجات العبد إلى ربه، فكذلك حكم مسألته إيا سائر حاجاته.

وقد روى عن أبي الدرداء أنه قال: إني لادعو وأنا ساجد لسبعين أخًا من إخواني أسمَّهم بأسمائهم وأسماء أبائهم.

وكان علي يقول إذا قال الإمام: سمع الله من حمده: اللهم بحولك وقرت أقوم وأقعد. وكان ابن مسعود يلبس في سجوده. ومعنى لبيك:

(1) في «الأصل»: يقول. والثبت من "هذا".
(2) في "الأصل": حاجاته. والثبت من "هذا".
لا نستطيع قراءة النص العربي في الصورة المقدمة.
صلاة إذا سلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لله الحده ما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا يفعذ الحد منك الحد.

في حديث هذا الباب الحضرة على التسبيح والتحميم في أداب الصلاوات، وأن ذلك يواري في الفضل إنفاق المال في طاعة [الله]:(1)

نصره: "أقل أخبركما بما تذكرن به من كان قبلكم" - وروى عن النبي - عليه السلام - أنه قال: "وضعت الصلاوات في خير الساعات فاجتهدوا في الدعاء دبر الصلاوات".

قال الطبري [حدثنا]:(2) ابن المثنى وابن بشار قالا حدثنا يحيى ابن سعيد، عن سليمان التيمي، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال:
"إذا أقيمت الصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء" - وروى الطبري عن جعفر بن محمد قال: الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة.

فإن قال قائل: فقد روى عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال:

قال الطبري: والذي قال الأوزاعي أقرب إلى الصواب لما روى..."
أئس وأبو هريرة عن النبي - عليه السلام - أنه قال: "لأن أئم مع
قوم يذكرون الله بعد الفجر إلى طلوع الشمس أحبت إلى من الدنيا وما
فيها. [ولأن أئم مع قوم يذكرون الله بعد العصر إلى أن تغيب
الشمس أحبت إلى من الدنيا وما فيها.]
(1) وقال عبد الله بن عمرو:
ذكر الله بالغد ووالشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله
وإعطاء المال سجًا.
وقد تقدم [في باب ما يقول إذا أصبح حديث الجنس عن أبي هريرة
عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قل: "يقول عز وجل: ابن آدم" (2) اذكاري من أول
النهار ساعة وآخرة ساعة أكفيك ما بينهما.
وترجم الحديث المثير باب: لا مانع لما أعطى الله في كتاب القدر،
وسيأتي الكلام هناك [إن شاء الله تعالى، واحتج بحديث أبي هريرة
من فضل الغنى على الفقر، وسيأتي الكلام فيه] (1) في [كتاب] (3)
الرقم: إن شاء الله.

* * *
باب: قول الله تعالى "وصل عليهم" (4)
ومن خص اخاه بالدعاء دون نفسه، وقال أبو موسى: قال النبي
-عليه السلام: "اللهم اغفر [ليبود أبي] (5) عامر، اللهم اغفر
لعبد الله بن قيس ذنه"
وفيه: سلمة: "خرجنا مع النبي - عليه السلام - إلى خير، فقال رجل من
القوم: أي عامر لو أسمعنا من هيناك، فنزل حدو لهم: تأول الله ما

(1) من [هـ].
(2) في [الأصل]: قول النبي - صلى الله عليه وسلم - والله ما
(3) في [الأصل]: باب، وأثبت من [هـ].
(4) في [الأصل]: عدي بن، وأثبت من [هـ].
(5) في [الأصل]: 1202.
اهتدينا. قال النبي - عليه السلام - من هذا الساقق؟ قالوا: عامر بن الأكوع. قال: يرحمه الله.
وفيه: ابن أبي أوفى قال: كان النبي - عليه السلام - إذا أتاه رجل
بصدقه قال: اللهم صل عليه، فلما آتاه أبوه بصدقه قال: اللهم صل
على آل أبي أوفى.
وفيه/ جرير: قلت: يا رسول الله إنني لا أثبت على الخيل، فصلك
في صدري، وقال: اللهم ثبتي، واجعله هادئًا مهديًا.
وفيه: أنس: قالت أم سليم للنبي - عليه السلام - أنس خادمك.
قال: اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته.
وفيه: عائشة: سمع النبي - عليه السلام - رجلا يقرأ في المسجد
فقال: يرحم الله لقد أذكروني كذا وكذاك آية أسقطنها.
وفيه: عبد الله: قمم النبي - عليه السلام - قسمًا، فقال رجل: ما
أريد بها وجه الله، فأخبرت النبي - عليه السلام - فغضب، وقال:
يرحم الله موسى، أودي بأكثر من هذا فصبر.
قال المؤلف: في هذه الأخاديد كلها من الفقه دعاء المسلم لأخيه
 دون نفسه كما ترجم، وقد جاء عن النبي - عليه السلام - أن دعاء
 المرء لأخيه مجاب. [ روى ] (1) الطبري قال: حدثنا أبو هشام
 الرافعي قال: حدثنا ابن فضل، حدثنا أبي، عن طلحة بن عبد الله
 ابن كرز، عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:
 ما من مسلم يدعو [لاخيه](2) بظهر الغيب إلا قال له الملك: ولك
 مثل ذلك.
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي - عليه السلام - قال: «خمس
(1) في: الأصل: دعا. والثبت من هـ. (2) من هـ ».
دعاء مستجابات : دعوة المظلوم حتى ينتصر ، ودعوة الحاج حتى يصدر ، ودعاء المجاهد حتى يقفل ، ودعاء المريض حتى يقرأ ، ودعاء الأخ لأخيه 

روى عن بعض السلف : أنه قال : إذا دعا المرء لأخيه فليبدا بنفسه.

قال سعيد بن يسار : ذكرت رجلاً عند ابن عمر [ فرحتم ] عليه، فلهز في صدرى وقال لي : ابدأ بنفسك ، وقال إبراهيم : كان يقال : إذا دعوت فابدأ بنفسك ، فإنك لا تدري أي دعاء يستجاب

لك.

********

باب: ما يكره من السجع في الدعاء

فيه : ابن عباس : « أنه قال لعكرمة : حدث الناس كل جمعة مرة ، فإن أثبت فمرين ، فإن أكثرت ثلاث مرات ، ولا تُل مل الناس هذا القرآن ، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم ، فنقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتقبلهم ، ولكن أنصت إذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه ، وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإني عهدت النبي - عليه السلام - وأصحابه لا يفعلون ذلك ».

قال المؤلف : إذا نهي عن السجع في الدعاء ، والله أعلم ؛ لأن طلب السجع فيه تكلف ومشقة ، وذلك منبع من الخشوع وإخلاص التزريح [ التزريح ] (2) الله - تعالى - وقد جاء في الحديث : « إن الله لا يقبل من قلب غافل لاه ».

وطالب السجع في دعائه همته في [ تزريح ] (3)

(1) في : الأصل : فرحتم . والثبت من : هه .
(2) في : الأصل : الخضوع . والثبت من : هه .
(3) في : الأصل : ارتداج . والثبت من : وه .

- 97 -
الكلام (وأسمعه) (1)، ومن شغل فكره بذلك ركذ خاطره بتكليفه، فقلبه عن الخشوع غافل لاه لقول الله - تعالى - (2) ما جعل الله لرجل من قلبي في جوهره (3).

فإن قيل: فقد وجد في دعاء النبي - عليه السلام - نحو ما نهى عنه ابن عباس، وهو قوله: "اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الأحزاب". وقال في تعويذ حسن أو حسين: "أعيده من الهاء والسامة وكل عين لامة". وإنما أراد ملَّمة فللمقاربة بين الألفاظ وإتباع الكلمة أخواتها في الوزن قال: "لامة". قيل: هذا يدل أن نهي عليه السلام عن السجع إنما أراد به من يتكلف السجع في حين دعائه، فيمنعه من الخشوع كما قدمنا، وأما إذا تكلف به طبعًا من غير مؤينة ولا تكلف، أو حفظه قبل وقت دعائه مسجوعًا فلا يدخل في النهي عنه، لأنه لافرق حينئذ بين [المسجوع] (4) وغيره، لأنه لا يتكلف صنعته وقت الدعاء فلا يمنعه ذلك من إخلاص الدعاء والخشوع والله أعلم.

وفي من الفقه: أنه يكره الإفراغ في الأعمال الصالحة خوف الفتائة والانقطاع عنها، وكذلك كان النبي ﷺ يفعل، كان يتخول أصحابه بالموعظة في الأيام كراهية السامة عليهم، وقال: "اكفلوا من العمل ما تطيقوه، فإن الله - تعالى - لا يمل حتى تملوا". وفيه: أنه لا ينبغي أن يحدث بشيء من كان في حديث حتى يفرغ منه.

وفيه: أنه لا ينبغي نشر الحكمة والعلم ولا الحديث بهما من لا يحرص على سماعهما وتعلمهما، فمثلا حدث به من يشهيه ويحرص عليه، كان أخرى أن ينتفع به ويحسن موقعه عنه، ومثلا حدث به

(1) في "هم" وسنجة. (2) الأحزاب: 4.
(3) في "الأصل": الخشوع. والثبوت من "هم".

98
من لا يشتهيه لم يحسن موقعه عنده ، وكان في ذلك [إذلال ] للعلم [يرحت] (2) له ، والله - تعالى - قد رفع قدره حين جعله سبيلاً إلى معرفة توحيد وصفاته تعالى ، (3) علم دينه وما تعبد به خلقه .

باب : ليعزي المسألة فإنها لا مكره له

فيه : أنس أن النبي - عليه السلام - قال : «إذا دعا أحدكم فليعزي المسألة ، ولا يقولن : اللهم إن شئت فأعطني ، فإنه لا مكره له».

وفيه : أبو هريرة مثله .


وقال سفيان بن عيينة : لا يعنون أحد من الدعا ما يعلم من نفسه ،

---

(1) في : الأصل : إزالة . والثبت من : هـ .
(2) في : الأصل : ورحت . والثبت من : هـ .
(3) في : الأصل : وإذا . والثبت من : هـ .
(4) في : الأصل : تقرب . والثبت من : هـ .
فإن الله تعالى قد أجاب دعاء شر الخلق إيليس قال أنظرني إلى يوم يعثرون قال إنك من المنظرين (1).

* * *

باب: يستجاب للعبد ما لم يعجل

فيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام -: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: قد دعوت فلم يستجب لي".

قال بعض العلماء: قوله: "ما لم يعجل" يعني يسألم الدعاء ويتركه فيكون كالنائم بدعائه، وأنه قد أتي من الدعاء ما كان يستحق به الإجابة، فصبر كالمخل لزب كريم، لا تعجز الإجابة، ولا ينقصه العطاء، ولا تضره الذنب.

وروي ابن وهب: عن معاوية، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي هريرة، عن النبي - عليه السلام - قال: لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، وما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله وما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت وقد دعوت، فلم يستجيب لي، فيسحب عند ذلك أو يدع الدعاء. وقال أبو هريرة مرةً يقول: لقد دعوت فما استجاب، أو ما أغنيت شيئاً. وقالت عائشة في هذا الحديث: "ما لم يعجل أو يقنط".

وقال بعضهم: إذا يعجل العبد إذا كان غرضه من الدعاء نيل ما سال، وإذا لم يقل ما يريد تقل عليه الدعاء، ويجب أن يكون غرض العبد من الدعاء هو الدعاء لله، والسؤال منه، والافتقار إليه أبداً، ولا يفارق سمة العبودية وعلامة الرقي، والانقياد للأمر والنهي.

(1) الأعراف: 14-15.
والسلام لربي - تعالى - بالذلة والحشوع، فإن الله تعالى يحب
الإلحاح في الدعاء.

وقال بعض السلف: لأن أشد خشية أن أحرم الدعاء من أن أحرم
الإجابة، وذلك أن الله تعالى يقول: "ادعوني استجب لكم" (1).
فقد أمر بالدعاء ووعد بالإجابة وهو لا يخلف الميعاد، وروي عن
النبي - عليه السلام - "ما من داع يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث،
إما أن يستجب له، وإما أن يدخر له، وإما أن يكفر عنه". ففي
هذا الحديث دليل أن الدعاء مجاب إما معجلاً وإما مؤخرًا.

وقد روي عن قتادة أنه قال: إما يجاب من الدعاء ما وافق القدر؛
لأن النبي - عليه السلام - قد دعا إلا يجعل الله باس أمه بينهم
فمنعها، لما سبق في علم الله وقرده من كون الاختلاف والباس بينهم.

* * *

باب: رفع الأيدي في الدعاء

وقال أبو موسى: دعا النبي - عليه السلام - ثم رفع يديه، ورأيت
بياض إبطيه.

وقال ابن عمر: رفع النبي - عليه السلام - يديه، وقيل [قال] (2): "اللهم
إني أبأ إليك ما صنع خالد".

وفيه: "أن النبي - عليه السلام - رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه".

قال الطبري: اختلف الناس في رفع اليدين في الدعاء في غير
صلاة، فكان بعضهم يختار إذا دعا / الله تعالى في حاجته أن يشير

(1) غافر 106. (2) من 110-110.

-101-

وكره جبير بن مطعوم، ورأى شريح رجلاً رافعاً يديه يدعو، فقال: من تناول بها لا أمَّ لك. وقال مسروق لقوم رفعوا أيديهم: قد رفعوها قطعها الله. وكره ابن المسبب رفع الأيدي والصووت في الدعاء، وكان قنادة يشير بأصبعه ولا يرفع يديه، ورأى سعيد بن جبير رجلاً يدعو رافعًا يديه فقال: ليس في ديننا تكفير. واعتقوا بحديث عمارة بن روية المتقدم.

وكان بعضهم يختار أن يبسط كفية رافعهما، ثم يختلفون في صفة رفعهما، حذو صدرهم بطنهمما إلى وجهه، روي ذلك عن ابن عمر، وقال ابن عباس إذا رفع يديه حذو صدره فهو الدعاء. وكان علي بن أبي طالب يدعو ببطن كفية، وعن أنس مثله، واحتجوا بما رواه صالح بن [ كيسان ] (1) عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس، عن النبي - عليه السلام - قال: "إذا سألتم الله - تعالى - فاسألوه ببطون آفككم ولا تسألوه [ بظهورها ] (2)، وأمسحوا بها وجوهكم.

وكان آخرون يختارون رفع أيديهم إلى وجههم، روي ذلك عن ابن عمر وابن الزبير، واعتقوا بما رواه حماد بن سلمة عن بشر بن حرب قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: "وقف رسول الله بعرفة، فجعل يدعو، وجعل ظهر كفية ما يلب وجهه ورفعهما فوق ثديه وأسفل من منكبيه".

---

(1) في "الأصل": حسان. والمثبت من "ه".
(2) في "الأصل": بظهورها. والمثبت من "ه".
وكان آخرون يختارون رفع أيديهم حتى يخاذوا بها وجههم
وظهورها ما يلي وجههم، وروى يحيى بن سعيد عن القاسم قال:
رائت ابن عمرو بن العاص (1) رفع يديه يدعو حتى يحادي متكببه
ظاهرهما يليانه، وعن ابن عباس قال: إذا أشار أحدكم بأصبع واحدة
فهو الإخلاص وإذا رفع يديه جذو صدره فهو الدعاء، وإذا رفعهما
حتى يجاوز بهما رأسه، وظاهرهما يلي وجهه فهو الابتهال.
واحتجوا بحديث أبي موسى وباب عمر وآنس: "أن النبي - عليه
السلام - كان يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه".
قال الطبري: والصواب أن يقول إن كل هذه الآثار المروية عن
النبي - عليه السلام - متفقة غير مختلفة المعاني، وللعمل [2] بكـ
ذلك وجه صحيح، فأما الدعاء بالإشارة بالأصبع الواحدة، فكما
قال ابن عباس أنه الإخلاص، والدعاء بسط اليدين، والابتهال
رفعهما، وقد حذف محمد بن خالد بن خراش قال: حدثني مسلم
عن عمر بن [نهان] [3] عن قتادة، عن أنس قال: "رائت النبي
يدعو بظهر كفية وباطنهما". وجائز أن يكون ذلك كان من النبي
لاختلاف أحوال الدعاء كما قال ابن عباس، وجائز أن يكون
إعلانًا منه بسعة الأمر في ذلك، وأن لهم فعل أي ذلك شاءوا في
حال دعائهم، غير أن أحباب الأمر في ذلك إلى أن يكون اختلاف هيئة
الداعي على قدر اختلاف حاجته، وأما الاستعاذة والاستجارة،
فأحب الهيئات إلى فيما هيئته المبتهل، [لأنها] [4] أشبه بهيئته
(المستجير) [5]، وقد قال شهر بن حوشب: المسألة بطن الكفين،
والتعوذ مثل التكبر إذا افتتح الصلاة.

(1) في {هـ} عن العاص.
(2) في {الأصل} عن العمل، والثبت من {هـ}.
(3) في {الأصل} عن شهاب، والثبت من {هـ}.
(4) في {الأصل} لأنه، والثبت من {هـ}.
(5) في {هـ} المستجير.
فإن قال: فقد جعلت للداعي رفع يده في كل حال فما أنت قائل فيما روى زيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قاتة أن أنس بن مالك حدثه: أن النبي - عليه السلام - كان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا عند الاستسقاء، فإنه كان يرفعهما حتى يرى بياض إبطيه.
قيل: قد روى ابن جريج، عن مقسم، عن ابن عباس، عن النبي - عليه السلام: أنه قال: لا ترفع الآيدي إلا في سبعة مواطن في بدء الصلاة، وإذا رأيت البيت، وعلى الصفا والموه، وعشيقة عرفة، وجمع، وعند الجمرتين. وهذا مخالف لحديث سعيد بن أبي عروبة عن قاتة.
وقد ثبت عن النبي - عليه السلام - رفع الآيدي في الدعاء مطلقًا من وجوه منهما: حدث أبي موسى وابن عمر وأبو من طرق [أثبت (1)] من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قاتة عن أنس، وذلك أن سعيد بن أبي عروبة كان قد تغير عقله وحاله في آخر عمره، وقد خالفه شعبة في روايته عن قاتة، عن أنس فقال فيه: كان رسول الله يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه. ولا شك أن شعبة أثبت من سعيد بن أبي عروبة.
وحدثنا ابن مهين قال: حدثنا ابن أبي عدي عن جعفر بن ميمون صاحب الأفاعط عن أبي عثمان، عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: إن رركم [حتى (2)] كريم يستجي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراء.
فإن قيل: قد روى عن عطاء، وجابر وطواس [ومجاجد] (3) أنهم كرهوا رفع الآيدي في دبر الصلاة قائلًا: قبل: يمكن أن يكون ذلك إذا لم ينزل بالمسلمين نازلة يحتاجوا معها إلى الاستغاثة إلى الله تعالى بالTZPRCV" والاستكانة، فالقول كما قال عطاء وطواس ومجاجد، وإن نزلت بهم نازلة احتاجوا معها إلى الاستغاثة إلى الله [بالتنضير والاستكانة] (4) لكشفها عنهم، [رفع (5)] الآيدي عند مالك حسن وجميل.

باب: الدعاء غير مستقبل القبلة

فيه: أنس بن أبي يزيد، قال: "لا أعلم أن النبي - عليه السلام - كان يصلي يوم الجمعة، فقلت: يا رسول الله، أريد أن أصلي يوم الجمعة، فقال: "كل دعاء مقبول، ومن يدعو، يدعو أولئك الذين يذكرون الله في زوالهم وقعودهم".

الدعاء حسن كيفما تيسر للمؤمنين على جميع أحوالهم، إلا ترى قوله تعالى: "ولكن الذين يذكرون الله في زوالهم وقعودهم وجلالهم، فمدحهم الله - تعالى - ولم يشرط في ذلك حالة، ولذلك دعا النبي - عليه السلام - في خطبه يوم الجمعة وهو غير مستقبل القبلة.

* * *

باب: الدعاء مستقبل القبلة

فيه: عبد الله بن عبد الرازي، قال: "خرج النبي - عليه السلام - إلى المصلى يستقي، فدعا واستنسق، ثم استقبل القبلة وقلب رداءه".


* * *

1) في "الأصل": يدعو، والثبت من "هـ، ن".
2) في "الأصل": يسقنا، والثبت من "هـ، ن".
3) آل عمران: 191.
4) من "هـ".
باب : دعوة النبي - عليه السلام - خادمه بطول العمر وكثرة ماله

فيه : أنس : قالت أمي للنبي - عليه السلام - خادمك ، إدع الله له.

قال : اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما أعطيته.

وترجم له بعد هذا باب [ الدعاء وكثرة المال مع البركة ، وباب](1)

الدعاء بكثرة الولد مع البركة.

إن قال قائل : كيف ترجم البخاري في هذا الحديث باب دعوة النبي - عليه السلام - خادمه بطول العمر ، وإنا في الحديث " اللهم أكثر ماله وولده " ، وليس فيه وطول عمره ؟ قيل : يحتتم أن (يكون)(2) ذلك من دليل الحديث من موضوعين : أحدهما : أن دعوته عليه السلام له بكثرة الولد يدل على أن ذلك لا يكون إلا في كثير من السنين ، قدعوا له بكثرة الولد دعاء له بطول العمر ، والثاني : قوله عليه السلام : " وبارك له فيما أعطيته " ، فالمرأة لما أعطاه الله هذا الوجه للقهب.

فإن قال : فما معنى دعائه له بطول العمر ، وقد علم - عليه السلام - أن الأجل لا يزاد فيها ولا ينقص منها على ما كتب في بطن أمه ؟ قيل : معنى ذلك والله أعلم [ أن الله تعالى ] (1) يكتب أجل عده إن أطاع الله واتقاه فيكون عمره مدة كذا ، فإن لم يعط الله وعضاه كان أجله أقل منها.

يدل على [ صحة ] (1) ذلك قوله [ عز وجل ] (3) في قصة نوح:

حين قال لقومه : " أعبدوا الله واتقوه وأطيعوا يغفر لكم من ذنوبكم ويعفوكم إلى أجل مسمى " (4) يريد أجلنا قد قضى به لكم إن أطعتم ، فإن عصينتم لم يؤخركم إلى ذلك الأجل ، وكل قد سبق في علم الله مقدار أجله على ما يكون من فعله ، قال ابن قتيبة : ومهله ما روي أن

(1) في 3 هـ.
(2) في 8 هـ.
(3) في "الأصل" : عليه السلام.
(4) نوح : 3 ، 4.
الصدقة تدفع [القضاء] (1) البرم، وأن الدعاء يدفع البلاء، وقد ثبت أنه لا راد لقضاء الله، وعند ذلك أن المرء قد يستحق بالذنب قضاء من العقوبة، فإن هو تصدق دفع عن نفسه ما استحق من ذلك، يدل على ذلك قوله: "إن صدقة السر تطفئ غضب الرب" ألا ترى أن من غضب الله عليه قد تعرض لعقابه، فإذا زال ذلك الغضب بالصدقة زال العقاب، وكذلك الدعاء يرتفع إلى الله تعالى - فيوافق البلاء نازلاً من السماء فيزيله / ويوصبه، وكل ذلك قد جرى به القلم في علم الله تعالى أنه إن تصدق أو دعا، صرف عنه غضب الله وبلاؤه، وفي هذا الحديث حجة من قال. الغنى أفضل من الفقر، وهي مسألة مختلف الناس فيها قديماً، وسيأتي الكلام فيها في موضعها في كتاب الرقاق إن شاء الله تعالى ](2).

* * *

باب: الدعاء عند الكرب

فيه: ابن عباس: "كان النبي - عليه السلام - يدعو عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم". 

وقال [3] مرة: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رَبُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله رَبُّ السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم".

قال المؤلف: وقد روى هذا الحديث عن النبي - عليه السلام - علي بن أبي

(1) في "الأصل": البلاء، والمثبت من "هـ".
(2) من "هـ".
(3) في "الأصل": فقال. والمثبت من "هـ".
طالب بزيادة واختلاف في لفظه ذكر ابن أبي شيبة من حديث أبي إسحاق عن عبد الله بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن علي قال:
قال [لي](1) رسول الله - عليه السلام - : ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك مع أنه مغفور لك : لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رباب السماوات السبع ورب العرش ( العظيم ) (2) ، الحمد لله رب العالمين .
قال الطبري : وكان السلف يدعون بهذا الدعاء ، قال أبو أوب : كتب إليه أبو قلابة بدعاء الكرب ، وأمره أن يعلمه ابنه .
فإن قال قائل : فإن دعاء الكرب إذا هو تهليل وتعظيم الله ، فما معنى قول ابن عباس كان النبي ﷺ يدعو بدعاء الكرب وتسمية السلف له بذلك ؟ قيل : يحمل معنيين : أحدهما : أن يقدم هذا التهليل قبل الدعاء ، ثم يدعو بعدما أراد على ما روى حماد بن سلمة ، عن يوسف بن عبد الله بن الحارث ، عن أبي العالية ، عن ابن عباس : أن رسول الله كان إذا حزبه أمر قال : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله رب العرش ( العظيم ) (2) ، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب العرش الكريم ، ثم يدعو .
ويبين هذا المعنى ما روى الأعمش عن الخفيqi قال : كان يقال :
إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء ( استجيب ) (3) ، وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناة كان على الرجاء . وقد نبه على ذلك المعنى ابن مسعود فقال : إذا خشيتم من أمر ظلمًا فقولوا : اللهم رب السماوات السبع ورب

(1) من *هَمْْٰ* في *هََٰٰٰ* : الكريم .
(2) في *هَاء* : استجيب .
(3) من *هََٰٰٰ* : الجمع.
العرش العظيم كن لي جارًا من فلان وأشياعه من الجن والإنس أن يفرطوا عليّ وأن يطغوا، عزّ جارك وجل ثناك ولا إله غيرك، فإنه لا يصل إليكم منه شيء تكرهونه.


أطلب حاجتي أم قد كفاني غناك إن شئتم الكلياء إذا أنيني عليك المرء يومًا كفاف من تعرضك الثناء

قال سفيان: هذا مخلوق [حين] (3) نسب إلى أن يكثفي بالثناء عليه دون مسألته، فكيف بالحالف؟

قال المؤلف: وحدثني أبو بكر الرادي قال: كنت باصبها عند الشيخ أبي نعيم أكتب عنه الحديث، وكان هناك شيخ آخر يعرف بهي بكر بن علي، وكان عليه مدار الفتيا، فحسده بعض أهل البلد فبعثه عند السلطان، فأمر بسجنه، وكان ذلك في شهر رمضان، قال أبو

(1) من [هـ]. (2) في [الأصل] يظلمه. والمثبئ من [هـ].
(3) في [الأصل] حيث. والمثبئ من [هـ].
بكر: فرأيت النبي - عليه السلام - في المنام وحبريل عن بيتته يحرك شفتيه لا يفتر من التسبيح، فقال لي النبي - عليه السلام -: قال لامي بكر بن علي: يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه، فأصبحت تأتيت إليه وأخبرته بالرؤية، فدعا به فما بقي إلا قليلاً حتى أخرج من السجن. ففي هذه الرؤيا شهادة النبي - عليه السلام - كتاب البخاري بالصحة بحضرته حبريل عليه السلام، والشيطان لا يتصور بصورة النبي في المنام.

* * *

باب: التبوع من جهد البلاء.

فيه: أبو هريرة: "كان النبي - عليه السلام - يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وشر القضاء، وشماتة الأعداء".

وقال المؤلف: كل ما أصاب الإنسان من شدة [ المشقة ] (1) والجهد بما لا طاقة له بحمله ولا يقدر على دفعه عن نفسه فهو من جهد البلاء، وروي عن ابن عمر أنه سئل عن جهد البلاء، فقال: قلة المال وكثرة العيال. ودرك الشقاء ينقسم قسمين فيكون في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة، وكذلك سوء القضاء هو [ عام ] (2) أيضًا في النفس والممال والأهل والحائثة والمائد. وشماتة الأعداء ما ينكأ القلب، ويبلغ من النفس أشد مبلغ، وهذه جوامع ينغي للسعودي بالله منها كما تعود النبي - عليه السلام -، وإنما دعا بذلك عليه السلام معلماً لأمه ما يتعوذ بالله منه، فقد كان أمته الله من كل سوء، وذكر عن أيوب صلى الله عليه أنه سئل عن أي حال بلائه كان أشد عليه؟ قال: شماتة الأعداء. أدعو الله من جميع ذلك به فإنا ضعيف.

(1) في الآصل: "السعية". والمثبت من "هـ".

(2) في الآصل: "علم". والمثبت من "هـ".

- 110 -
باب: الدعاء بالموت والحياة

فيه: حياء: "أنه أكتوى سبعًا وقال: لولا أن النبي ﷺ نهى أن ندعو بالموت لدعوته بـ.".

و فيه: أن قال النبي - عليه السلام - "لا يمتين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً للموت فليقل: اللهم أحني ما كنت الحياة خيراً لي، وتوفي إذا كانت الوفاة خيراً لي".

معنى هذين الحديثين على الخصوص، وقد بين عليه السلام [ذلك(1) في الحديث فقال: "لا يمتين أحدكم الموت لضر نزل به". فقد يكون له في ذلك الضر خير لدينه ودنياه، إما تحريص لذنوب سلفت له وظهور من سيئات، كما قال عليه السلام للشيخ الذي زاره في مرضه وقد أصابته الحمى فقال له عليه السلام: "لا بأس ظهور إن شاء الله". وقد يكون له في المرض منافع، منها: أن يكون المرض سببًا إلى امتناعه من سيئات كان يعملها لو كان صحيحًا، أو بلاء يندفع عنه في نفسه وماله، فلله أنظر لعبد المؤمن فينبغي له الرضا عن الله - تعالى - في مرضه وصحته ولا يتجهم قدره، ويعلم أن أنظر له من نفسه، ولا يسأل الوفاة عند ضيق نفسه مرضه أو تعرّف أمور دنيا عليه.

وقد جاء وجه سؤال الموت فيه مباح، وهو خوف فتنة تكون سببًا لتلف الدين، فقد قال عليه السلام: "إذا أردت [بقوم] (2) فتنة فاقبضني إليهك غير مفتون". ووجه آخر وهو عند خوف المؤمن أن يضعف عن القيام بما قلده الله كما قال عمر: اللهم كيرت سنى وضعفت قوتي وانتشارت رعيتي فاقبضني إليهك غير مضيع ولا مفرط. فخشى عمر رضي الله عنه أن يطول عمره ويزيد ضعفه، ولا يقدر على القيام بما قلده

(1) في الأصل: في ذلك. والثبت من هـ.
(2) في الأصل: بالناس. والثبت من هـ.
الله وآله ورسوله عليه السلام. وكان الله حين دعا بذلك ستين سنة وأثني عشر، وكذلك فعند عمر بن عبد العزيز إذ سأل نفسه الوفاة وسئل في الأربعين خصاً على السلامة من التغيير، فهذا الوجهان مباح أن يسأل فيهما الموت، وقد تقدم في كتاب المرضي في باب تمني المريض الموت [1].

* * *

باب: الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم

وقال أبو موسى: ولد لي ولد فدعا النبي - عليه السلام - به البركة.


وفيه: عائشة قالت: «كان النبي - عليه السلام - يؤتي الصبيان فيدعو لهم».

في الذهاب بالصبيان إلى الصالحين وسؤالهم الدعاء لهم بالبركة، ومسح رؤوسهم تفاؤلًا لهم بذلك وتركًا بدعائهم، وفي حدث

(1) من هـ.
محمود بن الربع مدعية الأئمة وأهل الفضل للصبيان، وأن ذلك من أخلاق الصالحين، وفي حديث أبي عقيل رغبة السلف الصالح في الريح الخلال، وحرصهم على بركة التجارة، وأنهم كانوا يتحرون في التجارات، ويعرون في طلب الرزق ليستغنا بذلك عن الحاجة ١٥٠-١-٠

إلى الناس، ولا (يكونوا) (١) حالة ولا كلاً على غيرهم.

* * *

باب: الصلاة على النبي


فيه: عن أبي سعيد الخدري نحواً.

اختالف العلماء في الصلاة على النبي هل هي فرض أم لا؟ فذهب جمهور العلماء إلى أنها ليس بفرض في الصلاة، وذكر ابن القصار عن ابن المواز أنها واجبة، قال: والمشهور عن أصحابنا أنها واجبة في الجملة على الإنسان أن يأتي بالشهادات مرة في دهره مع القدرة عليه، وشدّ الشافعي فزعم أن ذلك فرض في الصلاة، واحتج بحديث كعب ابن عجرة، رواه عن إبراهيم بن محمد عن سعيد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، وفي حديثه: «ولذلك في الصلاة». قال الطحاوي: وكان من حجة من خلفه عليه أن إبراهيم بن محمد

(٢) من: هـ، ن.

**

باب: [هل ] (7) صلى على غير النبي – عليه السلام – وقوله تعالى: ﴿وصل عليهم إن صلاته سكن لهم﴾ (8)


وفي: أبو حميد الساعدي: ﴿أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصل ثم (1) زاد في {الأصل}: عن النبي . (2) من {هـ} . (3) المئتين : 96 . (4) الآثارات : 1 . (5) زاد في {الأصل} : على الصلاة . (6) الأحزاب : 56 . (7) في {الأصل} : من . والثبات من {هـ} ، ن . (8) في {الأصل} : من . والثبات من {هـ} ، ن . (9) في {هـ} ، ن : أتي . (10) النزوة : 103 . (11) من {هـ} .
على الله وعلى النبي - عليه السلام: 

من [آذيته فاجعله له] (1) زكاة ورحمة
فيه: أبو هريرة أنه سمع النبي - عليه السلام - يقول: اللهم فأياً مؤمن سبته، فاجعل ذلك له قربةً له يوم القيامة.

هذا الحديث يصدق ما ذكره الله تعالى في كتابه من صفة رسوله عليه السلام - في قوله: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عتم حريق عليك بالؤمنين روع رحيم" (4). وهو عليه السلام لا يسب أحداً ولا يؤذيه ظلمًا له، وإنما يفعل من ذلك الواجب في شريعته.

(1) من هـ، نـ. (2) في هـ: أميرنا. (3) مكررة بالأصل. (4) التوبة: 128.
(3/4) فقد يدع الانتقام لنفسه، بما جبله الله عليه من العفو/ وكريم الخلق صلى الله عليه وعمنى هذا الحديث وله أعلم، التأييس للمستوب لئلا يستولي عليه الشيطان، ويقطره ويوقع بنفسه من ضرره سبي ما يحبط به عمله إذا سبي عليه السلام هو دعاء على المستوب، ودعاؤه مجاب، فسأله الله أن يجعل سبيه للمؤمنين قربة عند يده القيامة وصلاة ورحمة، ولا يجعله نقصه ولا عذابًا.

* * *

باب: التعوذ من الفتنة

فيه: أنس: "سكت النبي - عليه السلام - حتى أخوفه [بالمسألة] (1)، فغضب فصعد المنبر، فقال: لا تسألوني عن شيء إلا ببيته، فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي، وإذا رجل كان إذا لاحي [الرجال] (2) يدعي لغير أبيه، فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: حذافة ... وذكر الحديث إلى قول عمر: "تعوذ بالله من الفتنه".

وقد تقدم في كتاب الفتنة.

* * *

باب: التعوذ من فتنة المحيا والممات

فيه: أنس: "كان النبي - عليه السلام - يقول: اللهم إنني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات".

* * *

(1) من ه".

(2) في "الأصل": الرجل، وال mimetype من "ه"، ن".
باب : التعاون من المائم والمغرم

فيه : عائشة : أن النبي - عليه السلام - كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الكسول والهرم، والمائم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعداب النار ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل عني خطاياي بالماة والثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت النوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعتدت بين المشرق والمغرب ».

وترجم له باب الاستعاذة من فتنة الغنى، وترجم له باب الاستعاذة من فتنة الفقر، وترجم له الحديث أنس باب الاستعاذة من الجن والكسل وفهمه : « اللهم إني أعوذ بك من المائم والجرى والبخل، وصلب الدين وغلبة الرجال ».

وترجم (له) (1) باب التعاون من البخل وفيه سعد بن النبي عليه السلام : إني أعوذ بك من البخل واللبن، وأعوذ بك من الرد إلى أرذل العمر »، وترجم له الحديث عائشة باب الاستعاذة من أرذل العمر، وترجم له الحديث أنس باب التعاون من أرذل العمر، وفيه :

« أعوذ بك من الهرم ».

قال المؤلف : جميع أبواب الاستعاذة التي تترجم [ بها] (11) تدل آثارها على أنه ينبغي سؤال الله والرغبة إليه في كل ما ينزل بالمرء من حاجاته، وأن يعين كل ما يدعو فيه، ففي ذلك إطالة الرغبة إلى الله تعالى والتضريع إليه وذلك طاعة الله - تعالى - ، وكان النبي - عليه السلام - يتوعد بالله من كل ذلك ويعتبه باسمه، وإن كان الله قد عصمه.

(1) من هـ 4.
من كل شر، ليلزم نفسه خوف الله تعالى وإعظامه، وليس ذلك لامته ويعملهم كيف الاستعاذة من كل شيء، وقد روى ثابت البfrican عن أنس قال: قال رسول الله - عليه السلام -: "ليسأل أحدكم ربه حاجات كلها، حتى يسأله شسع نعله إذا اتقع".


قال الطبري: فإن قال قائل: فإذا قد صبح تعوذ النبي - عليه السلام - من المغرم، فما أنت قائل في ما روي جعفر بن محمد عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله - عليه السلام -: "إن الله مع الدائن حتى يقضي دينه، ما لم يكن فيما كره [الله عز وجل]" [3]. وكان عبد الله بن جعفر يقول: اذهب فخذ لي بدين، فإني أكره أن أبيت ليلة إلا والله معي بعد ما سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قيل: كلا الخبرين صحيح، وليس في أحدهما [دفع] [5].

[1] في "الأصل": وارد، والمثبت من هـ.
للاخر فاما قوله عليه السلام: "إن الله مع الدائن حتى يقضي دينه مما لم يكن فيما يكره الله - تعالى -" فهو المستدين الذي ينوي قضاء دينه، وععده في الأغلب ما ي قضيه فلله تعالى في عونه على قضائه، وأما المغرم الذي استعاذه منه عليه السلام، فإنه الدين الذي استدين على أحد ثلاثة أوجه: إما فيما يكرهه الله ولا يجد سبيلًا [إلى] [1] قضائه فحق الله تعالى أن يؤديه، ومستدينه فيما لا يكرهه، ولكنه لا وجه عنه لقضائه إن طالب به صاحبه، فهو معرض له علاك أموال الناس متفلف لها، ومستدينه له إلى القضاء سبيل، غير أنه نوى ترك [القضاء] [2] وعزم على جحده، فهو عاص لرده وظالم لنفسه، فكل هؤلاء في القضاء مخفون وفحيديهم كاذبون.

فكان معلومًا بذلك أن الحال التي كره على السلام الذين فيها غير الحال التي ترجح لنفسه فيها، وذلك أنه عليه السلام مات ودرعه رهن عند يهوديه بعشرين صاعًا من شعير، وأما فتنته الغني فيخشى منها بطر المال وما يتول من عواقب الإسراف في إنفاقه، وبذله فيما لا ينبغي، ومنع حقوق الله فيه، ففتنته الغني مشعبة إلى ما لا يحصى عده، وكذللك فتنت الفقر يخشى منها قلة الصبر على الإبل والمسطه له وتمزور الشيطان للمرء حال الغني وما يتول من عاقبة ذلك لضعف البشرية، وكذلك الاستعاذة من العجز والكسل لاتهمه يعنان العبد من أداء حقوق الله وحقوق نفسه وأهله، وتضيع النظر في أمر معاده وأمر دنياه، وقد أمر المؤمن بالاجتهاد في العمل والإجمال في الطلبه ولا

[1] في "الأصل" في. والمثبت من "هـ".
[2] في "الأصل" الفضل، والمثبت من "هـ".
يكون عالياً ولا عياً إلا على غيره ما معنى بصحة جوارحه وعقله، وكذلك الجنّ مهانته في النفس وذلة، ولا ينبغي للمؤمن أن يكون ذيلاً بالإيمان ولزوم طاعة الله التي تؤدي إلى النعيم المقيم، في ينبغي للمؤمن أن يكرر التعود من ذلك [والهرم هو أرذاذ العمر] (1) الذي ينبغي بصاحبه إلى الخرف وذهاب العقل، فيعود العالم جاهلًا ويسير إلى حال من لا ميز له، ولا يقدر على أداء ما يلزمه من حقوق الله وحاجة نفسه، ومثل هذا خشي عمر رضي الله عنه حين قال: اللهم كبرت سنى، وضعفت قوتي، وأنتشرت رعبتي فاقتضني إليك غير مفرط ولا مضط، وكان سنه حينئذ فيما قال مالك ستين سنة، وقال: خمس وخمسين، فخشى رضي الله عنه مزيد ضعفه فيضيع ما قدله الله شيئاً، ومن متى الله بصحة لم [يزده] (2) طول العمر إلا خيرًا ينكر من الحسنات ويستعب من السيثات، وكذلك الهام والحزن لا ينبغي للمؤمن أن يكون مهمومًا بشيء من أمر الدنيا، فإن الله تعالى قد قدر الأمور فاحكمها وقدر الأرزاق، فلا يجلب الله للعبد في الدنيا خيراً، ولا يأتي بما لم يقدر له، وفي طول الهام قلة رضا بقدر الله وضحيه على ربي.

وقد كان عمر بن عبد العزيز يقول: اللهم رضني بالقضاء، وحبب إلي القدر حتى لا أحبه، فيه ما أخبر ولا تأخير ما قدّمت. ومن آمن بالقدر فلا ينبغي له أن يهتم على شيء فاته من الدنيا ولايتهم، ربه ففيما قضي له الخيرة، وإنما ينبغي للعبد الاهتمام بأمر الآخرة ويفكر في معاعده وعرضه على ربه، وكيف ينجز من سؤاله عن الفتيل والقطميت [ولذلك] (1) قال عليه السلام: "للو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكيم كثيراً". فهاهنا يحسن اللهم واليالى.

(1) من "هـ" (2) في "الأصل": يزده. والثبت من "هـ".

- ١٣٠ -
وقلبة الرجال أشد من الموت؛ لأن المغول يصير كالعبد لم غلبه وقهره، وكذلك البخلي استعاذ منه عليه السلام لقولة تعالى: 
قال الطبري: فإن قال قائل: قد دعا النبي - عليه السلام - بالملصلات والجماعات، وكان السلف يستحبون الدعاء إلى الله - تعالى - بالجماعات كنحم الرغبة في العفو والعافية، والمعافاة في الدنيا والآخرة، اكتفاءً منهم بعلم الله بموضوع حاجتهم وميلغا. 
قيل: لكل نوع من ذلك حالة [ يختار ] (3) العمل به فيها على الآخر [ (4) فالجواب تحدي في حال الحاجة إلى الإنجذار والاقتصاد، والمفصلات بالأسماء والصفات في حالة الحاجة إلى إدامة الرغبة إلى من بعده منا، خزائن السماوات والأرض، استفتقا بذلتك (4) ممليقة، وقد دعا عليه السلام بكل ذلك في مواضعه.

* * *

باب: الدعاء برفع الوباء والوجع
فيه: عائشة قال النبي - عليه السلام -: «اللهوم حجب إليها المدينة» كحبنا مكة أو أشد، واتقل حماها إلى الجحيفة.
وفيه: سعد: «عادني رسول الله - عليه السلام - عام حجة الوداع من شكوك» (5) أثنيت منها على الموت... وذكر الحديث.
لم يذكر في حديث سعد في هذا الباب دعاء النبي - عليه السلام - له برفع الوعوج، وذكر في كتاب المرضي، في باب دعاء العائد للمرضى وقال فيه: "اللهم أشف سعدا". وفي دعائه على السلام برفع الوعوج، ورفعهما أتساءر من زعم أن الولي لا يكره شيئًا مما قضى الله [عليه]، ولا يسأله كيفه عنه، ومن فعل ذلك لم تصح له ولاية الله، ولا خفاه بسقوط هذا لأنه قال: "اللهم حبب إليبنا المدينة وانقل حمها...".

فدعنا بنقل الحمى عن المدينة، ومن فيها، وهو عليه السلام داخل في تلك الدعوة، ولا تؤكل أحد يبلغ توكله، فلا معنى لقولهم.

وقد استقصيت هذا في كتاب الحج.

** * * *

باب: الدعاء عند الاستخارة

فيه: جابر: "كان النبي - عليه السلام - يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السنة من القرآن، إذا هم بالأمر فليبرك ركعتين، ثم يقول: اللهم إني استخيرك بعلمك واستدرك بقدرك [وأسأل من فضلك العظيم، فإنك تقدر]" (1) ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيبوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري واجله - فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري واجله - فاصره عني واصرفني عنه، وأقدر لي الخير ورضني به، وسعي حاجته".

(1) من "ه"، (2) من "ه"، ن
فقه هذا الحديث أنه يجب على المؤمن رد الأمور كلها إلى الله، وصرف أزمتها والبرأ من الحول والقوة إليه، ينبغي له أن لا يروم شيئًا من دقيق الأمور وجليلها، حتى يستخير الله فيه ويسأله فيه على الخبر ويصرف عنه الشر إذنانًا بالافتقار إليه في كل أمره والالتزام لذلالة العبودية له، وتبركاً باتباع سنة نبيه عليه السلام - في الاستخارة، ولذلك كان النبي عليه السلام - يعلمه هذا الدعاء كما يعلمه السورة من القرآن [ لشهد حاجتهم ] (1) إلى الاستخارة في الحالات كلها كشاهد حاجتهم إلى القراءة في كل الصلوات، وفي هذا الحديث حجة على القدرية الذين يزعمون أن الله تعالى لا يخلق الشر، تعالى الله عما يفترون، وقد أبان النبي عليه السلام - في هذا الحديث أن الله تعالى هو المالك لشر وخلق له إذا هو المدعو لصرفه عن العبد، وحال أن يسأله العبد أن يصرف عنه ما يملكه العبد من نفسه، وما يقدر على اختراعه دون تقدير الله عليه، وسيأتي في كتاب القدر.

* * *

باب: الوضوء عند الدعاء

فيه: أبو موسى قال: "دعا النبي - عليه السلام - بلهاء فتوضأ، ثم رفع يده وقال: اللهم اغفر لعباد أبي عامر - ورأيت بياض إبطيه - وقال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس".

قال المؤلف: فيه استعمال الوضوء عند الدعاء، وعند ذكر الله، وذلك من كمال أحوال الداعي والذكر، وما يرجى له به الإجابة لتعظيمه لله - تعالى - وتزييه له حين لم يذكره إلا على طهارة.

(1) في "الأصل" : لشهدتهم، والثبت من "ه"
ولهذا المعنى تيمّ النبي ﷺ بالجدار عند بئر جمل حين سلم عليه الرجل، وكذلك ردّ السلام عليه السلام على حال تيمّ، ولم يكن له سبيل إلى الوضوء بالماء، وعلى هذا ممضى ﷺ وممضى سلف الأمة، كانوا لا يفترون حال الطهارة ما قدروا لكثره ذكرهم الله تعالى - وكثرة تنقلهم - وقد روي عن ابن عباس أن النبي - عليه السلام - كان يبول ويتيمّ، فقوله: "إنا الماء قريب، فقول: لعلي لا أبلغه". وفي حجة مان استحب رفع اليدين في الدعاء.

* * *

باب: الدعاء إذا علا [عقبة] (1)

وقد تقدم في كتاب الجهاد.

باب: الدعاء إذا أراد سفرًا أو رجع منه

وقد تقدم أيضًا في الجهاد.

باب: الدعاء للمتزوج

وقد تقدم في النكاح.

باب ما يقول إذا أتى أهله

وقد تقدم في كتاب الوضوء.

* * *

باب: قول النبي - عليه السلام - ربي أتانا في الدنيا حسنة فيه: أسس بن مالك: "كان رسول الله ﷺ أكثر ما يدعو: اللهم أتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وتنا عذاب النار".

(1) في "الأصل" : عقبة وابن أبي ذر ن. 
اختلاف المفسرون في تأويل هذه الآية، فقال الحسن: الحسن في الدنيا العلم والعبادة، وفي الآخرة الجنة. وقال قطادة: في الدنيا عافية، وفي الآخرة عافية. وقيل: الحسن في الدنيا المال، وفي الآخرة الجنة، عن السدي.

* * *

باب: تكرير الدعاء

فه: عائشة: "أن رسول الله ﷺ طُبّ حتى إنه [ليخيل] (1) إليه أنه صنع الشيء، وما صنعه، فدعاه ودعاه..." وذكر الحديث.

تكرير الدعاء حسن عند حال الحاجة إلى إدامة الرغبة لله - تعالى - في المهمات والشدة النازلة بالعبد، وفي تكرير العبد الدعاء إظهار لوضع الفقر والجديدة إلى الله والبذل له والخضوع، وقد قال عليه السلام: "إن الله يحب الملترين في الدعاء"، وإن الدعاء هو العبادة، وممن لم يدع غضب الله عليه.

وقد تقدم في أول كتاب الدعاء، ومن حديث ابن عبيبة: "أن النبي - عليه السلام - أوصى رجلاً، فقال: عليكم بالدعاء، فإنك لا تدري متى يستجاب لك".

* * *

باب: الدعاء على المشركين

وقال ابن مسعود: قال النبي - عليه السلام -: "الله يعفي علىهم بسع كسب يوسف".

وقال: "اللهم عليك بأني جهل".

(1) في الأصل: ليخيل. والثبت من هن ن.
وقال ابن عمر: "دعا النبي - عليه السلام - في الصلاة اللهم العن فلاكاً وفلاناً، حتى إنزل الله: "ليس لك من الأمر شيء". (1)

فيه: ابن أبي أوفى: "دعا النبي - عليه السلام - على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، هزمهم وزلزلهم". (2)

وفيه: أبو هريرة: "كان النبي - عليه السلام - إذا قال: سمع الله عن حرمة في الركعة الآخرة من صلاة العشاء، قتلى إلى قوله: اللهم أشد وطائلة على مضر، اللهم إجعلها سينين كسي يوفس".

وفيه: أنس: "بعث النبي - عليه السلام - سرية يقال لهم: القراء، فأصروا، فما رأيت النبي - عليه السلام - وجد على شيء ما وجد عليهم، فلقت شهراً في صلاة الفجر يقول: إن عصيَّة عصت الله ورسوله". (3)


وفيه: علي: قال النبي - عليه السلام - يوم الحنديق: "ملا الله قبورهم، وبيوتهم نارت، كما شغلوها عن الصلاة الوسطى". (4)

قال المؤلف: قد تقدم هذا في كتاب الجهاد والاستشقاء، وذكره هاهنا طرقاً من معناه، إما كان عليه السلام يدعو على المشركين على حسب ذنوبهم وجرائمهم، فكان يبالغ في الدعاء على من أشد أذى للمسلمين، ألا [ ترى ] (3).

(1) آية عمران: 128. (2) في 6 هـ: فطنة. (3) من 8 هـ. (4)
أَنَّهُ لمَّا يَئِس مِنْ قُوَّمِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ اشْدِد وَطَأَنِكِ عَلَى مَضْرِ وَاجِعُهَا كَسَنِي يوْسُفَ ». وَقَالَ مَرَّةً : اللَّهُمَّ أعُنِّي عَلَيْهِ بِسُبُعٍ كَسَنِي يوْسُفَ. وَدَعَا عَلَى أَبِي جَهَل بِالْحَلاَكَ وَدَعَا عَلَى الْأَحْزَابَ بِالْبَهْزَمَةَ والَّذِينَ قَتَلُوا الْقَرَاءَ شَهْرًا فِي الْقَنُوِّتْ، وَدَعَا عَلَى أَهْلِ الْأَحْزَابِ أَنْ يُحْرَقُُهُمْ اللَّهُ فِي بِيدهم وَفِي رَحْمَتِهِ، فَبَالَغَ فِي الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ لِشَهْدَةِ إِجْرَامُهُمْ، وَنُبِّي عَائِشَةُ فِي الْرَّجُلِ الَّذِي رَيَّضَ عَنْهَا عَلَى الْبَيْتِ الَّذِي حَيَّاهَا وَأَمَرَّهَا بِالرَّفُقِ فِي (المَقَاضِيَةَ) (۱) لَهُمْ، وَالَّذِينَ دَعَا عَلَيْهِمْ مِثْلَ قُوَّتِهِ، وَلَمْ يَحِبْ لِلَّذِينَ دَوَّارَتِي الْذِّكْرَةَ وَالْتَصِنْيَعِ، فَكَيْلَةٌ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ عليهّ الْسَلَامُ عَلَى وُجُوهِهِ الْتَأْلِيفِ لَهُمْ (۲۳۱-۱۷۵) .

وَأَلَّمَ كَانَ قُوَّةُ فِي حَدِيثِ أَبِي عَمَّر قَالَ لِلنُّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ - المُقَاضِيِّنَ فِي الصَّلَاةِ فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - : لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا (۲) فَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ أَنْ هَذِهِ النَّهْجَةُ نَاسِخَةُ لِلَّهِ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - المُقَاضِيِّنَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ عُوْضً مِنْ ذَلِكَ الْقَنُوِّتِ فِي الصَّحِيحِ، رَوَاهُ أَبِي وَهْب وَغَيْرِهِ.

وَأَكْثَرُ الْعَلَّمَاءِ عَلَى أَنْ هَذِهِ النَّهْجَةُ نَاسِخَةُ وَلَا مَنَسوَخَةُ، وَأَنَّ الدَّعَاءَ عَلَى المُشَرِّكِينَ بِالْحَلاَكَ وَغَيرُهُ جَائِزُ لِدَعَاءِ النُّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ - عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْآثَارِ المَتَوَارِثةِ التَّابِثَةِ .

* * *

١٧٧

١٧٧

باب: الدعاء للمشتركون

فيه: أبو هريرة: ﴿أن طفيل بن عمرو قدم علي النبي - عليه السلام - فقال :﴾

١ - المقارضة تكون في العمل الس_latitude والقول السُّبِّ يقصد الإنسان به صاحبه، انظر لسان العرب (مادة قرض).
٢ - آل عمران: ١٢٨.

باب: قول النبي - عليه السلام -: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أثرت»

فيه: أبو موسى: أَنّ النَّبِيّ - عليه السلام - كان يدعو بهذا الدعاء: رب اغفر لي خطتي ومغفري، وإسرافي في أمري كله، وما أعلم به متي، اللهم اغفر لي خطابي وعمدي، ومدي ودهلي، وكل ذلك عدني، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أثرت، وما أسرت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير.

قال الطبري: إن قال قائل: ما وجه دعاء النبي - عليه السلام -: الله أن يغفر له خطيبته وخيله وما تقدم من ذنبي، وقد أعلم الله تعالى - أنه قد غفر له ذلك كله، فما وجه سؤاله؟ ربه مغفرة ذنوبه، وهي مغفورة، وهل يجوز إن كان كذلك أن يسأل العبد ربه أن يجعله من بني آدم - وهو منهم - وأن يجعل له بيده ورجلين وقد جعلهما له؟ فالجواب: أن عليه السلام كان يسأل ربه في صلاته حين اقترب أجله، وبعد أن أنزل عليه: فإذا جاء نصر الله والفتح (4) ناعياً إليه نفسه فقال له: فسبح بمحمد ربك واستغفره إنه كان نواباً (5). وكان عليه السلام يقول:

"إني لاستغفر الله وآتوب إليه في اليوم سبعين مرة". فكان هذا من فعله في آخر عمره وبعد فتح مكة، وقد قال الله تعالى له: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" (1). واستغفاره منه، فلم يسأل النبي - عليه السلام - أن يغفر له ذنبًا قد غفر له، وإنما غفر له ذنبًا وعدده مغفرته له باستغفاره، ولذلك قال: "فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان نواباً" (2).

قال غير الطبري: وقد اختلف العلماء في الذنوب هل تجوز على الأنيبيء، فذهب أكثر العلماء إلى أنه لا تجوز عليهم الكبائر لعصمتهم، وتجوز عليهم الصغرى.

وذهبت المعتزلة إلى أنه لا تجوز عليهم الصغرى كما لا تجوز عليهم الكبائر، وتأولوا قوله تعالى: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" (1). فقالوا: إنما غفر له تعالى ما يقع منه من سهو وغفلة، واجتهاد في فعل خير لا يوافق به حقيقة ما عند ربه، فهذا هو الذي غفر له، وسمى: "نبيًا"؛ لأن صفته صفة الذنب المنهي عنه، إلا أن ذلك تعمد، وهذا بغير قصد. وهذا تأويل بعيد من الصواب، وذلك أنه لو كان السهو والغفلة ذنبًا للأنيبيء يجب عليهم الاستغفار منها; لكانتا أسوأ حالًا من سائر الناس غيرهم; لأنه قد وردت السنة المجمع عليها أنه لا يؤخذ العباد بالخطأ والنساء فلا يحتاجون إلى الاستغفار من ذلك، وما لم يوجب عليهم الاستغفار فلا يسمى عند العرب ذنباً.

فإنّي عليه السلام المخبر لنا بذلك عن ربه أولي بأن يدخل مع أمته في معنى ذلك، ولا يلزم حكم السهو والخطأ، وإنما يقع استغفاره عليه السلام كفارة

(1) الفتح: 26 (2) النصر: 2

129
للصغائر الجائزة عليه ، وهي التي سأل الله غفرانها له بقوله : « اغفر لي ما قدمت وما أثرت » . وساذكر هذه المسألة في حديث الشفاعة في باب [ قوله تعالى : « لما خلت بيد » (1) في كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى ؛ لأن الحديث يقتضي ذلك ] (2). 

ووفيها قول آخر / يحتمل والله أعلم ، أن يكون دعاؤه عليه السلام ليغفر الله له ذنبه على وجه ملادة الخضوع لله - تعالى - واستصحاب حال العبودية والاعتراف بالتقشير شكرًا لما أولاوه ربه - تعالى - مما لا سبيل له إلى مكافأة عمل ، فكما كان يصلي صلى الله عليه حتى ترم قدماه ، فيقال له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما أخير فيقول : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » . فكان اجتهاده في الدعاء، والاعتراف بالذل والتقشير ، والأعوان والافتقار إلى الله تعالى شكرًا لربه ، كما كان اجتهاده في الصلاة حتى ترم قدماه شكرًا لربه ، إذ الدعاء الله - تعالى - من أعظم العبادة له ، [ وليس - (3) ذلك لامته عليه السلام فاستشعروا الخوف والخطر ولا يركنوا إلى الأمن ، وإن كثرت أعمالهم وعبادتهم لله - تعالى - ، وقد رأيت المحاسبي أشار إلى هذا المعنى ، فقال : خوف الملائكة والأنبياء لله - تعالى - هو خوف إعظام أنهم آمنون في أنفسهم [ بأمان ] (4) الله لهم ، فخوفهم تعود الله إجلالًا وإعظامًا .

* * *

باب : الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة

قد تقدم في كتاب الصلاة .

(1) سورة ص : 75 ، (2) في الأصل : الاعتصام ، والمثبت من هـ .
(3) في الأصل : ليس والمثبت من هـ .
(4) في الأصل : فامان : والمثبت من هـ .
باب: قول النبي - عليه السلام - يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فيها


قال المؤلف: معنى هذا الحديث - والله أعلم - أنه إذا، إما يستجاب له في اليهود، لأنهم على غير طريق الحق وضلال عن الهدي، ومعاندين في التمادي على كفريهم بعدما تبين لهم الحق بالآيات الباهرات، فلذلك يستجاب له فيهم، وإذا المعنى لم يستجب لهم في النبي - عليه السلام - لأنهم ظالمون في دعائهم عليه، قال تعالى: "وما دعا الكافرين إلا في ضلال" (1). وهذا أصل في دعا الظالم أن لا يستجاب [فيهم] (2) دعا عليه، وإذا يرفع إلى الله - تعالى - من الدعاء ما وافق الحق وسبيل الصّدق.

* * *

باب: فضل التهليل

فيه: أبو هريرة أن النبي - عليه السلام - قال: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الخلد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سهوة، وكانت له حزراً من الشيطان يومه ذلك حتى يسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه." (1) الreed: 14، غازر: 50.

(1) في "الأصل"، فيما سُميت من "ه".

* * *

باب: فضل النسيبٍ

فيه: أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله وحمده [في يوم] مائة مرة حطت خطابه، وإن كانت مثل زبد البحر».

وفيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام -: «كلمتان خلفتان على اللسان» (1) من لهن ن».

(1) من لهن ن
نقبلان في الميزان حبيتن إلى الرحمن: سبحانه وتعالى، سبحانه
الله العظيم.

معنى قولهم في لغة العرب [ سبحانه وتعالى] (1) تنزيه الله من الأولاد
والصاحبة والشركاء.

و قال وهب بن منبه: ما من عبد يقول سبحانه وتعالى، إلا
قال الله - تعالى - صدق عيدي سبحانه وتعالى، فإن سأل
أعطي ما سأل، وإن سكت غفر له ما لا يحصى.

وروى عن النبي - عليه السلام - أنه قال: "صلاة الملائكة
التسليم، فاهل السماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة يقولون: سبحانه
ذي الملك والملكوت، وأهل السماء الثانية قيام إلى يوم القيامة

وروى الليث - عن ابن عجلان قال: جئت إلى القعقاع بن حكيم
في السحر أسأله فلم [ يجيبني] (2) فلم يرفع قال: هذه الساعة
يوقل الله الملائكة بالناس يقولون سبحانه الملك القدوس
(1) و (2) روي عن ابن عباس في قوله تعالى: "الباقيات
الصالحات" (3) سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله واله أكبر،
وهو قول سعيد بن المسيب ومجاهد.

فإن قيل: هل ينوب شيء عن تكرار التسبيح والتحميد؟ قيل: قد روي
عن صفية قالت: "مرّ بي النبي - عليه السلام - وأنا أسمع بأربعة آلاف

(1) من هـ.
(2) في الأصل: يجيبني. والثبت من هـ.
(3) الكهف : 46.
نواة، فقال: لقد قلت كلمة هي [ أفضل ] (1) من تسبيحك. قلت:

وأما قلت؟ قال: قلت: سبحان الله عدد ما خلق.

وعن كريب عن ابن عباس: "أن النبي - عليه السلام - مر على جوهرة في مصاها باكرًا تسحي وتذكير الله، فمضيت لحاجته، فرجع إليها بعد ما ارتفع النهار، فقال لها: ما زلت في مكانك هذا؟ قالت: نعم. فقال النبي صلى الله عليه: لقد تكلمت بكلمات لو وزنت بما قلت لرجحت، سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، والحمد لله مثل ذلك ".

وقال بعض الناس: هذه الفضائل التي جاءت عن النبي - عليه السلام - "من قال سبحان الله وحمد الله وبارك له ..." [و] (2) ما شاكلها إما هي لأهل الشرف في الدين والكمال [ و ] (3) الطهارة من الجرائم العظيم، ولا يظن أن من فعل هذا وأصر على ما شاء من شهوته وانتهك دين الله وحرمته أنه يلتحق بالسابقين المطهرين، وينال منزلتهم في ذلك [بحكاءة] (4) أحرف ليس معها تقي ولا إخلاص، ولا عمل، ما أظله نفسه من يتناول دين الله على هواه.

* * *

باب: فضل ذكر الله فيه: أبو موسى: قال النبي - عليه السلام - "مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه مثل الحي والموت".

وفيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام - "إنه تعالى - تعالى - ملائكة يطوفون في الطريق ينسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله نادوا: هلموا إلى

(1) في "الأصل": لأفضل، والمثبت من " هـ " (2) من " هـ ".
(3) في "الأصل": في، والمثبت من " هـ ".
(4) في "الأصل": فحكاءة، والمثبت من " هـ ".


وروى شعبة وسفيان عن أبي إسحاق عن أبي مسلم الآخر أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال:

(1) من: هـ، نـ. (2) في: الأصل: بـأن، والكتاب من: هـ.
ما من قول يذكرون الله إلا حقت بهم الملائكة، وغشيهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده.

وقال معاذ: ليس شيء آخر من عذاب الله من ذكر الله.

وقال ابن عباس، يرفع الحديث: "من عجز منكم عن الليل أن يكافده، ويحل بالمال أن ينققه، وبين عن العدو أن يجاهده فليكثر من ذكر الله". وروى أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "سيروا، سبق المستمرون. قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: الذين أهروا واستهروا بذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم، ويأتون يوم القيامة خفافاً". {1}

وروى أبو هريرة عن النبي – عليه السلام – قال: "ما جلس قوم مجتمعاً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبئهم إلا كان عليهم ثرة". وقيل جابر قال: قال رسول الله ﷺ – عليه السلام –: "ارتحوا في رياض الجنة. قلوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، واغزوا وروحوا في ذكر الله، وذكروا في أنفسكم، من أحب أن يعمل منزله عند الله فلينظر كيف منزله الله عند هؤلاء الذين أبلغهم من نفسه".

وروى الأعمش عن سالم [بن أبي الجعد] {2} قال: قيل لأبي الدرداء: "إن رجلاً اعتق مكانة سمعة قال: إن ذلك من مال رجل كثير، وأفضل من ذلك إيمان ملزم بالليل والنهار، ولا يزال لسان أحدكم رطبًا من ذكر الله."

{1} أخرجه ابن عدي في الكامل (15/5) من طريق أبي سلمة عن أبي الدرداء، ولفظ: سبق المُستمرون، وفي النهاية في غريب الحديث (242/5) المستمرون بذكر الله يعني الذين أولعوا به.

{2} في "الأصل": عن أبي العز وهو تحريف، وثبت من "هما".
وعن ابن عباس قال: "سأل موسى صلوات الله عليه ربه - تعالى - فقال ربه: أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني. ثم قال ابن عباس: ما جلس قوم في بيت من بيوت الله يذكرون الله، إلا كانوا أضيافًا لله عز وجل ما داموا فيه [حتى يتصدوا عنه، وأظلتهم الملائكة بأجنبجتها ما داموا فيه]."


وقال السدي: ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره الله، لا يذكره وإن لم يذكره الله برحمة، ولا يذكره كافر إلا ذكره الله بعذاب وروي ممناه عن ابن عباس وقيل: المعنى: اذكروا نعمتي عليكم شكرًا لها، أذكروا برحمني والزبادة من النعم.

وروي عن عمر بن الخطاب: إن الذكر ذكران: أحدهما: ذكر الله عند أموره ونواهيه، والثاني: ذكر الله باللسان، وكلاهما فيه الأجر، إلا أن ذكر الله تعالى عند أموره ونواهيه (1) إذا فعل الذكر ما أمر به، وانتهى عما نهي عنه، أفضل من ذكره باللسان مخالفًا أمره ونهيه، والفضل كله والشرف والأجر في اجتماعهما من الإنسان، وهو ألان ينسى ذكر الله عند أمره ونهيه فينهاي، ولا ينساه من ذكره بلسانه، وسأذكر في كتاب الرفقات في باب من هم بحسنة أو سيئة،

---
(1) من هم. (2) البقرة: 152. (3) في الأصل: يذكر. والثبت من هم.
هل يكتب الحفظة الذكر بالقلب؟ [ وما للسلف في ذلك إن شاء الله تعالى ] (1)

وذكر البخاري في كتاب الاعتدام في باب قوله تعالى:
(ويحذركم الله نفسه) (2) حديث أبي هريرة عن النبي - عليه السلام - قال: "إذا ذكروني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكروني في ملاذ ذكرته في ملاذ آخر منهم ..." الحديث.

قال الطبري: ومن جسيم ما يرجى به للعبد الوصول إلى رضا ربه ذكره إياه بقلب، فإن ذلك من شريف أعماله عنده؛ الحديث أبي هريرة. فإن قيل: فهل من أحوال العباد حال يجب [ عليه ] (1) فيها ذكر الله فرضًا بقلب؟ قيل: نعم هي أحوال أداء فرائضه، من صلاة وصوم، وزكاة وحج وسائر الفرائض، فإن على كل من له عمل شيء من ذلك أن يكون عند دخوله في كل ما كان من ذلك له نطاق أولى بابتداءه، وانتظاراً، في حال ابتدائه فيه، وما لم يكن له نطاق من، فعليه توجهه إلى الله بقلبه في حال عمله وذكره، ما كان مشتغلًا به، وما كان نفلاً وتطوعًا فإنه وإن لم يكن فرضًا عليه فلا ينتفع به عامله إن لم يرد به وجه الله، ولا ذكره عند ابتدائه فيه.

باب: قول الرجل: لا حوصل ولا قوة إلا بالله


(1) من هـ (2) آل عمران : 28 .

- 138 -
قال الطبري: إن قال قاتل: أي أنواع الذكر أفضل؟ فإن ذلك أنواع كثيرة، منها التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير؟ قال: أعلى ذلك وأشرفه الكلمة التي لا يصح لأحد عمل إلا بها، ولاِ [إيان] (1) إلا بالإقرار بها، وذلك التهليل، وهو لا إله إلا علِّه، على ما تقدم في حديث جابر في باب فضل التهليل، روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: "الأمان بضع وستون" (2) خصيلة، أكبرها شهادة أن لا إله إلا الله وأصغرها إماة الأذى عن الطريق. وقال عليه السلام: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من [قبلي] (3) : لا إله إلا الله». فإن قيل: ما معنى قول النبي - عليه السلام - للذي رفع صوته بلا إله إلا الله، إلا أدرك على كنز من كنز الجنة (قال) (4) : لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا إله إلا الله تunami عن غيرها، وهي المنجية من النار؟ فإجواب: أن النبي - عليه السلام - كان معلمًا لأمه، وكان لا يراهم على حالة من الخير، إلا أحب لهم الزيادة عليها فأحب لذي رفع صوته بكلمة الإخلاص والتوحيد أن يردونها بالبربر من الحول والقوة الله - تعالى - وإلقاء القدر إليه، فيكون قد جمع مع التوحيد الإمام بالقدر.


(1) في "الأصل" : الإمام، والمثبت من هـ.
(2) في "الأصل" : ومنين.
(3) في "الأصل" : قبل، والمثبت من هـ.
(4) في "الأصل" : قبل، والمثبت من هـ.
(5) في "الأصل" : قبل، والمثبت من هـ.  
139
أحدًا حتى قرره بالصلاة والتسبح، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: استسلم عبدي.


* * *

باب: الله مائة اسم غير واحد

فبه: أبو هريرة - رواية - قال: «إن الله تسعين تسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر».

---

[1] في الأصل: تدعى، والمثبت من «هذى».


قال المهلب: اختلاف الناس في الاستدلال من هذا الحديث، فذهب قوم إلى أن ظاهره يقتضي أن لا اسم لله تعالى غير التسعة والتسعين اسمًا التي نص عليها النبي - عليه السلام - إذ لو كان له غيرها لم يكن لتخصيص هذه العدة معنى، قالوا: والشريعة متناهية وحكمته فيها بالغة، وذهب آخرون إلى أنه يجوز أن تكون له أسماء زائدة على التسعة والتسعين، إذ لا يجوز أن تنهاي / أسماء الله - تعالى -، لأن مدائنه وفواضله غير متناهية كما قال تعالى في كلماته وحكمه:

"ولو أن ما في الأرض من شجرة أفلام والبحر يمده من بعده سبعة بحر، ما ندت كلمة الله" (1)

ومعنى ما ذكرنا به النبي صلى الله عليه وسلم من التسعة وتسعين اسمًا إذا هو معنى الشرع لنا في الدعاء بها، وغيرها من الأسماء لم يشرع لنا الدعاء بها؛ لأن حدث النبي - عليه السلام - بمنى على قوله تعالى: "وهناك الأسماء الحسنى فادعوه بها" (2). فكان ذكر هذا العدد إذا هو لشرع الدعاء به، وهذا القول أميل إلى التفسير، لاجتماع الأمة على أن الله تعالى لا يلبغ كنهه الواسعون ولا ينتهي إلى صفاته المفروضين دليل لازم أن له أسماء غير هذه وصفات، وإلا فقد تناوت صفاته ل تعالى عن ذلك، وهذا قول أبي الحسن الأشعري وابن الطيب (4) الطيب وجامعة من أهل العلم.

قال ابن الطيب: وليس في الحديث دليل على أن ليس لله تعالى أكثر من تسعة وتسعين اسمًا، لكن ظاهر الحديث يقتضي من أحسن تلك التسعة وتسعين اسمًا على وجه التعظيم الله دخل الجنة، وإن كان له أسماء أخرى، وقال أبو الحسن بن القابسي - رحمه الله: أسماء الله وصفاته لا تعليم إلا بالتوقيف، والتوقيع كتاب الله - تعالى - وسيرة...
نبيه - عليه السلام - أو اتفاق أمته، وليس للقياس في ذلك مدخل، وما أجمعت عليه الأمة، فإنا هو عن سمع علموه من باب الرسول.
قال: ولم يذكر في كتاب الله لاسمه تعالى عدد مسمى، وقد جاء حديث أبي هريرة عن النبي - عليه السلام - "إن الله تسعة وتسعمين اسماء". وقد أخرج بعض الناس من كتاب الله - تعالى - تسعة وتسعمين اسماء، والله أعلم بما خرج من هذا عدد إن كان كل ذلك أسماءٌ، أو بعضها أسماء وبعضها صفات، ولا يسلم له ما نقله من ذلك.
فهذا كعب على علمه واتساعه لم يتعاط أن يحصر معرفة الأسماء في مثل ما حصرها هذا الذي زعم أنه عرفها من القرآن، والدعاء في هذا بدعاه كعب أولى وأسلم من التكلف، وسمعت آبا إسحاق الشيباني يدعو بذلك كثيرًا، وسيأتي تفسير الإحصاء، والرد بهذا الحديث في كتاب الاعتصاب في باب قول النبي - عليه السلام - باسم الله الأعظم، فمنها ما رواه وكيح، عن مالك بن مغول، عن عبدالله ابن بردة، عن أبيه: "أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأنك أشهد أنك لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. فقال: لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى".

(1) من هـ.
ومنها حدث شهيد بن حوسشي عن أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ
- عليه السلام - قال: "اسم الله الأعظم في هذين الآتين:
فهيكل الله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم" (1).
ومنها ما رواه علي بن زيد بن جدوعان، عن سعد بن المبيب قال:
سمعت سعد بن مالك يقول: [ سمعت النبي ﷺ يقول ] (2): "اسم الله
الذي إذا سُئل به أعطى وإذا سُئل به أجاب دعوة يوئيس بن متي، ألم
تسمع قوله: "فنادي في الظلمات أن لا إله إلا أن سبحانك إنني
كنت من الظلماء فاستجبنا له ونجينا من الغم وكذلك نجي
المؤمنين" (3)، فهو شرط الله لمن دعا بها.
 قال الطبري: قد اختلف السلف قبلنا في ذلك، فقال بعضهم في
ذلك ما قال قتادة: اسم الله الأعظم: اللهم إنى أعوذ بأسماك
الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم، وأعوذ بأسماك التي إذا
دعيت بها أجبت، وإذا سئلت بها أعطيت. وقال آخرون: اسم الله
الأعظم: هو اللهم، ألم تسمع قوله: "هو الله الذي لا إله إلا
عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم" هو الله الذي لا إله إلا
هو..." (4) إلى آخر السورة. وقال آخرون بأقوال مختلفة لروايات
رووها عن العلماء. قال الطبري: والصواب في كل ما روينا في
ذلك عن النبي ﷺ - عليه السلام - وعن السلف أنه صحيح، فإن قيل:
وكيف يكون ذلك صحيحًا مع اختلاف الفاظه ومعانيه؟
فالمجاوب: أنه لم يبر عن أحد منهم أنه قال في شيء من ذلك قد
دعا باسمه الأعظم الذي لا اسم له أعظم منه فيكون ذلك من رواياتهم
اختلافًا، وأسماء الله - تعالى - كلها عندنا عظيمة جليلة، ليس منها
صغير وليس منها اسم أعظم من اسم، ومنعى قوله عليه السلام:
لقد دعا باسمه الأعظم؛ لقد دعا باسمه العظيم، كما قال

(1) البقرة: 163. (2) من "هـ". (3) الأنيبياء: 87. (4) الحشر: 22.
 تعالى: 

(1) وهو الذي يبدأ الخلق ثُم يعيده وهو أهون عليه 

(2) وهو هين عليه، وكما قال ابن أوس:

لمدرك ما أدرى وإن لأوَّجالة

معنى إني لوجل، وبين صحة ما قلناه الحديث حفص ابن أخي

أنس ابن مالك، عن أنس، عن النبي، على السلام. أنه قال:

«لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب». فقال: باسمه

العظيم، إذ كان معنى ذلك ومعنى الأعظم [واحداً] (2).

وقال أبو الحسن بن القابسي: لا يجوز أن يقال في أسماء الله

وصفاته ما يشبه المخلوقات، ولو كان في أسماء الله اسمًا أعظم من

اسم لكان غيره ومنفصلًا منه، والاسم هو المسمي على قول أهل السنة

فلا يجوز أن يكون الأسماء متغايرين، ومن جعل اسمًا أعظم من

اسم صار إلى قول من يقول: القرآن مخلوق.

قال الطبري: فإن قيل: فلو كان كما وصفت كل اسم من أسماء

الله عظيماً، لا شيء منها أعظم من شيء، لكان كل من دعا باسم

من أسمائه مجابًا دعاوه كما اجتيب دعاء صاحب سليمان - عليه

السلام - الذي آتاه بعرش بلقيس من سبعة شهرين قبل أن يرتد إلى

سليمان طرفه، لأنه كان عنده علم من اسم الله الأعظم، وكذلك

عيسى - صلوات الله عليه - [به] (3) كان يحيي الموتى ويربى الأكمه

والأبرز وقد يدعو أحدهنا الدهر الطويل بأسمائه فلا يستجاب له،

فإن الأمر بخلاف ذلك.

قيل: بل الأمر في ذلك كما قلناه، ولكن أحوال الداعين تختلف,

فمن داع ربه تعالى لا ترد دعوته، ومن داع محله محل من غضب

الله عليه وعرضه للملاء والفتنة فلا يرد كثيرًا من دعائه ليتليه به ويتلي به

(1) الروم: 27

(2) في "الأصل": واحد، والثنتين من "ه". (3) من "ه".

- 144 -
غيره، ومن داعٍ يوافق دعاؤه محتمًو قضائه ومبرم قدرته، وقد قال عليه السلام: "ما من مسلم يدعو إلا استجيب له ما لم يدغ بإثم أو قطيعة رحم، إما أن يعجل له في الدنيا، أو إما أن يدخله في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء بقدر ما دعا". وبين ما قلناه أنا وجدنا [أو] (1) يدعو بالذي دعا به [الذي] (2) عجلت لهم الإجابة فلا يجاب له، فدل أن الذي أوجب الإجابة لم أجيب، وترك الاستجابة لمن لم يستجيب له هو اختلاف (حال) (3) الداعين، لا الدعاء باسم من أسماء الله عينه.

وقد وقع في هذا الحديث رواية سفيان عن أبي الزناد: "مثابة إلا واحدة". ولا يجوز في العربية، وقد جاء هذا الحديث في كتاب الاعتقام: "مثابة إلا واحدة". من رواية شعبة عن أبي الزناد وهو الصحيح في العربية. لأن الاسم مذكر، فلا يستنى منه إلا مذكر مثله.

* * *

(1) في هو.
(2) في هو. والثبوت من هو.
(3) في هو: أحوال.
كتاب الرقاقي

باب: لا عيش إلا عيش الآخرة

فيه: ابن عباس: قال النبي - عليه السلام -: "نعمان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ".

و فيه: أسهل:

(1) "كنا مع النبي - عليه السلام - بالخندق، وهو يحفر ونحن [نقل التراب] 
(2) وصر لنا، قال: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة".

قال المؤلف: قال بعض العلماء: إذا أراد عليه السلام بقوله الصحة والفراغ نعمان تنبه أمته على مقدار عظيم نعمة الله على عباده في الصحة والكافية، لأن الداء لا يكون فارغًا حتى يكون مكفيًا مؤنة العيش في الدنيا، فمن أنعم الله عليه بهما فليحذر أن يغتنهما، وما يستعان به على دفع الغين أن يعلم العبد [أن] الله - تعالى - خلق الخلق من غير ضرورة إليهم، وبذا أدمن للعنف الجليلة من غير استحقاق منهم لها، فمن عليها بصحة الأجسام وسلامة العقول وتضمن أرزاقهم وضعاف لهم الحسنات، ولم يضعاف عليهم السنوات، وأمرهم أن يعبدوه ويعتبروا بما أبدأتهم به من النعم الظاهرة والباطنة، ويشكوهم عليها باحترام سنة، وجعل مدة طاعتهم في الدنيا منفية بانقضاء.

(1) في الأصل: سهل، والمثبت من هم.
(2) في الأصل: غمر بالتراب، وهو تحريف، والمثبت من هم، ن.
(3) في الأصل: بأن، والمثبت من هم.

- ۱۴۶ -
أعمارهم، وجعل جزاءهم على ذلك خلودًا دائمًا في جنات لا انقضاء لها مع ما ذكر من أطاعه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشير، فمن أنعم النظر في هذا كان حريًا إلا يذهب عنه وقت من صحته وفراقه إلا وينقه في طاعة ربه، ويشكره على عظيم مواهب واعتراف بالتنصير عن بلوغ (كنه تادية) (1) ذلك، فمن لم يكن هكذا وغفل وسوا عن التزام ما ذكرنا، ومرت أيامه عنه في سهو ولهو وعجز عن القيام بما لزمه لربه - تعالى - فقد غبن أيامه، وسواء ينتمي حيث لا ينفعه الندم، وقد روى الترمذي من حديث ابن المبارك، عن يحيى بن عبيد الله بن موهب، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - عليه السلام - : ما من أحد يموت إلا ندم ، قالوا : وما ندامت يا رسول الله ؟ قال : إن كان محسوب ندم ألا يكون ازدات، وإن كان مسيئًا ندم ألا يكون نزع.

وأما قوله : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » فإنه ينب ذلك أمه على تصغير شأن الدنيا وتقليلها، وكدر لذاتها وسرعة فنائها، وما كان هكذا فلا معنى للشغب به عن العيش الدائم الذي لا كدر في لذاته، بل فيه ما تشهيه الأنفس وتلذ الأعيين.

* * *

باب: مثل الدنيا في الآخرة وقوله تعالى:

» إما الحياة الدنيا لعب ولوهو ... إلى قوله تعالى:

» إلا متاع الغرور (2)

فيه: سهل: قال النبي - عليه السلام - : موضوع سوّط في الجنة خير من الدنيا وما فيها «.

(1) في هـ : تادية كنه (2) الحديد : 20

147
قال المؤلف: "قد بين رسول الله ﷺ منزلة الدنيا من الآخرة، بأن جعل موضع سوط من الجنة أو غدوا في سبيل الله أو رواحة خير من الدنيا وما فيها، وإنما أراد ثواب الغدوة أو الروحة في الآخرة، لينبه أمه على هواك الدنيا عند الله - تعالى - وضعتها، أنه لم يرضها دار جزاء لأولايها ولا نمته لأعدائه، بل هي كما وصفها تعالى 'ً لعب وله وزينة' الآية.

وقد روى الترمذي، عن محمد بن بشار، عن يحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت مستور بن شداد الفهري يقول: قال رسول الله ﷺ: 'ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحذرك أصبعه في اليم فلينظر بما يرجع. قال: وحدثنا أبى، حدثنا عبد الحميد بن سليمان، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: 'لو كانت الدنيا تعدل عن الله جناح بعوضة ما سىّف كافرًا منها شريعة'.

* * *

باب: قول النبي - عليه السلام -: كن في الدنيا كأنك غريب.

فيه: ابن عمر: "أخذ النبي - عليه السلام - بنكري وقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل. وكان ابن عمر يقول: إذا أسست فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر الشمس، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك".

قال أبو الزناد: "معنى هذا الحديث الخض على قلة المخلطة وقلة الانتهاء والزهد في الدنيا. قال المؤلف: وبيان ذلك أن الغريب قليل الانبسط إلى الناس، بل هو مستوحش منهم؛ إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه بناس به، ويستكر بخلطته فهو ذيل في نفسه خائف، وكذلك -١٤٨-
إلا ينذر في سفره إلا بقوته عليه وخوفه من الأنفال غير مبتنٍث بما يمنعه من قطع سفره، ومعه زاد وراحلة يبلغانه إلى بغيته من قصده، وهذا يدل على إيثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكاف، فكما [(1)] لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره، فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل.

وقوله: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء" حسب منه على أن يجعل الموت نصب عينيه، فيستعد له بالعمل الصالح، وحض له على تقصير الأمل، وتركي الميل إلى غور الدنيا. وقوله: "خذ من صحتك لمرضك" حسب على اغتنام أيام صحته فيهمده فيما خوََّق من حلول مرض به ينبعه من العمل. [4/173-174]

وكذلك قوله: "ومن حياتك لموتكم تنيبه على اغتنام أيام حياتك، ولا يم عمره يبطل في سهو وغفالة، لأن من مات فقد انقطع عمله وفاته أمله وحضره على تفريته ندمه، فما أجمع هذا الحديث لماعاني الخير وأشرفه!

* * *

باب: في الأمل وطوله

وقوله تعالى: "فمن زبح عن النار وأدخل الجنَّة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الفروض" [(2)] وقوله تعالى: "ذُرهم يأكلوا ويتعموا ويلههم الأمل فسوف يعلمون" [(3)]

وقال علي بن أبي طالب: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن أليم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.

---

(1) في الراشد، نقلها، وأثبتت من هم. (2) آل عمران: 185. (3) الحجر: 3.

- 149 -
فيه: ابن مسعود قال: "خط النبي - عليه السلام - خطًا مربعًا، وخط خطًا في الوسط خارجًا منه، وخط خطًا صغيرًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، [أو (1)] قد أحاط به، وهذا الذي خارج أمله، وهذه الخطط الصغرى الأعراض، فإن أخطئة هذا ناهيه هذا، وإن أخطاؤه هذا ناهيه هذا.

وفيه: أنس: "خط النبي - عليه السلام - خطوطًا فقال: هذا الأول وهذا أجله، فيه هو كذلك إذ جاءه الخلف الأقرب".

قال المؤلف: مثل النبي في حديث ابن مسعود أمل ابن آدم وأجله وأعراض الدنيا التي لا تفارقها بالخطوط، ففعل أجله الخط المحيط، وجعل أمله وأعراضه خارجة من ذلك الخط، وعلوم في العقول أن ذلك الخط المحيط به [الذي (2)] هو أجله، أقرب إليه من الخطوط الخارجية منه، لا ترى قوله عليه السلام في حديث أنس: "فنبأ هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب". يريد أجله؟ وفي هذا تبنيه من النبي - عليه السلام - لامته على تقصير الأمل، واستشعار الأجل خوف بغتة الأجل، ومن غيب عنه أجله فهو حري بتوقعه وانتظاره خشية هجوته عليه في حال غرة وغفلة، ونعود بالله من ذلك، فأيَّرض المؤمن نفسه على استشعار ما تبه عليه، ويجادل أمله ووهبه ويتسع بالله على ذلك، فإن ابن آدم مجبول على الأمل كما قال عليه السلام في الباب بعد هذا: "لا يزال قلب كبير شابًا في حب الدنيا وطول الأمل".

وقال الطبري: في قوله: "ذروهم يأكلوا ويمتعوا ويلهم الأمل" (3) يعني ذرى المشركون يا محمد يأكلوا في هذه الدنيا ويمتعوا من شهراتها ولناتها إلى أجلهم الذي أجلت لهم، ويلهم الأمل عن الأخذ

(1) في الأصل: و، والثابت من هـ، ن
(2) من هـ، هـ
(3) الحجر: 3

- ١٥٠ -
بطاعة الله فيها، وتزوردهم معادهم منها بما يقربهم من ربهم. فسوف يعلمون غذا إذا وردوا عليه، وقد هلكوا بكفرهم بالله حين يعاونون عذاب الله أنهم كانوا في متعهم بلذات الدنيا في خسارة وتباب. ويروى نهسه بالعين والشين، والنهسه تناول بالفم كالتهش، والحياة تنهش إذا عضت، والنهسه: نثر اللحم، ونهش ينهش، من كتاب العين.

* * *

باب: من بلغ [ستين سنة] (1) فقد أعزى الله إليه في العمر لقوله تعالى: ﴿أو لم نعمرك ما يتذكر فيه من ذكر وجهكم النذير﴾ (2) يعني: الشيب.

فيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام -: «أعزى الله إلى أمرئ آخر أجله حتى بلغ ستين سنة».

وفيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام -: «لا يزال قلب الكبير [شامي] (3) في اثنتين: حب الدنيا وطول الأمل».

وفيه: نس عن النبي عليه السلام قال: «يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان: حب المال، وطول العمر».

وفيه: عتبان بن مالك قال النبي - عليه السلام -: «لن يوافق عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله يتغيب بها وجه الله; إلا حرم الله عليه النار».

(1) في «الأصل»: ستين، والثاني من `هـ، نـ`.
(2) فاطر: 27.
(3) من `هـ، نـ`. 

- 151 -
وفيها: أبو هريرة قال عليه السلام: "يقول الله تعالى: ما لعفدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيًة من أهل الدنيا، ثم احتمسه إلا الجنة".

قال المؤلف: روى عن علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة في قوله تعالى: «أو لم تعمركم ما يذكر فيه من ذكر» (1) قالوا: يعني: ستين سنة، وروى [عن] (2) ابن عباس أيضاً أربعون سنة، وعن الحسن البصري ومسرور مثله، وحديث أبي هريرة حجة لقول علي ومن وافقه في تأويل الآية.

وقول من قال: أربعون سنة. له وجه صحيح أيضًا، والجحة له قوله تعالى: "حتى إذا بلغ أشد وبلغ أربعين سنة" (3) الآية فذكر تعالى أن من بلغ الأربعين، فقد آن له أن يعلم مقدر نعم الله عليه وعلى والديه ويشكرهما.

قال مالك: أدرك أهل العلم بلدنا وهم يطلبون الدنيا والعلم، ويخالطون الناس حتى يأتي لأحدهم أربعون سنة، فإذا أتى عليهم اعتزلوا الناس واشغلو بالعبادة حتى يأتهم الموت. فبلغ الأربعين نقل لأبن آدم من حالة إلى حالة أرفع منها في الاستبصار والإعذار إليه.

وقوله عليه السلام: "أعذر الله إلى [مرئ] (4) أعذر أنجل حتى بلغ ستين [سنة] (2) » أي أعذر إليه غاية الإعذار، الذي لا إعذار بعده، لأن السنين قريب من معترك العباد، وهو سن الإنباء والخشع والاستسلام الله - تعالى - وترقب نذرت ولقاء الله - تعالى - فهذا إعذار بعد إعذار في عمر ابن آدم، لطعًا من الله لعباده حين نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم، وأعذر إليه مرة بعد أخرى، ولم يعاقبهم

(1) فاطر: 37. (2) من 1 هـ. (4) في الأصل: من. (3) الأحقاف: 15. (4) من 9 هـ.
إلا بعد الحجج اللائحة المبكتة لهم، وإن كانوا قد فطرهم الله تعالى على حب الدنيا وطول الأمل، فلم يتركنهم مهما دون إعراد لهم وتنبيه، وأكبر الإعراد إلي بني آدم بعثه الرسول إليهم، وإختلف السلف في تأويل قوله تعالى: ﴿وجاءكم النذير﴾ (1) فوري عن علي ابن أبي طالب أنه محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - وهو قول ابن زيد وجماعة، وعن ابن عباس أن النبي ﷺ.

وحجة القول الأول أن الله تعالى - بعث الرسول مبشرين ومنذرين إلى عباده قطعا لحجتهم، وقال الله تعالى: ﴿وما كنا مصدرين حتى نبعث رسولنا﴾ (2) ﷺ، ولقول ابن عباس أن النذير: النبي ﷺ.

وجه يصح، وذلك أن النبي يأتي في سن الامتناع، وهو علامة لفترة سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب، فهو نذير أيضًا، إلا أتى قول إبراهيم - عليه السلام - حين رأى النبي ﷺ قال: «يا رب ما هذا؟ فقال له: وقار، قال: ربّ زدني وقارًا».

فبان رفق الله بعبادة المؤمنين وعظمهم لطنه بهم حين أعذر إليهم ثلاث مرات: الأولى بالنبي - عليه السلام - والمرتان في الأربعين وفي الستين؛ لتم حجته عليهم، وهذا أصل [ لإعازر ] (3) الحاكم إلى المحكوم عليهم مرةً بعد أخرى.


(1) ماهر: ٣٥. (2) الإسراء: ١٥. (3) في التراجم: الإعازر والثريث من هـ.
وقد ثبت بالكتاب والسنة أن التوبة مقبولة ما لم يغرر ابن آدم، ويعاين قبض روحه، وكذلك قوله عليه السلام: "يقول الله تعالى: ما لعباد المؤمن عندي جزاء إذا قضيت صفيًّة من أهل الدنيا ثم أحبس إلا الجنة". وهذا عام المعني في كل عمر ابن آدم.

بلغ البستين أو زاد عليها، فهو ينظر إلى معنى حديث عبان في قوله: "ما لعباد المؤمن عندي جزاء إذا قضيت صفيًّة إلا الجنة". دليل أن من مات له ولد واحد فاحتمبه أن له الجنة، وهو تفسير قول المحدث: "ولم نسأل عنه الواحد".

بينما قال عليه السلام: "من مات له ثلاثة من الولد أدخله الله الجنة. قال: وأثنان يا رسول الله؟ قال: واثنان. ولم نسأل عنه الواحد". إذ لا صفي أقرب إلى النفس من [الولد (1)"

* * *

باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها فيه: عمرو بن عوف: "أن النبي - عليه السلام - بعث أبا عبيدة إلى البحرين باعت بجزرها. فقدم بالمال، فسمعت الأنصار بقدومه فوافته صلاة الصبح مع النبي ﷺ، فلما انصرف تعرضوا له، فنسبم، فقال: أظنك سمعتم بقدوم أبي عبيدة؟ قلوا: أهل. قال: فأطروا وأملوا ما يسركم، فاعلم ما الفقر أفخى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتناسواها كما تنافسوا بها، وتلهكم كما ألهتهم.

وفيه: عقبة بن عامر: "خرج النبي ﷺ يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على البيت...". الحديث ثم قال: "وإني والله ما أخف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخف عليكم أن تنافسوا فيها".

(1) في "الاصل": الواحد: والمثبت من "هـ". "

- 154 -
وفيه: أبو سعيد: قال النبي - عليه السلام -: "إن أكثر ما أخوف
عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض / قيل: ما بركات الأرض يا
رسول الله؟ قال: زهرة الدنيا ..." الحديث على ما جاء في كتاب
الزكاة، في باب الصدق على البتامي.

وفيه: عمران: قال النبي - عليه السلام -: "خير القرون قرني ، ثم
الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا
يستطيعون ، ويخونون ولا يؤمنون ويظهر فيهم السمن".

وفيه: خباب: قال: "إن أصحاب محمد مضمون ولم تنقصهم الدنيا
شيئاً ، وإننا أصنا من الدنيا ما لا نجد له موضوعاً إلا التراب".

قال المؤلف: هذه الأحاديث تبني في أن زهرة الدنيا ينبغي أن
يخشى سوء عاقبتها وشر فنتها من فتح الله عليه الدنيا ، ويحذر
التنافس فيها والطمأنينة إلى زخرفها الفاني ؛ لأن النبي - عليه السلام-
خشى ذلك على أمه ، حذرهم منه لعلهم أن الفتنة مقرورة بالغنى ،
ودل حديث عمران بن حصين أن الفتنة الدنيا مل يأتي بعد القرن الثالث
آشده لقوله عليه السلام -: "ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا
يستطيعون " إلى قوله " ويظهر فيهم السمن " . فجعل عليه السلام
ظهور السمن فيهم وشهادتهم بالباطل ، وخيانتهم [ الأمانة ] (1) ،
وتنافسهم في الدنيا وأخذهم لها من غر ووجهها كما ، قال عليه السلام
في حديث أبي سعيد: " ومن أخذه بغير حقه فهو كالذي يأكل ولا يشبع ".

وذلك خشى عمر بن الخطاب فتنة المال ، فروى عنه أنه لم أتي
بأموال كسرى بات هو وأكابر الصحابة عليه في المسجد ، فلم أصبح
وأصابته الشمس ابتلت تلك التيجان فيكى ، فقال له عبد الرحمن بن
عوف : ليس هذا حين بكاء ، إما هو حين شكر . فقال عمر: إنني

(1) في الأصل: بالأمانة . والثبت من هـ .
أقول : ما فتح الله هذا على قوم قط إلا سفكوا دماؤهم وقطعوا أرحامهم وقال : اللهم منعت هذا رسولك إكراراً منك له ، وفتحته علي تبتيني به ، اللهم اعطني من فنته . فهذا كله يدل أن الغني بلبه وفنتة ، ولذلك استعاذ النبي - عليه السلام - من شر فنته ، وقد أخبر الله تعالى بهذا المعنى فقال نسوله : [ ولا تحدث عنيك إلى ما منعتنا به أزواجه منهم زهرة الحياة الدنيا لفاتنهم فيه وروق ربك خير وأبقى (1) ] وقال تعالى : [ إنما أعمركم وأولادكم فنته (2) ] .ولهذا أكثر أثر .

سلف الأمة التقليل من الدنيا وأخذ البلغة ؛ إذ التعرض للفنان غرور !

وقوله عليه السلام في حديث أبي سعيد : [ وإنما بنيت الربع يقتل حبطاً أو يلم ] فهو أبلغ الكلام في تخدير الدنيا والركون إلى غضارتها (3) ، وذلك أن الماشية يروقها نبت الربع ( فكسر أكلها (4) فرما تفتتت سمتا فهلقت ، نضرب النبي - عليه السلام - هذا المثل للمؤمن أن لا يأخذ من الدنيا إلا قدر حاجته ، ولا يروقه زهرتها فتهلكه .

وقال الأصمعي : والفحص : هو أن تأكل الدابة فتكذر ، حتى تتلفذ لذلك بطنه وترفع عنه .

وقوله : [ أو يلم ] يعني يذني من الموت ، وقد ( تقديم ) (5) الكلام في هذا الحديث في باب الصدقة على الطائفة في كتاب الزكاة .

وأما قول خيام : [ إن أصحاب محمد مضوا ولم ينقضهم الدنيا شيئاً ] فإنه لم يكن في عهد النبي - عليه السلام - من الفتوحات والأنوار ما كان بعده ، فكان أكثر الصحابة ليس لهم إلا القتول ، ولم يبالوا من طياتاب [ العيش ] (6) ما يخافون أن ينقصهم ذلك من طياتاب الأخرى ، ألا .

ترى قول عمر بن الخطاب حين اشترى لحبا بدرهم: "أين تذهب هذه الآية: أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها" (1).
فدل أن التنعم في الدنيا والاستمتاع بتثبيتئها تنقص كثيراً من ثوابها.
وقوله: "إنا أصيبنا من الدنيا ما لا نجد له موضعًا إلا التراب".
قال أبو ذر: يعني البيان، ويدل على صحة هذا التأويل أن خياما قال هذا القول وهو يعني حائطه له، وقد تقدم في كتاب المرضي في باب
تمني المريض الموت، فتأمله هناك فهو بين في حديث خيام.

* * *

باب: قوله تعالى: "يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا
تغرنكم الحياة الدنيا" (2) الآية
قال مجاهم: الغور: الشيطان.

فيه: عثمان: "أنه توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: من توضأ نحو وضوتي هذا، ثم أتي المسجد فرمع ركعتين، ثم جلس، غفر له ما تقدم من ذنبه، قال: وقال رسول الله ﷺ: لا تغتروا".

قال المؤلف: نهى الله عباده عن الاغتراب بالحياة / الدنيا وزخرفها الفاني، وعن الاغتراب بالشيطان، وبيّن لنا تعالى عداوته لنا لتلا تلتفت إلى تسوله وتزييه لنا الشهوات المردية، وحذرنا تعالى طاعته وآخر أن أتباعه وحذبه من أصحاب السعير، والسعير: النار. فحق على المؤمن العاقل أن يحذر ما حذّره منه ربه عز وجل ونبيه

(1) الاحتفاظ : 20 . (2) فاطر : 5.

- 157 -
إِلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالبَرَاءةُ وَجَلَّ لَهُ الشَّأْنُ (1) ، إِنَّ وَقَعَ ذَنَبًا أَسْرَعَ
نَبَّلُهُ وَلَوُتَّوَهُ مَنْ وَعَزَّمَ أَلَا يُؤْمَنُ (إِلَيْهِ) (2) ، إِذَا أُتِيَ حَسَنَةً
أَنْتِهِ السَّمَسَدُ ، فَكَرِهْ رِكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَّسُ ، غَفِرَ لَهُ رَكَطًا مَا تَقْدِيمُ مِنْ ذَنِبِهِ (3).
وَهَذَا لَا يُقَدِّمُ إِلَّا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِهِ مَلَكُ السَّمَاسَدِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِهِ الْمَا يَخْرُفُ مَنْ حَذَرُ السَّمَاسَدِ بِالشَّجَدَاءِ
وَالإِسْفَاقِ بِتَجْنِبِ الْأَغْتَرْفَاءِ ، وَقَدْ قَالَ غَيْرَ مَجَاهِدِ فِي تَفَسِّيرِ الْغَزْرُو
قَالَ : هُوَ الَّذِي يُغْفِرُ بِاللَّهِ ، فَيَعْمَلُ الْمَعْصِيَةَ وَيَتَمَّنُ المَغْفَرَةَ .

٤٠٨

باب: ذهب الطالقين

فِي هَذِهِ مَرَادُ فَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِهِ الْمَا يَخْرُفُ مَنْ حَذَرُ السَّمَاسَدِ بِالشَّجَدَاءِ
وَالإِسْفَاقِ بِتَجْنِبِ الْأَغْتَرْفَاءِ ، وَقَدْ قَالَ غَيْرَ مَجَاهِدِ فِي تَفَسِّيرِ الْغَزْرُو
قَالَ : هُوَ الَّذِي يُغْفِرُ بِاللَّهِ ، فَيَعْمَلُ الْمَعْصِيَةَ وَيَتَمَّنُ المَغْفَرَةَ .
بـ« ما ينقي من فتنة المال »
وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَمْوَالَكُمُ وَأَوْلَادَكُمُ فَتْنَةٌ﴾ (1)
فيه: أبو هريرة قال النبي – عليه السلام –: "تعس عبد الدنيار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض".
وفيه: ابن عباس قال: قال النبي – عليه السلام –: "لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابنغثي ثلثًا، ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب."
وفي رواية ابن عباس: "ولا يملا عين ابن آدم إلا التراب". وروى مثله ابن الزبير وأنس عن النبي – عليه السلام – وقال أنس في حديثه:
"ولن يملا فاه إلا التراب".
وفيه: أنس عن أبي: "كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: ﴿أَلْهَامًا ﺍٍلْتَكَارِ﴾ (2)
قال المؤلف: معنى الفتنة في كلام العرب: الاختبار والابتلاء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاتَّنَاكُمُ فَتْنَةً﴾ (3) أي: اختبرناك، والفتنة: الإمالة عن الصدف، ومنه [ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَيَسْتَمِعُونََ﴾ (4)
أي: ليمليونك، والفتنة أيضًا: الإحرق من ] (5) قوله تعالى: ﴿فَوَمَّا هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (6) أي: يحرقون، هذا قول ابن الأباري. و الاختبار

(1) التغابن: 15. (2) التكاثر: 1. (3) طه: 40.
والإبتلاء يجمع ذلك كله، وقد أخبر الله تعالى عن الأموال والأولاد أنها فتنة، وقال تعالى: «أَلْهَاهُمُ الْبَكْرِ وَالْأَمْوَالِ (1)». خرج لفظ الخطاب على العلوم، لأن الله تعالى فطر العباد على حب المال والولد، إلا أن قوله عليه السلام: "لَوْ كَانَ لَآَمِمٌ وَأَدِيَانَ مِنْ ذَهَبٍ لَبَقِيَانِ ثَانِيَةً"، فأخبر عن حرص العباد على الزيادة في المال، وأنه لا غاية له يقع بها ونقص عليها، ثم أتبع ذلك بقوله: "وَلَا يُؤَايِدَ جَوْفَابُ أَنَّمَآ إِلَّا الْتَرَاب"، يعني إذا مات وصار في قبره ملاجع جوهه التراب، وأغنه بذلك عن تراب غيره حتى يصير رمياً.

وأشار عليه السلام بهذا المثل إلى ذم الخروج على الدنيا والشره على الأزيداد منها، ولذلك أثر أكثر السلف التقليل من الدنيا والقناعة والكفاف فراها من التعرض لما لا يعلم كيف النجاة من شر فتنه وساعاذ النبي عليه السلام من شر فتنة الغنى، وقد علم كل مؤمن أن الله تعالى قد أعاه من شر كل فتنة، وإما دعوا بذلك عليه السلام.

وقوله: "تعس عبد الدينار، إلى آخر الحديث في ذم من فتنه متاع الدنيا الغاني، تعس قيل: معناه هكذا، وقيل: التعس: أن يخر على وجهه، وقد ذكرت اختلاف أهل اللغة في تفسير هذه الكلمة في كتاب الجهاد في باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.

**

باب: قول النبي عليه السلام: "إن هذا المال خضرة حلوة"

وقول الله تعالى: "زَينٌ لِلنَّاسِ حَبِ الشَّهَوَاتِ (2) الآية، وقال عمر: اللهم إننا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، اللهم إنه أسأل أن أفرح في حقه.

(1) التكETHER: 1

(2) آل عمران: 14

90
فيه : حكيم : " سألت النبي - عليه السلام - فأعطاني ثلاثة ، ثم قال لي : يا حكيم ، إن هذا المال خضرء حلوة ، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى ".

قال المؤلف : هذا الباب في معنى الذي قبله بدلاً على أن فتنة المال والغني مخوطة على من فتحه الله عليه لزمن الله تعالى له ، وleshwaf الدنار في نفس عباده ؛ فلا سبيل لهم إلى بغضته إلا بعون الله على ذلك ، ولهذا قال عمر : اللهم إننا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا ، ثم دعا الله أن يعينه على إنفاقه في حقه ، فمن أخذ المال من حقه ووضعه في حقه فقد سلم من فتنته ، وحصل على ثوابه ، وهذا معنى قوله عليه السلام : " فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه " ، وفي قوله أيضًا : " ومن أخذه بطيب نفس " تنبه لامته على الرضا بما قسم لهم ، وفي قوله : " ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع " ذم الخير والشره إلى الاستكثار ، إلا ترى أنه شبه فاعل ذلك بالبهائم التي تأكل ولا تشبع "(1) وهذا غاية الذهم له لأن الله تعالى وصف الكفر بابنهم يأكلون كما تأكل الأعظام ، يعني : أنهم لا يشبعون كما لا تشبع الأعظام ، لأن الأعظام لا تأكل لإقامة أوقفها ، وإما تأكل للشره والنهم.

فينفي للمؤمن العاقل الفهم عن الله تعالى - وعن رسوله أن يشبه بالسلف الصالح في أخذ الدنيا ولا يشبه بالبهائم التي لا تعقل ، وقد فسرنا قوله : " خضرة حلوة " في كتاب الزكاة .

(*) من 161

قال المؤلف: هذا الحديث ثنيه للمؤمن على أن يقدم من ماله لأخذه، ولا يكون خارجًا له ومسكه عن إنفاقه في طاعة الله، فيخب من الانتفاع به في يوم الحاجة إليه، وربما أنفقه وارثه في طاعة الله فيفوز بهما.

فإن قيل: هذا الحديث يدل على أن إنفاق المال في وجه البر أفضل من تركه لوارثه، وهذا يعارض قوله عليه السلام لسعد: "إنك إن ترك ورثك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتيفون الناس".

قيل: لا تعارض بينهما، وإنما حصن النبي - عليه السلام - سعدًا على أن يترك مالاً لوارثه; لأن سعدًا أراد أن يتصدق بماله كله في مرضه، وكان وارثه إبنه والابنة لا طاقة لها على الكسب، فأمره عليه السلام بأن يتصدق منه بثلثه ويكون باقيه لابنته ولبيت مال المسلمين، وله أجر في كل من يصل إليه من ماله شيء بعد مومته.

حديث ابن مسعود إنا خاطب به عليه السلام أصحابه في صحته ونبيه به من شجع على ماله، ولم تسمح نفسه بإنفاقه في وجه البر أن يتفق منه في ذلك; لئلا يحصل وارثه عليه كمالًا موفورًا، ويحبب هو من أجره، وليس فيه الأمر بصدقة المال كله فيكون معارضًا لحديث سعد، بل حديث عبد الله مجمل يفسره حديث سعد، ويدل على صحة هذا التأويل ما ذكره أهل السير، عن ابن شهاب أن أبا لبابة قال: يا رسول الله، إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأنخل من مالي كله صدقة إلى الله ورسوله. قال: يجزيه الثالث، فلم بأمره بصدقة مالي كله.

(1) من «هـ ن».
باب: المكترون هم المقلون

وقوله تعالى: "من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها..." إلى "يعملون" (1)


قال المؤلف: [هذا الحديث] (6) يدل على أن كثرة المال تنول بصاحب إلى الإفلات من الحسنات يوم القيامة، إذا لم ينفقه في طاعة الله، فإن أنفقه في طاعة الله كان غنيًا من الحسنات يوم القيامة، وقد احتج بهذا الحديث من فضل الغني على الفقير؛ لأنه استثنى فيه من المكترون من نفح بالمال عن بيته وشماله وبين يديه، وقد اختالف العلماء في هذه المسألة، وسنذكر مذاهبهم فيها في باب فضل الفقر.

بعد هذا إن شاء الله.


وقوله تعالى: "من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها" (8) الآتيين، قال أهل التأويل: هذا عام في اللفظ خاص في الكفار، بديل قوله: "أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون" (9).

(1) هود: 15. (2) في "الأصل": داوو. والثبت من "ه", "ن".
(3) في "الأصل": المكترون. والثبت من "ه", "ن".
(4) في "الأصل": به. والثبت من "ه", "ن".
(5) من "ه", "ن".
(6) من "ه", "ن".
(7) في "ه": رمحت. ورمحت أن رمت بحافرة الأرض. انظر لسان العرب (مادة: رمحت).
(8) هود: 16.
(9) هود: 16.
إذا ذكرها البخاري في هذا الباب تحذيرًا للمؤمنين من مشاهدة أفعال الكافرين في بعيهم الآخرة البدائية بزيتنة الدنيا الثانية، فبدخلوا في معنى قوله تعالى: «أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا» (1) الآية.

* * *

باب: قول النبي عليه السلام: "ما أحب أن لي أحدًا ذهاباً" فيه: أبو ذر قال النبي عليه السلام: "ما يسرني أن عني مثل أحد ذهاباً تمضى علي ثالثة وعنيدي منه دينار إلا شيء أرصده لأنه، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه... " الحديث بطوله، وروى أبو هريرة مثله مختصرًا.

قال المؤلف: في هذا الحديث أمن المؤمن لا ينبغي له أن يتمتّى كثرة المال إلا بشريطة أن يسلطه الله على إفتقده في طاعته اقتداءً بنبيه عليه السلام في ذلك. وفيه أن المبادرة إلى الطاعة أفضل من التواني فيها، إلا ترى أن النبي - عليه السلام - لم يحب أن يبقى عنده من مقدار جبل أحد ذهاباً - لو كان له - بعد ثلاث إلا دينار يرصده له. وفيه أن النبي - عليه السلام - يكون عليه الدين لكثرة مواسته بقوته ورقت عياله، وإبراهيل على نفسه أهل الحاجة، والرضا بالتقلل والصبر على خشونة العيش، وهذه سيرة الأنبياء والصالحين، وهذا كله يدل على أن فضل المال في إفتقده في سبيل الله (2) لا في إمساكه وددخاره.

* * *

(1) الاحتفاظ: 200.
(2) في "ه"، البر.
باب: الغني غني النفس
وقوله تعالى: «أيحسنون أثنا مغدهم به من
مال وبنين...» إلى «عاملون» (۱)
قال ابن عيينة: لم يعملها ولا بد من أن يعملوها.
فيه: أبو هريرة قال النبي عليه السلام: «ليس الغني عن كثرة
العرض، وإنما الغني غني النفس».
قال المؤلف: قوله عليه السلام: «ليس الغني عن كثرة العرض».
يريد ليس حقيقة الغني عن كثرة متاع الدنيا، لأن كثيرًا ممن وضع الله
عليه في المال يكون فقير النفس لا يتقن بما أعطي [فهو] (۲) يجتهد
فقيهًا في الزيادة، ولا يبالي من أين يأتيه، فكائه [فقير] (۳) من
المال؛ لشدة شره وحرصه على الجمع، وإنما حقيقة الغني غني
 النفس، الذي استغني صاحبه بالقليل وقتعه به، ولم يحرص على
 الزيادة فيه، ولا [الح] (۴) في الطلب، فكائه غني واجد أبداً،
وغني النفس هو باب الرضا بقضاء الله تعالى - تعالى - والتسليم لأمره
(علم) (۵) أن ما عند الله خير للأمرار، وفي قضائه لأوليائه الخيار،
روى الحسن، عن أبي هريرة قال: «قال لي رسول الله: ارض بما
قسم الله تكن أشكر الناس». وقوله تعالى: «أيحسنون أثنا مغدهم به
من مال وبنين» (۶) نزلت في الكفار، فليست بعبارة لدعائه عليه السلام
لانس بكثرة المال والولد، وقال أهل التأويل في معناها: أيحسنون أثنا مغدهم
به من مال وبنين مجازار لهم وخيرًا لهم، بل هو استدراج لهم، ولذلك
قال تعالى: «قل بل قولكم في غمرة من هذا» (۷) أي: في غطاء عن

(۱) المؤمنون: ۵۵۔۳ (۲) في الأصل: فهذا، والثبت من هه. 
(۳) في الأصل: فقيرأ، والثبت من هه. 
(۴) في الأصل: ألح، والثبت من هه. 
(۵) في هه: علمًا. (۶) المؤمنون: ۵۵. (۷) المؤمنون: ۶۲. ۱۶۵
المعرفة أن الذي تمدهم به من مال استدراج لهم، وقال بعض أهل التأويل في قوله تعالى: (فأنا ندمهم به) (1) هي الخيرات، فلمعنى نسارع فيه ثم أظهر فقال: (ففي الخيرات) (2) أي: نسارع لهم به في الخيرات.

* * *

باب: فضل الفقر


وفيه: خباب قال: هاجرنا مع النبي - عليه السلام - نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد، وترك ثمرة، فإذا غطينا رأسه بدت رجله، وإذا غطينا رجله بدأ رأسه، فأمرنا النبي - عليه السلام - أن نغطي رأسه وإن نجعل على رجله [ شيئا] (3) من الإذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو بهذه.

(1) المؤمنون : 55.
(2) المؤمنون : 56.
(3) في الأصل : شيء. والثبت من هذه.
وفي: عمران قال: قال النبي - عليه السلام -: "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، وإطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء".
وفيه: أنس: "لم يأكل النبي - عليه السلام - على خوان حتى مات، وما أقل خيرًا مرققًا حتى مات".
وفيه: عائشة قالت: "لقد توفي النبي - عليه السلام - وما في رفيق من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شخير في رفلي، فأتلقت منه حتى طال علي، فكلته فتقى".
قال المؤلف: في ظاهر هذه الأحاديث فضل الفقر كما ترجم البخاري، وقد طال تنازع الناس في هذه المسألة، فذهب قوم إلى تفضيل الفقر وذهب آخرون إلى تفضيل الغني، واحتج من فضل الفقر بهذه الآثار بغيرها، فمنها أنه عليه السلام كان يقول في دعائه: "اللهن مصينة مصينًا وامتنى مسكيًا واحشريني في زمرة المساكين".
من حديث ثابت بن محمد العابد الوريفي، عن الحارث بن النعمان الليثي، عن أنس بن مالك، عن النبي - عليه السلام - ذكره الترمذي، ومنها أنه قال: "الله من أمن بي وصدق ما جئت به، فأطلق له في المال والولد". وقوله عليه السلام: "إن الفقراء يدخلون الجنة وأصحاب الجد محبوبون". روى الترمذي، عن محمود بن غيلان، عن قبيصة، عن سفيان، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي - عليه السلام - قال: "يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسين سنة - نصف يوم". قال الترمذي: وهذا حديث صحيح.
واحتاج من فضل الغني بقوله عليه السلام: "إن المكرين هم الأقلون، إلا من قال بالمال هكذا وهكذا". ويقوله عليه السلام: "لا حسد إلا في أثنتين - أحدهما - رجل آتاه الله مالا فسطله عليه هلكته في الحق..." الحديث.

١٦٧
وبقوله للسعد : "إنك إن تزر ورثتك أغنية خير من أن تذرهم عالياً، يتكفون الناس.

وقال لبني بئاع حين قال : يا رسول الله، إن توبتي أن أنخل من مالي صدقأ إلى الله رسوله: «أمسك عليك بعض مالك فإنه خير لك».

وقال في معاوية: "إنه صعلوك لا مال له". ولم يكن عليه السلام ليدم حالة فيها الفضيل.

وحسن ما رأيت في هذه المسألة ما قاله أحمد بن نصر الداودي قائل: النكثر والرضى من الحنانية من الله، تعالى، وليتني نيلو بهما آخبار عباد ليدي صبر الصابرين وشكر الشاربين وطغيان البطرين، وإنما أشكل ذلك على غير الراسخين، فوضع قوم الكتب في تفضيل الغني على الفقر، ووضع آخرون في تفضيل [1] الفقر، وأبلغوا الوجه الذي يجب الحض عليه والندب إليه، وأرجو مس صحبت نيته وخلصت الله طويته، وكانت لوجهه مقاتلة أن يجازيه الله على نيته وعندته، قال تعالى: "إذا جعلنا ما على الأرض زينة لها لبليهم إياه أن حسن عملاً" (2) وقال تعالى: "وبلوك بالشر والخير فتنة" (3). وقال، فإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأتي بجانبه فإذا مسه الشر فذو دعاء عرض (4) وقال: "إذا الإنسان خلق هلوعًا إذا مسّه الشر جزوعًا وإذا مسّه الخير منوعًا" (5) وقال تعالى: "فأنا الإنسان / إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه، ونعمه فيقول ربي [ أكرم وأأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانه ] (6). وقال، "ولو بسط الله الرزق لعباده لبغاء في الأرض" (7).

قال: ﴿وَلَوْلاَ أَن يَكُونِ النَّاسُ أَمَّةً واحِدَةً لِجَعَلْنَاهَا مِنْ يَكَفُّرٍ﴾، البقرة: (1) الآية، وقال: ﴿وَلَكِنَّ الإِنسَانَ لِطِفْعٍ أَنْ رَآَهُ﴾، ﴿وَإِنَّهُ لَحَبُّ الخَيْرِ لِشَدِيدٍ﴾، ﴿يَعْنِيِّ لَحْبُ الْمَالِ﴾، ﴿وَقَالَ عَلَيْهِ الْسَلَّامُ﴾، ﴿مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلْيَهِمْ، وَلَكِنَّ أَخْفَافَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَفْتَحُ الْدُنْيَا عَلَيْكُمْ﴾، ﴿الحَدِيث﴾.

وكان عليه السلام يستعدي من فتنة الفقر وفتنة القهر، فدل هذا كله أن ما فوق الكفاف محطة، لا يسلم منها إلا من عصمه الله، وقد قال عليه السلام: ﴿مَا قَلِ وَكَفَّى خَيْرًا مَا كَثِرَ وَأَلَهُمْ﴾. وقال عمر بن الخطاب لما أتى بأموال كلسرى: ﴿مَا فَتَحَ اللَّهُ هَذَا عَلَى قُومٍ إِلاَّ سَفَكَاهُمْ وَقَطَعَهُمْ أَرْضَاهُمْ﴾. وقال: ﴿لَهُمْ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ إِلَّا أن نَفْرَحُ بِمَا زَيَّنَّنَا لَهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ مَنْعَتْ هَذَا روَسُلُكَ إِكْرَامًا مَنَكَ لُهُ، وَفَتَحَهُ عَلَيْ لَبِنِيِّ بَيْتِهِ، اللَّهُمَّ سَلْطَنِي عَلَى هَلْكَةِ فِي القُرْآنِ وَأَعْضَمْيِنِ مِن فَتْنَتِهِ﴾. فهذا كله يدل على فضل الكفاف، لا فضل الفقر كما خَيَّلَ لهم، بل الفقر والغني بليتان كان النبي - عليه السلام - يستعدي من فتنهما، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿لَا تَجَلِّلِي ضِعْفًا مَغْلُولًا إِلَى عِنْكَ وَلَا تَبْسِطُهَا كُلَّ البَصَتٍ فَتَقَدُّ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾، ﴿وَقَالَ﴾: ﴿وَالذِّينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُروا وَكَانُوا بِذلِكَ قَوَامًا﴾، ﴿وَقَالَ﴾: ﴿وَلَا تَؤْتِي الْسَفَهَاءِ أَمْوَالَهُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمَّ قِيَامًا﴾، ﴿وَقَالَ فِي وَلِيَ الْبَيْتِ﴾: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًا فَلْيَعْقِفَ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَليَأْكُلُ.﴾

الإسراء: (39)، القرآن: (17)، العقديات: (8)، البقرة: (2)، العلق: (6)، الزخرف: (33)

ولم يكن عليه السلام يحتضن أحدًا على ما ينقص حظه عند الله ، فلا يجوز أن يقال [إن] (5) إحدى هاتين الخطأتين أفضل من الأخرى ؛ لأنهما محتتان ، وكان قائل هذا يقول : إن ذهاب بذ الإنسان أفضل عند الله من ذهاب رجله ، وإن ذهاب سمعه أفضل من ذهاب بصره ؛ فليس ها هنا موضع للفضل ، وإنما هي محل يبلو الله بها عباده لتعليم الصالحين والشاكرين من غيرهما ، ولم يأت في الحديث فيما علمنا - أن النبي - عليه السلام - كان يدعو على نفسه بالفقر ، ولا يدعو بذلك على أحد يريد به الخير ، بل كان يدعو بالكفاYahoo ويستعيد به من شُرّ فتنة الفقر وفتنة الغنى ، ولم يكن يدعو بالغنى إلا بشريطته ذكرها في دعائه.

فامَّا ما روى عنه أنه كان يقول : «اللهم أحنيتي مسكينًا وأميني مسكينًا واحشريني في زمرة المساكين» . فإن ثبت في النقل فمعناه

(1) الناساء : 66.
(2) الناساء : 9.
(3) في الأصل : المعنى . والثبت من «هـ».
(4) في الأصل : ولم قصرت . والثبت من «هـ».
(5) في الأصل : ولم قصرت . والثبت من «هـ».

- 170 -
لا يجاوز به الكفاف، أو يريد به الاستكانة إلى الله، ويدل على
صحة هذا التأويل أنه ترك أموال بنى التضرير وسهمه من فذك رحيم
فغير جائز أن يظن به أن يدعو إلى الله ألا يكون بيد شيء، وهو يقدر
على إزالته من يده بإفتكائه، وما روى عنه أنه قال: "الله من آمن بي
وصدق ما جئت به، فأقيل له من المال والولد". فلا يصح في النقل
ولا في اعتبار، ولو كان إما دعا بذلك في المال وحده لكان
[محتملا] (1) أن يدعو لهم بالكفاف، وأما دعاؤه بقلة الولد فكيف
يدعو أن يقل المسلمون، وما يدفعه العيان مدفع عنه عليه السلام،
وأحاديثه لا تتناقض.
كيف يتم معاوية، ويأمر أبا لبابا وسعدا أن يبقوا ما ذكر من المال
ويقول: إنه خير، ثم يخالف ذلك، وقد ثبت أنه دعا لانس بن
مالك وقال: "الله أكبر ماله وولدته، وبارك له فيما أعطته". قال
أنس: فقد أحست بابتي أنني قدّمت من ولد صلبي مقدم الحجاج
البصرة مائة وضعة وعشرين نسما بدعوة رسول الله، وعاش بعد ذلك
سنين وولد له".
فلم يدع له بكثرة المال إلا وقد قرن ذلك بقوله: "وبارك له فيما
أعطيه". فإن قال: فأي الرجلين أفضل: المبتلى بالفقر، أو المبتلى
بالغني إذا صلحت حال كل واحد منهما؟ فإن السؤال عن هذا لا
يستقيم؛ إذ قد يكون لهذا أعمال سوٍ تلك الحننة يفضل بها صاحبه
والآخر كذلك، وقد يكون هذا الذي صلح حاله على الفقر [لا
يصلح حاله على الغني، ويصلح حال الآخر على الفقر] (2) والغني.
فقد قال: فإن كان كل واحد منهما يصح حاله في الأموات، وهم في غير
ذلك من الأعمال متساوية. قد أدى الفقير ما يجب عليه في فقره من
الصير والعفاف والرضا، وأدى الغني ما يجب عليه من الإفتقاد والبذل

(1) في "الأصل": محتمل، والثبوت من 6 هـ. (2) من 6 هـ.
والشكر والتواضع، فأي الرجلين أفضل؟قيل: علم هذا 
عند الله.
وأما قوله: "أصحاب الجد محبوبون". فإنا يحبس لهذا أهل التفاخر والتكاثر، وأما من أدّى حق الله في ماله، ولم يرد به التفاخر.
وأرصد باقيه لاحظه إليه، فليس أولئك بأولئك منه في السباق إلى شيء.
ويدل على هذا قوله عليه السلام: "لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكه في الحق". فبين أنه لا شيء أرفع من هاتين الحالتين، وهو المحسن عن الله - تعالى - ميعان ما أراد، ولو كان من هذه حاله مسوقًا في الآخرة لما حضّ النبي - عليه السلام - على أن [ يتنافس ] (1) في عمله، وحسّبّا بثا لبابا عليه الحالة التي يسبق بها إلى الجنة، ألا ترى قوله عليه السلام فيحديث: "قليل لثلاثة: لرجل أجر، ورجل ستر، وعلى رجل وزر..."، فلدى
هي عليه وزر فرجل ربطها فخرًا ورياء وزناء لأهل الإسلام". فهذا من المحبوبين للحساب، والأولان فهو كفاءهما، غير أن آيات الغنى أكثر، والناتوج من أهل الغنى أقل، إذ لا يكاد يسلم من آفاقته إلا من عصمته الله؛ فذلك عظمت منزلة المعصوم فيه؛ لأن الشيطان يسول فيه إما في الأخذ بغير حقه، أو في الوضع في غير حقه، أو في مئنه من حقه، أو في التجبر والطغيان من أجله، أو في قلة الشكر عليه أو في المناضفة فيه إلى ما يبلغ صفته.
قال المهلب: وليس في قوله عليه السلام: "يدخل فقرأ أمني" 
الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام، ففضل للقرآن: لأن تقديم دخول الجنة لا تستحق به الفضيلة، إلا ترى أن النبي - عليه السلام - أفضل البشر ولا يتقدم بالدخول في الجنة حتى يشفع في أمه، وكذلك صالح المؤمنين

(1) في "الأصل": يتنافس. والكتب من "هـ".
يشعرون في قوم دونهم في الدرجة، وإنما ينظر يوم القيامة بين الناس فيقدم الأقل حسباً فالأقل، فذلك قدم [الفقراء] (1)، لأنهم لا [علقة] (2) عليهم في [3] حساب الآمال، فيدخلون الجنة قبل الأغنياء. ثم يحاسب أصحاب الآمال فيدخلون الجنة، ويتكلمون فيها من الدرجات ما قد لا يبلغه الفقراء، وكذلك ليس في قوله عليه السلام: "اتعث في الجنة رأيت أكثر أهلها الفقراء". ما يوجب فضل الفقراء، وإنما عناهم أن الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء، فأخبر عن ذلك كما نقول أكثر أهل الدنيا الفقراء، لا من جهة الفضل، وإنما هو إخبار عن الحال، وليس الفقر أدخلهم الجنة، وإنما أدخلهم الله [الجنة] (4) بصلاحهم مع الفقر. أرايت الفقر إذا لم يكن صالحًا فلا فضل له في الفقر، وأما حديث سهل فلا يخلو أن يكون فضل الرجل الفقير على الغني من أجل فقره أو من أجل فضله، فإن كان من أجل فضله فلا حجة فيه من فضل الفقر، وإن كان من أجل فقره فكان ينبغي أن يشترط في مثل الأرض مثله لا فقير فيهم.
ولا دليل في الحديث يدل على تفضيله عليه مع جهة فقره؟ لأننا نجد الفقير إذا لم يكن صالحًا، فكل غني صالح خير منه، وفي حديث خباب أن هجرتهم لم تكن الدنيا بضيفتها، ولا نعمة يستعجلونها، وإنما كانت الله ليشيهم عليها في الآخرة بالجائزة والنجاة من النار، فمن قتل منهم قبل أن يفتح الله عليهم البلاد قالوا: مر، ولم يأخذ من أجره شيئًا في الدنيا، وكان أجره في الآخرة موفرًا له [وكان] (5) الذي بقي منهم حتى فتح الله عليهم الدنيا، ونالوا من الطيبات، خشوا أن يكون عجل لهم أجر طاعتهم وهرجتهم في الدنيا بما تالوا.

(1) في [الأصل]: الفقر، والمثبت من [هـ]
(2) في [الأصل]: عقلة، والمثبت من [هـ]
(3) في [الأصل]: و، والمثبت من [هـ]
(4) من [هـ]
(5) في [الأصل]: فكان، والمثبت من [هـ]
منها من التعليم؛ إذ كانوا على تعليم الآخرة أحرصون، وتركه عليه السلام الأئل على الخوان وأكل المرق، فإنما فعل ذلك (كأنه) (1) رفع الطيبات للحياة الدائمة في الآخرة، ولم يرض أن يستعمل في الدنيا الفانية شيئًا منها أحدًا منته بأفضل الدارين، وكان قد خسره الله بين أن يكون نبيًا واحدًا أو نبيًا ملكًا، فاختار عبدًا، فلزمه أن يفي لله بما اختاره، والمال إذا يرغب فيه مع مقارنة الدين ليستعان به على الآخرة، والنبي - عليه السلام - قد غفر له ما تقدم من ذينبه وما تأخر، فلم يحتج إلى المال من هذه الوجهة، وكان قد ضمن الله له رزقه بقوله: "نحن نرزقك والقابلة للنقوع" (2).

وقول عائشة: "لقد توفي رسول الله وما في بيتي شيئًا يأكله ذو كبد، إلا شتر شعير" هو في معنى حديث أسى الذي قبله من الأخذ بالاقتصاد وما يسد الجوعة، وفيه بركة النبي، وفيه [أن الطعام المكي يكون فتاوى معلومًا للعلم بكيله] (3) وأن الطعام غير المكيل فيه الكرة، لأنه غير معلوم مقداره.

* * *

باب: كيف كان عيش النبي عليه السلام وأصحابه وتخليهم من الدنيا

فيه: أبو هريرة: "أنه كان يقول: الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لاعتماد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لاشت الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون فيه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشفني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية، فمر قبل فعل، ثم مر بي أبو القاسم - عليه السلام - فتبسم حين رأيني، وعرف ما في نفسي، ثم قال: أنا هر."

(1) في 5 هـ: لأنه. (2) طه: 122. (3) من 8 هـ.

- 174 -
قلت: لبيك يا رسول الله. قال: الحق، ومضى، فابتعثه، فدخل.
فاستأذن فأذن لي، فوجد لي في ف кож، فقال: من ابن هذا اللبن؟
قالوا: أهداه لك فلان - أو فلانة - قال: أبا هر، الحق أهل الصفة فادعهم لي.
وأهل الصفة أضيف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث إليهم بها، ولم يتناول منها، وإذا أتته هدية أرسل إليهم فأصاب منها، وأشرفهم فيها، فساء في ذلك وقلت:
[و] لا هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا أمرني فذكت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن بد من طاعة الله وطاعة رسوله، فدعوتهم، فأقبلوا وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: أبا هر، خذ فاطعهم، فأخذت القذح [ فجعلت أعطيه ] (1) الرجل فيشرب حتى يروي، حتى انتهي إلى النبي - عليه السلام - وقد روي القوم كلههم، فأخذ القذح فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم فقال: أبا هر. فقالت: لبيك يا رسول الله.
الفضيلة.

وفيه: سعد قال: "إني لأول العرب رمي بسهم في سبيل الله، ورأيتا نغزو، ما لنا طعام إلا ورق الخيلة وهذا السمير، وإن أحدها ليخضع كما تضع الشاة ماله خلط، ثم أصبحت بنو [ أسد ] (1) تعززني على الإسلام، حيث إذا وضعت سعيها.
و فيه: ( عائشة ) (2): "ما شبع آل محمد - من قدم المدينة - من طعام
بر ثلاث ليال تابعًا حتى قضت.

(1) من هـ، ن (2) في الأصل: فاطعه، والمثبت من هـ، ن
(3) في الأصل: عكاشه، والمثبت من هـ، ن
وقالت: «ما أكل آل محمد أكلتين في يوم إلا إحداهما تم».

وقالت [1]: «كان فراش النبي - عليه السلام - من أدم حشوه من ليف».

وأفن: «كنا نأتيه وخبازه قائم، قال: كلا فما [أعلم]».

رآى رغbieً مرفقًا حتى حق بالله، ولا رأى شاة سمييًا بعيته قط.

وفيه: عائشة قالت: «كان يأتي علينا الشهر وما نوقد فيه ناراً، إنما هو التمر والملاء إلا أن نؤثى باللحوم».

وفيه: أبو هريرة قال: النبي - عليه السلام -: «المهم ارزق آل محمد قوتًا».

قال الطبري: في اختيار رسول الله - عليه السلام - وخيار السلف من الصحابة والتابعين شفط العيش، والصبر على مرارة الفقر والفاقة، ومقاسة خشونة خشن الملابس والمطاعم على خفض ذلك ودعته، وحلاوة الغنى وتعيمه ما أباه عن فضل الزهد في الدنيا وأخذ القوت والبلاغة خاصة. وكان نبينا - عليه السلام - يطوي الأيام، ويصعب على بطنه الحجر من الجوع؛ [إيثرًا منه شفط العيش والصبر عليه، مع علمه بأنه لو سأل ربه أن يسير له جبال تهامة ذهبًا وفضة لفعل، وعلى هذه الطرق أرى الصحابة، لا ترى قول أبي هريرة أنه كان يش د الحجر على بطنه من الجوع] [2]، وخرج يتعرض من يرده من الصحابة يسأله عن آي القرآن ليحمله ويطعمه. وفيه أن كتبان الحاجة أخرى بإظهارها وأشبه بأخلاق الصحابة، وإن كان جائزًا له الإخبار بباطن أمره وحاجته لان يرجعه لكشف فاته.

1 في «الأصل»: وقال. والثبت من ه. 
2 في «الأصل»: نعلم. والثبت من ه. ن. 
3 من ه.
وهذا الحديث علم عظيم من أعلام البوابة، وذلك أن النبي - عليه السلام - عرف ما في نفس أبي هريرة، ولم يعلم ذلك أبو بكر ولا عمر. وفيه شرب العدد الكبير من اللبن القليل حتى شبعوا ببركة النبي. وفيه ما كان عليه السلام من إيثار البلغة وأخذ القوت في كرم نفسه وأنه لم يستأثر بشيء من الدنيا دون أمه.

وقوله: "اللهم ارزق آل محمد قوتا". فيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا. والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفير نعيم الآخرة، وإيثاراً لما يبقى على ما يغنى لتقدي بذلك أمته.

ويرغبوا فيما [رغب] (1) فيه نبينهم - عليه السلام.

وروي الطبري [باستشهادة] (2) عن ابن مسعود قال: حبذا الكروهان الموت والفقر، والله ما هو إلا الغنى والفقر وما أبالي بأيهما ابتليت، إن حتى الله في كل واحده منها واجب، إن كان الغنى فقيه التعطف، وإن كان الفقر ففيه الصبر، قال الطبري: فمحنة الصابر أشد من محنة الشاكر، وإن لنا شرفنا المنزلة، غير أنني أقول كما قال مطرفع بن عبد الله: "لأن أعافي فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فاصبر".

(1) في "الأصل": رغبوا، والى من "هد".
(2) في "الأصل": إستهده، والى من "هد".

وروي إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن محمد بن علي، عن أبيه، عن النبي - عليه السلام - قال: "من سره أن يكون حكيمًا فليقل طعنه، فإنه يغشي جوفه نور الحكمة". وقال مالك بن دينار: سمعت

- 177 -
عبد الله الرازي يقول: كان أهل العلم بالله والقبول عنه يقولون: [إن السلف في تخليلهم من الدنيا ما روي وكيع، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة] عن مسروق، عن عائشة قالت: قال أبو بكر في مرده الذي مات فيه: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت في الخلافة؛ فابعتوا به إلى الخليفة بعدي، فإني قد كنت أستحله، وقد كنت أصيب من الوذك نحراً مما كنت أصيب من التجارة. قالت عائشة: فلما مات نظرنا فإذا عبد نوبي يحمل صباهه وناضح كان يبني عليه، فبعثناه إلى عمر فأخبرني جدي أن عمر بكى وقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده.

والحبة والسمر: نوعان من الشجر أو النبات، عن أبي عبيد.

وقد تقدم الكلام في حديث سعد وما فيه في كتاب الأطعمة [في باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون وتدقّم فيه أيضًا الكلام في حديث عائشة وأنس وأبي هريرة مع الأحاديث المعارضة لها] (4).

* * *

باب: القصد والمداومة على العمل

فيه: عائشة: «سُنتّ أي العمل كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: الدائم. قيل: فأيّ حين كان يقوم؟ قالت: كان يقوم إذا سمع الصراخ».

وفيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام -: «لن ينجى [أحدًا]» (5).

(1) في الأصل: بل التشغيل، والمثبت من [هـ].
(2) في الأصل: ويغبر، والمثبت من [هـ].
(3) في الأصل: هـ: سفيان، وهو تحريف، والمثبت من تاريخ ابن ع사كر.
(4) من هـ.
(5) في الأصل: أحد، والمثبت من [هـ].
منحكم عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يغفدني الله برحمته، سأذّوا [وقاروا] (1)، واغذوا ورُوحوا، شيء من الدنجة، والقصد القصد تبلغوا.

وفيه: عائشة قال النبي - عليه السلام -: «سأذّوا وقاروا [واعلموا] (2) أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وإن أحب العمل إلى الله أذوه [وإن قل] (3).


وقال علقمة: «سألت عائشة كيف كان عمل النبي - عليه السلام - هل كان يخص من الأيام شيئاً؟ قالت: لا، كان عمله دبة، وأيكم يستطيع ما كان النبي يستطيع».

وفيه: أنس: «صلى لنا النبي - عليه السلام - يوما الصلاة، ثم رقي المئر فأشار بيده قبل القبلة المسجد، فقال: قد رأيت الآن منذ صليت لكم الصلاة الجنة والنار مماثلين فيما قبل هذا الجدار، فلم أر كاليوم في الخبر والشر مرتين».


فإن قال قال: إن قول عائشة: إن النبي لم يكن يختص شيئاً من الأيام بالعمل؛ يعارض قوله: «ما رأيت رسول الله أكثر صيامًا، منه في شعبان» قبل: لا تعارض بين شيء من ذلك، وذلك أنه كان كثير الأسفار في الجهاد، فلا تجد سبلا إلى صيام

(1) في «الأصل»: وقاروا. والثبوت من <هـ، ن>.
(2) في «الأصل»: واعلموا. وهو تخريف. والثبوت من <هـ، ن>.
(3) في «الأصل»: فإن قل. والثبوت من <هـ، ن>.
(4) في «الأصل»: فقال. والثبوت من <هـ، ن>.
(5) من <هـ>.
الثلاثة الأيام من كل شهر، فيجمعها في شعبان، ألا ترى قول عائشة: «كان يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم؟ فهذا بين أنه كان لا يخص شيئاً من الزمان، بل كان يوقع العبادة على قدر نشاطه، وفراغه لذلك من جهاده وأسفاره، فيقل مرةً ويكثرون أخرى، هذا قول المهلب، وقد قيل في معيّن كثرة صيامه في شعبان ووجه آخر ذكرتها في باب صوم شعبان في كتاب الصيام. 
إن كان قال: فما معنى ذكر حديث أنس في هذا الباب؟قيل: معناه أن يوجب ملازمة العمل وإدمانه ما مثل له من الجنة للرغبة، ومن النار للرهبة، فكان في ذلك فائدة: إحداهما: تنبية للناس أن يمثّلوناجهتنا والنار بين أعنتهم إذا وقعا بين يدي الله، كما مثّل الله لنبيه، وشغله بالفكرة فيها عن سائر الأنكار الحادثة عن تذكر الشيطان بما يسهمه حتى لا يدرى كم صلّى، والثانية: أن يكون الخوف من النار الممثّلة وربغة في الجنة نصب عينيّ المصلي فيكونوا باعتين له على الصبر، والصبرة على العمل المبلغ إلى رحمة الله والنجاة من النار برحمته.
إذا قال قائل: فإن قوله عليه السلام: «لم يدخل أحدكم عهم الجنة» يعارض قوله تعالى: «فكل ذلك الجنة التي أورثوها بما كنتم تعملون» (1)قيل: ليس كما توقعت، ومعنى الحديث غير معنى الآية، آخر النبي - عليه السلام - في الحديث أنه لا يستحق أحد دخول الجنة بعمله، وإما يدخلها العباد برحمة الله، وأخير الله تعالى في الآية أن الجنة تنال المنزل فيها بالأعمال، ومعلوم أن درجات العباد فيها متباينة على قدر تبان أعمالهم، فمعنى الآية في ارتفاع الدرجات وانخفاضها والتسيّب فيها، ومعنى الحديث في الدخول في الجنة والخلود فيها، فلا تعارض بين شيء من ذلك.

(1) الزخرف: 72. 

- 180 -
فإن قيل: فقد قال تعالى في سورة النحل: "سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون" (1) فأخبر أن دخلوا الجنة بالأعمال أيضًا. فالمجاب: أن قوله: "ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون" (1) كلام مجمل ببيته الحديث، وتقديره: ادخلوا منازل الجنة ویربويها بما كنتم تعملون، فآلام مفسرة إلى بيان الحديث، وللجميع بين الحديث وبين الآيات وجه آخر هو أن يكون الحديث [مفسرًا] (2) للآيات، ويكون تقدیرها: وتلك الجنة التي أورثوها بما كنتم تعملون (3) و"كلوا واشربو هنیئًا بما كنتم تعملون" (4) و"ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون" (1) مع رحمة الله لكم وتفضیلة علیكم. لأن فضلها تعالى ورحمته لعباده في اقتسام المنازل في الجنة، كما هو في دخول الجنة لا يتلف من، حين ألمهم إلى ما نالوا به ذلك، ولا يخلو شيء من مجازاة الله عباده من رحمة، وتفضیله، ألا ترى أن تعالى جامع على [الحسن] (5) عشرًا، وجامع على السيئة [واحدة] (6)، وإنما ابتدا عباده بنعيم لا تحسب، لم يتقود لهم فيها سبب ولاح فعل، ومنها أن خلقهم بشراً سوياً، ومنها نعمة الإسلام ونعمة العافية ونعمة تضمنه تعالى لارتقا عباده، وأنه كتب على نفسه الرحمة، وأن رحمةه سبت غضبه، إلى ما لا يهتدي إلى معرفة من ظاهر النعيم وباطنها.
وقوله: "إلا أن يتفقدني الله" قال أبو عبيد: لا أحسب يتغمدني إلا مأخوذ من غمد السيف، لأنك إذا غمدته فقد ألسته إياه وغشيته به.
وقول عائشة: "كان عمله ديبه" يعني دائمًا، وأصل [الديثة] (7):
المطر الدائم مع سكون، قال ليبد: 

(1) النحل: 27. (2) في الأصل: مفسر. والثبوت من " ه".
(3) الزخرف: 72. (4) الطور: 19.
(5) في "الأصل": الجنة. وهو تحرير، والثبوت من " ه".
(6) في "الأصل": الواحدة. والثبوت من " ه".
(7) في "الأصل": الدفم والثبوت من " ه".
باتت وأسسمل واکف من دممة
[بروي] (1) الخمائل، دائما تسجامها
فأخبر أن الديمة: الدائم، فشبت عاشقة عمله عليه السلام في
دوامه مع الاقتصاد وترك الغلو بديعة المطر.

**

باب: الصبر عن محارم الله

وقوله: "إذا يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب" (2) وقال
عمرو: وجدنا خير عيشنا الصبر

فيه: أبو سعيد: "أنا ناساً من الأنصار سألوا رسول الله، فلم يسأله
أحد إلا أعطاه حتى نفد ما عنده، فقال لهم: ما يكون عندي من خير لا
أرحم عنكم، وإنه من يستعفف بعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، ومن
يستغفر يغفره الله، ولن تعطوا عطاء خيرًا وأوعس من الصبر.

وفيه: المغيرة: "كان النبي - عليه السلام - يصلي حتى ترم أو تنفهم
قدماه، فقال له، فقل: أني أكون عبدًا شكورًا".

قال المؤلف: أرفع الصابرين منزلة عند الله من صبر عن محارم
الله، وصبر على العمل بطاعة الله، ومن فعل ذلك فهو من خالص
عباد الله وصفوه، ألا ترى قوله عليه السلام: "لن تعطوا عطاءً
خيرًا وأوعس من الصبر، وسئل الحسن عن قوله عليه السلام حين مثل
[المية] (3) فقال: "الصبر والسماح" فقيل للحسن: ما الصبر
والسماح؟ فقال: السماح بفرائض الله، والصبر عن محارم الله.

(1) في "الأصل": تذوي. والمثبت من "ه" انظر لسان العرب مادة: سجم.
(2) الزمر: 10.
(3) في "الأصل": الإثارة. والمثبت من "ه".
وقال الحسن: «وجدت الخير في صبر ساعة». وقال عليه السلام: «من يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصره الله، ومن يستغن بعنه الله معناه من يعفه الله يستعفف، ومن يصرف الله يتصبر، ومن يعفه الله يستغن، وهذا مثل قوله تعالى: "فأما من أعطى واتقن وصدق بالحسنى" (1) الآية. يبين صحة هذا قوله تعالى: "فلم تأت عليهم ليتوبوا" (2) فلولا ما سبق في علمه أنه قضى لهم بالتوية ما تابوا، وكذلك لولا ما سبق في علم الله أنهم ممن يستعفف ويستغنى ويصير ما قدروا على شيء من ذلك بفعلهم.

بين ذلك قوله عليه السلام: «اعملوا فكل / مبسوت لما خلق له» (3) في (الخطاب.

وهذا حجة في أن أفعال العباد خلق الله تعالى - والصير في حديث المغيرة صبر على العمل بطاعة الله، لأنه كان عليه السلام يصل إلى الليل حتى ترم قدمه، ويقول: «أفلا أكون عبدا شكورا».

قال الطبري: وقد اختلف السلف في حذ الشكر فقال بعضهم: [شكر] (3) عبد لربه على إبادته عنده رضاؤه بقضائه، وتسليمه لأمره فيما ناهه من خير أو شر، ذكره الربيع بن أنس عن بعض أصحابه. وقال آخرون: شكر العبد طاغته لربه، روي ذلك عن السدي وعن محمد ابن كعب. وقال آخرون: الشكر لله هو الإقرار بالنعم أنها منه، وأنه المتفضل بها، وقالوا الحمد والشكر يعني واحد روي ذلك عن ابن عباس وابن زيد.

قال الطبري: والصواب في ذلك أن شكر العبد هو إقرار بأن ذلك من الله دون غيره وإقرار الحقيقة الفعل، وصدقه العمل، فاما

(1) الليل : 5 - 6.
(2) التوبة : 118.
(3) في الأصل: «شكر» والثبوت من هن".
الإقرار الذي يكذبه العمل، فإن صاحبه لا يستحقو اسم الشاكرين بالإطلاق،
ولكنه يقال [شكر باللسان] (1) والدليل على صحة ذلك قوله تعالى:
"أعملوا آل داود شكرًا" (2) ومعلوم أنهم لم يأمرهم - إذ قال لهم ذلك -
بالإقرار بنعمه؛ لأنهم كانوا لا يجدون أن يكون ذلك تفضلاً من علىهم،
وإذا أمرهم بالشكر على نعمه بالطاعة له بالعمل، وكذلك قال عليه
السلام حين تنطرت قدماه في قيام الليل: "أنا أكون عبدًا شكرًا".
فإن قال قائل: فأيها المنزلتين أعلى درجةٍ: الصبر أو الشكر؟ قبل:
كل رفيع الدرجة شريف المنزلة، وما ذو العافية والرخاء كذي الفامة
والبلاء، وفي قوله تعالى: "إذا بوفى الصابرون أجرهم غير حساب" (3)، وخصوصه إياهم من الأجر على صبرهم دون سائر من
ضمن له ثوابًا على عمله ما يبين عن فضل الصبر.

وقد روى الأعمش، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول
الله ﷺ: "يوه أهل الفانية يوم القيامة أن جلودهم في الدنيا كانت
تقرض بالمقارض مما يرون من ثواب الله - تعالى - لأهل البلاء"
[وذكر] (4) ابن أبي الدنيا من حديث أم هانئ قالت: "دخل علي
رسول الله فقال: أمشري، فإن الله قد [أنزل] (5) لأمتي الخير كله،
قد أنزل ﷺ إن الحسنات يذهبن السيئات. قلت: بأبي وامي وما
الحسنات؟ (6) قال: الصلاوات الخمسم [دخل عليّ] (7) فقال:
أمشري فإنه قد أنزل خير لا شير بعده. قلت: بأبي وامي ما هو؟
قال: أنزل الله ﷺ من جاه بالحسنات فله عشر أمثالها. فقلت: يا رب
زو أمي، فأنزل الله - تعالى -: "مثل الذين ينفقون أموالهم في
سبيل الله كمثل حبة أثبتت سع سنابه في كل سبنة مثل حبة" (8).

قالت: يا رب، زد أمتي، فأنزل الله: { إنما يوفي الصابرون أجرهم } بغير حساب { (1) }.

***

باب حفظ اللسان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليقل خيراً أو ليصمت وقول Allah: { ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيق } { (2) }

فيه: سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: { من يضمن لي ما بين لحيته، وما بين رجليه، أضمن له الجنة }.

وفيه: أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: { من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت }، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا [يؤذى] { (3) } جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكفر ضيفه }.

ورواه أبو شريح عن النبي - عليه السلام -.

وفيه: أبو هريرة عن النبي - عليه السلام - قال: { إن العبد لينكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها إلا يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب }.

وفيه: أبو هريرة عن النبي - عليه السلام -: { إن العبد لينكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاحترام ؛ يرفعه الله بها درجات }، وإن العبد لينكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها إلا يهوي بها في نار جهنم }.

قال المؤلف: ما أحق من علم أن عليه حفظة موكيلين به، يحصون عليه سقط كلامه وعثرات لسانه، أن يحزنه ويقل كلمته فيما لا يعنيه،}

(1) الزمر : 10. (2) سورة ق : 18.
(3) في الأصل، هـ: يؤدي. والثبت من : ن.
وما أحوالاً بالسعي في أن لا يرفع عنه ما يطول عليه ندمه من قول الزور والخوض في البطل، وأن ياجاه نفسه في ذلك ويستعين بالله ويستعيد من شر لسانه، وقوله عليه السلام: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو [ليصمت ]" يعني من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو وسعته قوة إيمانه على محاسبة نفسه في الدنيا والجنة، عما يعود عليه ندماء يوم القيامة، وكان الحسن يقول: ابن آدم، نهارك ضيفك فأحسن إليه، فإني إن أحسن إليه أرضعت به، يحمدك، وإن أسأت إليه أخرج يدك.

وقال عمر بن عبد العزيز لرباح بن عبيد: بلغني أن الرجل ليظن بالمظلمة، فما زال المظلمون يشتم ظالمه حتى يستوفي حقه وفيض للظلم عليه. وروى أحمد عن الحسن البصري قال: لا يبلغ أحد حقيرة الإيمان حتى لا يعيب أحداً بعيب هو فيه، وحتى يتبدى بصلاح ذلك العيب من نفسه، فإنه إن فعل ذلك لم يصلح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر، فبتبعه له أن يصحبه، فإذا كان المرء كذلك كان شغله في خاصته واجبًا، وأحب العباد إلى الله من كان كذلك.

وقوله: "من فمن لي ما بين له بيه" يعني لسانه فلم يتكلم بما يكتبه عليه صاحب الشمال "وما بين رجله" يعني فرجه فلم يستعمله فيما لا يحل له "يضمن له الجنة". ودل بهذا الحديث أن أعظم البلاء على العبد في الدنيا اللسان والفرق، فمن وقى شرهما فقد وقي أعظم الشر، إلا أقوى قوله عليه السلام: "إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يبقى لها بالازن بها في النار أبعد مما بين الشرق والمغرب".

وقال أهل العلم: هي الكلمة عند السلطان بالبغي والسعي على

(1) في "الأصل": يصح وimitت من "هـ".
المسلم، فربما كانت سببًا لهلاكه، وإن لم يرد ذلك الباغي، لكنها آلت إلى هلاكه، فكتب عليه إثم ذلك، والكلمة التي يكتب الله [له(1)] بها رضوانه الكلمة يريد بها وجه الله بين أهل الباطل، أو الكلمة يدفع بها مظلمة عن أخيه المسلم، ويرفع عنه بها كرية من كرب الدنيا، فإن الله تعالى يفرح عنه كرية من كرب الآخرة، ويرفعه بها درجات يوم القيامة.

* * *

باب: البكاء من خشية الله

فيه: أبو هريرة عن النبي - عليه السلام - قال: «سبعة يظلهم الله في ظله رجل ذكر الله فقامت عيناه...» الحديث.

قال المؤلف: قد تقدم الكلام في هذا الحديث في كتاب المحاربين في باب فضل من ترك الفواحش، ونذكر في هذا الباب ما روي في البكاء من خشية الله - تعالى - عن الأنبياء - عليهم السلام - وعن السلف أيضًا، روى أسد بن موسى، عن عمران بن زيد، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: «أيها الناس، ابكونا، فإن لم تبكونا فذبحوا، فإن أهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجههم كأنها جداول، ثم تنقطع الدموع وتتسيل الدماء فترحق العيون، فلو أن السفن أجريت فيها لجرت» وكان إذا قام إلى الصلاة سمع جوفه أزيز كأنيز المرح من البكاء، وهذه كانت سيرة الأنبياء والصالحين، كان خوف الله أشرب قلوبهم واستولى عليهم الرجل حتى كانهم عاينوا الحساب، وعن يزيد

(1) من هـ.
الرقاشي قال: يا لهفاه سبقيني العابدون، وقطع بي نوح، يبيكي على خطيته، ويزيد لا يبيكي على خطيته، إنما سميّت [نوحًا] لطول ما ناح على نفسه في الدنيا.

وذكر ابن المبارك عن ماجد قال: كان طعام يحيى بن زكريا العشب، وكان يبيكي من خشية الله، ما لو كان القار على عينيه [طرقه] (2) ولقد كانت الدموع اتخذت في وجهه مجرى.

وقال ابن عباس: قال النبي - عليه السلام - : «كان ما ناحي الله موسى أنه لم يتبع العابدون بمثل البكاء من خيفتي، أما البكاءون من خيفتي فلهم الرفقة لا يشاركون فيه».

وعن وهيب بن الورد أن زكريا [قال] (3) ليحيى ابنه شيئاً فقال له: يا أبي، إن جبريل أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء.

وقال الحسن: أوحى الله إلى عيسى بن مريم آكحل عينيك بالبكاء إذا رأيت البطلين يضحكون.

و عن وهيب بن متيه عن النبي - عليه السلام - قال: «لم يزل أخي داود باكيا على خطيته (مدة) (4) حياته كلها، وكان يلبس الصوف ويفترس الشجر ويصوم يومًا ويفطر يومًا، ويأكل خز الشعير بالملح والرماد، ويُمزج شرابه بالدموع، ولم ير ضاحكا بعد الخطبة، ولا شاحصًا بصبه إلى السماء حياً من ربه وهذا بعد المغفرة، وكان إذا ذكر خطبةه خر مغشيًا عليه [يضترب] (2) كأنه أعجب به، فقال: وهذه خطبة أخرى».

وروى عن محمد بن كعب في قوله تعالى: { وإن له عندنا لزلفي

(1) في {الأصل} : نوح، والبت من {هـ}.
(2) من {هـ}.
(3) في {الأصل} : كان، والبت من {هـ}.
(4) في {هـ} : أيام.
حسن مالك (1) قال: الزلفى: أول من يشرب من الكأس (2)

يوم القيامة داود وابنه.

قال بعض الناس: أرى هذه الخاصة لشربه دموعه من [خشية] [3]

الله - عز وجل - وكان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر بكى حتى يلب له، فقال له: قد تذكر الجنة والنار ولا بكى وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال لي:  "إن القبر أول منزلة من منزلات الآخرة، فمن نجا منه فإنه بعدله أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده. أشده منه".

وقال أبو رجاء: رآيت مجري الدموع من ابن عباس كالشراك البالي من البكاء.

****

باب: الخوف من الله

فيه: حديث وأبو سعيد عن النبي - عليه السلام - قال: "كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله، فقال لأهله: إذا أنا مت فخذوني فذرون في البحر في يوم صافف. فعلموه به، فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: مخافتي. فغفر له".

وقال أبو سعيد في حديثه: "أنه لم يبتكر عند الله خيرا - فسرا قناته.

لم يدخر - وإن يقدم على الله يذبه، فانظروا فإذا تفاحوني، حتى إذا صرت نحضاً فاشهكوني - أو قال فاشهكوني - ثم إذا كان ربح عافيس، فأذرونني فيها، فأخذ موائمههم على ذلك، وربي ففعلوا.

(1) سورة ص: 25, 40.
(2) ورد في "الأصل" كلمة "الي" و"وكنها مقحمة".
(3) في "الأصل": الجحب. والثبت من "ه".
قال الله تعالى: كن. فإذا رجل قائم. قال الله تعالى: أي عبدي، ما حملك على ما فعلت؟ قال: مكافتك أو فرق منك. فما تلافاه أن رحمه.

قال المؤلف: [ذكر البخاري] (1) في باب ما ذكر عن النبي ﷺ.

قال المؤلف: [فعفر] (2) الله له بشدة مخافته، وأقرب الوسائل إلى الله خوفه وألا يأمن المؤمن مكره، قال خالد الربعي: وجدت نافحة زبير داود: رأس الحكمه خشية الرحب. وكان السلف الصالح قد أشرب الخوف من الله قلوبهم واستقلوا أعمالهم [ويخافون] (3) إلا يقبل منهم مع مجابتهم الكبائر، فروي عن عائشة: أنها سألت النبي ﷺ عليه السلام - عن قوله تعالى: وَالذِّينَ يَؤتُونَ ما آتَوا وقلوبهم وجلة (4) قال: يا ابنة الصديق، هم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون، ويخافون ألا يقبل منهم.

وقال مطرف بن عبد الله: كاد خوف النار يحول بيني وبين أن أسأل الله الجنة. وقال بكر: لما نظر إلى أهل عرفات - ظننت أنه قد غفر لهم لولا أنى كنت معهم.

فهذه صفة العلماء بالله الخاتمين له، يعدون أنفسهم من الظالمين الخاطئين، وهم أنزى برآء أو مع المقصرين، وهم آياس مجتهدون لا يدلون عليه بالأعمال فهم مروعون خاشعون وجلون

---

(1) في "الأصل": يغفر.
(2) من هـ.
(3) في "الأصل": يخافون. والثابت من "هـ.
(4) المؤمنون: 60.
وقال عبد الله بن مسعود: ودعت أبي [ انفلقت ] (١) عن رؤية لا أنسب إلا إليها، فقال: عبد الله بن رؤية، وأن الله قد غفر لي ذنبًا واحدًا.

وقال الحسن البصري: يخرج من النار رجل بعد ألف عام، وليتني كنت ذلك الرجل، لقد شهدت أقوامًا كانوا أزهد فيما أحل لهم منكم فيما حرم عليكم، ولهم كانوا أبصروا بقلوبهم منكم بأبصركم، ولهم كانوا أشفق أن لا تقبل حسانتهم منكم إلا تؤخذوا بسيئاتها.

وقال حكيم من الحكماء: إذا أردت أن تعلم قدرك عند الله فاعلم قدر طاعة الله في قلبك. وقال ميمون بن مهران: ما [ فينا ] (٢) خير إلا أنا نظرونا إلى قوم ركبوا الجرائم وعففنا عنها، فظنتنا أن فينا خيرا وليس فينا خيرًا. فإن قال قائل: كيف غفر [ لهذا ] (٣) الذي أوصى أهله بإحرامه وقد جهل قدرة الله على إجائه، وذلك أنه قال: "إن يقدر علي الله يعذبني" وقال في رواية أخرى: "فوالله لن يقدر الله علي ليعذبني".

قال الطبري: قيل: قد اختلف الناس في تأويل هذا الحديث، فقال بعضهم: أما ما كان من عفو الله عما كان منه في أيام صحته من المعاصي، فلمده عليها وتوبته منها عند [ موته ] (٤)، ولذلك أمر ولده بإحرامه ( وذروه ) (٥) في البر والبحر خشية من عقاب ربه.

(١) في الأصل: تعلقت. والثبت من "هد.
(٢) في الأصل: متا. والثبت من "هـ.
(٣) في الأصل: إلى هذا. والثبت من "هـ.
(٤) في الأصل: توت. والثبت من "هـ.
(٥) في الأصل: وتذرير.
والندم توبة، ومعنى رواية من روئ: "فوالله لنن قدر الله عليه" أي إن ضيق عليه، كقوله: "ومن قدر عليه رزقه" (1) وقوله: "وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه" (2) لم يرد بذلك وصف بارز بالعجز عن إعداده حياء، ويبين ذلك قوله في الحديث حين أحياء ربه: "قال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخالفتك يا رب!". ولهذا 않았ويا نجا من عذابه عز وجل.

وقال آخرون في معنى قوله: "لعن قدر الله علي" : معناه القدرة التي هي خلاف العجز، وكان عنده أنه إذا أحرق وذرء في البر والبحر أعجز ربه عن إجابة، قالوا: وإنما غفر له جهله بالقدرة؟! لأنه لم يكن تقدم من الله - تعالى - في ذلك الزمان بأنه لا يغفر الشرك به، وليس في العقل دليل على أن ذلك غير جائر في حكمة الله، بل الدليل فيه على أنه ذو الفضل والإحسان والعفو عن أهل الآثام، وإنا نقول: لا يجوز أن يغفر الشرك بعد قوله تعالى: "إن الله لا يغفر أن يشرك به" (3) فأما جوان غفران الله ذلك لولا الخبر في كتابه فهو كان [الأولى] (4) بفضله والأشياء بإحسانه: [لأنه] (5) لا يضره كفر كافر، ولا ينفعه إيمان مؤمن.

وقال آخرون: إن غفر له وإن كان كفرًا من قوله، من أجل أنه قاله على جهله بخطته، فظن أن ذلك صواب، فقالوا: وغير جائز في عدل الله وحكمته أن يسوي بين من أخطأ وهو يقصد الصواب، وبين من تعمد الخطأ والعناد للحق في العقاب.

وقال آخرون: إنما غفر له، وإن كان كفرًا من قصد قوله وهو يعقل.

(1) الأطلق: 7. (2) الفجر: 16. (3) النساء: 48.
(4) في "الأصل": أولاً، والمنبت من "ه".
(5) في "الأصل": أنه، والمنبت من "ه".
ما يقول ؛ لأنه قاله وهو لا يعقل ما يقول . وغير جائز وصف من نطق بكلمة كفر وهو لا يعلمها كفرًا بالكرف ، وهذا قاله وقد غلب على فهمه من الجزع الذي كان لهقه [ خووه ] (1) من عذاب الله تعالى - [وهذا] (1) نظير الخبر الذي روي عن النبي - عليه السلام - في الذي يدخل الجنية آخر من يدخلها فيقال له : " إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها " فيقول للفرح الذي يدخله : " يا رب أنت عزيز وآنا ربك مرتين " قالوا فهذا القول لقوة على فهم منه بما يقول كفرًا ، وإذًا لم يكن منه كفرًا لأنه قاله وقد استظهفه الفرح مريداً به أن يقول : أنت ربي وأنا عبدك ، فلما يكن مأخذًا بما قال من ذلك .

ويشهد لصحة هذا المعني قوله تعالى : " وليس عليكم جناح فيما أخطأتكم به ولكن ما تعمدت قلوبكم " (2).

قال المؤلف : وأذكر كلام الأشعري ومذهبه في هذا الحديث في كتاب الاعتصام في باب قوله تعالى : " يريدون أن يبدلوا كلام الله " (3) فهو حديث أكثر الناس فيه القول ، إن شاء الله .


* * *

(1) من "ه" .
(2) الأحزاب : 5 .
(3) الفتح : 15 .
باب: الانتهاء عن المعاصي

 فيه : أبو موسى : قال النبي - عليه السلام - : "مثلي ومثل ما بعثتي
الله به كمثل رجل آتي قومًا فقال : رأيت الجيش بعيني وأنا النذير
العربان، فالنذاء النجاء، فأطعه قوم فأدخلوا على مهلهم فنجوا
وكتبته طائفة فصيحهم الجيش فاجتاحهم".

وفيه : أبو هريرة قال النبي - عليه السلام - : "مثلي ومثل الناس
كمثل رجل استوى نارًا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه
الدواب التي تقع في النار يقن (فيها) (1) وجعل [ ينزعهن ] (2)
ويغلبه فيقتحمن فيها، فأناه أخذ بحجز كم عن النار (وهم
يقتحمون) (3) فيها".

وفيه : عبد الله بن عمرو : قال النبي ﷺ: "المسلم من سلم المسلمين
من لسانه ويده، والجهاد من هجر ما نهى الله عنه".

قال المؤلف: هذه أمثال ضربها النبي - عليه السلام - لامته ليثيهم
هبها على استشعار الحذر، خوف التورط في محارم الله والوقوع في
معاصيه، ومثل له ذلك بما عابنه وشاهدوه من أمور الدنيا، ليقرب
ذلك من أفهامهم، ويكون أبلغ في موظفهم، فمثل عليه السلام
اتبع الشهادات المؤدية إلى النار بوقوع الفراش [ في النار، لأن
الفراش] (4) من شأنه [ اتباع ] (5) ضوء النار حتى يقع فيها، فكذلك
متبع شهوته يثول به ذلك إلى العذاب، وشبه جهل راكب الشهوات
بجهل الفراش، لأنها لا تظن أن النار تحرقها حتى تفتحم فيها

والنذير العربية: رجل من خثمم حمل عليه يوم ذي الخنثة فقطع

(1) من "هـ، ن".
(2) في "الأصل" ينزعهن، والثبت من "هـ، ن".
(3) في "هـ"อำนาจ تفتحمون.
(4) من "هـ".
يده ويد امرأته، فرجع إلى قومه، فضرب عليه السلام المثل لأمه فلأنه تجاوز لإذنارهم، لما يصير إليه من عبده من كرامة الله، وربما يصير إليه من عصمه من نقمته وعذابه؛ تجرد من رأى من الحقيقة ما رأى النذير العريان الذي قطعت يده ويد امرأته، حتى ضرب به المثل في تحقيق الخبر.

وقوله: "المهاجر من هجر ما نهى الله عنه" يعني المهاجر التام الهجرة من هجر المحارم، كما قال عليه السلام أن جهاد النفس أكبر من جهاد العدو.

* * *

باب: قول النبي - عليه السلام - لو تعلمون ما أعلم لضحكم قليلا

فيه: أبو هريرة وأنس عن النبي - عليه السلام - قال: "لو تعلمون ما أعلم لضحكم قليلا وليكتم كثيرا".

قال المؤلف: روى سيد، عن هشيم، عن كوث بن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر قال: "خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، فإذا قوم يتحدثون وضحكون، قال: أكثروا ذكر الموت، أما والذي نفسي بيد له تعلمون ما أعلم لضحكم قليلا وليكتم كثيرا".

وخصية الله إنا تكون على مقدار العلم به، كما قال تعالى: "إنا بخشى الله من عبادة العلماء" (1) ولما لم يعلم أحد كعلم النبي - عليه السلام - لم يخش كخشتيه، فمن نور الله [قلبه] (2) وكشف الغطاء عن بصيرته، وعلم ما حباب الله من النعم، وما يجب عليه من الطاعة والشكر، وأفكر فيما يستقبل من أهوال يوم القيامة.

(1) فاطر: 190.
(2) في "الأصل": على والثابت من هـ.
وما يلفظ العباد في تلك المواقف من الشدائ، وما يعانيوه من مسالة الله عياده عن مثاقيل الذر، وعن الفتيل والقطمير كان حقيقًا بكثرة الحزن وطول البكاء، ولهذا قال أبو ذر: لو تعلمون العلم ما ساج لكم طعام ولا شراب، ولا تفتم على الفرش، [ولاجنبكم] (1) النساء، وخرجتم إلى الصعدات [تجارون] (2) وتبكون.


وقال الحسن: يحق لمن عرف أن الموت مورده والقيامة موعده.

وقال الوقوف بين يدي الله مشهد، أن يطول في الدنيا حزنه.

وقد سفيان في قوله تعالى: (5) وكانوا لنا خاصعين (6): قال:

الحزن الدائم في القلب، وقال: إذا الحزن على قدر البصر. وقال بعضهم: الحزن والخشية (6) (5) مواريث القلوب التي تنازل بها قبلها من الأعمال، فمن رام أن يقيم فرضه تمامًا [فيصلي] (7) الله بكمال الصلاة، وصوم بكمال الصيام، و يؤدي كذلك سائر الفترات، ويقوم بالحق على نفسه وأهله ومن يسأل عنه في مداخته ومخلاله، ويقيم ما أمر به في لسانه وسمعه وبصره، وجميع

(1) في الأصل: ولا جالسم. والثبت من ه"م.
(2) في الأصل: نجرون. والثبت من ه"م. (3) من ف"م.
(4) الأنيس: 90. (5) في الأصل: فيصلي. والثبت من ه"م.
(6) في الأصل: فهم يضحأ. والثبت من ه"م.

- 192 -
جوارحه حتى يدخل في قوله تعالى: "إن الذين قالوا ربا الله ثم استقاموا" (1) وجد نفسه عن ذلك عجزاً مقصراً، فإذا رأى ذلك بعين جليلة وعلم قرب أجله وعظم خطبه، وأن الوقوف بين يدي الله من ورائه حزن على نفسه، بتخلله [ عن ] (2) السابقة التي يسمعها لغيره، ووجب عليه الجد في أمره واستجواب موعود الله بالاعتصام به، قال تعالى: "إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعونا رغبة ورهبًا وكانوا لنا خاشعين" (3) .


وقد تقدم في كتاب الإيمان في باب: خوف المؤمن أن يحبط عمله ولا يشعر ما يشبه هذا المعنى.

* * *

باب: حجبت النار بالشهوات

فيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام -: "حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالتكاره".

وفيه: ابن مسعود قال النبي - عليه السلام -: "الجنة أقرب إلى أحدكم من شراكته، والنار [ مثل ] (6) ذلك ".

وفيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام -: "أصدق كلمة قالها الشاعر: ألا كل شيء ما خلا الله باطل".

(1) فصلت 30 من هـ.
(2) الأبياء : 30 في الأصل : عبيد، والثبت من هـ.
(3) في الأصل : خيراً، والثبت من هـ.
(4) في الأصل : مثل، والثبت من هـ.
(5) في الأصل : خيراً، والثبت من هـ.
(6) في الأصل : مثل، والثبت من هـ. ن
قال المؤلف: قوله عليه السلام: "حجب النار بالشهوات والجنة بالمكاره، من جوامع الكلام وبديع البلاغة في ذم الشهوات والنهي عنها، والحض على طاعة الله، وإن كرهتها النفوس وشق عليه؛ لأنه إذا لم يكن يوم القيامة غير الجنة والنار ولم يكن بد من المصير إلى [إحدهما] (1) فواجب على المؤمنين السعي فيما يدخل إلى الجنة (وينقذ) (2) من النار، وإن شق ذلك عليهم؛ لأن الصبر على النار أشد، فخرج هذا الخطاب منه عليه السلام بلفظ الخير وهو من باب النهي والأمر.

وقوله: "الجنة أقرب إلى أهديكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك ردبل وحش أن الطاعات الموصلة إلى الجنة والمعاصي المقربة من النار قد تكون في أيسر الأشياء، إلا ترى قوله عليه السلام: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاءه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا، يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاءه". فينبغي للمؤمن أن لا ينده في قليل من الخير يأتيه، ولا يستقل قليلاً من الشر يجتهي فيه حسناً، وهو عند الله عظيم، فإن المؤمن لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها، ولا يعلم السيئة التي يسخط الله عليها بها، وقد قال الحسن البصري: من تقبلت منه حسنة واحدة دخل الجنة.

وقوله عليه السلام: "أصدق كلمة قالها الشاعر: ألا كل ما خلا الله باطل فامراد به الخصوص، لأن كل ما قرب من الله فليس باطل، وإنما أراد أن كل شيء من أمور الدنيا التي لا تؤول إلى طاعة الله، ولا تقرب منه فهي باطل.

(1) في "الأصل": أقدمها. والثبت من "هـ، ن".
(2) في "هـ": وبعد.
باب : لينظر إلى من هو أسفل منه
فيه : أبو هريرة قال النبي - عليه السلام - : "إذا نظر أحدهم إلى من فضل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه".
قال الطبري : وهذا حديث جامع لمعاني الخير، وذلك أن العبد لا يكون بحال من عبادة ربه مجهدًا فيها؛ إلا وجد من هو فوقه في ذلك، فلابد طلب نفسه باللحاق بن هو فوقه استقصر حاله التي هو عليها، فهو أبدا في زيادة تقربه من ربه، ولا يكون على حالة خسيسة من ديناه إلا وجد من أهلها من هو أحسن منه حالًا، فإذا تأمل ذلك وتفكر، وتبين نعم الله عليه؛ علم أنها وصلت إليه ولم تصل إلى كثير من خلقه، فضل الله بها من غير أمر أووجب ذلك له على خالقه، الزن نفسه من الشكر عليها أن وفق لها ما عظم به اغتباطه في معاده.

* * *

باب : من هم بحسنات أو سيئة
فيه : ابن عباس قال النبي - عليه السلام - : "إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن حسنة فلم يعملها [كتب] (1) الله عند حسناته كاملة، وإنهم بها عملوها كتبها الله عند عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومنهم سيئة فلم يعملوها كتبها الله له عند حسناته كاملة، فإنهم بها فعلوها كتبها الله لسبيئة واحدة".


(1) من "كتبها". (2) من "ه".

- 199 -
كتبت سبعة واحدة، وإن عمل الحسنة كتبت عشرًا، ولولا هذا التفضل العظيم لم يدخل أحد الجنة، لأن السينات من العباد أكثر من الحسنات، فلطف الله بهم، وإن ضاعف لهم الحسنات، ولم يضعف عليهم، وإنما جعل الهموم بالحسنة حسنة، لأن الهموم بالخير هو فعل القلب بعده النية على ذلك.

فإن قيل: فكان ينبغي على هذا القول أن يكتب له هم بالشر، ولم يعمله سبيئة؟ لأن الهموم بالشر عمل من أعمال القلب للشر. قيل: ليس كما تفهمت، وإن كف عن فعل الشر فقد نسخ اعتقاده للسبيئة باعتقاد آخر نوى به الخير وعصى هواء المريض للشر. فذلك عمل للقلب من أعمال الخير، فجوعي على ذلك بحسنة، وهذا كقوله عليه السلام: "على كل مسلم صدقة. قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: يسكع عن الشر فإنه صدقة." ذكره في كتاب الأدب في باب كل معروف صدقة.

وحدث ابن عباس عن نبوءة الخصوص لم هم سبيئة، فتركها لوجه الله تعالى، وأما من تركها مكرهاً على تركها بأن يحال بنيه وبينها، فلا تكتب له حسنة ولا يدخل في معنى الحديث.

قال الطبري: وفي هذا الحديث صحيح مسألة من يقول: إن الحفظة تكتب ما يهم به العباد من حسنة أو سبيئة وتعلم اعتقاده لذلك، ورَدّ مسألة من زعم أن الحفظة، إنما تكتب ما ظهر من عمل العباد وسمع، واحتجوا بما روى ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن كثير ابن الحارث، عن القاسم مولى معاوية، عن عائشة زوج النبي، وقالت: "لا أن ذكر الله - تعالى - في نفسي أحب إلي من أن أذكره."
بلساني سبعين مرة، وذلك لأن ملكًا لا يكتبها، وبشرًا لا يسمعها، والصواب في ذلك ما صح به الحديث عنه عليه السلام في'al: "من هم بحسن رأسلام، فعملها كتب له حسنة" والهم بالحسن إذا هو فعل العبد بقلبه، دون سائر الجوارح، كذكر الله بقلبه، فمفعله الذي به يصل الملكان الموكلان بالعبد إلى عالم ما يهم به بقلبه، ويجوز أن يكون جعل الله [به] (1) يصل إلى عالم ذكر به بقلبه، ويجوز أن يكون جعل الله [لهما] (2) إلى عالم ذلك سبيلًا كما جعل لكل من أبنائه سبيل إلى كثير من عالم الغيب، وقد أخبر الله عن عيسى ابن مريم أنه قال لبني إسرائيل: «أثبتكم بما تأكلون وما تدخلون في بيتكم» (3) وقد أخبر نبينا عليه السلام بكثير من عالم الغيب، قالوا: فغير مستنكر أن يكون الكاتبان الموكلان بابن آدم، قد جعل لهما سبيلًا إلى عالم ما في قلوب بني آدم من خير أو شر، فكتبانه إذا حدث به نفسه أو عزم عليه.

وقد قيل: إن ذلك بريح يظهر لهما من القلب، مثل أبو معشر، عن الرجل يذكر الله بقلبه، كيف يكتب الملك؟ قال: يجد الريح، وسأذكر اختلاف السلف في أي الذكرين أعظم ثوابًا الذكر الذي هو بالقلب أو الذكر الذي هو باللسان عند قوله عليه السلام عن الله - تعالى - : "( وإن ) (4) ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي" في باب قوله تعالى: "ويحذركم الله نفسه" (5) في كتاب الاعتصام.

* * *

(1) من هو. (2) في الأصل: لها، والثابت من هم. (3) آي عمرا: 49. (4) في هو: إذا. (5) آي عمرا: 28، 30. 201
باب: ما يتقى من محقرات الذنوب


قال المؤلف: إنما كانوا يعدون الصغائر من الموبقات لشدة خشيتهم لله، وإن لم تكن لهم كبار، ألا ترى أن إبراهيم ﷺ إذا سئل الشفاعة يوم القيامة يذكر ذنه، وأنه كذب ثلاث كذبات، وهي قوله في زوجته: هذه أختي. وهي أخته في الدين، وقوله: إني سقيم، أي: سأسقم، وقوله: ففعلهم كبيره هذا. يعني الصنم، فرأى ذلك عليه السلام من الذنوب، وإن كان لقوله وجه صحيح، فلم يقع من نفسه إلا بظاهر يطارب الباطن، وهذا غاية الخوف.

والمحرقات إذا كثرت صارت كبار بالإصرار عليها والتمادي فيها، وقد روى ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسامة أبي [ عمران ] (3) أنه سمع أبا أيوب يقول: إن الرجل ليعمل الخسنة فينقض بها وغياب المحرقات، فلتبقي الله يوم القيامة وقد أحاده به خطيته، وإن الرجل ليعمل السيئة، فما يزال منها مشبقًا حذرًا حتى يلقى الله يوم القيامة آمنًا.

وذكر أسد بن موسى عن ابن مسعود قال: إياكم ومحرقات الذنوب، فإنها تجمع حتى تهلك صاحبها، وإن رسول الله ﷺ قد ضرب لنا مثلًا كما ركب نزلوا بأرض فلاة، فلم يجدوا فيها حطبًا، فانطلق كل واحد منهم، فجاء يعدون حتى اجتمعت أعداء

(1) في: الأصل: لتعدها. والثبث من: هـ، ن.
(2) في: الأصل: أبو عبد الله. والثبث من: هـ، ن.
(3) في: الأصل: عمران. والثبث من: هـ.

- ٢٠٢ -
فأوقدهم نارًا أنجبت ما جعل فيها، ورؤاه سهل بن سعد عن النبي - عليه السلام - وقال أبو عبد الرحمن الحبلي: مثل الذي يجتنب الكبار ويعيق في المحرقات، كرجل لقاء سبع فاتقاه حتى نجا منه، ثم لقيه فهل فاتقاه فنجا منه، فلدغته جلداً فأوجعته، ثم أخرى، ثم أخرى حتى اجتمع عليه قصره، وكذلك الذي يجتنب الكبار ويعيق في المحرقات. وقال أبو بكر الصديق: إن الله يغفر الكبار فلا يشر، ويعدب على الصغار فلا تغتروا.

باب: الأعمال بالخواتيم وما يخف منها
فيه: سهل: «نظر النبي إلى رجل يقاتل المشركين - وكان من أعظم الناس غناء عنهم - فقال: من أحب أن ننظر إلى رجل من أهل النار فلبنظر إلى هذا، فتبعه رجل، فلم يزل علي ذلك حتى جرح فاستعمل الموت، فقال بذابة سيده فوضعه بين ثديه فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه، فقال النبي - عليه السلام - إن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار، وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بالخواتيم».

قال المؤلف: فإن تغييب الله عن عباده خواتيم أعمالهم حكمة بالغة وتدير لطيف، وذلك أنه لو علم أحد خاتمة عمله لدخل الإعجاب والكلس من علم أنه يختم له بالإيمان، ومن علم أنه يختم له بالكفر يزداد غيبة [وطاغيًا] (1) وكفرًا فاستائر الله - تعالى - [بعلم] (1) ذلك ليكونعباد بين خوف ورجاء، فلا يعجب المطيع الله بعمله ولا

(1) من «هـ».
بيأس العاصي من رحمته، يقع الكل تحت الذل والخضوع لله والانتقار إليه، وقال حفص بن حميد: قلت لابن المبارك: رأيت رجلاً قاتل رجلاً، فوقع في نفسي أني أفضل منه. فقال عبد الله: امنك على نفسك أشد من ذنبه.

قال الطبري: ومنعى قوله: إن أنه على نفسه أنه من الناجين عند الله من عقابه أشد من ذنب القاتل؛ لأنه لا يدري إلى ما يؤول إليه أمره وعلى ما يموت، ولا يعلم أيضًا حال القاتل إلى ما يصير إليه، لعله ينوب فيموت تأبًا فيصير إلى عفو الله، وتصير أنت إلى عذابه لتغير حالك من الإيمان بالله إلى الشرك به، فالمؤمن في حال إيمانه وإن كان عاملًا بأنه محسن فيه، غير عالم على ما هو مبت عليه، وإلى ما هو صائر إليه، فغير جائز أن يقضي لنفسه، وإن كان محسنًا بالهسي.

عند الله، ولغيره وإن كان مسيبًا بالسوء، وعلى هذا مرضى خيار السلف.

* * *

باب: العزلة راحة من خلطاء السوء


وفيه: أبو سعيد: قال النبي ﷺ: يأتي على الناس زمان خير مال السلام الغنم، يتعقبها شعف الجبال ومواقع القطر، يبر بدينه من الفتن.

فيه أن اعتزال الناس عند ظهور الفتنة والهرب عنهم أسلم للدين من مخالطتهم، ذكر علي بن معبد، عن الحسين بن واقف قال: قال
النبي - عليه السلام - : « إذا كنت ستة ثمانين ومائة فقد أحلمت لأمتي العزية والعزلة والترهب في رؤوس الجبال ».

وذكر علي بن معبد عن [عبد الله بن المبارك] (1) عن مبارك بن فضالة، عن الحسن يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: « يأتي على الناس زمان لا يسلم لدي دين دينه، إلا من فر بدن من شاهق إلى شاهق وحجر إلى حجر، فإذا كان (كذلك) (2) لم تنقل المعصية إلا بعصفية الله، فإذا كان (كذلك) (2) حلت العزلة، قالوا: يا رسول الله، كيف تحل العزلة وأنت تأدرنا بالتزويج؟ قال: إذا كان (كذلك) (2) كان هناك الرجل على يدي أبيه، فإن لم يكن له أبوان كان هناك على يدي زوجته، فإن لم تكون له زوجة كان هناك على يدي ولده، فإن لم يكن له ولد كان هناك على يدي القرابات والجيران. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يعيرونه بضيق المعصية ويكلفونه ما لا يطيق، فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها».

وقال صاحب العين: شعف الجبال: روسها، وكذلك شعف الأثني، وشعفة كل شيء: أعلاه، ومواقع القطر: بطن الأردية، [والشعب] (3) ما انجر بين جبلين، عن صاحب العين.

***

باب: رفع الأمانة

فيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام -: « إذا ضعفت الأمانة فانتظر الساعة. قال:»

(1) في الأصل: علي بن المبارك. والثبت من هـ.
(2) في الأصل: ذلك. والثبت من هـ.
(3) في الأصل: والشعفة. والثبت من هـ.

- 205 -
كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله
فانتظر الساعة.

وفي حديثه قال: حدثنا سعد بن أبي وقاص، أخبرنا
وأنا أنس، يحيى بن عبد المطلب أنهما نزلت في جذر قلوب الرجال
وعلموا أنها تتضاعف في أصلها، ثم علموا أن أنس، ووردت
الساعة فانتظر الأشقاء من قلبه، فظلال أثرها مثل أثر [الوقت].

ثم يقلك النوبة فتبين في منتهى أثرها مثل الجمل كجمر دحرجها على
رجلك فنقطر فترا من أخطاء وليست فيه شيء، فتصبح الناس يتلاقونه، ولا
يركز أحد يؤدي الأمانة فيقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، ويقال
للمتطرف ما أعقله وما أظفره [وما أجلده] وما في قلبه مثقال حبة من
خردل من إيمان...

الحديث.

وفيه: ابن عمر، أن النبي - عليه السلام - قال: إن الناس كأب مائة
لا تكاد تجده فيها راحة.

قال المؤلف: حدث أبي هريرة وحذيفة من أعلام النبوة، لأنه عليه
السلام ذكر فيما فضل أديان الناس وتغير أماناتهم، وقد ظهر كثير من
ذلك.

وقوله: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" هو كلام مجمل أحب
الأعرابي السائر النبي - عليه السلام - شرحه له فقال له: كيف
إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله. فأجابه
عليه السلام بجواب عام دخل فيه تضيع الأمانة، وما كان في معناها
بما لا يجري على طريق الحق، كاختذا العلماء

(1) في ظل، ه: الكوكب، والثبت من ظل، (2) من ه: ن.

وروى يونس بن يزيد، عن الزهري، عن الصابحي، عن حذيفة قال: لننتظر عرٍّ الإسلام عروة عروة، وكونن أول نقضه الخشوع.

وقد تقدم [ معنى حديث حذيفة وما فيه من غرائب اللغة في باب إذا بقي في حثالة من الناس ] (2) في كتاب الفتن.

وقوله: « الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة » يريد عليه السلام أن الناس كثير والمرضي منهم قليل، كما أن المائة من الإبل لا تكاد تصاب فيها الراحلة الواحدة وهذا الحديث إما يراد به القرون المذموعة في آخر الزمان، ولذلك ذكره البخاري في رفع الأمانة، ولم يرد به زمن أصحابه وتابعهم؛ لأنه قد شهد لهم بالفضل فقال: " خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء بعدهم قوم يخونون ولا يؤمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويندرون ولا يوقون... » الحديث، فهؤلاء أراد بقوله: " الناس كابل مائة » والله الموفق.

(1) في الأصل: « يفقد » والثابت من " هم " (2) من " هم ".
باب: الرياء والسمعة

فيه: جندب قال النبي - عليه السلام -: "من سموع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به".

قال المؤلف: قوله: "من سموع" معناه من سمع بعمله الناس وقصد به اتخاذ الجاه والمزنة عنهم، ولم يرد به وجه الله، فإن الله تعالى - يسمع به خلقه، أي يجعله حديثا عند الناس الذي أراد نيل المنزلة عنهم بعمله، ولا ثواب له في الآخرة عليه، وكذلك من راءى بعمله الناس رأى الله به، أي أطلعهم على أنه فعل ذلك لهم ولم يفعله لوجده، فاستحق على ذلك سخط الله وأليم عقابه، وقد جاء في الحديث عن النبي - عليه السلام - أنه قال: "يقال للعبيد يوم القيامة: فلعل كذا ليقال فقد قيل، إذهبوا به إلى النار".

قال الطبري: فإن قال قائل: كيف يسلم من الرياء في العمل الظاهر، وقد روي عن عمر وعثمان وابن سعود وجعامة من السلف أنهم كانوا يتهجذدون من الليل في مساجدهم بحيث يعلم ذلك من فعلهم معارفهم، وكانوا يتذكرون إظهار المحاسن من أعمالهم مع ما نواترتب به/ الآثار أن أفضل العمل ما استمر به صاحبه، وذلك على نوعين: فأما من كان إماما يقتدى به [ويستن 1] بعمله، عالمًا بما الله عليه في فرائضه ونواقله، قاهرًا لكيد عدوه، فسواء عليه ما ظهر من عمله وما خفي منه؛ لإخلاصه نية الله وانقطاعه إليه بعمله، بل إظهاره ما يدعو عبد الله إلى الرغبة في مثل حاله من أعماله السالمه أحسن إن شاء الله تعالى. وإن كان من لا يقتدى به، ولا يأمن من عدوه فهؤلاء ومن هواء غلبه حتى يفسد عليه عمله، فإخفاؤه

(1) في "الأصل": ويستن. والثبت من "هدا".

- ٢٠٨ -


فهؤلاء الآية المقدّدة بهم.

(1) من 4 هـ.
(2) في الأصل: وهب وهو غريب. والثبت من هـ وهو من رجال التهذيب.
(3) نكررت في الأصل.
(4) الأسراء: 11.

- 209 -
باب: من جاهد (1) نفسه في طاعة الله


قال المؤلف: جهاد المؤمن نفسه هو الجهاد [الأكبر] (2) وحرب العدو الأضمر قال تعالى: "(3) وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي الأوّل" وروي عن النبي - عليه السلام - أنه قال لأصحابه، وقد انصروا من الجهاد: "أتتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر". قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: مجازاة النفس".


وقال أوس القرني لهرم بن حيان: ادع الله أن يصلح قلبك [وأتيتك] (6) فإنك لن تعالج شيئا هو أشد عليك منهما، بينما قلبك مقبل إذ هو مدبر، فاغتنم إقباله قبل إداربه، والسلام عليك. وقال على بن أبي طالب: أول ما تفقدون من دينكم جهاد

(1) زاد بالأصل: عن، ولا معنى لها. (2) من ف. (3) في الأصل: 40 - 41. (4) في الأصل: أجر. (5) في الأصل: الذي وهمت من. (6) من ف.
أنفسكم. وقد يكون جهاد النفس منعها الشهوات المباحة توفرًا لها في الآخِرة؛ لئلا تدخل في معنى قوله: ًأَذْهَبِينَ طَيّابُكَمْ فِي حِيَانِكَم الدَّنْيَا ً(1) الآية، وعلى هذا جرى سلف الأمة، وقال سالم الخواص: أوحى الله إلى داود: لا تقرب الشهوات، فإن خلقتها لضعفائنا خلقها، فإن أنت قربتها، أهون ما أصنع بك أسلبك. حلاوة مناجطي، يا داود، قل لبني إسرائيل، لا تقربوا الشهوات، فالقلب المحجوب بالشهوات حجبته صوته عنى.

قد تقدم معنى قوله: ًهل تدري ما حق الله على عباده؟ في باب من أجاب بلبيك وسعديك في كتاب الاستذان، وسانتي زيادة في ببته في باب قوله تعالى: ًوكان عرشه على الماء ً(2) في كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى ً(3).

***

باب: التواضع

فبه: أنس قال: ًكانت ناقة النبي - عليه السلام - لا تسبق، فجاء أعراوي على قعود له فسبقه، فاشتذ ذلك على المسلمين وقالوا: سبقت العضباء! فقال النبي - عليه السلام -: إن حقا على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه. ً(4)

وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: ًإن الله - تعالى - قال: من عادي لم وليا فقد أدته بالحرب، وما تقرب إلى عديشأحبي ما افترضت عليه، وما يزال عديشي تقرب إلي بالنواقل حتى أحبيه، فكنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، وبديه التي يبطش بها، ورجله

(1) الأحقاف : 20 . (2) هود : 7
(3) من هـ .

- 211 -
التي يمشي بها، فإن سأأتيك لأعطيك، وإن استعاذني لأعذرك، وما ترددت عن شيء أنا فاعله تردد عن نفس المؤمن، يكره الموت وآتا أكره مسأله».


وفي حديث أبي هريرة من معنى الباب أن التقرب إلى الله بالنوافل حتى تستحق المحبة منه تعالى لا يكون ذلك إلا بغاية التواعع والتذلل له، وفي أن النوافل إذا يزكر ثوابها عن الله من حافظ على فراضه وأداؤها.

ورأيت لبعض الناس أن معنى قوله تعالى: «ناكون عينيه اللتين يبصر بهما وأذنيه ويديه ورجليه» قال: وجد ذلك أنه لا يحرك جارحة من جوارحه إلا في الله، فجوارحه كلها تعمل بالحق، فمن كان كذلك لم ترد له دعوة.

وقد جاء في فضل التواعع آثار كثيرة، روى الطبري من حديث شعبة، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تواضع رجل إلا رفعه الله بها درجة» ومن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي - عليه السلام - قال: «ما من بني آدم أحد إلا وفي رأسه سلسلتان: إحداهما في السماء السابعة، والآخر في الأرض السابعة، فإذا تواضع رفعه الله بالسلسلة التي في السماء، من هـ».

- 212 -
وإذا أراد أن يرفع رأسه ووضعه الله، وقالت عائشة: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة: التواضع.

قال الطبري: والتوضع من الحن التي امتحن الله بها عباده المؤمنين، لينظر كيف طاعتهم [إياه] (1) فيها، وما علم تعالى من مصلحة خلقه في ذلك في عاجل ذنانيه وآجل آخرهم، ففصلة الدنيا به لاستعمال الناس لارتفع - والله أعلم - الشحناء بينهم والعداوة، واستراحوا من تعب المباهاة والفاخرة والتذوا بأعمالهم، وكان لهم فيه صلاح ذات البين وارتقاء الحسد والشجاعة.

روى النعمان بن بشير عن النبي - عليه السلام - أنه قال: "للمسيطان مضايا ونفوذ، منها البطر بأنحل الله، والفخر بعطاء الله، والتكبر على عباد الله".

وتواضعه عليه السلام معلوم لا بحصين، ومنه أنه لما دخل مكة جعل الناس يقولون: هو هذا، هو هذا، فجعل يحيى ظهره على الرحل ويقول: "الله أعلى وأجل" وهذه سيرة السلف المهدية.

روى سفيان بن عيينة، عن أيوب الطائي، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره ونزع خفيه، فامسكتهما بيده، وخذت الماء ومعه، فقال له أبو عبيدة: لقد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض. فشك في صدره وقال: لو غيتك قالها يا أبا عبيدة، إنكم كنت أذل الناس وأحمر الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فهملا تطلبون العز في غيره، يذلكم الله.

(1) من هؤلاء.
كتاب فضائل القرآن

باب : كيف نزول الوحي وأول ما نزل

قال ابن عباس : المهيمن الآمن ، القرآن أمين على كل كتاب قبله .
فيه : عائشة وابن عباس : "ليث النبي - عليه السلام - بمكة عشر سنين
ينزل عليه القرآن ، والدمدمة عشرًا " .

وقال أبو عثمان : "أثبت أن جبريل أتي النبي - عليه السلام - وعنده
أم سلمة ، فجعل يتحدث ، فقال النبي - عليه السلام - لأم سلمة : من
هذا ؟ أو كما قال . قالت : هذا دحية . [ فلما قام قالت ] (1) : والله ما
حسبه إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي بخبر جبريل أور كما قال " .

وفيه : أبو هريرة قال النبي - عليه السلام - : "ما من الأنبياء نبي إلا
أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله
إليه ، فأجرو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة " .

وفيه أنس : "أن الله يتابع على رسوله قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان
الوحي ، ثم توفي بعد " .

وفيه : جندب : " اشتكي النبي ، فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتاه امرأة
فقالت : يا محمد ، ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فأنزل الله - تعالى :
(1) من نو 4 وفي الصل ، هـ : قالت فلما قام .
(2) الفصحى : 1 - 3 .
(3) الفصحى : 1 - 3 .
قال المؤلف: (1) معنى هذا الباب إثبات نزول الوحي على النبي - عليه السلام - وأن جبريل عليه السلام نزل عليه به (2)، ومصدق هذه الأحاديث في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِتَنزِيلٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَّلَهُ الْرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قُلُوبٍ﴾ (3).

وقال أهل التفسير: الروح الأمين جبريل.

وذكر أبو عبيد عن زيد بن هارون، عن داد بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: نزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، وقرأ: ﴿وَفَرَأَاهُ ﷺ فِرَقْنَاهُ لَنْتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّةَ وَنُزُلَةَ نَزِيلًا﴾ (4).

وقال أبو عبيد: وحدثنا ابن [أبي] (1) عدي، عن داد بن أبي هند قال: قلت للشعيبي: ﴿فِي شَهْرِ رَمَضَانِ الَّذِي أَنْزَلَهُ ﷺ فِيهِ الْقُرآنِ﴾ (5)، أما نزل عليه القرآن في سائر السنة إلا في شهر رمضان؟ قال: بل، ولكن جبريل كان يعارض محمدًا بما نزل عليه في سائر السنة في شهر رمضان.

وذكر أبو عبيد بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: أول شيء نزل من القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدْرَثُ قَمْ فَأَنْذِرِي﴾ (6).

وقال ابن عباس: ﴿أَقْرَأْ بِنَامِمَ رَبِّكَ﴾ (7) هي أول شيء نزل على محمد.

وهو قول مjahid وزاد: ﴿نُوَّلًىٍّ، وَالْقَلمِ﴾ (8).

وأما آخر القرآن نزولا فقال عثمان بن عفان: كانت براءة من آخر.

القرآن نزولاً، وقال البراء آخر آية نزلت: «يسفتنوك قل الله يفتئكم
في الكلالة» (1).

وقال ابن عباس: آخر ما [ أنزل ] على رسول الله - عليه السلام - آية الربا. وقال عطاء وابن شهاب آخر القرآن عهداً بالعرش
آية الربا وآية الدين واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله (3).

( وختلف ) (4) في مدة بقاء النبي بمكة، فروى أبو سلمة عن ابن
عباس وعائشة في هذا الباب: أنه عليه السلام أقام بمكة عشر سنين.

ذكر البخاري في كتاب مبعث النبي في باب الهجرة من رواية
عكرمة وعمرو بن دينار، عن ابن عباس أنه أقام بمكة ثلاث عشرة
سنة يوحي إليه.

ولم يختلف في مدة بقائه عليه السلام بالمدينة أنه كان عشرًا،
وسبايسي في كتاب الاعتقام الكلام في حديث أبي هريرة إن شاء الله.

**

باب: نزل القرآن بلسان قريش والعرب

وقول الله تعالى «قرأنا عربيًا» (5) بلسان عربي مبين (6).

فيه: أنس بن مالك قال: فأمر عمثمان زيد بن ثابت، وسعيد بن
الصاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن
ينسخوها في المصحف وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في
عربية من عربية القرآن، فاكتبوها بلسان/ قريش، فإن القرآن نزل (7)
بلسانهم [فعلوا] .

قال المهلب: في حديث أنس عن عثمان بن عفان معنى الترجمة.

فإن قال قائل: فمن وجه حديث يعني بن آمية في هذا الباب؟

قيل: معنaneous الوحي كله من القرآن والسنة نزل بلسان العرب قريش وغيرهم من طوائف العرب كلها، وأنه عليه السلام لم يخاطب من الوحي كله إلا بلسان العرب، وبه تكلم النبي لسائلي له عن الطيب [أحمر] [2]. وبين هذا قوله تعالى:  «وأما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» [3].

فحذا حتم من الله تعالى [لكل آمة] [4] بعث إليها [رسولاً] [5]. ليبين لهم ما أنزل إليهم من ربهم، فإن عجب معناه على بعض من سمعه: بينه الرسول لما يفهمه المرأ به، ودي قول عنثمان:


- 218 -
إذا اختلطنا في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإنه نزل بلسانهم على تشريف قريش على سائر الناس وتخصيصهم بالفضيلة الباقية إلى الأبد حين اختار الله إثبات وحي الذي هدي به من الضالة بلغتهم (تعبيره): (1) بلسانهم وحسبه بهذا من شرف باق.

قال أبو بكر بن الطيب: ومعنى قول عثمان: فإنه نزل بلسان قريش، يريد معظمه وأكثره، ولم تتم دلالة قاطعة على أن القرآن بأسره منزل بلغة قريش فقط، وأنه لا شيء فيه من لغة غيرهم؛ فإنه قد ثبت أن في القرآن حمزًا كثيرًا [ونبت]: (2) أن قريشًا لا تهم وثبت فيه كلمات وحروف هي خلاف لغة قريش، وقد قال تعالى: (3) إننا جعلنا قرآنا عربىًا. ولم يقل قريشيًا، وهذا يدل أنه منزل بجميع لسان العرب، وليس لأن يقول [أراد] (4) قريشًا من العرب دون غيرها، كما أنه ليس له أن يقول أراد لغة عدنان دون نجتان، أو يبغي دون مصر؛ لأن اسم العرب يتناول جميع القبائل تناراً واحدًا.

ولو ساغ لمدع أن يدعي أنه أراد قبيلة من قبائل العرب لساغ آخر أن يقول: إن قوله أنه منزل بلسان قريش أنه أريد [بهم] (2) قبيلة من قريش دون غيرها، ومن قال هذا فقد ظهر تختيطه. وقد قال سعيد بن السيب: نزل القرآن بلغة هذا الحي من لدن هوازن وثقيف إلى ضربه.


(1) في هـ: تقييد. (2) من هـ. (3) الزخرف: 3. (4) في الأصل: أن. والثبت من هـ.
 فلا يجب لذلك أن يكون القرآن منزلًا بلغة بني سعد بن بكر، بل لا يتعلق أن ينزل بلغة أفصحي العرب [وبلغة (1)] من هو دونهم في الفصحا، إذا كانت فصاحتهم غير متفاوتة.

وقد جاءت الروايات بأن النبي - عليه السلام - كان يقرأ بلغة قريش وغيرها.

فروى ابن أبي شيبة عن الفضل بن أبي خلدة قال: سمعت أبا العامية يقول: قرأ القرآن على النبي عليه السلام من [خمسة (2)] رجال فاختلوا في اللغة فرضي قراءتهم كلها. وكانت بنو تميم [عرب (3)] القوم، فإذا بدأ أنه كان يقرأ بلغة تميم وذخاعة وأهل لغات مختلفة، قد أقر جميعها ورضي بها.

* * *

باب: جمع القرآن

فيه: زيد بن ثابت: "أرسل إلي أبي بكر مقاتل أهل اليمامة، فإذا عمر ابن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتال قد استمر (4) يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنني أخشى إن استمر القتال بالقراءة في الموطن؛ فذهب كثير من القرآن، وإنني أرى أن أتأمر بجمع القرآن. قلت لعمرو: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ! قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري بذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا تهمك، وقد كنت تكتب الأسمى لرسول الله ﷺ، فتنبعت القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثق علي مما (1)

(1) في الأصل: "وبلغة. واللغة من هذ".
(2) في الأصل: "كان خمساً. واللغة من هذ".
(3) في الأصل: "عرب. واللغة من هذ".
(4) في الأصل: "استمر. واللغة من هذ، ن".
أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله؟ قال: هو واللرح خير. فلم يزل أبو بكر براجعي حتى شرح القرآن للذي شرح له صدر أبو بكر وعمر، فتسبعت القرآن أجمعه من العصب واللحاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة النوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره. لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ... (1) (حتى) (2) خائمة براءة، فكانت الصحّف عند أبي بكر حتى نفاه الله، ثم عند عمر حيّاه، ثم عند حضرة بنت عمر.

وفينه: أنس أن حذيفة قدم على عم란 بن عفان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينيا وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصه أن أرسلني إلى الصحّف نسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيّين الثلاث: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فأكتبوه بلسان قريب، فإذا نزل ببلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحّف في المصاحف رك عثمان الصحّف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق مصحف مما نسخوا، وأمر بما سواء من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال ابن شهاب: فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت [ أنه سمع أبا زيد ابن ثابت ] (3) قال: فقذفت آية من الأحزاب حين نسخنا المصاحف،

(1) التوبة : 128
(2) في الاصل : 213، والثاني من 233، (3) من 231.

قال أبو بكر بن الطيب: فإن قال قائل: ما وجه نفور أبي بكر وزيد بن ثابت مع فضلهما عن جمع القرآن؟

فإن الجواب: أنهما لم يجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ في جمعه إلى هذا الحد من الاحتياط من تجليده، وجمعه بين لوحين، فنكرها أن يجمعهما جزءًا من أن يحلاً أنفسهما محل من يجاوز الاحتياط للدين. احتياط رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمما أنبههما عمر، وقال: هو والله خير. وخوفهما من تغيير حال القرآن في المستقبل، لقمة حفظه، ومصيره إلى حالة الحفاظ والغموض بعد الاستفادة والظهور، على صواب ما أشار به وأنه خير، وأن فعل رسول الله - عليه السلام - ليس على الوجوب، ولا تركه لما تركه على الوجوب إلا أن يكون قد بين في شريعته أن مثل فعله لما فعله، أو تركه لمثل ما تركه لألزم لنا وواجب علينا، فلما علم أنه لم يحظر جمع القرآن ولا منع منه سنة ولا بنص آية، ولا هو ما يفسده العقل ويجليه، ولا يقتضي نساد [شيء] (2).

من أمر الدين ولا مخالفته، وأي صواب ما أشار به عمر، وأسرعا إليه كما فعل عمر وسائر الصحابة في رجوعهم إلى رأي أبي بكر في قتاله. أهل القردة، ورأوا ذلك صوابًا لم يشكوا فيه.

وإذا يشتم الإنسان أحيانًا من فعل المناخ المطلق ويسبق إلى قلبه أنه ليس ما له فعله لفرط احتياطه وتخريبه، ثم يتبن له بعد

(1) الآية 23.
(2) في "الأسفل" بصورتها. والثبت من "هـ، ن".
(3) في "الأصل" شقيق. والثبت من "هـ".

- 242 -
ذلك أنه ما له فعله، كرجل قبل له: قد سقط عليك فرض الجهاد والصيام والصلاة قائمًا لزمانتك وعجزك. فأنكر مفارقة المادة عند أول وحيلة، فلما رجع إلى نفسه، وعلم أن الصيام يجهله والحركة والقيام يزيده في مرضه علم جواز تركه.

وقد تقدم في كتاب الأحكام في باب يستحث للكاتب أن يكون أميّنا عاقلاً زيادة بيان في تصوير جمع الصديق للقرآن وأنه من أعظم فضائله.

قال أبو بكر بن الطيب: فإن قيل: فما وجه جميع عثمان الناس على مصحفه؟ وقد سبقه أبو بكر إلى ذلك وفرغ منه؟

قيل لهم: إن عثمان لم يقصد بما صنع جميع الناس على تأليف المصحف فقط، ولا كان التشاجر الواقع في أيامه في إقرارهم أنه كتاب الله بأسره، وإنما اختلقوا في القراءات، فاشتد الأمر في ذلك بينهم وعظم اختلافهم وتشتتهم، وأظهروا بعضهم إكفار بعض والبراءة منه، وتلاعنا أهل الشام وأهل العراق، وكتب الناس بذلك إلى عثمان من الأمصار ونشدوه الله في جميع الكلمة ورفع الشتات والفرقة، فجمع عثمان المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام (1) وشارؤهم في ذلك فاتفقوا على جمع القرآن وعرضه وأخذه للناس بما صبح وثبت من القراءات المشهورة عن النبي عليه السلام، واطرح ما [سواها] (2) واستصروا رأيه، وكان رأياً سديداً موفقاً، فرحمة الله عليه وعليهم.

وقد ذكر أبو عبد بن علي بن أبي طالب قال: لم وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان.

---

(1) في الأصل: الشام، والمثبت من هج.
(2) في الأصل: سواها، والمثبت من هج.
قال غيره وقوله: "حتى وجدت آخر النوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره" يدل على تصحيح الروايات الآخر أن الصديق أمر زيدًا لا [يثبت آية] (1) في المصحف إلا بشاهدين يشهدان [عليها] (2).

وقال أبو بكر بن الطيب: وجه طلبه للشاهدين أن إثبات القرآن حكم من أحكام الشريعة، ولا يجب إماة حكم في الشريعة إلا بشاهدين عدلين.

ويحتمل أن يكون أمره بطلب الشاهدين فيما لا يحفظه زيد من كلمات القرآن، وقد ورد بذلك خبر.

ورواى أسامة بن زيد عن القاسم بن محمد قال: قال أبو بكر لزيد ابن ثابت: اقدم فمن آتاك من القرآن ما لا يحفظه ولم تقرأه بشاهدين [قاًقبه] (3). ولسنا ننكر أن يكون أبو بكر أمر زيدًا بطلب الشاهدين على كل ما يأتي به ما يحفظه وما لا يحفظه، لا أجل حاجة إلى إضاءة الحكم من جهة الظاهر.


حدثنا حماد بن زيد، عن أبي بكر، عن أبي قلابة عن رجل من بن تيم يقول له - حسب - أنس بن مالك قال: اختلف العلماء في القرآن حتى افتتوا،

(1) في "الأصل": شبابه، والثبت من "هـ".
(2) في "الأصل": علهم وألبت من "هـ".
(3) في "الأصل": فاقته وابت من "هـ".
(4) في "الأصل": خشاب. وفي "هـ": حسان. وهو تصحيح، ومحمد بن عبيد بن حساب من رجال التهذيب.

- ٢٤٤ -
فبلغ ذلك عثمان فقال: "عندنا تختلفون وتكذبون به وتحونون فيه؟ يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتروا للناس إمامًا يجمعهم فكانوا في المسجد فكروا، فكانوا إذا تماروا في الآية يقولون: "إنه آراً رسول الله هذه الآية فلان بن فلان، وهو على رأس أميال من المدينة، فبعث إليه فيجيء فيقولون: كيف آراك رسول الله آية كذا وكذا، فكروا كما قال. رواه إسماعيل بن إسحاق، عن سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي بكر، عن أبي قلابة قال: حدثني من كان يكتب معهم. قال: حماد: أظنه أنس بن مالك القشيري قال: كانوا يختلفون في الآية فيقولون: آراها رسول الله فلان بن فلان. فعسي أن يكون على ثلاث أميال من المدينة، فرسال إليه فيجاه به.

وذكر الحديث (سواء) (١) وقد أشار أبو بكر بن الطيب إلى هذا المعنى غير أنه لم يذكر الرواية بذلك، وقد ذكرته عهده في كتاب الجهاد في باب قوله: "من المؤمنين رجال صدقوها ما عاهدوا الله عليه" (٢).

فإن قيل: في حديث زيد بن ثابت أنه وجد آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، وفي آخر الباب قول ابن شهاب عن خارجة بن زيد أنه سمع أبا بكر بهيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب كنت أسمع النبي - عليه السلام - يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة ابن ثابت: "من المؤمنين رجال" (٣) وهذا اختلاف يوجب التضاد.

قال المهلب: ولا تضاف به هذا، وهذه قصة غير قصة الأحزاب.

(١) في "الأصل": إلى. والثبت من "١٣".
(٢) من "١٣".
(٣) الأحزاب: "٢٧".
لا وأن الآية التي في التوبة وجدت مع أبي خزيمة، وهو معروف من الأنصار وقد عرفه أنس، وقال: نحن ورثناه. والتي في الأحزاب ليست صفة النبي - عليه السلام - وهذه وجدت مع خزيمة بن ثابت، وهو غير أبي خزيمة، فلا تعارض في هذا، والقصة غير القصة لا إشكال فيها ولا المباس والسورة غير السورة، والتي في الأحزاب سمعها زيد وخزيمة من النبي فهما شاهدان على سماعها منه، وإما أثبتت التي في التوبة شهادة أبي خزيمة وحده لقيام الدليل على صحتها في صفة النبي فهي قريبة تغني عن طلب شاهد آخر.

وفي أمر عثمان بتحريق الصحف والمصاحف حين جمع القرآن جواز تحريق الكتب التي فيها أسماء الله - تعالى - وأن ذلك إكرام لها، وصيانة ( من ) (1) الوطاء بالاقتدام وطرحها في ضياع من الأرض. وروى معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه أنه كان يحرق الصحف إذا اجتمعت عدنه الرسائل فيها بسم الله الرحمن الرحيم، وحرق عروة بن الزبير كتب فقهه كانت عدنه يوم الحرة، وكره إبراهيم أن تحرق الصحف إذا كان فيها ذكر الله، وقول من حرقها أولى بالصابو. وقد قال أبو بكر بن الطيب: جائز للإمام تحريق الصحف التي فيها القرآن إذا أدى الاجتهاد إلى ذلك.

وقال أبو عبيد: اللخاف: الحجارة الرقاق، والالسب: جمع عيسيب وهي جريدة من النخل، وجمعه عيسان [ وأعسب ] (2) من كتاب العين.

* * *

(1) في : هـ عن .
(2) في الأصل : وأعسب، والثابت من هـ .

-- 277 --
باب: ذكر كاتب النبي عليه السلام
قال أبو بكر بن الطيب: فيه أن النبي - عليه السلام - [سن] (7) جمع القرآن وكتابته وأمر بذلك وأملاه على كتبته، وابن أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وزيد بن ثابت وجامعة الأمة أصابوا في جمعه وخصوصه وإحراءه، ورجوا في كتابه على سنن الرسول وسته، وأنهم لم يثبتوا منه شيئًا غير معروف، وما لم تقم الحجة به.
قال المهلب: وفيه أن السنة للخلفية والإمام أن يتخذ كاتبًا يقيد له ما يحتاج إلى النظر فيه من أمور الرعية، ويعينه على تنفيذ أحكام الشريعة، لأن الخلفية عليه من الفكره والنظر في أمور من استرعاه الله أمرهم ما يشغله عن الكتاب وشبهه من أنواع المهن، إلا ترى قول عمر بن الخطاب: "لولا الخلافة لأذنت، يريد أن

(1) من: "هم ن".
(2) في: "الأصل" فأجمع، والمثبت من "ه"، ن".
(3) في "الأصل": أجعلها والمثبت من "ه"، ن".
(4) النوبة: 128 - 129.
(5) النساء: 95.
(6) في "الأصل": عليه، والمثبت من "ه".
(7) من: "ه".

- 227 -
الخلافة حالة شغل بأمور المسلمين عن الأذان وغيره ؛ لأن هذا يوجد [فيه] من يقوم مقام الخليفة وينوب عنه ، ولا ينوب عنه أحد في الإمامة ، وقد استدل بقوله تعالى : لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيّر أولي الضرر» (٢) الآية . من قال : إن الغني أفضل من الفقير . قال : لا ترى قوله تعالى : وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى» (٣) ؛ ففضيلة الجهاد وبذل المال في إعلاء كلمة الله ﷺ درجة لا يبلغها الفقير أبداً ، وقوله تعالى : غيّر أولي الضرر» (٤) يدل أن أهل الأعدار لا حرج عليهم فيما لا سبيل لهم إلى فعله من الفرائض اللازمة للأصحاء القادرين ، وفي هذا حجة للفقهاء في قولهم : إنه لا يجوز تكليف ما لا يطلق . وهو قول جمهور الفقهاء .

* * *

باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف

فيه : ابن عباس : قال النبي - عليه السلام - : «أقرأتي جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيدك ويزيدني ، حتى أنتهى إلى سبعة أحرف».

وفيه : عمر بن الخطاب : «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة القرآن في حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرأها رسول الله ﷺ ، فكذبت أساوره في الصلاة ، فصارت حتى سلم فيليته ] (٢) برداة . فقلت : من أقرأ هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأتي رسول الله ﷺ . فقلت : كذبت ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأتيها على غير ما قرأت ، فانطلقت [ به ] (٤) أقوده إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : إنى

(١) في الأصل : في ، والله من هؤلاء .
(٢) النساء : ٩٥ .
(٣) في الأصل : فليته ، والله من هؤلاء .
(٤) من هؤلاء ، الله .
سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئها! فقال رسول
الله ﷺ: أرسله، اقرأ يا هشام، قرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال
رسول الله ﷺ: كذلك! أنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر. فقرأت القراءة التي
أقرني، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت! إن هذا القرآن أنزل على سبعة
أحرف فاقرأوا ما تيسر منه».

قال المؤلف: قد أدرك الناس في تأويل هذا الحديث ولم أحد فيه
قولاً يسلم [ من ] (١) المعارض، وأحسن ما رأيت فيه ما نقله أبو
عمرو عن عثمان بن سعيد المقرئ في [ بعض ] (٢) كتبه - ولم يسم
[ قائلة ] (٢) - قال: إنني تذكرت معنى هذا الحديث ( وأنعمت ) (٣)
النظر فيه بعد وقوعي على أقول السلف والخلف ، فوجدته متعلقًا
بخصمه أوجه ، هي محيطة بجميع معانيه: فاؤولها: أن يقال: ما
معنى الأحرف التي أرادها النبي ﷺ؟ وكيف تأويلها ؟ والثاني: ما
وجه [ إنزال ] (٤) القرآن على هذه السبعة الأحرف ، وما المراد بذلك؟
والفاتح: في أي شيء يكون اختلاف هذه السبعة الأحرف ؟ والرابع:
على كم معنى تشمل هذه السبعة [ الأحرف ] (٢) ؟ والخامس: هل
هذه السبعة الأحرف كلها متفرقة في القرآن ، موجودة فيه في ختمة
واحدة ، حتى إذا قرأ القارئ بأي حرف من حروف أئمة القراء
بالآمصار المجتمعة على إمامتهم فقد قرأ بها كلها؟ أو ليست كلها متفرقة
فيه وموجودة في ختمة واحدة ؟ وأنا مبين ذلك - إن شاء الله .
فأما معنى الأحرف التي أرادها النبي ﷺ فهناك فإنه يتوجه إلى
وجهين : أحدهما: أن يكون أراد سبعة أوجه من اللغات بدليل قوله
تعالي: ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمان به» (٥)
(١) في «الأصل»: عن ، والمثبت من هـ. (٢) من هـ.
(٣) في «هـ»: وامتنع .
(٤) في «الأصل»: تاويل . والمثبت من هـ . (٥) الحج : ١١.
فالمراد بالحرف هاهنا الوجه الذي تقع عليه العبادة. والمعنى: ومن الناس من يعبد الله على النعمة تقصبه، والخير يناله من تميزه المال، وعافية البدن، وإعطاء السوأ، ويطعن إلى ذلك ما دامت له هذه الأمور واستقامت، فإن تغيرت حاله وامتحنه الله بالشدة في عيشه والضر في بذله ترك عبادة ربه وكفر به، فهذا عبد الله، على وجه واحد، وذلك معنى الحرف والوجه.

الثاني: أن يكون النبي ﷺ سمى القراءات أحرفًا على طريق السعة كنحو ما جرته عليه عادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وما جاوره، وتتعلق به ضريبًا من التتعلق وتسميتهم الجملة باسم البعض منها، فسمى النبي القراءة حرفًا، وإن كان كلاهما كثيرًا من أجل أن منها حرفًا قد غيّر بضعة أو كسر أو قلب إلى غيره، أو أميل أو زيد فيه أو نقص منه على ما جاء في المختلف فيه من القراءات، فإن النبي القراءة والكلمة التامة إلى ذلك الخرف المغير، فسمي القراءة به، إذ كان ذلك الخرف منها على عادة العرب في ذلك كما يسمون القصيدة قافية، إذ كانت القافية منها يقولون:

الخناء:

وقافية مثل حمد السنا ن تبقى ويهلك من قالها

تعني: قصيدة، فسميت قافية على طريق الأنشاع، كما يسمون الرسالة [الخطبة: الكلمة]، إذ كانت الكلمة منها، قال تعالى: [وتمت كلمة ربك الحسن]。(1)

وقيل: إنه تعالى على الكلمة هاهنا قوله في سورة الفصوص: "ونريد أن يعلم الذين استضعفوا في الأرض..." (1) الآية. وقال مjahid: قوله تعالى: "وألزمهم كلمة القوة" (2). قال: لا إله إلا الله. فخطبهم على السلام بما جرى تعافهم عليه في ختامهم.


ويكن أن تكون هذه السبعة أوجه من اللغات هي أفصل اللغات، فلذلك أنزل القرآن عليها. ذكر ثابت السرقطي في هذا المعنى: قوله: "سبعة أحرف" يريد - والله أعلم - على لغات شعوب من العرب سبعة أو.

(1) الفصوص: 5. (2) الفتح: 26. (3) من هـ. (4) في "الأصل": أقرؤهم. والثبت من هـ. (5) في "الأصل": قال. والثبت من هـ. (6) في "الأصل": سنة. والثبت من هـ.
جماهيرها كما قال الكليبي: خمسة منها لهوازن وحرفان لسائر الناس.

وقال ابن عباس: نزل القرآن على سبعة أحرف صارت في عجز هوازن منها خمسة. وقال أبو حاتم: عجز هوازن ثقيف، وبنو سعد ابن بكير، وبنو جشم، وبنو مضر. قال أبو حاتم: خص هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب لقرب جوارهم من مولد النبي - عليه السلام - ومنزل الوحي، وإنما مضر وربيعة أخوان. قال قتادة عن سعيد بن المصبب:

نزل القرآن على لغة هذا الحمي من لدن هوازن وثقيف إلى ضرية.

وأما في أي شيء يكون اختلاف هذه السبعة أحرف فإنه يكون في الأوجه كثيرة منها تغير النقط نفسه وتحويله إلى لفظ آخر كقوله تعالى:

«ملك يوم الدين» بغير ألف، و«ماليك» بلف، والسراط بالسين.


ورسالاته وآية للمسائلين وآيات (10).


في الأصل: الراء، والشبه من هم.


(6) في الأصل: والواو. والشبه من هم.

(7) في الأصل: والواو. والشبه من هم.

(8) في الأصل: والواو. والشبه من هم.

(9) في البحرة: 48.

(10) في يسوع: 7.

(11) في المائدة: 67.

(12) في آل عمران: 39.

(13) في الآل: الألف.

(14) في الآل: الألف.
يكذبون بتشديد الذال وتخفيفها، ومنها [1] الخطاب والإخبار كقوله تعالى:

(وما الله بفائز عما يعملون) و (أنا يعقلون)

ولكن لا يعلمون، وشبه ذلك بالتاء على الخطاب، وبالباء على الاخبار، ومنها الخبر عن النفس، والإخبار عن غير النفس كقوله تعالى:

(الذين فيها نيرة) بالنون وبالياء، و (يجعل الرجس) بالنون وبالياء. ومنها التقدير والتأخير كقوله تعالى:

(وقتلوا وقاتلوا) و (فقتلون ويعتقلون) وكذلك ذكى لكثر من المشركين قتل أولادهم شركائهم و (قتل أولادهم شركائهم) وشبهه.

ومنها الخبر والنتيجة كقوله تعالى:

(ولا تسأل عن أصحاب الجحيم بالجزم على النهي) ولا تسأل بالرفع على النفي، ولا تشرك في حكمه احدًا بالباء والجزم على النهي ولا يشرك بالباء والرفع على النفي.

ومنها الأمر والإخبار كقوله تعالى:

(وأخذنا من مقام إبراهيم) بكسر الخاء على الأمر (وأخذنا) بالفتح على الخبر، و (قل سبحان ربي) و (قل ربي يعلم) على الأمر، وقال على الخبر، وشبهه.

ومنها تغيير الإعراب وحدة كقوله تعالى:

(وصية لأزواجهم) بالنصب وبالرفع و (تجارة حاضرة) بالرفع والنصب، (أرجلكم إلى الكعبين) بالنصب والجر، وما أشبهه.

ومنها تغيير الحركات اللوازم كقوله:

(ولا تحسن بكسر السين)

(1) في الأصل: منه، والثبت من هـ.
ولفتحها ومن يقنط (1) ومن يقطعون (2) بكسر النون وفتحها، ويعرفون (3) وي يعرفون (4) بكسر الراء والكاف وضمها و
والولاية (5) بكسر الواو وفتحها.

ومنها التحرير والتسكين كقوله: خواتم الشيطان (6) بضم [الطاء] (7) وإسكانها وعلى الموسع قدره وعلى المقت قدره (8).

بفتح الدال وإسكانها.

ومنها الإتباع وتركه كقوله تعالى: فمن ضطر (9) وأوان
أعبدوا الله (10) ولقد استهزيئ (11) بالضم والكسر؛ فالضم
لاتلاقوة الساكينين إتباعًا لضم ما بعدهن، وبالكسر للسائنين من غير
ابتعاب، ومنها الصرف وتركه كقوله: وعادًا وثمودًا (12) ولا
بعدًا لثمود (13) بالتحنين وتركه.

ومنها اختلاف اللغات كقوله: جبريل (14) بكسر الجيم من غير
همز وفتحها كذلك جبريل - بفتح الجيم والراء مع الهمز من غير
هد - وبالهمز والند.

ومنها التصرف في اللغات نحو الإظهار والإدغام، [ والند ] (14)
والقصر والإمالة، والفتح وبين والهمز وتخفيه/ بالخذف والبدل
وبين بين، والإسكان والروم والإشمام عند الوقف على أواخر الكلم،
والسكون (15) على الساكن قبل الهمز وما أشبهه، وقد ورد
التوقف عن النبي - عليه السلام - بهذا [ الضرب ] (16) من

(1) الحجر : 56 . (2) الروم : 26 . (3) الأعراف : 137 .
(14) من ه . (15) في الأصل : ه . واللثب من ه .
(16) في الأصل : التصرف .

- ٢٣٤ -
الاختلاف وأذن فيه لامته بالأحادي الثابتة، وفيما روى أبو عبيد قال: حدثنا نعم بن حماد حدثنا بقية بن الوليد، عن حسين بن مالك قال: سمعت شيخًا يكيني إبأ محمد، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: "اقرأوا القرآن بلحن العرب وأصواتها" ولونها وأصواتها: مذاهبها وطبعها.

ووجه هذا الاختلاف في القرآن أن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام عرضة، فلما كان العام الذي توفي فيه عرضه عليه مرتين، فكان جبريل يأخذ عليه في كل عرضة بوجه من هذه الوجوه [ والقراءات ] (1) المختلفة، ولذلك قال عليه السلام: "إن القرآن أنزل عليها، وإنها كهف شاف" وأباح لامته القراءة بما شاءت منها مع الإيمان بجميعها; إذ كانت كلها من عند الله منزلة، ومنه عليه السلام مأخوذة، ولم يلزم أمته حفظ كلها ولا القراءة بأجمعها، بل هي مخبرة في القراءة بأي حرف شاءت منها تخبيرها إذا حثت في يمين أن تكفر إن شاء بعون أو بإطعام أو بكسر، وكالمأمور في الفدية بالصيام أو الصدقة أو النسك، إلا ترى أن النبي ﷺ صوب من قرأ بعضها كما صوب قراءة هشام بن حكيم (و [2) قراءة عمر بن الخطاب حين تناكرا القراءة وأقر أنه كذلك قري راه، وكذلك أنزل عليه.

واما على كم وجه يشمل اختلاف هذه السبعة الأحرف؟ فإنه يشمل على ثلاثة معان: أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى (1) واحد، نحو قوله تعالى: "الصراط" بالصائد والسين والزاي و"عليهم" و"إليهم" بضم الهاء مع إسكان الميم، وبكسر الهاء مع ضم الميم وإسكانها وشبه ذلك، والثاني: اختلاف اللفظ، والمعنى (2) جميعًا مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد، لعدم تضاد اجتماعهما فيه، نحو قوله: "ملك يوم الدين" بغير الفين، و"ماليك" بالالف، والبنت من هـ (3) لأن المراد

(1) في الأصل: والقراءة، والبنت من هـ، (2) من هـ، (3) في الأصل: والالف، والبنت من هـ.
بهما الاقترانين هو الله سبحانه وتعالى، وذلك أنه مالك يوم الدين وملكه، فقد
اجتمع له الوصفان جميعًا فأخير ذلك في القراءتين ونحو ذلك: "بما كانوا
يكذبون" (١) بتخفيف الذال وتشيدها، لأن المراة بهما الاقترانين جميعًا هم
المتأقنو، وذلك أنهم كانوا يكذبون في أخبارهم ويكذبون النبي - عليه السلام.
و-third: اختلاف اللغة والمعنى جميعًا مع امتناع جواز اجتماعهما
في شيء واحد كقوله تعالى: "وظنوا أنهم قد كذبوا" (٢) بالتشديد;
لأن المعني: ويتفق الرجل أن قومهم قد كذبوا فيما أخبرهم به من
ألا إن لم يؤمنوا [ بهم نزل ] (٣) العذاب بهم، فالظلم في القراءة
الأولى يقت وأصغر الأول للرسول، الثاني للرسول إليههم، والظلم
في القراءة الثانية شكل، وأصغر الأول للرسول إليههم، والظلم
للرسول، وبسبب ذلك من اختلاف القراءتين [ اللتين ] (٤) لا يصح أن
تجمعوا في شيء واحد لتفادى المعني، وكل قراءة منها مبنية على آية قائمة بنفسها.
وأما هذه السبعة الأحرف، فإنها لا يمكن القراءة بها في ختمة
واحدة، فإذا قرأ القارئ برواية من رواية القراء، فإنا قرأ ببعضها لا
كلها، لأننا قد أوضحنا قبل أن القراء بالسပعة أحرف سبعة أوجه من
لغات كنحو اختلاف الإعراب والحركات والسكوت، والإظهار
والإدغام] (٥)، والمد والقصر وغير ذلك [ مما قدمناه] (٦).
وإذا كان كذلك فكلامهم أنه من قرأ بوجه من هذه الأوجه، فإنها لا
يمكنه أن يتحرك الحرف ويسكنه في حالة واحدة أو يقمده [ و]
يؤخره، أو يظهره ويدعجه، أو يبعده ويقصره، أو يفتحه ويقبله وشبه
ذلك. غير أننا لا ندري أي هذه السبعة أحرف كان آخر العرض، وأن
جميع هذه الأحرف قد ظهر واستفاد عن النبي - عليه السلام، وضبطها الأمة.

(١) في الأصل: نزل بهم، ولئن أنت من "ه".
(٢) يوسبف: ١١.
(٣) في الأصل: "لالي"، ولئن من "ه".
(٤) في الأصل: الإجبار، ولئن أنت من "ه".
(٥) في الأصل: "نذل"، ولئن من "ه".
(٦) في الأصل: "أو"، ولئن من "ه".
(١) في الأصل: "وه".
على اختلافها عنه، وأن معنى إضافة كل حرف إلى من أضيف إليه كأبيه وزيد وغيرهم من قبل أنه كان أضيف له وأكثر قراءة وأقرأ به، وكذلك إضافة [القراءات] إلى أثمة القراء بالأصرار، على معنى أن ذلك الإمام اختار القراءة بذلك الحرف، وأثره على غيره، ولزمه، وأخذ عنه فلذلك أضيف إليه، وهذه إضافة اختيار لا إضافة اختراق.

قال أبو جعفر الداودي: والسَّيِّع [المقارئ] التي تعلمها الناس اليوم ليس كل حرف منها هو أحد السبعة التي أنزلت على رسول الله ﷺ، قد يكون في حرف من هذه / شيء من إحدى أولئك السبع، وشيء من الأخرى. وقال أبو عبد الله بن أبي صفرة: وهذه السبع القراءات التي بأيدي الناس، فيما تفرعت من حرف واحد من السبعة التي في الحديث، وهو الحرف الذي جمع عليه عثمان الصحف [ذكر ذلك ابن التحاس وغيره].

باب: تأليف القرآن

وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخذت له المصحف فأملت عليه آي السور.

والأئمة: إنه من العناق الأول، وهم من تلادي.
وفيه: البراء: قال: تعلمت «سبح اسم ربك العلي» قبل أن يقدم النبي

وفيه: ابن مسعود: قال: لقد علمت النظائر التي كان النبي - عليه السلام - يترؤهن اثنين اثنين في ركعة، فسألنا علامة فقال: عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرهن من الحواميم:

حم الدخان » و «عم يتساءلون ».

قال أبو بكر بن الطيب: [ إن ] (23) قال قاتل: قد اختلف السلف في ترتيب سور القرآن فمنهم من كتب في مصحفه السور على تاريخ نزولها وقدم الملكي على المدني، ومنهم من جعل في أول مصحفه «الحمد لله » و منهم من جعل في أوله «أقرأ باسم ربك » (4) وهذا أول مصحف علي، وأما مصحف ابن مسعود فإن أوله «ملك يوم الدين »، ثم البقرة، ثم النساء على ترتيب يختلف. روى ذلك طلحة ابن مصرف أنه قرأه على يحيى بن وثاب، وقرأ يحيى بن وثاب على علامة، وقرأ علامة على عبد الله، ومصحف أبي كان أوله: الحمد لله ثم البقرة، ثم النساء ثم آل عمران، ثم الأئام ثم الأعراف، ثم المائدة ثم كذلك على اختلف شديد. قال أبو بكر: فالجواب: أنه يحتل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة، وقد قال قول من أهل العلم:

(1) في الأصل: و هو، والمشتت من «هم»، ن. (2) الأعلى: 1. (3) من «هم». (4) العلق: 1.
إن تأليف سور القرآن على ما هو عليه في مصحفنا كان ( علي )

توفيق من النبي ﷺ لهم على ذلك وأمر به.

وأما ما روي من اختلاف مصحف أبي ﭖ عليه وعبد الله إنا كان قبل
العرض الأخير ، وأن رسول الله ﷺ رتب لهم تأليف السور بعد أن
لم يكن فعل ذلك . روي يونس عن ابن وهب قال : سمعت مالكًا
يقول : إنا ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من قراءة رسول الله ﷺ و
من قال هذا القول لا يقول : إن تلاوة القرآن في الصلاة والدرس
يجب أن يكون [ مرتبتاً ] ( 2 ) على حسب الترتيب الموقف عليه في
المصحف ؛ بل إنا [ يجب ] ( 3 ) تأليف سره في الرسم والكتابة خاصة.

ولا نعلم أن أحدًا منهم قال : إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة ،
وفي قراءة القرآن ودرسه فإنه لا يحل لأحد أن يتلحق الكهف قبل
البقرة ، ولا الحق بعد الكهف ، ألا ترى قول عائشة للذي سألها أن
تريه مصحفها ليكتب مصحفًا على تأليفه : لا يضرك أي قراء قبل ؟

وإن ما روي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرها أن يقرأ القرآن
منكوسة ، وقالوا : ذلك منكوس القلب . فإنما عنينا بذلك من يقرأ
السورة منكوسة ويتقد من آخرها إلى أولها ؛ لأن ذلك حرام
محظور ، ومن الناس من يتعاطى هذا في القرآن والشعر لبذل لسانه
بذلك ، ويقدر على الحفظ وهذا ( لما ] ( 3 ) حظره الله ومنعه في قراءة
القرآن ؛ لأنه إفساد لسورة ، ومخالفًا لماقض بها ، وما يدل أنه لا
يجب إثبات القرآن في المصحف على تاريخ نزوله ؛ لأنهم لم نفعلوا
ذلك لوجب أن يجعلوا بعض آية سورة في سورة أخرى [ وآن بنصوا
ما وفقوا عليه من سياقة ترتيب السور ] ( 3 ) ونظمها ؛ لأنه قد صح
وثبت أن الآيات كانت تنزل بالمدينة فيؤمرها بإثباتها في السورة

( 1 ) في ( 7 ) عن .
( 2 ) في ( الأصل ) : مرتلاً . والثبت من ( 7 ) .
( 3 ) من ( 7 ) .
المكة، ويقال لهم: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كما
ألا ترى قول عائشة: وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده -
 يعني: بالمدينة - وقد قدمت في المصحف على ما نزل قبله من القرآن
 بكة، ولو ألفوه على تاريخ النزول لوجب أن يتنقض ترتيب آيات
 السورة، وقد كان النبي ﷺ يقرأ بالناس في الصلاة السورة في الركعة
 ثم يقرأ في ركعة أخرى بغير السورة التي تلبيها، وقول ابن مسعود في
 بني إسرائيل والكهف ومررم وطه والأنبياء: هي من العتق الأول وهن
 من ثلاثي - يعني: [ هن ] (1) مما نزل من القرآن أولا.
 قال صاحب العين: العتيق القديم من كل شيء، والتلاذ: ما
 كسب من المال قديماً فيريد أنهن [ من ] (1) أول ما حفظه من القرآن.
 وقوله: «ثاب الناس إلى الإسلام»: رجعوا إليه. قال صاحب
 العين: ثاب الشيء يبرث ثواباً رجع. ومنه قوله تعالى: «إذ
جعلنا البيت مثابة للناس» (2) أي: يرجعون إليه

 ** **

 باب: القراء من أصحاب النبي ﷺ

 فيه: عبد الله بن عمرو [ (3) ذكر ابن مسعود فقال: لا أزال أحبه,
 سمعت النبي ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله، وسلم,
 ومعاذ، وأبي بن كعب. وقال: فيه مسروق خطاباً ابن مسعود فقال: وله
 لقد أخذت من في [ (4) رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، والله لقد
 علم أصحاب أبي لم أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم. قال شقيق:
 فجلس في الخلق أسمع ما يقولون، فما سمعت راداً يقول غير ذلك.
 وقال: فيه عقمة: كنا بحمس، فقرأ ابن مسعود سورة [يوسف] (5) فقال

 (1) من [ هن ] (2) البقرة: 125.
 (3) في [ الأصل ]: عمر، والثابت من [ هن ]، ن.
 (4) من [ هن ]، ن.
 (5) من [ هن ]، ن.

 - ٢٤٠ -
وجد منه ريح الخمر. فقال: أتجمع أن تكذب بكتاب الله وشرب الخمر؟ فضربه الخد.
وفيهم: مسروق قال: قال عبد الله: والله الذي لا إله إلا هو، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا (1) أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أن أحدًا أعلم مِن كتب الله تبلغه الإبل لركبت إليه.
وفيهم: أنس: جمع القرآن على عهد الرسول أربعة، كلهم من الأنصار:
أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.
وقال أنس مرة: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد، وأبو زيد، وحنين وثناه.
وفيهم: ابن عباس: قال عمر: أَبْنِي أَفْرَوْنَا، وإنى لندع منَّ هَذِهِ أَبْنَى.
وأَبْنِي يقول: أخذته من في رسول الله ﷺ فلا أترك له شيء.
قال تعالى: "ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها" (2).
قال أبو بكر بن الطيب: لا تندل هذه الآثار على أن القرآن لم يحفظه في حياة [النبي ﷺ] (3) غير عبد الله وسالم، ومعاذ وأبيّ ابن كعب، وأنه لم يجمعه غير أربعة من الأنصار، كما قال: أنس بن مالك، فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان وعلي، وتميم الداري وبعابة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وثبت أنه

(1) زاد في الأصل: أعلم.
(2) البقرة: 206.
(3) من هؤلاء.
سأل النبي في كم يقرأ القرآن؟ فقال: في شهر. فقال: إني أطبق أكثر من ذلك. . . الحديث. فجمعه عمر بن العاص وغيره.

 Rory أهل النبي - عليه السلام - (آثرة) (1) خمس عشرة سجدة في القرآن، منها ثلاثة في المفصل، وفي الحج سجدة. ذكر الأسند بذلك أبو بكر بن الطيب في كتاب الانتصار. فقول أنس: لم يجمع القرآن غير أربعة. قول يتذمر العلم بحقيقة ظاهره، وله وجه من التأويل: أخذها أنه لم يجمعه على جميع الوجوه والأحرف، والقراءات التي نزل بها إلا أولئك النقر فقط. وهذا (2) غير بعيد؛ لأنه لا يجب على سائرهم ولا على أولئك النقر أيضًا أن يجمعوا القرآن على جميع حروفه ووجوهه السبعه، والثاني: أنه لم يجمع القرآن واخذه [تلقينًا] (1) من في النبي (3) غير تلك الجماعة فإن أكثرهم أخذ بعضه عنه وبعده عن غيره، والثالث: أن يكون لم يجمع القرآن على عهد النبي من انتصب لتلقيته، وأقرأ الناس .

وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي (4) لا أجل سبقهم إلى الإسلام وإعظام الرسول لهم، وقد ثبت عن الصديق بقراءته في الحروب بطول السور التي لا يتهيأ حفظها إلا لاهل القدرة على الحفظ والإنقاذ، فروى ابن عيينة، عن الزهري، عن أنس أن أبا بكر الصديق قرأ في الصبح بالبقرة فقال عمر: كادت الشمس أن تطلع فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين، وقد علم أن كثيرًا من الحفاظ وأهل الذرية بالقرآن يتهيرون الصلاة بالناس بمثل

(1) من "هـ".
(2) في "الاصل". والثابت من "هـ" (3) في "هـ": به.
هذه السور الطوال وما هو دونها، وهذا يقتضي أن أبا بكر كان حافظًا للقرآن، وقد صح الخبر أنه بني مسجداً بفناء دائرة بكة قبل الهجرة، وأنه كان يقوم فيه بالقرآن ويكثر بكتاؤه وتشيجه عند قراءته فتقف عليه نساء المشركين ولدائمهم يسمعون قراءته، ولولا علم النبي بذلك من أمره لم يقدمه لإمامة المسلمين مع قوله: يؤمن القوم أقوؤهم.

وذلك تظاهرة الروايات عن عمر أنه كان يؤم الناس بالسورة الطوال، وقد أتمهم سورة يوسف [في الصحيح] (1) فبلغ إلى قوله: "فابيضت عيناه من الحزن فهو كاظم" (2) فتشج حتى سمع بكتاؤه من وراء الصفوف. وقرأ مرة سورة الحج فسجد فيها سجدتين.

وروى عبد الملك بن عمير عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود قال: كان عمر أعلمنا بالله وأقرأنا لكتاب الله وألقهنا في دين الله، ولولا أن هذه كانت حالته، وأنه من أقر الناس لكتاب الله لم يكن أبو بكر الصديق بالذي يضم إليه زيد بن ثابت، ويأمرهما بجمع القرآن واعتراض ما عند الناس، ويجعل زيداً تبعا له؛ لانه لا يجوز أن ينصب جمع القرآن واعتراضه من ليس بحافظ.

وأما عثمان فقد اشتهر أنه كان من جمع القرآن على عهد النبي - عليه السلام - وأنه كان من أهل القيام به، وقد قال حين آرادوا قتلته فضربوه بالسيف على يده فمدوا وقال: والله إنها لأول بدي خت الفصل، وقالت نائلة زوجته: [إن] (1) تقلوه فإنه كان يحيي الليل بجميع القرآن في ركعة، وكذلك علي بن أبي طالب، فقد عرفت حاله في فضله وثاقب فهمه، وسعة علمه ومشاورة الصحابة له، وإقرارهم لفضله وترباه النبي له

(1) من 6هـ. (2) يوسف : 84.
فأذا صح ما قلناه مع ما قت من تقدمهم وتقدمه الرسل لهم وجب أن يكونوا حفاظاً للقرآن، وأن يكون ذلك أولى من الأخبار التي ذكر فيها أن الحفاظ كانوا على عهد رسول الله ﷺ أربعة ليس منهم أحد من هؤلاء الأئمة القادة الذين هم عمدة الدين وفقهاء المسلمين.

* * *

باب: فضل فتحة الكتاب
في أبو سعيد بن المعلٍ: كنت أصلي فدعاني النبي - عليه السلام - فلم أجيب قلت: يا رسول الله، إنك كنت أصلي. قال: آلم بقل الله: أستجيبوا والله وترسل إذا دعاكم. قال: آلم أعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن نخرج من المسجد. فأخذ بيدي، فلم أردها أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: [ لا أعلمنك ] (1)

(1) في الأصل: وأجره. (2) في هـ. (3) من هـ. (4) في الأصل: يتبع. (5) إن ولي. (6) لا أعلمنك ولربى من هـ، ن.
 أعظم سورة من القرآن، قال:海水พระ العالمين، هي السبع المثنى والقرآن العظيم الذي أوتته.

وفيه أبو سعيد الخدري: كنا في مسيرة لنا فجاءتنا جارية [فقال](1): إن سيداحتقي ما أن نفرنا غيَب، فهل منكم راق؟ قام معها رجل ما كنا نأتي برقية، فرقاء فبرأ، فأمر لنا بثلاثين شاة وسقانا لبنا، فلما رفع قلقنا له: أكنت تحسن رقة - أو كنت ترقي؟ قال: (لا) [ما رقيت إلا بكم الكتاب، قلنا: لا تحدث شيء حتى نسأل النبي - عليه السلام - فقدمنا المدينة فذكرناه للنبي قال: وما يدريك أنها رقة؟ أقسموا واضربوا لي بسهم؟.


وفي قوله عليه السلام: هي السبع المثنى تفسير لقوله تعالى: (3) ولقد آتتني سبعا من المثنى. إن المراد بها فاطحة الكتاب، وقد روى عن السلف أقوال آخر في تفسير السبع المثنى، فروى عن ابن عباس وابن مسعود أنها السبع الطوال؛ لأن الفرائض والقصص تنتهي فيها، ويجوز أن يكون المثنى القرآن كله كما قال تعالى: كتاباً متشابهاً مثنىً (4) لأن الأخبار تنتهي فيه.

(1) من ٢٠، (٢) من ٨، (٣) الحجر : ٨٧، (٤) الزمر : ٢٣.
وأما يدل أن قوله - عليه السلام - : "لا أعلمك أعظم سورة"، لا يوجب تفاضل القرآن بعضه على بعض في ذاته. قوله تعالى: "ما ننسخ من آية أو نسها نأت بخير منها أو مثلها" (1) ولم يختلف أهل التأويل في أن الله - تعالى - لم يرد بقوله: "نأت بخير منها" (2) تنفضل بعض الآيات على بعض، وإذا المراد بخير منها لعباد المؤمنين التالين لها، إما بخفيف وعفو، أو بثواب على عمل، ولو قال قائل: "أما أفضل: آية رحمة، أو آية عذاب، أو آية وعد، أو آية وعذاب". ومن ( اختيار: (3) التفاضل في القرآن فقد أوجب فيه النقص، وأسماء الله - تعالى - تعالي - وصفاته وكلامه لا نقص في شيء منها فيكون بعضه أفضل من بعض، وكيف يجوز أن يكون شيء (4) من صفاته متفقًا غير كامل وهو قادر على أن يتم المنقوص حتى يكون في غاية الكمال، فلا يلحقه في شيء من صفاته نقص، تعالي الله عن ذلك، وسأزيد في بيان هذا في فضل...

"قل هو الله أحد" (5)

وحتى قوله: "لا أعلمك أعظم سورة وجهًا آخر، وهو أن يكون أعظم بمعنى سورة عظيمة كما قيل [ (4) الله أكبر، بمعنى: كبير، وكمما قيل في اسم الله الأعظم بمعنى: عظيم، وقد تقدم الكلام في حديث أبي سعيد الخدري في كتاب الإجازة في باب [ ما يعطى في] (5) الرقية بففحة الكتاب [ ومعنى قوله ما يدرك أنها رقية فتامله.]

(1) البقرة: 106
(2) في : هـ 4: أجاز.
(5) من : هـ 4.
وقوله: ما كنا نأبه، قال صاحب الأفعال: أبتنت الرجل بخير أو شر نسبهما إليه. أبه أبنا.

* * *

باب: فضل البقرة

فيه: أبو مسعود: قال النبي ﷺ: من قرأ بالآية من آخر سورة البقرة في ليلة كفته.

وفيه: أبو هريرة قال: وكمنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يتحسر من الطعام فأخذته فقلت: لارفعتك إلى رسول الله ﷺ. فقال: إذا أبتنت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: صدفك وهو كذوب، ذلك شيطان.

قال المؤلف: إذا كان من قرأ الآية من آخر سورة البقرة كفته، ومن قرأ آية الكرسي كان عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، فما ظنك بما قرأها كلها من كفافه الله له وحرزه وحمايته من الشيطان وغيره، وعظيم ما يدخر له من ثوابها.

وقد روي هذامعنى عن النبي - عليه السلام - وروى معاذ، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: تعلموا القرآن، فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة، تعلموا البقرة وآل عمران، [تعلموا [1) الزهراوين، فإنهم تأتيان يوم

(1) من ٥٥٨٨.

* * *

باب : [فصل] [4] الكهف

في البراء : كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حسان مربوط بشطرين فغشيته سحابة / فجعل يدبو وتدنو. [و جعل] [5] فرسه ينفر، فلما أصبح النبي صل الله عليه وسلم قال له فقال : « تلك السكتة نزلت للقرآن ».


1. في «الأصل»: صاف.
2. في «الأصل»: و.
3. في «الأصل»: بقرة.
4. من، هي.
5. في «الأصل»: فجعل.
6. والثبوت من، ن.
7. في «الأصل»: عبادة.
وروي عنه [ أنها ] (1) ريح حجوج ولها رأسان. وقال مjahad:
sكينة لها رأس كرأس الهر وجناحان وذنب كذنب الهر. وعن [ ابن عباس ] (2) والريع: هي دابة مثل الهر، لعينيها شعاع إذا التقى الجماعان أخرجت (يديها) (3) فنظرت إليهم فيهم ما فيهن ذلك الجيش من الرب.
وعن ابن عباس والسدي: هى طست [ من ] (4) ذهب من الجنة يغسل فيها قلوب الأبناء. وعن أبي مالك: طست من ذهب ألفى موسى فيه التوراة والألواح والعصا. وعن وهب: السكينة: روح من الله تتكلم إذا اختلقوا في شيء بين لهم ما يريدون.
وتنزل السكينة لسماع القرآن بدل على خلاف قول السدي أنها طست من ذهب، يشهد لصحة قول من قال: إنها روح أو شيء فيه روح، والله أعلم.

* * *
باب: فضل سورة الفتح
فيه: عمر بن الخطاب: أنه كان يسير مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ليلًا، فسأله عمر عن شيء فلم يجيبه ثلاثًا، فقال عمر: تكفلك أمك، نزرت رسول الله ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعري حتى كنت أمام الناس وخشيت أن ينزل في قرآن فجئت النبي فقال: "لقد أنزلت علي الليلة سورة، فهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس. ثم قرأ "إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا" (5).

(1) في "الأصل": أنه. (2) في "الأصل": العباس.
(3) في "يهو": يديها.
(4) من "يهو": يديها.
(5) الفتح: 1.


(1) ليست بالأصل.
(2) الفتح: 1.
(3) في الأصل: رفع. والمثبت من هم.
(4) في إليها: الشيء.
(5) في الأصل: رفعين. والمثبت من هم.
(6) من هم: 15.
(7) غير مقلوبة في الأصل. والمثبت من هم.
(8) في الأصل: للهيئة. والمثبت من هم.
(9) في الأصل: إذلالهم. والمثبت من هم.
(10) في الأصل: إذلالهم.
السفع بالنعاصية، فخطبهم بالذي كانوا يتعارفون بينهم، ومثله قوله عليه السلام: أحب إلي ما طلعت عليه الشمس.

* * *

باب: فضل "قل هو الله أحد"

فيه أبو سعيد: أن رجلا سمع رجلا يقول: "قل هو الله أحد" يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي - عليه السلام - فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن.

وقال أبو سعيد في حديثه مرة: إن النبي ﷺ قال لصحابته: "أيجز أحدكم أن يقرأثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم وقالوا: أينما بطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: الله الواحد الصمد ثلث القرآن.


(1) من ١٥٢٨.
وأجتزوا بحديث أبي الدرداء أن النبي - عليه السلام - قال:

"لا أصحاب: أيجاز أحدكم أن يقرأ كل ليلة ثلاث القرآن؟ قالوا: نحن أعجز. قال: إن الله جزء القرآن فجعل قل هو الله أحد جزءًا من أجزاء القرآن.

قال المهلب: وحَكاه عن الأصلي - وهو مذهب الأشعري وأبي بكر بن الطيب، وابن أبي زيد والداودي، وابن القابسي، وجماعة علماء السنة: أن القرآن لا يفضل بعضه على بعض؛ إذ كله كلام الله وصفته، وهو غير مخلوق، ولا يجوز التفاضل إلا في المخلوقات؛ لأن المفصل ناقص عن درجة التفاضل [وصفات الله - تعالى - لا نقص فيها]؛ ولذلك لم يجز فيها التفاضل [1]. وقد قال إسحاق بن منصور: سألت إسحاق بن راهويه عن هذا الحديث فقال لي: معناه: أن الله جعل كلامه فضلاً على سائر الكلام، ثم فضل بعض كلامه على بعض بأن جعل لبعضه ثوابًا أضعاف ما جعل لبعض مؤرضًا منه عليه السلام على تعليمه وكثرة قراءته، وليس معناه: أنه لو قرأ:

"قل هو الله أحد" ثلاث مرات، كان كأنه قرأ القرآن كله، ولو قرأها أكثر من مائتي مرة.

bab: المعوذات

في عاشية: كان النبي إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفت، فلما اشتد وجهه كنت أقرأ عليه وأصبح بيده رجاء بركناها، وقالت أيضًا: كان النبي إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفت فيما قرأ فيها: "قل هو الله أحد" والمعوذات ثم يسح بهما ما استطاع من جسده، بدأ بهما على رأسه وزوجه وما أقبل من جسده.

يفعل ذلك ثلاث مرات. وقد تقدم حديث عائشة في كتاب الطب في
باب الرقية بالموعذات. ودل فعل النبي - عليه السلام - في رقية نفسه
عند شكوه وعند نومه متعدًا، بما على عظيم الработка في الرقية بهما،
والتعوذ بالله من كل ما يخشى في النوم، وقد روى عبد الرزاق،
عن الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم،
عن عقبة بن عامر قال: قال النبي - عليه السلام -: أنزل علي آيات
لم أسمع مثلهن: المعوذتين. وقال عقبة في حديثه مرة أخرى: قال
لي النبي: «قل هو الله أحد» و «قل أعوذ برب الفلق» و «قل
أعوذ برب الناس» تتوعد بهن، فإنه لم يتعد بمثلهن قط.

وقد تقدم في كتاب المرضى في باب النفث (في الرقية) من
كره النفث من العلماء في الرقية ومن أجازه.

* * *

باب: نزول السكينة والملائكة عند القراءة

وفيه: محمد بن إبراهيم أن أسيد بن حضير بينا هو يقرأ من الليل
سورة البقرة وفرسه مربوبة عنه; إذ جات الفرس، فسكنت فسكت,
ثم قرأ فجلس ثم انصرف، وكان ابنه يحيى قريبًا منها فأشفق أن
تصيبه، فلما أصبح وجد النبي فقال: "آركا يا بن حضير، قال:
أشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبًا، فرفعت رأسى إلى
السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها. قال
وتدري ما ذلك؟ قال: لا. قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو
قراءت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تنوارى منهم".

(1) من هـ.
في هذا الحديث أن أسيد بن حضير رأى مثل الظلة فيها أمثال المصاحب فقال النبي ﷺ: تلك الملائكة نزلت للقرآن، وقال عليه السلام في حديث البراء في سورة الكهف: تلك السكينة نزلت [للقرآن] (١). فمرة أخرى عن نزول السكينة، ومرة أخرى عن نزول الملائكة، فدل على أن السكينة كانت في تلك الظلة وأنها نزلت أبداً مع الملائكة، والله أعلم، ولذلك ترجم البخاري باب نزول السكينة والملاكية عند القراءة.

و(٢) في هذا الحديث أن الملائكة تجب أن تسمع القرآن / من بني آدم لا سيما قراءة المحسنين منهم، وكان أسيد بن حضير حسن الصوت بالقرآن (٣). ودل قوله لا بأس: لو قرأت لأصبحت تنظر الناس إليها لا تتوارى منهم على حرص الملائكة على سماع كتاب الله من بني آدم (٤). وقد جاء (٥) في الحديث أن الله الذي يقرأ فيه القرآن يضيء لأهل السماء كما يضيء النجم لأهل [الأرض] (٦) [و] (٧) تغسره الملائكة، وهذا كله ترغيب في حفظ القرآن، وقيام الليل به، وتحسين قراءته.

وبه جواب رؤية بني آدم للملائكة إذا تصورت في صورة يمكن للآدميين رؤيتها، كما كان جبريل ﷺ يظهر للنبي ﷺ في صورة رجل في كابته، وكثيراً كان يأتيه في صورة دنج الكبلي [و] [و] تقدم في باب الكهف تفسير السكينة بما أغني عن إعادته (٨).

وقوله: لو قرأت لاصبحت تنظر الناس إليها لا تتوارى منهم حجة من قال: إن السكينة روح أو شيء فيه روح؛ لأنه لا يصح حب استماع القرآن إلا من يعقل.

* * *

باب: من قال: لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتيين
فيه ابن عباس أنه سئل: هل ترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا
ما بين الدفتيين، [و(1) عن محمد بن الحنفية مثله.

* * *

باب: الوصية بكتاب الله
فيه: طلحة أنه سأل عبد الله بن أبي أوفى: أوصى النبي - عليه السلام؟ قال: لا. قلت: كيف كتب على الناس الوصية، أمروا بها
ولم يوصي؟ قال: أوصى بكتاب الله.

هذان البابان يردان قول من زعم أن النبي ﷺ أوصى إلى أحد، وأن
علي بن أبي طالب الوصي، وكذلك قال علي بن أبي طالب حين
سأله عن ذلك فقال: ما عدنا إلا كتاب الله وما في هذه الصحفة
[الصحيفة] (1) مقرونة بسيفه، فيها العقل وعفوك الأسبر، ولا يقتلي
[مؤمن] (2) بكافر، وقد تقدم [ذلك في غير موضع] (1).

* * *

باب: فضل القرآن على سائر الكلام
فيه: أبو موسى: قال النبي ﷺ: مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الأطرجة
طعمها طيب ورحيا طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب
ولا ريح لها، والفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الرحانة ريحها طيب
وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنطة طعمها مر
ولا ريح لها.

(1) من ٥٥٠، (2) في الأصل: مسلم، والثبت من ٨٠٠.
وفي ابن عمر: قال النبي - عليه السلام -: إذا أخلصكم فيما خلا من
الأمم كمثل ما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود
والنصرى كمثل رجل استعمل عمالاً. فقال: من يعمل لي إلى نصف
النهار على [قيراط] (1)? فعملت اليهود، فقال: من يعمل لي من
نصف النهار إلى العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم أنتم
تعملون من العصر إلى المغرب بقيراً قيراطين. قالوا: نحن أكثر
عملنا وأثقل عطاء. قال: هل ظلمتمكم من حقكم؟ قالوا: لا. قال:
فذلك فضلي أوتيه من شفت.

قال المؤلف: وجه ذكر البخاري لهذين الحديثين في هذا الباب هو
أنه لما كان ماجمع طيب الريح وطيب المطعم أفضل المأكلات، وشبه
النبي المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأنجرة التي جمعت طيب الريح وطيب
المطعم، دل ذلك أن القرآن أفضل الكلام، ودل هذا الحديث على
مثل القرآن وحامله والعامل به والتارك له، وكذلك حديث ابن عمر
لما كان المسلمون أكثر أجرًا من أهل التوراة وأهل الإنجيل دل ذلك على
فضل القرآن على التوراة والإنجيل؛ لأن المسلمين إنما (استحقوا) (2)
هذه الفضيلة بالقرآن الذي فضلهم الله به، وجعل فيه للحسنة عشر
أمثالها ومسيئة واحدة، وفضل عليهم بأن أعطاهم على تلاوته لكل
حرف عشر حسينات كما قال ابن مسعود، وقد أسنده عن النبي أيضاً.

وقد وردت آثار كثيرة في فضائل القرآن والترغيب في قراءته.

روي سفيان بن عاصم، عن زر [3] عن عبد الله بن عمرو،
عن النبي - عليه السلام - قال: "يقال لصاحب القرآن: آءا وارتقى
ورتى كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها."
وقالت عائشة: جعلت درج الجنة على عدد آي القرآن، فمن قرأ
ثلث القرآن كان على الثلث من درج الجنة، ومن قرأ نصفه كان على
النصف من درج الجنة، ومن قرأ القرآن كله كان في عليه لم يكن فوقه
أحد إلا النبي أو صديق أو شهيد.

وروى أبو قبيط، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ:
إن القرآن والصيام يشفعان يوم القيامة لصاحبهما، فيقول الصيام: يا
رب، إنى/ منعت الطعام والشراب فشفي فيه، ويقول القرآن: (1/959-ب).

يأبى، إنى/ منعته النوم بالليل فشفي فيه، فشفي فيه.

وروى أبو نعيم، عن بشير بن المهاجر، عن عبد الله بن بريدة،
عن أبيه قال: كنت جالسًا عند النبي - عليه السلام - فسمعته يقول:
إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين يشق عنه قبره كأرجل الشاب
فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك
القرآن الذي أظلمت في الهواجر وأشهرت [ليلك] (1)، وإن كل
نافذ من وراء تجارته، وإنك من وراء كل تجارة، فيعطي الملك ببيمه
والخلد بشماله، ووضع على رأسه تاج الوفاق، ويكسي والدها حلتين
لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بما [كسينا] (2) هذا [يفقال
لهما] (3): باخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج
الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أورتيلًا.

وقال ابن عباس: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر.

* * *

(1) في الأصل : ليلك. والثابت من «ه».
(2) في الأصل : كسينا. والثابت من «ه».
(3) في الأصل : فيقول. والثابت من «ه».

- 257 -
باب: من لم يتغنى بالقرآن وقوله تعالى: ﴿أو ليفكهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ (1)

واختلف الناس في معنى التغنى بالقرآن، ففسر ابن عيينة على أن المرواد به الاستثناء، الذي هو ضد الافتقار، ورواه عن [سعد] (3) ابن أبي وقاص، ذكر الحميدي، عن سفيان، حدثنا ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن أبي نهيف قال: لقيني سعد بن أبي وقاص في السوق [قال] (4): أتتكم كعبة، سمعت رسول الله ﴿يقول﴾: ليس منا من لم يتغنى بالقرآن.

وهكذا فسره وكيج، ومن تأول هذا التأويل كره قراءة القرآن بالألحان والترجع. روي ذلك عن أبي بن مالك وسعيد بن المسبح، والحسن، وأبي سيرين، وسعيد بن جبير، والتقليعي، وقال التقلعي: كانوا يكرهون القراءة بتطريب، وكانوا إذا قرأوا القرآن قرأوه حدراً ترتلًا ببزيج، وهو قول مالك: روي ابن القاسم عنه أنه سئل عن الإلحان في الصلاة فقال: لا يجعلني، وأعظم القول فيه - وقال: إذا هو غناة يغنين به ليأخذوا عليه الدراهم.

١) العتكبوت : ٥١ (٢) الملك : ١٣ (٣) في الأصل: سعيد، ولثبت من هم (٤) من هم.

وقالت طائفة: معنى التغني بالقرآن: تحسين الصوت به والترجيع بقراءته، والتغني بما شاء من الأصوات واللحنون وهو معنى قوله:

وقال صاحب له يريد: يجهز به. قال الخطابي: والعرب تقول:

سمعت قلنا يغنى بهذا الحديث - أي يجهز به - ويصرح لا يكني.

وقال أبو عاصم: أخذ بديع ابن جربوي وقفني على أشبع العلماء ونقل عنه:

وقال: عن ابن أخي، ما بلغ من طمعكم؟ قال: ما زفت امرأة بالمدينة إلا كشحت ببي رجاء أن تهدى إلي. يقول آخر ابن أخي بذلك مجازاً غير مسأئ ومنه قول: [ذي (٢): الرمة:

أحب المكان القفر من أجل أنتي، بهما أنتي باسمها غفر معجم أي أجهز بالصوت بذكراها، لا أنتي عنده حذار، كاشح أو خوف رقيب.

قال المؤلف: ذكر عمر بن شبة قال: ذكرت لأبي عاصم النبي.

تأويل ابن عيسى في قوله عليه السلام: يغنى بالقرآن: يستغني به. فقال: لم يصنع ابن عيسى شيئاً، حديثاً، ابن جربوي، عن عطية، عن عبيد ابن عمر قال: كانت لناود نبي الله معرفة يغنى عليها وتلك ويكفي.

وقال ابن عباس: إنه كان يقرأ الزبور بسبعين لثنا، يلون فيهن، ويقرأ قراءة يترقب منها المحموم، فإذا أراد أن يبني نفسه لم تبق دابة في بر أو بحر إلا أنصنت يسمعون ويكفين.

(1) في "الأصل" ووجه: والثبت من هه.
(2) في "الأصل" ذو: والثبت من هه.
ومن الحجة لهذا القول أيضًا حديث ابن معقل في وصف قراءة رسول الله وفيه "ثلاث مرات" وهذا غياب الترجم ذكره البخاري في كتاب الاعتصام / وعمل الشافعي عن تأويل ابن عبيدة فقال: "نحن أعلم بهذا، لو أراد عليه السلام الاستعانة لقال: من لم يستغنى بالقرآن. ولكن لما [ قال (1) عليه السلام: "يغنى بالقرآن". علمنا أنه أراد به التغني. وكذلك فسر ابن أبي مليكة التغني أنه تحسن الصوت به. وهو قول ابن المبارك والنضر بن شميل.


وأجازه ابن عباس وابن مسعود، وروي عن عطاء بن أبي رباح، واحتج بحديث عبيد بن عمر، وكان عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد ينتمي الصوت الحسن في المساجد في شهر رمضان، وذكر الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه أنهم كانوا يسمعون القرآن بالألحان، وقال محمد بن عبد الحكم: رأيت أبي والشافعي ويوسف بن عمر يسمعون القرآن بالألحان. واحتج الطبري لهذا القول، وقال: الدليل على أن معنى الحديث: تحسن الصوت والغناء المعقول الذي هو تخزين القارئ سامع قراءته، كما الغناء بالشعر هو الغناء المعقول الذي يطرب السامع، وما روى سنان عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي - عليه السلام - قال: "ما أذن [ الله (2) لشيء ما آذن لنبي".

(1) في "الأصل": كان، واللثبت من "ه".
(2) في "الأصل": اختيار، واللثبت من "ه"، (2) من "ه".

- 260 -
حسن الترتنم بالقرآن، ومعقول عند ذوي [الحجة] (1) أن الترتنم لا يكون إلا بالصوت إذا حسن الترتنم وطرد به. وروي في هذا الحديث: ما أذن الله ليشيء ما أذن النبي حسن الصوت يغنى بالقرآن يجهر به، رواه زيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبيه هريرة عن النبي - عليه السلام -. قال الطبري: وهذا الحديث ابن البيان أن ذلك كما قلتنا، ولو كان كما قال ابن عبيبة لم يكن كذلك، وحسن الصوت والجهر به معني. والمعروف في كلام العرب أن التغني إذا هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجع، وقال الشاعر:

تنغن بالشاعر أما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار قال: وأما ادعاء الزاعم أن تغنت به عن استغنت فاش في كلام العرب وأشعارها، فلا نعلم أحدًا من أهل العلم بكلام العرب قالت، وأما احتجاجه ليصح قوله بقول الآخرين:

وكنت امرأ زمتن بالعراق عفيف المناخ طويل النغين وزعم أنه أراد بقوله: طويل النغين: طويل الاستغناء، أي الغناء. فإنه غلط، وإذا عن الأعشي بالغنين في هذا الموضع الإقامة من قول العرب: غني فلاين يمكنا إذا آقام به، ومنه قوله تعالى: «كأن لم يغنوا فيها» (2)، وأما استشهد به قوله:

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا منته أشذنغانيا فإنه إغفال منه، وذلك أن الغنائي تفاعل من نفسين، إذا استغنى كل واحد منهما عن صاحبه كما يقال: تضارب الرجلان إذا ضرب كل واحد منهما صاحبه، وتشاكل وثالثًا، ومن قال هذا القول في فعل أثين لم يجز أن يقول مثله في فعل الواحد، [ و] (1) غير جائز

(1) من 1 هـ. (2) الأعراف : 92. 261
أن يقال: تغاني زيد وتضارب عمر، وكذلك غير جائز أن يقال:

[موجه] (1) {الغنى بالقرآن [إلى هذا المعنى [2]}.

[مفهم] (2) كلام العرب كانت المصيبه في خطابه في ذلك أعظم:

لأ لأنه لا يوجب ذلك من تأويله أن يكون الله تعالى [ لم (3) ] يذن لنيبه أن يستغني بالقرآن، وإنما أذن له أن يظهر للناس من نفسه خلاف ما هو

به من الخلل، وهذا لا يخفى فساده.

قال: وما يبين فساد تأويل ابن عيينة أيضًا إلا يستغني عن الناس بالقرآن. من المحال أن يوصف أحد بأنه يؤذن له فيه أو لا يؤذن إلا أن يكون الإذن عند ابن عيينة بمعنى الإذن الذي هو إطلاق وإباحة، فإن كان كذلك فهو غلط من وجهين: أحدهما: من اللغة، والثاني: من إجابة المعنى عن وجهة / فأنا اللغة فإن الإذن مصدر قوله أذن فلان لكلام فلان، فهو يذن له إذا استمع له وأنصت، كما قال تعالى:

[ورأذنت لربها وحقت ] (4) بمعنى: سمعت إنها [ وحق ] (5) لها.

ذلك كما قال عدي بن يزيد:

إن همي في سماع وأذن

بمعنى: في سماع واستماع. فمعنى قوله: ما أذن الله لي شيء إما هو

ما استمع الله إلى شيء من كلام الناس ما استمع إلى نبي يتغاني بالقرآن.

وأما الإجابة في المعنى فلا أن الاستغنا بالقرآن عن الناس غير جائز.

---

(1) في الأصل: { موجه } والثبت من { هذ }.
(2) من { هذ }.
(3) في الأصل: { أن }.
(4) الانشقاق: { و }.
(5) في الأصل: { فيحق } والثبت من { هذ }.
قال المؤلف: وقد رفع الإشكال في هذه المسألة أيضًا ما رواه ابن أبي شيبة قال: حدثنا يزيد بن الحباب قال: حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: "تعلموا القرآن وتغنا به واكتبوه، فوالذي نفسي بيده لهما أشد تقضيًا من المخاض من العقل.

وذكر أهل التأويل في قوله تعالى: "أو لم يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب بين لهم؟" (1) أن هذه الآية نزلت في قوم أتوا النبي بكتاب فيه خبر من أخبار الأمم. [فماراد بالآية الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم] (2) على ما ذكره إسحاق بن راهويه عن ابن عيينة، وليس المراد بالآية الاستغناء الذي هو ضد الفقر وإتباع البخاري الترجمة بهذه الآية يدل أن هذا كان مذهب في الحديث، والله أعلم.

وسيأتي شيء من هذا المعنى في آخر كتاب الاعتصام في باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه عز وجل، وفي باب قول النبي ﷺ: الماهر بالقرآن مع الكرام البررة إن شاء الله - عز وجل] (3).

**

باب: اغتباط صاحب القرآن


وفيه: أبو هريرة: قال عليه السلام: "لا حسد إلا في اثنين: رجل علمه

(1) المكتوب: 51 (2) من هـ

(3) في "الأصل": وسياطي في كتاب الاعتصام منه وثبت من هـ
القرآن فهو يتلوء أئنا الليل [وآنا] (١) النهار، فسمعه جار له فقال: لبني أتربت مثل ما أتربت فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتى الله ما أتربت يهلكه في الحق، فقال رجل: بني أتربت مثل ما أتربت فلان فعملت مثل ما يعمل.

قال المؤلف: ذكر أبو عبيد بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: من جمع القرآن فقد حمل أمرًا عظيمًا، وقد استدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحي إليه، فلا ينبغي لصاحب القرآن أن يرث فيمن يرث ولا يجهل فيمن يجهل، وفي جروه كلام الله.

وقال سفيان بن عيينة: من أعظم القرآن فله عينه إلى شيء ما صغر القرآن فقد خالف القرآن، ألم يسمع قوله عز وجل: (وقد أتى نعشاً من اللثاني والقرآن العظيم) (٣٣) الآية. قال: يعني القرآن، قوله عز وجل: (تجلاف وجعلهم من المضاجع يدعون ربهم خوفًا) (٤٩) الآية. قال: هو القرآن.

قال أبو عبيد: ومن ذلك قول النبي - عليه السلام -: ما أنفق عبد من نفقة أفضل من نفقة في قول. ومنه قوله شريخ لرجل سمعه يتكلم فقال له: أمسك عليك نفقاتك. وفي حديث ابن عمر وأبي هريرة: أن حمل القرآن ينفعه له القيام به أئنا الليل والنهار، ومن فعل ذلك فهو الذي يجاد على فعله فيه، وكذلك من آتى الله وإلَّه مالًا وصدق به أئنا الليل والنهار، فهو الحسود عليه، ومن لم يصدق به وشح عليه فلا ينبغي حسده عليه لا يجتني من سوء عاقبته وحسابه [عليه].

* * *

١) في الأصل: (وأطراف). والثابت من هه، نن.
٢) الحجر: ٨٧.
٣) السجدة: ١٦.
٤) في الأصل: (عه). والثابت من هه، نن.
باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه
فيه: عثمان عن النبي - عليه السلام - قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

قال أبو عبد الرحمن: وذلك الذي أعدني مقيدي هذا، وقال مرة:
"إن أنفستكم من تعلم القرآن وعلمه.
وفيه: سهل بن سعد: "أن امرأة أتت النبي - عليه السلام - فقالت:
إني قد وهبت نفسي ورسوله الحديث، فقال رجل: زوجنيها إلى قوله: قد زوجتكها بما معك من القرآن.

قال المؤلف: حديث عثمان يدل أن قراءة القرآن أفضل أعمال البر
كلها؛ لأنه لم كان من تعلم القرآن أو علمه أفضل الناس وخيرهم.
ذلك على ما قلناه; لأنه [إذا] [1] وجبت له الخيرية وفضل من أجل القرآن، وكان له فضل التعليم جارياً ما دام كل من [علمه] [2]
تاليًا. وحديث سهل إذا ذكره في هذا الباب; لأنه زوجه المرأة لحرمته.

وأما روي في فضل تعلم القرآن وحمله ما ذكره أبو عبيد من حديث
عقبة بن عامر - قال: خرج علينا رسول الله ونحن في الصفة،
فقال: "أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بيطحان أو العمق فياخذ
ناقتين كوماً من زهراً وامرأة في غير إثم ولا قطيعة رحم.
قلنا: كلنا يا رسول الله نحب ذلك. قال: فلان بعد يغدو أحدكم [كل يوم] [3]
إلى المسجد فيتعلم آتين من كتاب الله [خير له] [3] من ناقتين ومن
ثلاث ومن أعدادهم من الأبل.

وذكر عن كعب الأخبار أن في التوراة أن الفتي إذا تعلم القرآن وهو
حديث السن وعمل به وحرص عليه وتابعه; خلطه الله بلحمه.

---

ودمه وكتبه عنده من السفرة الكرام البررة، وإذا تعلم الرجل القرآن، وقد دخل في السن وحرص عليه، وهو في ذلك يتابعه ويتفلت منه كتب له أجره مرتين.


*BAB: القراءة (علي)*

(1) ظهر (قلب) 


للقرآن. وقد روي عن النبي - عليه السلام - تعظيم حامل القرآن وإجلاله وتقديمه. ذكر أبو عبيد من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز [1] قال رسول الله ﷺ: "إن من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة: الإمام المقطّع، وذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن".

وكان صلى الله عليه يأمر يوم أحد بذَف النزلتين والثلاثة في قبر واحد، ويقول: قدموا أكثرهم قرأنا. وقد روي عن النبي - عليه السلام - أنه أمر بالقراءة في المصحف نظراً من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسح بن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "أعطوا أعينكم حظها من العبادة، قالوا: يا رسول الله، وما حظها من العبادة؟ قال: النظر في المصحف والفكر فيه، والاعتبار عند عجبانه".

وقال يزيد بن أبي حبيب: عن قرأ القرآن في المصحف خفف عن والديه العذاب وإن كانا كافرين. وعن عبد الله بن حسان قال: اجتمع أئمة عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ على أن من أفضل العبادة قراءة القرآن نظراً، وقال أسد بن وداعة: ليس من العبادة شيء أشد على الشيطان من قراءة القرآن [نظرًا] [2]. وقال وكيع: قال الثوري: سمعنا أن تلاوة القرآن في الصلاة أفضل من تلاوته في غير الصلاة، وتلاوة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الصدقة، والصدقة أفضل من الصوم، والقراءة في المصحف أحسن من القراءة ظاهرًا؛ لأنها مباهة. هذه الآثار من رواية ابن وضاح.

* * *

باب: استذكار القرآن وتعاهده

فإِنْ أَمَرْتَ نَبِيًّا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَبَشَّرْهُم بِمَا لَمْ يَرَى وَلَا يَأْمُرْهُ - فإِنَّمَا صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَأْمُرُ بِمَا لَمْ يَرَى وَلَا يَأْمُرْهُ - فإِنَّمَا صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَأْمُرُ بِمَا لَمْ يَرَى وَلَا يَأْمُرْهُ - فإِنَّمَا صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَأْمُرُ بِمَا لَمْ يَرَى وَلَا يَأْمُرْهُ.


وفيه: ابن مسعود عن النبي ﷺ: استذكروا القرآن، فإنه أشد تفصيلاً من صدر الرجال من النعم من عقلها، ورواه أبو موسى عن النبي ﷺ، وقال: تعاذوا بالقرآن.


* * *

باب: القرآن على الذاية

فيه: ابن معقل: رأيت النبي - عليه السلام - يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح.

إذا أراد بهذا الباب - والله أعلم - ليدل أن القراءة على الذاية سنة موجودة، وأصل هذه السنة في كتاب الله تعالى، وهو قوله: (1) من هـ. (2) في الأصل: وأنه. (3) المحرم: 5. (4) القيامة: 17. (5) القرم: 17 وغيرها.

- ٢٦٨ -
» لستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكما إذا استويا عليها«(1).

* * *

باب: تعليم الصبيان القرآن

فيه: ابن جبير: قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم.

وقال ابن عباس: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم،قيل له: وما المحكم؟ قال: المفصل.

ذكر ابن أبي زيد قال: روي أن تعليم القرآن الصبيان يطفئ غضب النور، وإذا سمى المفصل لكثرة السور والفصول فيه، عن ابن عباس. وقيل: إذا سمى بالمحكم أيضًا، لأن أكثره لا نسخ فيه.

واختلف في سن ابن عباس حين مات النبي - عليه السلام - فروى أبو بشر، عن سعيد بن جبير في هذا الباب ما تقدم.

وقال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: قبض النبي - عليه السلام - وأنا ختيم. وروى شعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: توفي النبي ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة. وذكر الزبير والواقد أن ابن عباس ولد في الشعب، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكان ابن ثلاث عشرة سنة حين توفي النبي ﷺ.

* * *

(1) الزخرف : 12
باب: نسيان القرآن، وهل يقول: نسية آية كذا وكذا؟

وقول الله عز وجل: «سنقرئك فلا تنسى» (1)

فيه: عائشة: «سمع النبي رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: برحمه الله، لقد أذكروني كذا وكذا آية أسقطهن من سورة كذا».

وفيه: عبد الله: قال النبي: «ما لأحدهم يقول: نسية آية كيت وكيت، بل هو نسي».


وحدث عبد الله خلاف هذا، وهو قوله: «ما لأحدهم يقول: نسية آية كيت وكيت، بل هو نسي».

فاستحب عليه السلام أن يضيف النسيان إلى خالقه الذي هو الله - تعالى - وقد جاء في القرآن عن موسى عليه السلام أنه أضاف النسيان مرة إلى نفسه ومرة إلى الشيطان.

فقال: «إني نسيت الموت وما أنساني إلا الشيطان أن أذكره» (3).

وقال النبي - عليه السلام -: «إني لأنسي أو أنسي لأسنٌ». يعني إني لأنسي أنا أو أنسيي ربي، فحسب النسيان مرة إلى نفسه، ومرة إلى الله - تعالى - هذا على قول من لم يجعل قوله: إني لأنسي أو أنسي، شكا من المحدث في أي الكلمتين قال. وهو قول عيسى بن دبار، وليس في شيء من ذلك اختلاف ولا تضاد في المعنى، لأن لكل إضافة منها معنى [ صحيحًا] (4) في كلام العرب، فمن أضاف النسيان إلى الله فلانه خالقه وخلال الأعمال كلها، ومن نسبه إلى نفسه فلان النسيان.

(1) الأعلى: 6.
(2) في الأصل: بذلك. والضبط من هـ.
(3) الكهف: 33.
(4) في الأصل: صحيح. والضبط من هـ.
فعال منه مضاف إليه من جهة الاكتساب والتصرف، ومن نسبه إلى الشيطان فهو معنى الوسوس في الصدور وحديث الأنفس بما جعل الله للشيطان من السلطان على هذه الوسوسا، فكل إضافة منها وجه صحيح، وإنما أراد عليه السلام بقوله – والله أعلم – : "ما لأحدهم يقول / [نسبت أي] (1) كذا وكذا؛ بل هو نسي؛ أن يجري على [السن العبد نسبة] (2) الأفعال إلى بارثها وخلافها، وهو الله، ففي ذلك إقرار له بالعبودية واستسلام لقدرته، وهو أولى من نسبة الأفعال إلى مكتسبها [فإن نسبها إلى مكتسبها] (1) فجائز بدليل الكتاب والسنة.

* * *

باب: من لم يرد أساً أن يقول: سورة البقرة فيه: [أبو] (3) مسعود الأنصاري قال عليه السلام: "الآيات اللتان من سورة البقرة من قرأ بها كتبته.

وفيه: عمر: أن مسلم هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد رأيه دمة حروف كثيرة..." الحديث.

وفيه: عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سماه قارئا يقرأ من الليل في المسجد. فقال:

يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسكتتها من سورة كذا وكذا.

في هذه الأحاديث رد قول من يقول أنه لا يجوز أن يقول سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، وزعم أن الصواب في ذلك أن يقال: السورة التي يذكر فيها البقرة وذكر فيها آل عمران، وهو قول يروى عن بعض السلف.

وقالوا: إذا قال سورة البقرة وسورة آل عمران فقد أضاف السورة.

(1) في الأصل: "السن المتاعب، والثبوت من هه.
(2) في الأصل: ابن، والثبوت من هه، ن.
(3) من هه.
إلى البقرة، والبقرة لسورة لها، وقد تقدم في كتاب الحج في باب يكبر مع كل حصاة] (1).

* * *

باب: الترتيل في القراءة

وقوله تعالى: وَرَتَّلَ الْقُرآنَ تَرْتِيِلًا (2) وفيه: وَقُرّآناً فَرْقَانًا

لتقرأه على الناس على مكت ونزلنها تنزيلاً (3).


وفيه: ابن عباس في قوله تعالى: لا تُحرک به لسانك للعجل به (6) قال: كان رسول الله إذا نزل جبريل باللحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأنزل الله تعالى: لا تُحرک به لسانك (7) الحديث.

قال المؤلف: ذكر أبو عبد عن مجاهد في قوله تعالى: وَرَتَّلَ الْقُرآنَ تَرْتِيِلًا (2) قال: ترسل ترسلاً.

وقال أبو حمزة (7): قلت لابن عباس: إنني سريع القراءة، وإنني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: لان أقرأ البقرة في ليلة فأتبدى بها.

ورتبها خير من أن أقرأا كما تقول. وقال مرة: خير من أجمع القرآن هذة، وأكبر العلماء يستحبون الترتيل في القراءة ليتدبر الأقرى ويتفق معانيه. روى علامة عن ابن مسعود قال: لا تش böء نثر الدقل ولا تنهوء هذ الشعر، قفوا عند عجائب، وحركوا به القلوب، ولا يكن لهم أحدكم آخر السورة.

وذكر أبو عبيد أن رجلًا سأل [مجاهد] (١) عن رجل قرأ البقرة وآل عمران، وجلب قرأ البقرة قيامهما واحد وركوعهما واحد وسجودهما واحد، أنهما أفضل؟ قال: الذي قرأ البقرة. وقرأ: وقلت قرأنا فرقتنا لتقرأه على الناس على مكت.. (٢) الآية. وقال الشعبي: إذا قرأتم القرآن فاقرأوه قراءة تسمعه آذانكم، وتفهمه قلبكم، فإن الأذنين عدل بين اللسان والقلب، فإذا مرتم بذكر الله فاذكروا الله، وإذا مرتم بذكر النار فاستعذوا بالله منها، وإذا مرتم بذكر الجنة فاسألوها الله.

وفيها قول آخر: روي ابن القاسم وابن وهب عن مالك في الهد في القراءة قال: من الناس من إذا هذ كان أخف عليه وإذا رثل أخطأ، ومن الناس من لا يحسن الهد، والناس في هذا على قدر حالاتهم وما يخف عليهم، وكل واسع.

وقد روي عن جماعة من السلف أنهم كانوا يختمون القرآن في ركعة، وهذا لا يمكن إلا بالهد، والجدة لهذا القول حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: خنف على داود القرآن، فكان يأمر بدواه فترحت فيه القرآن قبل أن تحرح، وهذا لا يتم إلا بالهد وسرعة القراءة، والمراد بالقرآن في هذا الحديث الزبور.

(١) في "الأصل": مjahad. والثابت من ٦ هـ.
(٢) الإسراء: ١٠٢.
ذكره البخاري في كتاب الأنبياء وداوو عليه السلام من أنزل الله فيه:

أولئك الذين هدى الله بهذاهم أقتنوه (1)، وإن ذكر النبي - عليه السلام - هذا الفعل من داود عليه السلام على وجه الفضيلة له والإعجاب بفعله، ولو ذكره على غير ذلك لنسخه ولأمر بمخالفته، فدل على إباحة فعله والله أعلم، وسأذكر من كان يقرأ القرآن في ركعة بعد هذا في باب: في كم يقرأ القرآن، إن شاء الله [2].

* * *

باب: مد القراءة

فيه: أنس أنه سئل عن قراءة النبي - عليه السلام - فقال: كان يقرأ ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله، وبد بالرحمن، وبد بالرحيم، وذكر أبو عبيد عن الليث [نعن] (3) ابن أبي مليكة، عن يعلى ابن مالك عن أم سلمة أنها نعتت قراءة رسول الله قراءة، مفسرة [3]


* * *

(1) الأعمام: ۹۰.
(2) من هـ.
(3) في الأصل: عشر، والثبت من هـ.
(4) في الأصل: فعل، والثبت من هـ.
(5) في الأصل: وقال، والثبت من هـ.
باب: الترجيع


* * *

باب: حسن الصوت بالقراءة

فيه: أبو موسى: أن النبي - عليه السلام - قال له: "لقد أُوتيت مزماراً من مزامير آل داوود".

وروى ابن شهاب عن أبي سلمة قال: كان عمر إذا رأى أبو موسى قال: ذكرنا ربي يا أبا موسى، فقرأ عندها. وقال أبو عثمان النهدي: كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت: إنني لم أسمع صوت صنح قط ولا صوت بريط ولا شيئًا قط أحسن من صوته.

قال أبو عبيد: ومحمول الأحاديث التي جاءت في حسن الصوت إذا [ هو ] (4) على طريق الحزن والتخويض والتشويق.

____________________

(1) في "الأصل": بينة، والمثبت من "هـ، ن".
(2) في "الأصل": يحكي، والمثبت من "هـ، ن".
(3) في "الأصل": هي، والمثبت من "هـ، ن".
(4) في "الأصل": هو، والمثبت من "هـ، ن".

٢٧٥
بين ذلك حديث أبي موسى أن أزواج النبي [ سمعوا ] (1) قراءته
فأخبر بذلك فقال: لو علمت لشوقت تشويقاً وحبرت تغييراً، فهذا
وجهه، لا الأخوان المطربة الملهية.

روى سفيان عن ابن جريج، عن ابن طارس، عن أبيه قال:
سأله رسول الله، أي الناس أحسن صوتًا بالقرآن? قال: الذي إذا
سمعته رأيته يخشى الله. وعن ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن
السابق قال: قد علمنا سعد بعد ما كف بصره فأتيه مسجلاً فانتسب
فاتنبعت له، فقال: مرحباً بابن أخي، بلغني أنك حسن الصوت
بالقرآن، وسمعت النبي [ ] يقول: إن هذا القرآن نزل [ بحزن] (2),
إذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبوا فبوا.

وذكر أبو عبيد بإسناده قال: كنا على سطح، ومعنا رجل من
أصحاب النبي [ ] قال: المحدث: ولا أعلم إلا عيسى الغفاري
فرأى الناس يخرجون في الطاعون يقررون فقال: يا طاعون، خذني إليك،
فقيل: أتمم من الموت، وقد نهى النبي [ ] عن ذلك؟ قال: إني أبادر
خصائصاً، سمعت النبي [ ] يتخوفن على أمته: ببع الحكم،
والاستخفاف بالدم، وقطعية الرحم، [ و ] (3) قوم يتخذون القرآن
مزامير يكرون أحاديث ليس بأفظعهم ولا أفضلهما إلا ليغتنمهم به غناء، وقال
أبو سليمان الخطابي: قوله: آل داود، فإن أراد داود نفسه لانا لعلم أحدها
من آل أعلم من حسن الصوت ما أعطي داود قال غيره: والآله عند العرب:
الشخص، قال أبو سليمان: وسأله أبو [ عبيدة] (4) معمر بن المثنى عن رجل
owski لألفان. ألفان نفساً نفساً من هذا شيء؟ قال: نعم. قال:

(1) في "الأصل": يسمعوا. والمثبت من "ه".
(2) في "الأصل": محزن. والمثبت من "ه".
(3) من "ه".
(4) في "الأصل": عبيد. والمثبت من "ه".

- 276 -
 تعالى : { أدخلوا آل فرعون أشد العذاب } (1) . ففرعون أولهم

وأنشد :

ولا تبكي ميتا بعد ميت أحبك علي وعباس وأبي بكر / 

يريد أبا بكر نفسه ، وقال ابن عون : كان الحسن إذا صلى على النبي قال : اللهم اجعل صلواتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . يريد بال محمد نفسه ؛ لأن الامير من الله بالصلاة إذا ينوح إليه يقول تعالى : { يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ... } (2) الآية . وقد يكون آل الرجل أهل بيه الآدمي ، وقيل زيد بن أرقم : آل محمد آل عباس وألف عقيل ، وألف جعفر وألف علي . وقال أبو عبيد في قوله تعالى : { وإذا نزهتمكم من آل فرعون } (3) . قال : هم أهل دينه قال : ولا يجوز ذلك إلا في الرئيس الذي يبايع له تبع ، وكذلك آل محمد إما [ هم ] (4) أمه وأهل دينه قال : فإذا جاوزت هذا فالرجل : أهل بيه خاصة . وقال بعض الناس : قول أبي عبيدة خطأ عند الفقهاء لم يقل به أحد منهم .

* * *

باب : من أحب أن يسمع القرآن من غيره


معنى اسماعه القرآن من غيره - والله أعلم - ليكون عرض القرآن سنة ، ويعتمد أن يكون كي تتدبره ( ويفهمه ) (5) ، وذلك أن المستمع (6) أقوى

(1) غافر : 41 . (2) الأحزاب : 56 .

(3) البقرة : 49 . (4) في { الأصل } هو . والثبت من { هـ } .

(5) في { هـ } ويفهمه . (6) في { الأصل } السمع ، والثبت من { هـ } .

- 277 -
على التدبر، ونفسه أخلي وأنشئ لذلك من نفس القارئ؟ لأنه في شغل بالقراءة وأحكامها، فإن قيل: فقد يجوز أن يكون سماعه [١١٠] للقرآن من غيره كما قلت، فما وجه قراءته عليه السلام القرآن على أبيه؟ وقد ذكره البخاري في فضائل الصحابة في فضائل أبيه. قيل: يحتمل أن يكون وجه ذلك ليبلقه أبيه من فيه عليه السلام، فلا يتخالج شك في اختلاف القراءات بعده، وذلك أنه خاف عليه الفتنة في هذا الباب. لأنه لا يجوز أن يكون أحد أقرآ للقرآن من النبي صلّي الله عليه وسلم، ولا أوعى له وأعلمه به لأنه نزل به الروح الأمين على ذلك لتكون من المذكرين بلسان عربي مبين، قاله الخطابي، وقال أبو بكر بن الطفيل نجوى: قال: قرأ النبي صلّي الله عليه وسلم على أبيه وهو أعلم بالقرآن منه وأحفظ، لأخذ أبيه. فحفظه وسمته وحذقه. وقد روى هذا التأويل عن أبيه وابنه.

* * *

باب: قول المقرئ للقارئ: حسبك


قال المؤلف: في جوار قطع القراءة على القرئ إذا حدث على القرئ عذر أو شغل بال؟ لأن القراءة على نشاط القرئ أولى لتتدرّب معاني القرآن ويتحم بعجاهه، ويختم أن يكون أمره عليه السلام بقطع القراءة تنبيهًا له على الموعظة والاعتبار في قوله تعالى: فكيف إذا جئت من كل أمة بشهد ... (٢) الآية. ألا ترى أنه عليه السلام بكي عنها، وبيكهه.

(١) في، الأصل: إنهيت. والمثبت من هـ، ن
(٢) النساء: ٤١

٢٧٨
إشارة منه إلى معنى الوعظ؛ لأنّه مثل لنفسه أهواه يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لامته بتصديقه، والإيمان به وسؤاله الشفاعة لهم ليرحبهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن.

* * *

باب: في كم يقرأ القرآن
وقوله تعالى: { فاقرأوا ما تيسر منه } (1)
فبه: سفيان قال: قال { في ] (2) ابن شرمه: نظرت كم يكفي الرجل من القرآن؟ فلم أجد سورة أقل من ثلاث آيات. فقلت: لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات.

وفيه: ابن مسعود قال النبي - عليه السلام -: » من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفته. "</p>  

قال البخاري: قال بعضهم: في ثلاث أو في خمس أو في سبع وأكثر عام على سبع، وقال عليه السلام لعبد الله بن عمرو: اقرأه في سبع ولا تزيد على ذلك.

(1) الزمر : 20. (2) من هـ.
(3) في الأصل ، هـ : عمر ، والمثبت من هـ.
(4) في الأصل : فيسله ، والمثبت من هـ ، ن.
قال المؤلف: ذكر أهل التفسير في تأويل قوله تعالى: ١٠٠ «فأقرأوا ما تيسر منه» (1) قالوا: ثلاث آيات فصاعدًا. ويقال: أقصر سورة في القرآن كما قال ابن شرابة. قوله عليه السلام: من قرأ بالآثرين من آخر سورة البقرة كنتاه، نص في أن قارئ الآثرين داخل في معنى قوله: ١٠٠ «فأقرأوا ما تيسر منه» (1)، وفي حديث عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ أمره أن يقرأه في سبع ليالي، وكان جماعة من السلف يأخذون بهذا الحديث. روی ذلك عن عثمان بن عفان وابن مسعود و起义م الداري، وعن إبراهيم النخعي مثله. وذكر أبو عبيد عن زيد بن ثابت أنه سئل عن قراءة القرآن في سبع فقال: حسن، ولن أقرأ في عشرين أو في النصف أحب إلي من أن أقرأ في سبع، وسلمي لم ذلك؟ أردده وافق عليه، وكان أبي بن كعب يختمه في ثمان، وكان الأسود يختم القرآن في نست، وكان علامة يختمه في خمس، وروى الطيب بن سليمان، عن عمرو، عن عائشة أن رسول الله كان لا يختم القرآن في أقل من ثلاث. وعن قتادة عن زيد بن عبد الله بن الشخیر عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث.

وروي عن معاذ بن جبل: وكانت طائفة تقرأ القرآن كله في ليلة أو ركعة. روی ذلك عن عثمان بن عفان و起义م الداري، وعن علامة وسعيد بن جبير أنهما قرأا القرآن في ليلة بكره، [ وكان ] (2) ثابت البنىاني يختم القرآن في كل يوم وليلة من شهر رمضان، وكان سليمان يختم القرآن في ليلة ثلاث مرات، ذكر ذلك كله أبو عبيد وقال: الذي أختار من ذلك لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، لما روی عن النبي وأصحابه من الكراهة لذلك.

(1) الزمرل: ١٠٠ (2) في الأصل: فكان، والمؤدب من "ه".
باب: البكاء عند قراءة القرآن


قال المؤلف: البكاء عند قراءة القرآن حسن، قد فعل النبي عليه السلام وكبار الصحابة، وإما بكي عليه السلام عند هذا لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لامته بتصديقه والإيمان به، وسؤاله الشفاعة لهم ليبرحمهم من طول الوقف وأهواءه، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن.

ذكر أبو عبيد عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: انتهت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي ويلو نهبه أزيز كأيز المرجل من البكاء.

واعن الأعشش عن أبي صالح قال: لما قدم أهل اليمن في زمن أبي بكر سمعوا القرآن فجعلوا يكرون قال أبو بكر: هكذا كنا ثم قست القلوب.

وقال الحسن: قرأ عمر بن الخطاب: إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع [فربا] ربوة عيد منها عشرين يومًا.

وقال عبيد بن عمر: صلى لنا عمر صلاة الفجر فقرأ سورة يوسف حتى إذا بلغ: وابتست عيناه من الحزن فهو كظمٌّ [فربا] إلى أنقطع فركع.

(1) النساء : 41. (2) في الأصل «و والسبت من هـ ، ن».
(3) الطور : 8. (4) في الأصل «وريا والسبت من هـ».
(5) يوسف : 84.
وفي حديث آخر لما قرأ: "إنا أشكو بئي وحزني إلى الله" (1) يكى
حتى سمع نشجيه من وراء الصفوف.

وعن ابن المبارك، عن مسخر، عن عبد الأعلى التيمي قال: من أؤتي من العلم ما ل [يكية] (2)، فليس بخيل أن يكون آتي علمًا ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت العلماء فقال: "إني الذين أوتوا العلم من قبلهم إذا كنوا عليهم يخرون للأذقان سجدًا..." (3) الآتيين.

وقرأ عبد الرحمن بن أبي ليلى سورة مرّيم: فقأمة [انتهى] (4) إلى قوله: "خروا سجداً وركبًا" (5) فسجد بها، فلما رفع رأسه قال:

وعن عكرمة قال: سئت أسماء: هُل كان أحد من السلف يغشى
عليه من القراءة؟ فقالت: لا، ولكنهم كانوا يكسبون.

وقال هشام بن حسان: سئت عائشة عمن يصعق عند قراءة القرآن، فقالت: القرآن أكرم من أن تنف عقول الرجال، ولكنه كما قال الله: "تُشير من جلود الذين يخشون ربههم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله." (7)

* * *

(1) يوسف : 86.
(2) الإسراء : 107.
(3) مريم : 58.
(4) الزمر : 23.

- 282 -
وسائل ابن (1) سيرين عن ذلك فقال: ميعاد بيننا وبينه أن يجلس على حائط ثم يقرأ عليه القرآن كله، فإن وقع فهو كما قال.

* * *

باب: من رأى بقراءة القرآن أو تأكد به أو فجر به فيه: علي قال النبي - عليه السلام -: "يأتي في آخر الزمان قوم حديثة الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حنجرهم، فأينما لقيموهم فاقتلوهم، إن في قتلهم أجر من قتلهن يوم القيامة".

وفيه: أبو سعيد قال النبي: "يخرج فيكم قوم متقولين صلائكم مع صلائكم، وصياكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حنجرهم، يمرون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً، ينظر في الققد فلا يرى شيئاً، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً، ويتمارى في القوق".

وفيه: أبو موسى قال النبي: "الؤمن الذي يقرأ القرآن ...

الحديث إلى قوله: "ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها ماء".

قال المؤلف، قوله: يقرأون القرآن، لا يجاوز حنجرهم، يعني لا يرفع إلى الله، ولا يؤجرون عليه لعدم خلود النية بقراءته لله تعالى ولذلك شبه قراءة المنافق لما كانت رياة وسمعة بطعم [الريحانة] المر الذي لا يلدغ به آكله، كما لا يلدغ المنافق والمرائي بأجر قراءته وثوابها.

(1) زاد في "الأصل": عن. (2) في "الأصل": كالريحانة.
وكما حذيفة : أقرأ الناس بالقرآن منافق يقرأه ، لا يترك منه ألقاً ولا وارًا ، لا يجاوز تقوته ، وقال ابن مسعود : أقرأو القرأن ، فإنه يأتي عربي فسألي قوم يتقفونه ليسوا بخيركم.

وروي أبو عبيد من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي - عليه السلام - قال : تعلموا القرآن وسألوه الله به قبل أن تعلمه قوم يسألون به الدنيا ، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر : رجل ياهي به ، ورجل [ يستأكل ] (١) به [ الناس] (٢) ، ورجل يقرأ الله .

وذكر أيضًا عن زادان قال : من قرأ القرآن ليستأكل به الناس ، جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه للمـ.

وقال ابن مسعود : سيجيء على الناس زمان يسئل فيه بالقرآن ، فإذا سألوكم فلا تعطوه سم.


* * *

باب : أقرأوا القرآن ما أتلفت قلوبكم

وفيه : جندب : قال النبي - عليه السلام - : « أقرأوا القرآن ما أتلفت قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه ».

وفيه : عبد الله أنه سمع رجلاً يقرأ آية سمع النبي يقرأها خلافاً ، فأخذت ببه فانطلخت به إلى النبي - عليه السلام - فقال : كلاكما محسن فاجرءاً.

أكبر علمي قال : فإن من كان قبلكم اختلفوا [ فاهلهمك ] (٤) الله .

قال المؤلف : قوله : أقرأوا ما أتلفت قلوبكم . فيه الخض

(١) في [ الأصل ] : سيأكل ، والثبت من [ هـ ]
(٢) من [ هـ ] .
(٣) في [ الأصل ] : فائقاً ، والثبت من [ هـ ].
على الألفة والتحذير من الفرقة في الدين، فكأنه قال: أقرءوا القرآن والزمنوا الاكتلاف على ما نزل عليه وقاد إليه، فإذا اعتزلتم فقوموا عنه - أي [إذا عرض عارض شبهه توجب المنازعة الداعية إلى الفرقة، فقوموا عنه: أي [ف] تركون تلك الشبهة الداعية إلى الفرقة، وارجعوا إلى [المحكم] [الموافق للآفة، وقوموا للاختلاف] [و] عمت أدعه إليه، وقاد إليه لا أنه أمر بترك قراءة القرآن باختلاف القراءات] [و] التي أباحها لهم لأنه قال لابن مسعود والرجل الذي أنكر عليه مخالفته له في القراءة: كلا، كما محسن، فدل أنه لم ينه عنه جعله فيه محسنًا، وإذا نهاه عن الاختلاف المؤدي إلى الهلاك بالفرقة في الدين.

* * *

(1) من «هـ». (2) في الأصل: الحكم. والمشتت من «هـ».
(3) في هـ: عن الاختلاف.
باب: من (يتمى)

(1) الشهاده
فيه أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: «والذي نفسي بهد [الولا] (2) أن رجالاً يكرمون أن يتخلفوا بعدي، ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت لو ددت أنني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل». 
فيه من الفقه: جرایة تمى الخير وأفعال البر والرغبة فيها، وإن علم أنه لا ينالها حرصًا على الوصول إلى أعلى درجات الطاعة.
و فيه: فضل الشهادة على سائر أعمال البر لأنه عليه السلام تمتها دون غيرها، وذلك لرفيع (دراجتها) (3)، وكراهة أهلها لأن الشهاده أحياء عند ربهم يرزقون، وذلك والله أعلم لسماحة أنفسهم بهذا مهجتهم في مرضاة الله وإعزاز دينه، ومحاربة من حاده وعاده، فجازهم بأن عوضهم من فقد حياة الدنيا الفانية الحياة الدائمة في الدار الباقية، فكانت المجازاة من حسن الطاعة.

* * *

باب: تنفي الخير وقول النبي - عليه السلام -:
لو كان لي أحد ذهبًا
فيه: أبو هريرة: قال عليه السلام: «لو كان (لي) (4) أحد ذهبًا)

(1) في هـ، نـ: تنمی.
(2) في الأصل: لو. والشبه من هـ، نـ.
(3) في هـ: منزلتها. (4) في هـ، نـ: عدنی.
لا أحببت ألا يأتي ثلاث وعنيدي منه دينار؛ ليس شيء أرصده فدين
علي أجد من يقبله».

في هذا الحديث من الفقه جواز تمنى الخير [ وأفعال البر ] (۱) لأنه
عليه السلام تمنى لو كان له مثل أحد ذهبًا لأحب أن ينقذه في طاعة الله
قبل أن يأتي عليه ثلاث ليال. وقد تمنى الصالحين ما يكمن كونه وما
لا يمكن حرصًا منهم على الخير، فتمتى بنو الزبير منازل من الدنيا
لتنفذ أموالهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

روى أن عبد الله وعروة [ ومصعب بن [ (۲) الزبير بن العوام
اجتمعوا عند الكعبة، فقال عبد الله: أحب أن لا أموت حتى أكون
خليفة. وقال مصعب: أحب أن (۳) العراقين: الكوفة
والبصرة، وأنزوج سكينة بن الحسين وعاشتنا بنت طلحة. وقال
عروة: لكوني أسلم الله الجنة، فصار عبد الله ومصعب إلى ما تمنى
[ وترون] (۴) أن عروة صار إلى الجنة إن شاء الله، وما تمنوه مما لا سبيل
إلى كونه تصغيرًا لأنفسهم وتحقيرا لأعمالهم، فتما أنهم لم يخلقوا
وأنهم أقل موجودات. روى عن أبي بكر الصديق أنه قال: وددت
أتي خضرة تأكلن الدواب. وتناول عمر بن الخطاب تينة من الأرض
 فقال: ليتي كنت هذه، ليتي لم أك شيئا، ليتي لم تلدني،
ليتي كنت نسبيًا.

وقرأ عمر: هل أتي على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا
مذكورًا (۵) فقال: يا ليتها تمت. وقال عمران بن حصين: وددت
أتي رماي على أكمة تسفيتي الرياح في يوم عاصف.

(۱) من "هذ".
(۲) في "الأصل": ومصعب بنها. والثبت من "هذ".
(۳) في "الأصل": لي. والثبت من "هذ".
(۴) في "الأصل": وروى.
(۵) الإنسان: ۱.
قال أبو ذر: وداتت أن الله خلقني شجرة تقضّم. ومرت عائشة
بشجرة فقالت: يا ليثني كنت ورقة من هذه الشجرة.
وقال أبو عبيدة: وداتت أي كبش فيذبحني أهلي فياكلون لحمي
ويحسون مرقي. وإنما حملهم على ذلك شدة الخوف من مسألة الله
والعرض عليه. وعلى قدر العلم بالله تكون الخشية منه. ولذلك قال
الفضل: من مقت نفسه في الله أمنه الله من مقته.

* * *

باب: قول النبي - عليه السلام -: "لوا استقبلت
من أمري ما استدررت ما سقت الهدي
وخلات مع الناس [حين ] (1) حلواء«

وذكره من حديث جابر أيضا.

قوله: "لوا استقبلت من أمري ما استدررت" أي لو علمت أن
أصحابي يأتون من العمره في أشهر الحج ما أحرمت بالحج مفردًا. 
ولأحرمت بالعمرة فلو أحرمت بالعمرة لم يكرهها أحد منهم.
وللائم نفسهم لفغلي لها واحتباري في نفسي. فكرهوها حين
أمرهم بها. لكونهم على خلاف فعل نبيهم. مع أنهم كانوا في
الجاهلية بكرهون العمره في أشهر الحج فتمتى عليه السلام موقفة
أصحابه. وكرب ما ظهر منهم من الإشفاق لحمايتهم له. ففي هذا من
الفقه أن الإمام والعالم ينبغي له أن يسلك سبيل الجمهور وألا يخالف
الناس في سيرته وطريقة.

* * *

(1) في الأصل: حتى. والمثبت من "هن", ن.
باب: قول النبي - عليه السلام - / «ليت كذا وكذا»

فيه: عائشة قالت: «أرق النبي - عليه السلام - ذات ليلة فقال:
[ليت] [1] رجلاً صاحباً من أصحابي يحرسني الليلة، فأتيتسعد فحرسه.

وقال بلال:


قال المؤلف [3]: فيه أباحة تنمي ما يتنفع به في الدنيا، ويمكن أن يكون هذا الحديث قبل أن ينزل عليه: ٠ والله يعصمه من الناس). فلما علم ذلك لم يحتج إلى حارس بعد، ولكن أن يفعله عليه السلام بعد نزول الآية عليه ليستن به الأمراء، ولا يضيعوا حرس أنفسهم في أوقات الغرة والغفلة، والله أعلم.

***

باب: تنمي القرآن والعلم

فيه: أبو هريرة قال النبي [2]: «لا تحاسب إلا في الثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يملؤه آتاه الليل والنهر فيقول: لو أتبت مثل ما أتبت لفعلت مثل ما فعلت في حقه يقول: لو أتبت مثل ما أتبت لفعلت مثل ما فعلت؟».

هذا من الحسن الحلال، والحاديث فيه مشكور لأنه إنما حدد على العمل بالقرآن والعلم، وححد صاحب المال على نفقته له في حقه فلم يقع الحسد على شيء من أمور الدنيا، وإنما وقع على ما يرضي الله ويقرب منه، فلذلك كان تنمي حسنًا، وكذلك تنمي سائر أبواب

الخير إذاما يجوز منه ما كان في معنى هذا الحديث إذا خلصت النية في ذلك الله، وخلص ذلك من البغي والحسد.

** ** **

باب: ما يكره من التمنى قول الله تعالى:

ولا تتمتنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض


فيه: خباب مثله.

وفيه أبو هريرة: قال عليه السلام: لا يتمنى أحدكم الموت إلا

[محسناً] (2) فلعله برداد، وإذا مسيبًا فلعله يستعب.

قال المهبل: بين [3) الله - تعالى - في هذه الآية ما لا يجوز تمنيه، وذلك ما كان من عرض الدنيا [وأشبهه] (4).


هذا. فقال الحسن: ألا ترى قوله عز وجل: «إِفْ يَضِطِرُ الرَّزْقُ مِن مَّثَّ أَمْسِكْ، فَأَمْسِكْ» (1). أنتِ ما يقدر له؟ ينظر إن كان خيراً، فإن [يَبْسِطْهُ] (2) له بسطه، وإن كان خيراً أن يمسك عنه أمسيك، فتنطق إلى شيء نظر الله فيه أنه خير لك فامسكه عنك فساله إياه، فلعلك لو أعطيت ذلك كان فيه هلكة في دينك ودنياك، ولكن إذا سألت فقل: اللهم إني أسألك من فضللك، فإن أعطاك أعطاك خيرًا، وإن أمسك عنك أمسك عنك خيرًا. ومعنى نهيه عليه السلام عن يتمي الموت، فإن الله قد قدر الآجال فتمتني الموت غير راضٍ بقدر الله ولا مسلم لقضائه، وقد بين النبي - عليه السلام - ما للمحسن والمسيء في أن لا يتمي الموت، وذلك ازدياد المحسن من الخير ورجع السيد عن الشر، وذلك نظر من الله للعبد [وإحسان (3) منه إليه خير له من تميم الموت، وقد تقدم في كتاب pronoun المرضي حيث يجوز تميم الموت، (وحيث لا يجوز، والاحاديث المعارضة في ذلك وبيان معانيها في باب تميم الموت) (4).

* * *

باب: قول الرجل: لولا الله ما اهتدينا
فيه: البراء قال: "كان النبي ﷺ ينقل معنا التراب يوم الأحزاب، ولقد رأيت وارى التراب يباوض طنح يقول: لولا أنت ما اهتدينا نحن ولا تصدقنا ولا صلينا".

لولا عند العرب يتمعن بها الشيء لوجود غيره يقول: لولا زيد ما صرت إليك: أي كان مصيري إليك من أجل زيد، وكذلك قوله: / (14/1591-17) "لولا الله ما اهتدينا". أي كان هديانا من أجل هديانه لنا.

فوجود الهدى منع وقوع الصلال، وذلك كله من فعل الله سبحانه فلا يفعل [العبد] الطاعة ولا يتجنب المعصية إلا بقدر الله وقضائه على العبد.

** ** **

باب: (كراهة) (2) التمتن للفقه العدو

فيه: عبد الله بن أبي أوفى: قال النبي - عليه السلام -: لا تتموا لقاء العدو واسألوا الله العافية.

قد تقدم هذا الباب في كتاب الجهاد، وجميلة معناه: النبي عن تبني المكروهات والتصدي للمحذورات، ولذلك [سأله] (3) السلف العافية من الفتنة والمحن؛ لأن الناس مختلفون في الصبر على البلاء.

** ** **

باب: ما يجوز من اللو وقوله تعالى:

"لو أن لي بكم قوة.." (4)


وفيه: ابن عباس: "اعتم النبي بالشاءف، فخرج عمر فقال: الصلاة يا رسول الله، رقد النساء والصبيان. فخرج ورأسه يقطر يقول: لولا أن أشتم على أمتي لأمرتهم [بالصلاة هذه الساعة]."

---

(1) في الأصل: العبد، والثبت من هـ.
(2) في هـ، ن: كراهية.
(3) في الأصل: قال، والثبت من هـ.
(4) هود: 80.
(5) في الأصل: راجم، والثبت من هـ، ن.


وفيه: عائشة: قال النبي - عليه السلام -: «لولا أن قومك حديث عهدكم بالجاهلية فأنا أقف قلوبهم أن أجعل الجدر في البيت وأن أصلق بابه بالأرض».

وفيه أبو هريرة: قال عليه السلام: «لولا الهجرة لبكت امرأة من النساء، ولو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار».

[ وعن عبد الله بن زيد مثله ]

لو: تدل عند العرب على امتناع الشيء لامتناع غيره كقوله: لو جاءني زيد لأكرمتك. معناه: أنني امتنعت من كرامتك لامتناع زيد من المجيء.

وقوله: «لولا أن لي بكم قوة» جواب لو مذودف كأنه قال: لحلت بينكم وبين ما جئتم له من الفساد، وحذره أبلغ: لأنه يحصر النغي بضروب المعن. فإن قيل: لم قال: «أو آوى إلى ركن شديد» مع أنه يأتي إلى الله؟ فالجواب: أنه إذا أراد العدة من

(1) من «هـ، ن.».
(2) زاد في الأصل: عليه. وهي مقحمه.
(3) في الأصل: «لولا».
(4) «هـ، ن.».
(5) هود: 80.

- 292 -
الأول، ولا فلّه ركّ وثيب مع معونته الله ونصره، وتضمنت الآية [البيان] (١) عما يوجه حال الحق إذا رأى منكرًا لا يكينه [إزالته] (٢). مع التحسر على قرة أو معين على دفعه لحرمه على طاعة ربه، وجزعه من معصيته، فامتنع من الانعقام من قومه لامتناع من يعينه على ذلك.

وقوله: "لو كنت راجما بغير بيئة".


وقوله: "لولا أن قومك حديث عهدهم بالكفر فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت". [فامتنع} (٥) من هدم البيت وبنياته على قواعد إبراهيم من أجل الإنكار الخالص لذلك قال الطبري: فإن قال قائل: فقد روى ابن عيينة عن ابن عجلان عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي - عليه السلام - قال: "حرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقلق: لو أني فعلت كما وكذا، ولكن [قل] (١): قدر الله وما شاء فعل، فإن لو مفتاح
الشيطان : فهى عن لو في هذا الحديث ، [ و ] (1) هذا معارض لما جاء من إباحة لو في كتاب الله ، وفي الأحاديث المروية في ذلك .
قيل له : لا تعارض بين شيء من ذلك ، ولكن وجه ومنع غير معنى صاحبه ؛ فأما نهيه عن اللو في حديث ابن عجلان فمعبنه : لا نقل أي لو فعلت كذا لكان كذا على القضاء والحلم ، فإنه كائن لا محالة ، فانت غير مضمر في نسق شرط مشيئة الله ، هذا الذي نهى عنه ; لأنه قد سبق في علم الله كل ما يناله [ المرء ] (1) . قال تعالى :
ما أصاب من مصيبه في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نر أهله (2) .

فأما إذا كان قائله عن يوقن بأن الشرط إذا وجد لم يكن المسموع إلا مشيئة الله وإرادته ، فذلك هو الصحيح من القول ، وقد قال أبو بكر الصديق للنبي وهو في الغار : لو أن أحدكم رفع قدمه أبوصرا . فقال : يا أبا بكر ما زلك بائنين الله ثلاثهمها ، ولم ينكر ذلك عليه صلى الله عليه ؛ إذ كان عاملا [ بمخرج ] (3) كلامه ، وأنه إذا قال ذلك على ما جرت به العادة ، واستعمل الناس على ما الأغلب كونه عند وقوع السبب الذي ذكره ، وإن [ كان ] (1) قد كان [ جائزًا ] (4) أن يرفع جميع المشركين (5) الذين كانوا فوق الغار ألقائهم ثم نظرهم في حجب الله أبصارهم عن رسوله ، وعن صاحبه [ فلا يراههم منهم أحد ] (6) ، وكان جائز أن يحدث الله عميّ في أبصارهم ، فلا يبصرهمها ، مع أسباب غير ذلك كثيرة ، وأن أبا بكر لم يقل ذلك إلا على إيان منه بأنهم لو رفعوا أقدامهم لم يصروا رسول الله إلا أن يشاء الله ذلك ، فهذا [ مفسر ] (7).

حديث ابن عجلان وناف للتعارض في ذلك ، والله الموفق .

(1) في « ه » . (2) الحدث : 22 . (3) في « الأصل » : مخرج .
(4) في « الأصل » : جائز . والثبت من « ه » .

- 290 -
كتاب القدر

[باب في القدر] (1)

فيه: عبد الله قال: حدثنا رسول الله - وهو الصادق المصدق - أن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا ثم علقة مثل ذلك، ثم مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربعة: برزقه وأجله، وشقي أو سعيد، فوالله إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع (أو ذراعين) (2) فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع (أو ذراعين) (2) فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.


قال المهلهل: في هذا الحديث رد لقول القدرية واعتقادهم أن العبد يخلق أفعاله كلها من الاطاعات والمعاصي، وقالوا: إن الله منزه.

(1) من {ه، ن} (2) في {ه، ن} (3) من {ه، ن} (4) في {الأصل} قضاي. والثبوت من {ه، ن} (5) في {الأصل} ذلك، والثبوت من {ه، ن}
عن أن يخلق العصب والزنا والكفر وشبهه، فبان في هذا الحديث تكذيب قولهم، بما أخبر به عليه السلام أنه يكتب في بطن آمه شقي أو سعيد مع تعريف الله العبد أن سبيل الشقاء هو العمل بالمعاصي والكفر، كيف يجوز أن يعمل بما أعلمه الله أنه يذوب عليه، ويشعسه به، مع قدرة العبد على اختياره لنفسه، وخلقه لأعماله دون الله، تعالى الله أن يكون معه خالق غيره.

ثم قطع القدرية بقوله: فسبق عليه الكتاب فيما يعمل بعمل أهل النار فيدخلها، فلو كان الأمر إلى اختياره أتار كان يختار خسارة عمله طول عمره بالخير، ثم يخلق لنفسه عملاً من الشر والكفر، فيدخل به النار؟ وهل الساق له إلا فعل ربه وخلقه له وخلق عمله للشيء (1) كسباً له فاكتبه العبد لشہرة نفسه الأمارة بالسوء مستلناً بذلك العمل الذي أقدر الله عليه بقدرة خلقه له بحضرة الشيطان المخرب لنفسه الأمارة له مع الشيطان بالسوء [ فاستحق ] (2) العقاب على ذلك.

فانتقلت حجة العبد بالندارة، وانقطعت حجة القدرية سابق كتاب الله على العبد العارف بما آل أمره، باكتسابه للعمل الصالح، خلق الله لقُدرة على عمله بحضرة عطوه: [ نفسه ] (3) وشيئاته، ولذلك نسب الشر إلى الشيطان لتزيينه له، ونسب الخير إلى الله خلقه لعبد، وإقداره للعبد عليه بحضرة الملك المصدق له، الدافع لشيئه عن عزة الله وعصمته.

هذا هو أصل الكلام على القدرية [ ثم يلزم القدرية ] (4) أن يكون العبد شريكًا لله في خلقه [ بأن ] (5) يكون العبد يخلق أفعاله والله قد أبى من ذلك بقوله تعالى: "الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل" (6)، وقوله: "هل من خالق غير الله" (7) فخالفوا النص

(1) في الأصل: الشيء واللبث من  ومثبث من  
(2) في الأصل: واتسبحة واللبث من  ومثبث من  
(3) في الأصل: نفاسان واللبث من  ومثبث من  
(4) من  وأت في الأصل: وان واللبث من  ومثبث من  
(5) الزمر: 62. 73. 3.

وأرجوا للعبد من القدر على خلق أعماله ما أوجبه الله لنفسه تعالى من الإفراد بالخلق، ولذلك سميت القدرية: مجوس هذه الآمة [قوله] (1) بخالقين مثل ما قال له الموجوس من اعتبارها لأرباب من الشمس والقمر والثور والنار والظلمة، كل على اختياره، وقد نص الله سبحانه وتعالى على إبطال قول القدرية/ لعله بفضلتهم ليهدى بذلك أهل سنته فقال: «واعظ خلقكم وما تعملون» (2).

وقوله: يجمع في بطن أمه [قد فسره ابن مسعود سائل الأعمش ما يجمع في بطن أمه] (3) قال: حديث خياثية قال: قال عبد الله: إن النطفة (إذا وفقت) (4) في الرحم، فأراد الله أن يخلق منها بشراً طارت في بشر المرأة حتى كل ظفر وشعر، ثم مكث أربعين ليلة ثم تصير دمًا في الرحم كذلك جمعها.

* * *

باب: جاف القدر على علم الله

[وقوله تعالى: «وأوضح الله على علم» (5)] (6)

وقال أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: "جاف القدر بما أنت لاقي.

وقال ابن عباس: لها ساقون سبقت لهم السعاده.

فه: عمران بن حصين: قال رجل: يا رسول الله، أتعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قال: فللم يعمل العاملون؟ قال: كل يعمل لما خلق له - أو ما يسر له -.

قال المهله: غرض البخاري في هذا الباب غرضه المتقدم من

(1) في الأصل: بقولها، والمثبت من هـ.
(2) الصافات: 96.
(3) من هـ.
(4) تكررت في الأصل.
(5) الجالية: 23.

- 298 -
إدحاض حجة القدرية بهذه النصوص من كلام الله وكلام رسوله، فأخبر أنه قد فرغ من الحكم على كل نفس، وكتب القدر ما يصير إليه العبد من خير أو شر في أم الكتاب، وجعل [ مداده ] (1) على المقدر من علم الله. فآصله الله على علم به، ومعرفة ما كان يصير إليه أمره لآلا يسمعه قد بين ذلك في كتابه حيث يقول: هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أتم أجنة في بطن أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بين أنتقى (2).

فعرفنا أنه كان بنا عالما حين خلق آدم من طينية الأرض المختلفة [ واحاط ] (3) علمنا بما يقع من تلك الطينية لكل شخص من أشخاص ولده إلى يوم القيام المتناقلين من صلب إلى صلب في أعدا لا يحيط بها إلا مصورها، وعلم ما قسمه من تلك الطينية من طيب أو خبيث، وعلم ما يعمل كل واحد من الطاعة والمعصية ليشاهد أعماله نفسه، وكفى بنفسه شهيدا عليه، وتشهد له عليه ملانكته وما عابنه من خلقه، فتنقطع حجته، [ وتحق ] (4) عقوبته، ولذلك قال لابي هريرة حين أراد أن يختصي خشية الزنا على نفسه: قد جف القدر بما انتم لاق. فاختص على ذلك أبو ذر، فعرف أنه لا يعدو ما جرى به القدر عليه من خير أو شر، فإنه لا بد عامله ومكتسه، فنهاه عن الاختصاء بهذا القول الذي ظاهره التخدير، ومنعى النهي والتثبيت فمن أراد الهروب عن القدر والتعريف له أنه إن فعل، فإنه أيضا من القدر المقدر عليه فيما جف به القدر عليه.

---

(1) في الأصل: بمداده. والثبت من هذه.
(2) التحقيق: 32.
(3) في الأصل: واحاطا. والثبت من هذه.
(4) في الأصل: وتحق. والثبت من هذه.

- 299 -
وقد صلى الحسن البصري عن القدر فقال: إن الله خلق الخلق للإرباء، لم يطيعوه بإكراه منه، ولم يعصوه بغلبة، ولم يهيمنهم من المملكة؛ بل [1] كان الملك لما ملكه فيه، وال قادر لما قدره عليهم، فإن تأثيم العباد بطاعة الله لم يكن لله صادا عنها، ولا مبطة؛ بل يزيدهم هدى إلى هداهم، وتقوى إلى قواهم، وإن تأثيم العباد بعصبة الله كان قادر على صرفهم؛ إن شاء فعل وإن شاء خلق بينهم وبين المعصية [فيكسبونها] [2]، فمن بعد الإعدار والإنذار لله الحجة البالغة، لا يستلم عما يفعل وهو يسألون، فلو شاء لشهدكم أجمعين.


* * *

باب قوله: الله أعلم بما كانوا عاملين.


- 300 -
من مولود إلا يولد على النظرة فأبواه يهودانه ويتصرفان كما تتنجرون البهيمة ...»

إلى قوله: «أقرأت من بيت وهو صغير، قال: الله أعلم بما كانوا عاملين».

قال المؤلف: غرضه في هذا الباب الرد على الجهمية في قولهم:


وهذا يقري ما يذهب إليه أهل السنة أن القدر هو علم الله وقائبه الذي استأثر به قلم يطلع عليه ملكًا مقرابًا، ولا نبيًا مرسلاً. وروى روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن سيرين قال: ما ينكر هؤلاء - يعني القدرية - أن يكون الله علم عدمًا فجعله كتابًا.

وقد قال: إن بعض الأنبياء كان يسأل الله عن القضاء والقدر، فمحمي من النبوة.

وروى ابن عباس عن النبي - عليه السلام - أنه قال: «إذا ذكر القدر فأمسكوا». وقال بلاه بن [أبي] (1) بركة لمحمد بن سيرين: ما تقول في القضاء والقدر؟ فقال: أيها الأمير، إن الله لا يسأل عباده يوم القيامة عن قضائه وقدرته، وإنما يسألهم عن أعمالهم.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري: إن الله لا يطالب

(1) من هـ. (2) الأئمة: 28. (3) الأئمة: 23.
(4) غير واضحة «بالعمل». والثابت من هـ.
(5) تكررت «بالعمل».
خلقه بما قضى عليهم، ولكن يطالبهم بما نهاهم عنه، وأمرهم به، فطلب نفسه من حيث يطلبك ربك.


* * *

باب: وكان أمر الله قدراً مقدوراً

فيه: أبو هريرة: قال عليه السلام: "لا تسأل المرأة طلاق أحبتها تستفرغ صحفتها وتلتعب، فإنها لها ما قدر لها".

وفيه: أسامة: "أني إلى النبي - عليه السلام - رسول إحدى بناته أن ابنها يجد نفسه، فبعث إليها: الله ما أخذك وما أعطيك، فكل بأجل، فنصب وتحسب".

وفيه: أبو سعيد: "بينما هو جالس؛ إذ جاءه رجل من الأنصار فقال: كيف ترى في العزل؟ فقال: ليس بنسمة كتب الله أن تخرج إلا هي كائنة".

وفيه حديث: "خطبتا النبي - عليه السلام - خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسبت فأعرف ما يعرف الرجل إذا غاب عنته فأعرفه. وفيه: علي: "كنا مع النبي، ومعه عود ينكت به في الأرض فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقدمه من النار أو من الجنة. قال رجل من...".
القوم: أفلا تتكل وا رسول الله قال: لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق
له. ثم قرأ: فأما من أعطى واتقى ... (1) الآية.
قال المهلب: غرضه في هذا الباب أن بين أن جميع مخلوقات الله
من المكونات بأمره بكلمة كن من حيوان أو غيره، أو حركات العباد
[واختلاف ] (2) إرادتهم وأعمالهم يخصص أو طاعات كل مقدر
بالأرمان والأواثر، لا مزيد في شيء منها، ولا تخفان عنها، ولا
تأخر لشيء منها عن وقته، ولا تقدير قبل وقته، ألا ترى قوله عليه
السلام: لا تسأل المرأة طلاق اختها، لتصرف حظها إلى نفسها،
ولنتشكيل، فإنه لا تنال من الزواج إلا ما قدر لها، كانت له زوجة
أخرى أو لم تكن.
وقوله: اعملوا فكل ميسر لما خلق له. فيدل على إبطال
قول أهل الجزير، لأن [ اليمير ] (3) غير الجزير، واليسرى العمل
بالطاعة، والعسرى العمل بالمعصية.
قال الطبري: في حديث علي أن الله لم يزل عالماً من يطيعه
في خلقه الجنة، ومن يعصبه في خلقه النار، ولم يكن استحقاق من
يسحق الجنة منهم بعلمه السابق فيهم، ولا ( استحقاقه ) (4) النار
لعلمه السابق فيهم، ولا استحراً أحداً منهم علمه السابق إلى طاعة أو
معصية، ولكنه تعالى نفد علمه فيهم قبل أن يخلقهم، وما هم
عاملون وإنما هم صائرون، إذ كان لا تخفي عليه خافية قبل أن
يخلقهم، ولا بعد ما خلقهم، ولذلك وصف أهل الجنة فقال: «ثلة
من الأولين وقليل من الآخرين» إلى قوله: وحور عين كأمثال

(1) الليل: 5
(2) في الآصل: في اختلاف. والمثبت من هـ.
(3) في الآصل: النبي. والمثبت من هـ.
(4) في هـ : استحقاق من استحق منهم.
اللؤلؤ المكنون جزاءَ بما كانوا يعملون؛ وقال تعالى: فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءَ بما كانوا يعملون.


وأما أهل الشقاء، فإنه زين لهم سوء أعمالهم لإيثارهم لها على

(1) الواقعة : 22 - 24 . (2) السجدة : 17 . (3) ليست بالأصل. 
(6) في الأصل: فإنه . والثابت من هـ. 
(7) في الأصل: واحد . والثابت من هـ. 
(8) في السجدة : 7 . 
(9) الحجارة: 7.
(الهدى) (1) كما قال تعالى: «إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمون» (2) وكما قال تعالى: «أقمن زين له سوء عمله فرآه حسنا» (3) وهذا يصحح ما قلناه من أن علم الله النافذ في خلقه بما هم عاملون، وكتابه الذي كتب قبل خلقه إياهم بأعمالهم لم يفطر أحدًا منهم إلى عمله ذلك؛ لأن المضتر إلى شيء لا شك! (4) أنه مكره عليه، لا محب له؛ بل هو له كاره ومنه هارب، والكافر يقاتل دون كفره أهل الإيمان، والغافل يناسب دون فسقه الأبرار؛ محاما من هذا عن كفره الذي اختاره (على) (5) الإيمان، وإيثاراً من هذا لفسقه على الطاعة، وكذلك المؤمن يبذل مهجته دون إيمانه، ويؤثر العبء والنصب دون ملاده وشهواته حبًا لما هو له مختار من طاعة بعده على معاصره، وأنه يكون ماضراً إلى ما يعمله من كانت هذه صفاته؟ فإن أن معنى قوله: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» (6) هو أن كل فرقي السعادة والشقاوة مسهل له العمل الذي اختاره، مزين ذلك له.

* * *

باب: العمل بالخطوائيم

فيه: أبو هريرة: «شهدنا مع النبي - عليه السلام - خبر فقال لرجل من كان معه يدعي الإسلام: هذا من أهل النار. فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال، وكثرت به الجراح، فأتي رجل إلى النبي - عليه السلام - فأخبره أنه قاتل من أشد القتال فكثرت به الجراح، فقال النبي

(1) في «هـ»: العمل بطاوعته. (2) النمل: 48. (3) فاطر: 8.
(4) في «الأصل»: لا شيء. والثبت من «هـ».
(5) في «الأصل»: عن. والثبت من «هـ».
(6) زاد في «الأصل»: و.
عليه السلام - إنما إنه من أهل النار. فكان بعض [المسلمين] يرتاب، فبينما هو على ذلك إذ وجد ألم الجراح فأخبر به، فاستند رجل إلى رسول الله ﷺ فقالوا: صدق الله حديثك، قد انتحر فلان وقتل نفسه. فقال النبي - عليه السلام: قم يا بلال، فاذن: [(2) يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤدب هذا الدين بالرجل الفاجر].

وروى سهل بن النبي ﷺ قال: [إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار وإنه لمن أهل الجنة، وإما الأعمال بالحواتيم] قال المهلب: قوله عليه السلام: [إذا الأعمال بالحواتيم] هو حكمة الله في عباده في الخير والشر، فيغفر الكفر وأعماله بكلمة الحق يقولها العبد قبل الموت قبل المعاينة للملائكة العذاب، وكذلك يحفظ عمل المؤمن إذا ختم له بالكفر.

ثم كذلك [هذا] الحكم موجود في الشرع كله كقوله: [(3) من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة، ومن أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطبع الشمس فقد أدرك الصبح] فذلك في العصر فجعله مدركًا لفضلك الوقت بإدراك الخاتمة، وإن كان لم يدرك منه إلا أقله، وكذلك من أدرك ليلة عرفة الوقوف بها قبل طول الفجر فقد أدرك الحج، وتم له من فائدته من مقدماته، كما عهد الذي لم يعمل خيراً قط أن يحرق ويدري فكانت خاتمة سوء عمله خشية أدركه لربه، تلقاء الله بها ، فيغفر له سوء عمله طول عمره، هذا فعل من لا تضره الذنوب، ولا تنفع العبادة، وإنما تنفع وتصرف المكتسب لها الدائم عليها إلى أن يموت.

وفي قوله: [العمل بالحواتيم] حجة قاطعة على أهل القدر في

---

(1) في الأصل: الناس، والثبت من: هم، ن.  
(2) في الأصل: إن لا، والثبت من: هم، ن.  
(3) في الأصل: هو، والثبت من: هم.
قولهم: إن الإنسان يملك أمر نفسه، ويعتبر لها الخير والشر، فهما اتهموا [اختيار] (1) الإنسان ل أعماله الشهوانية واللذيذة عنده، فلا يفهمون باختيار القتل لنفسه الذي هو أوجع الآلام، وأن الذي طيب عنه ذلك غير اختياره، والذي يسره له دون جبر عليه، ولا غالب له هو قدر الله السابق في علمه، والحتم من حكمه.

* * *

باب: إلقاؤ النذر بالعبد إلى القدر

فيه: ابن عمر: نهى النبي عن النذر وقال: "إنه لا يرد شيئا، وإنما يستخرج به من البخيل".

وفيه [أبو هريرة] (2): قال النبي - عليه السلام -: "لا يأتي ابن آدم [النذر] (3) بشيء لم أكن قد قدرته، ولكن بلقيه القدر وقد قدرته له، ولكن استخرج به من البخيل".

قال المهلب: هذا أبيين شيء في القدر وأنه (شيء) (4) قد فرغ الله منه وأحكمه، [لا] (5) أنه شيء يختاره العبد، فإذا أراد أن يستخرج به من البخيل شيئا ينفعه به في أخرته أو دنله سبب له شيئا مخيفا أو مطمئنا فيحمله ذلك الخوف أو الطعام على أن ينذر الله نذرا من عتق أو صدقة أو صيام، إن صرف الله عنه ذلك الخوف أو آتاه بذلك المطمع فيه، فلا يكون إلا ما قد قضى الله في أم الكتاب، لا يحيله النذر الذي نذره عما قدره، وقد استخرج به منه ما لم يسمع به.

(1) في "هما". (2) في "الأصل": ابن عمر، والثبت من "هما"، ن. (3) من "هما"، ن. (4) في "هما": أمر. (5) في "الأصل": إلا. والثبت من "هما".
لولا الخوف الذي [ هرب ] (1) منه ، أو المطوع الذي حرص عليه
حتى [ طابت ] (2) نفسه بما لم يكن تطيب قبل ذلك .
وئنه عليه السلام عن النذر ، وهو من أعمال الخير أبلغ [راجل] (3)
عن توهم العبد أنه يدفع عن نفسه ضراً [ أو يجلب إليها نفعاً ] (4) ،
أو يختار لها ما يشاء ، ومتى اعتقد ذلك فقد جعل نفسه مشاركاً لله في
[ خلقه ] (5) ومؤجزاً عليه ما لم يقدره ، تعالى الله عما يقولون .
ودل هذا أن اعتقاد القلب لما لا يجب اعتقاده أعظم في الإثم من أن
يكرر بالصدقة والصلاة والصوم والحج ، وسائر أعمال الجوارح التي
ينذرها ؛ لأن نهيه عليه السلام عن هذا النذر ، وإن كان خيراً ظاهراً
بدل على أنه حابط من الفعل حين تروهم به الخروج عما قدره الله
 تعالى [ فإن سلم من هذا الظن واعترف أن نذره لا يرد عه شبى قد
قدره الله عليه ] (6) وأن الله ( تسب ) (7) له ما أخافه به استخراج
صدقة هو شحذية بريئة ، فإنه مأجور بنذره ولم يكن حينئذ نذره منهياً
 عنه ، ولذلك - والله أعلم - عرف الله نبيه بهذا الحديث ليعرف أمه
بما يجب أن يعتقدوا في النذر فلا يحبط عملهم به .

* * *

باب : لا حول ولا قوة إلا بالله
فيه : أبو موسى : "كان مع الرسول ﷺ في غزوة فجعلنا لا نصعد شرقًا
ولا نهبط واديًا إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، فدنا من النبي - عليه
السلام - فقال : أيها الناس ، ارجعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون
أصم ولا غابيًا ، إنما تدعون جميعًا بصيراً ، ثم قال : يا عبد الله بن قيس ،
ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة : لا حول ولا قوة إلا بالله ."

(1) في "الأصل" : يقرب . والثبت من " هم " .
(2) في "الأصل" : كانت . والثبت من " هم " .
(3) في "الأصل" : زاجر . والثبت من " هم " .
(4) من " هم " .
(5) في "الأصل" : خلقه . والثبت من " هم " .
(6) في "هم" : سبب .
(7) في "هم" : تسب .
هذا باب جليل في الرد على القدرية، وذلك لأن معني لا حول ولا قوة إلا بالله. يقول: لا حول للعبد ولا قوة له إلا بالله. فيخلق الله للحول والقوة، التي هي القدرة على فعله للطاعة والمعصية.

قال المهلب: فأخبر الله السلام أن الب sexuales خلق لحول العبد وقدره على مقدوره، وإذا كان خالقًا للقدرة، فلا شك أنه خالق للشيء المقدر، فيكون المقدر كسبًا للعبد خلقًا لله تعالى بدليل قوله تعالى: خلق كل شيء. (2) وقوله تعالى: إنا كل شيء خلقناه بقدر. (3) وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت هذه الآية يعني الأخيرة تعني لاهل القدر.

والدليل على أن [إن] أفعالهم خلق الله أن أبديهم التي هي عندهم خالقة لأعمال الشر من التعدي والظلم وفروضه التي هي خالقة للزنا قد يوجد عاطلة من الأعمال، عاجزة عنها، إلا ترى أن من الناس من يريد الزنا وهو يشتهيه بعضه لا آفة فيه، فلا يقدر عليه عند إرادته للزنا، ولو كان العبد خالقًا لزنا، (4) لأعماله ما عجزت أعضاوته عند إرادته ومستحمه شهورته، فثبت أن القدرة ليست لها، وأنها لمقدر يقدرها إذا شاء، ويعلُّمها إذا شاء، لإنها إلا هو.


منه إلا بالله الذي أقدرهم عليه، وحبه إليهم، وإن كان فيه تلاف
نفسهم، رغبة في جزيل الأجر وعظم الثواب.
وفيها: أن التكبر يسمى دعاء; لقوله عليه السلام: " إنكم لا
tدعون أصم ولا غائداً" فجعل قولهم: الله أكبر دعاء له - تعالى -
من أجل أنهم كانوا يريدون به إسماعه الشهادة له بالحق.

BAB: المعصوم من عصمه الله. عاصم: مانع

قال ماجاهد: سُدًا عن الحق يترددون في الضلالة، دسُّها: أغوها.
فيه: أبو سعيد: قال عليه السلام: " ما استخلف خليفة قط إلا له
بطانتان: بطاقة تأممر بالخير وتحضه عليه، وبياتانت بأمره بالشر وتحضه عليه
، والمعصوم من (عصمه) (١) الله".
قال المهلب: عرض البخاري في هذا الباب إثبات الأمور لله، فهو
الذي يعصم من نزغات الشيطان، ومن شر كل وسواس خناس من
الجنة والناس، وليس من خليفة ولا أمير إلا والناس حوله رجلان:
رجل يريد الدنيا والاستكثار منها، فهو يأممر بالشر ويعضه عليه ليد
به السبيل إلى انطلاق اليد على المحظورات ومخالفات الشرع، ويوهمه
أنه إن لم يقتل ويعصب ويخف الناس لم يتم له شيء، ولم يرض
بسياسة الله لعباده بسط العدل ويخمد الآيدي، وأن في ذلك
صلح(٢) العباب والبلاد.

(١) في "هـ، ن": عاصم.
(٢) في الأصل: خلاص، والثابت من "هـ".
ولا يخلو سلطان أن يكون في بطاشه رجل يحبسه على الخير، ويأمره
له تقومه به الحجة عليه من الله في القيامة، وهم الأقل، والمعصوم
من الأمراء من عصمه الله لا من عصمه نفسه الأمارة بالسوء بشهادة
الله عليها الخالق لها، ومن أصدق من الله حديثا.

باب: وحراي على قريه أهلكنها أنهم لا يرجعون
وقوله: "لنيؤمن من قومك إلا من قد آمن" (1)
ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا" (2)
قال ابن عباس: حرم بالخشية وجب.
فيه: ابن عباس قال: "ما رأيت شيئاً أشبه بالللمم مما قاله أبو هريرة
[عن ] (3) النبي: "إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا
محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تنمي وتشتهي،
والفرج يصدق ذلك ويكذبه".

وقال المهلب: معنى قوله تعالى: "وحراي على قريه أهلكنها أنهم
لا يرجعون" (4) أي: وجب عليهم أنهم لا يتوبروا، وحراي وحرم
معناهما واحد، والتقدير: وحراي على قريه أهلنا إهلاها النوبة من كفرهم;
وهذا كقوله تعالى: "أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن" (1) أي: قد
نفد علم الله في قوم نوح أنه لا يؤمن منهم إلا من قد آمن، ولذلك
قال نوح: "رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا" (5)

(1) هود: 36. (2) نوح: 27.
(3) في 9 الأصل: "على"، والخبر من "هم ن".
إذ قد أعلمني أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن، فأهلكهم لعلمه أنهم لا يرجعون [إلى (1) الإيام، وموافقة الترجمة للحديث هو قوله عليه السلام: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى بُني آيَم آمَن حَظِم مِن الْزِّنَا" فأخبر أن الزنا ودواعيه كل ذلك مكتوب مقدر على العباد غير خارج من سابق قدره.

وقوله: "أدرك ذلك لا محالة" إدراكه له من أجل أن الله كتب عليه، وإنما سمي النظر والمنطق ومنى النفس وشهوتها زنا لما كانت دواعي إلى الزنا، والسبب قد يسمى باسم السبب مجازاً واتساعاً لما بينهما من التعلق، غير أن زنا العين وزنا النسيان وتمني النفس غير مؤاخذ به من اجتناب الزنا بفرجه، لأنه كذب زنا جوارجه بترك الزنا بفرجه، فاستخف زنا عينه وسنائه وقليبه، لأن ذلك من اللحم الذي يغفر باجتناب الكبائر، وزنا الفرج من أكبر الكبائر، فمن فعله فقد صدق زنا عينه وسنائه وقليبه؛ فؤاذاً بإثم ذلك كله.

وفي [ قوله ] (2): "النفس تنمى وتستهني" دليل على أن فعل العبد ما نهاه الله عنه، مع تقديم تقديره تعالى وسباق علبه دفعه له باختيار منه أو إيثار، وليس يحبر عليه ولا مضطر إلى فعله، وعلى هذا علق الثواب والعقاب، فسقط قول جهم بالإجبار بنص قوله عليه السلام: "والنفس تنمى وتستهني" لآن المغير مكره مضطر، وهو بخلاف المتنمى والمشتهي، واللحم صغار الذنب وهي مغفورة باجتناب الكبائر، وقد تقدم في كتاب [ الأدب ] (3).

(1) في "الأصل": عن، والثبت من "هـ".
(2) في "الأصل": قلبه، والثبت من "هـ".
(3) في "الأصل": الأدب، والثبت من "هـ".
باب: قوله تعالى: "وجما جعلنا الرؤيا التي أرينك إلا فتنة للناس" (1)


قال المهلب: معنى ذكر هذا الحديث في كتاب / القدر هو ما ختم الله على الناس المكذبين لرؤياه من المشركين حين جعلها فتنة لفهم في تكذيب النبي الصادق [كتاب] (٢) زيادة في طغيانهم، وكذلك جعل الشجرة الملعونة في القرآن [فتنة] (٣) فقالوا: كيف يكون في النار شجرة! النار تحرق الشجر الياسس والأخضر! فجعل ذلك فتنة تزيد في ضلالهم، فلا يؤمنوا عليه ما سبق في علمه. قال غيره: وقوله: "وجما جعلنا الرؤيا التي أرينك إلا فتنة للناس" (١) يقتضي خلق الله للكرع به، ودواعي الكفر هي الفتنة، وذلك عدل منه تعالى.

وهذا مثل قوله تعالى: "ويضل الله الظلمين" (٥). فهذا عام في فعله كفر الكافرين، وإيام المؤمنين ودواعي الإيمان والكفر خلافًا من زعم أن الله غير خالق أعمال العباد.

وقوله: "الشجرة الملعونة يعني: الملعون آكلها - وهم الكفار - كما قال تعالى: "إن شجرة الزقوم طعام الأئم" (٦)، وقال تعالى: "إنها شجرة تخرج في أصل اللحم" (٧) فأخبر أنها تنبت في النار،

الإسراء: ٦٠ (٢) من هـ، ن.
في الأصل: ٤ (٣) من هـ.
إبراهيم: ٢٧ (٤) من هـ.
الدخان: ٤٤ ـ ٤٤ (٥) الصافات: ٦٤.
وأما قول الفقر: كيف يكون في النار شجرة، [والثاني] (1) تأكل الشجرة، فإن هذه الشجرة التي أخبر الله أنها في أصل الجحيم هي مخلوقة من جوهر لا تأكل النار كسائر النار وأغلالها وعقاربها وحياتها، وليس شيء من ذلك من جنس ما في الدنيا مما لا يبقي على النار، وإذا خلقت من جنس لا تأكل النار، وكما خلق الله في البحر من الحيوان ما لا يهلله في الماء، وخلق في الخلق دوًّا يعيش فيه ولا يهلكه، على أن الخلق يفت الخجارة ويهرى الأجسام، ولم يكن ذلك إلا لمواجهة ذلك الدرد لجنس الخلق وموافقة حيوان البحر جنس الماء، فكذلك ما خلق في النار من الشجر والحيوان موافق لجنس النار، والله تعالى قادر أن يجعل النار برداً وسراً، وأن يجعل الماء ناراً، لأنه على كل شيء قادر، فما أنكره الفقر من خلق الشجر في النار عند بين، وضلال واضح، أعدنا الله من الضلال برحمته.

* * *

باب : (محاجة آدم موسى) (2)


قال المؤلف : معنى قوله عليه السلام : "احتاج آدم وموسى" : أي النكت أرواحهما في السماء، فوقع هذا الحجاج بينهما، وقد جاءت الرواية بذلك.

(1) من له. (2) في : ن : محاج موسى وآدم عند الله.
روى الطبري، عن يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب،

قال المهلب وغيره: "فحج آدم موسى، أي: غلبه بالحجة. قال الليث بن سعد: إذا صحت الحاجة في هذه القصة لآدم على موسى؛ من أجل أن الله قد غفر لآدم خطبته، وتاب عليه، فلم يكن موسى يعبر بخطيئة قد غفرها الله له، ولذلك قال له آدم: أنت موسى الذي آتاك الله التوراة، وفيها علم كل شيء فوجدت فيها أن الله قد قدر على المعصية، وقدر على التوبة منها، وسقط بذلك اللوم عنى، أتلوني أنت، والله لا يلومي.

ويمثل هذا احتج ابن عمر على الذي قال له: إن عثمان فرّ يوم أحد، فقال ابن عمر: ما على عثمان ذنبي؟ لأن الله - تعالى - قد عفا عنه بقوله: "ولقد عفا الله عنهم" (1) وأما من عمل الخطايا ولم تأتي المغفرة، فإن العلماء مجمعون أنه لا يجوز له أن يحت جملة حجة آدم.

(1) آل عمران: 155.
فيقول: أتلوموني على أن قلت أو زنت أو سرت، وقد قدر الله علي ذلك. والأمة مجمعة على جواز حمد الرحمن على إحسانه، ولوم المسئ على إساءته وتعبد ذنوه عليه.


هذا يدل أن العباد يخلقون أفعالهم طاعتها ومعصيتها، ولو كانت خلقًا لله لم يصح أن يأمرهم ولا ينهاه، قال: وكذلك احتاجت الجهمية على صحة الجبر بقول آدم: أتلوموني على أمر قدر علي.

فالفجواب: أنه ليس في قول موسى دليل قاطع على اعتقاد القول بالقدر، وأن العبد خالق لأفعاله دون ربه كما زعمت القدرية، لأنه ليس في قوله: أنا آدم، خبتنا وأخرجتنا من الجنة. أكثر من إضافة التخيب والإخراج إليه، وإضافة ذلك إليه لا يقتضي كونه خالقًا لهما. إذ يصح في اللغة إضافة الفعل إلى من يقع منه على سبيل الخلخ، وإلى من يقع منه على سبيل الاكتساب، وإذا احتملت إضافة التخيب والإخراج الواضحين جميعًا لم يقتضي بظاهره على أحد الاحتمالين دون الآخر إلا بدليل قاطع، وقد قام الدليل الواضح على استحالة اختراع الملوك في إقرار الله له على ذلك بقوله تعالى: خالق كل شيء، وقوله تعالى: «وأيما خلق لكم وما تعملون».

وليس يجوز أن يريد تعالى بهذا الحجة، لأن الحجارة أجسام، والأجسام لا يجوز أن يعملها العباد قبل أن تعالى خالق أفعالهم، وقاله تعالى:

(1) في الأصل: لها.
(2) في الأصل: الإضافة، والمشت من هـ.
(3) الزمر: 96.
(4) الإثبات: 96.

- 316 -
ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيها من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير (١) واجتماعهم فعل لهم، وقد أخبر أنه تعالى خلقهم، وقد ثبت أنه تعالى قادر على جميع أجناس الحركات التي [يحدثها] (٢) العباد بدلالة أنه أقدر عليهم، وأقدره عليهم فهو عليه أقدر، كما أنه ما أعلمهم يراه فهو بكل أعلم، فثبت أن الله خالق للأفعال، والعبد مكتسب لها، كما تقول: إن الله منفرد بخلق الولد، والوالد منفرد بكون الولد له لا شركة فيها لغيره.

فنسبة الأفعال إلى الله تعالى من جهة خلقه لها، ونسبتها إلى العباد من جهة اكتسابهم لها، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهو مذهب موسى عليه السلام من قوله: (٣) إن هي إلا نتائج تفصل بها من تشاء وتهدي من تشاء. فاضفر موسى الهدية والإيضلال إلى الله تعالى - ولا تصح هذه الإضافة إلا على سبيل خلقه لها دون من وجدت منه، وأما قول الجهمية: إن الله أجير العباد على أفعالهم، وهم مكرهون على الطاعة والمعصية.

واحتجوا بقول آدم: أثولوني على أمر قد قدر علي قبل أن أخلق فلا حجة لهم فيه أيضًا؛ لأن الموجود بالاعتبار والشاهد خلاف قولهم، وذلك أن العباد لا يأتون الذنوب إلا مشتهين لها، ورغبين فيها، والإجبار عند أهل اللغة: هو اضطرار المرء إلى العمل وإدخاله فيه غير راغب فيه ولا محبه كالمحسوب على وجهه، والمرتعش من الحمى، والفالح، وأهل الجعبر معتقدون لوم من وقعت منه معصية الله وتانيه عليها، وأشد التأنيث، ومدح من وقعت منه الطاعة وإثابته عليها.

(١) الخالق: ٢٩.  (٢) هو في الأصل: تجريها والثبت من هده. (٣) الأعراف: ١٠٥.
إذا كان هذا اعتقادهم، فاحتجاجهم بتأنيث آدم موسى على لومة له على أمر قد قدره عليه، [وأركبه عليه] (١) فاسد متناقض على مذهبهم، ومحاجة آدم موسى هي أن ذكره ما قد عرفه ووقف عليه في التوراة من نوبة الله على آدم من خطئه وписыва الطلم عليها؛ فوجب على موسى ترك لومة وعتبه عليه ما كان منه.


واحتاج أيضًا طائفة من القدسي ال𝑙ebbbaEEbaEE من القدسي الجميلة بهذا الحديث، فقالت: إن كان صحيحًا قول آدم لمسى: انتموني على أمر قدر الله على قبلي أن أخلق، فلا لومة على كافر في كفره، ولا فاسق في فسقه، ولا يجوز أن يجوز عليهم ويعذبهم على ما اضطرهم إليه.

قال الطبري: فالمواضيع أنه ليس معنى قوله: انتموني على أمر كتب الله علي قبل أن أخلق، كما توهمنه، وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه، وقد عاقبه الله على خطئه تلك بإخراجه من الجنة، ولو لم يكن ملئًا لكان وكونا في الجنة كما أسكنه الله؛ [ولكنه] (٣) جل جلاله آخره منها خطئه تلك عقوباته عليها، ولم يعاقبه على ما قضى.

(١) من ١٨٩٠، (٢) في ١٨٩٠: أعز.
(٣) في الأصل: لكن، والثبوت من ١٨٩٠.
على عليه ؛ لأنه لو عاقبه عليه لما كان يسكنِه الجنة حين أسكنه بإيافها ؛ وذلك أن القضاء عليه بذلك قد كان مضى قبل أن يخلقه ؛ فإذا استحق العقوبة على فعله ؛ لا على ما قضى عليه ؛ ويثبت / هذا آخر موسى لاَ آدم بصحة حجمه ، ولم يقل له كما زعمت القدرية : ليس الأمر كما تزعم ؛ لأن الله لو قضى عليك ذلك قبل أن يخلقك لم يعانبك ، ولكن لما كان من دين الله الذي أخذ بالإقرار به عهد أنيبائه ومواثيقهم أنه لا شيء كان فيما مضى ولا فيما يحدث إلا قد مضى به قضاوه ؛ فإنه غير معاقبهم على قضائته ، ولكن على طاعتهم ومعاصيهم ، وكان ذلك معلومًا عند الأنبياء والرسل ، أقر موسى لأدم صلى الله عليهما بأن الذي احتيج به عليه [ له ] (1) حجة ؛ وحقق صحة ذلك نبينا - عليه السلام - بقوله : فحج آدم موسى.

قال غير الطبري : وفي حديث أبي هريرة حجة لما يقوله أهل السنة:
أن الجنة التي أحببت منها أبنانا آدم - عليه السلام - هي جنة الخلد ، ورد قول من زعم أنها لم تكن جنة الخلد ، قالوا : وإنما كانت جنة بارض عدن ، واحتزوا على بدعتهم فقالوا : إن الله خلق الجنة لا لغو فيها ولا تأثيم ؛ وقد [ لغة ] (2) فيها إلبس حين كذب لأدم ، وأتم في كذبه ، وأنه لا يسمع أهلها لغو ولا كذابًا ، وأنه لا يخرج منها أهلها ، وقد أخرج منها آدم وحواء ببعضهما ، قالوا : وكيف يجوز على آدم مع مكانه من الله كمال عقله أن يطلب شجرة الخلد ، وهو في دار الخلد والملك الذي لا يليل ؛ وأيضًا فإن جنة الخلد دار القدس : قدست عن الخطاب والمعاصي كلها تظهيرًا لها ؛ وفيقال لهم :

______________________________
(1) من "الهد".
(2) في "الأصل" : بقى ، والثبت من "الهد".

- 319 -
الدليل على إبطال قولكم قول موسى لآدم: أنت الذي أشقيت ذريتك وأخرجتهم من الجنة، فدخل الآله واللائم لبدل على أنها الجنة المعروفة: جنة الخلد التي وعد [الله] {المؤمنين بها} التي لا عوض لها في الدنيا فلم ينكر ذلك آدم عليه من قوله، ولو كانت غير جنة الخلد لرد آدم على موسى، وقال: إني أخرجتهم من دار فناء وشقاء وزوال وعري إلى مثلها، فلما سكت آدم عليه ما قرره موسى؛ صح أن الدار التي أخرجهم الله منها بخلاف الدار التي أخرجوا إليها في جميع الأحوال، ويقال لهم فيما احتجوا به: إن الله خلق الجنة لا لغو فيها ولا تأئيهم، ولا كذب، ولا يخرج منها أهلها {هذا كله بما جعله الله فيها بعد دخول أهلها} {1} فيها يوم القيامة، وقد أخبر: أن آدم إن عصاء فيما نهاه عنه أخرجه عنها، ولا يمنع أن تكون دار الخلد في وقت من أراد تخلده {فيها} {1}، وقد يخرج منها من قضى عليه الفناء.

وقد أجمع أهل التأويل على أن الملائكة يدخلون الجنة على أهل الجنة ويخرجون منها، وأنها كانت بيد إبن مفتيحها ثم انزعت منه بعد المعصية، وقد دخلها النبي - عليه السلام - ليلة الإسراء، ثم خرج منها وأخرج بما رأى فيها، وأنها هي جنة الخلد حقًا، وقولهم كيف يجوز على آدم في كمال عقله أن يطلب شجرة الخلد وهو في دار الخلد؟ فيغسل عليهم، ويقال لهم: كيف يجوز على آدم في كمال عقله أن يطلب شجرة الخلد في دار الفناء؟ هذا لا يجوز على من له أدنى مسكة من عقل، وأنا قولهم: إن الجنة دار [القدس] {2} وقد ظهرها الله من الخطايا، فهو جهل منهم، وذلك أن الله - سبحانه - أمر بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة وهي بالشام، وأجمع أهل

---

{1} من ۶۰۹.
{2} في الأصل: الغرس، والثابت من: ۶۰۹.
الشرائع على أن الله قدسه ، وقد شاهدوا فيها المعاصي ، والكفر ، والكذب ، ولم يكن تقديسها مما يمنع فيها المعاصي فكذلك دار الخلد ، وأهل السنة مجمعون على أن جنزة الخلد [ هي التي ] (1) أهبت منها آدم ، فلا معنى لقول من خالفهم ، قاله بعض شيوخنا .

* * *

باب : لا مانع لما أعطي الله

فيه : المغيرة : " كان النبي - عليه السلام - يقول خلف الصلاة : لا إلا الله وحده لا شريك له ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطيي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ".

قال المؤلف [ (2) : المراد بهذا الحديث اثبات خلق الله تعالى جميع أعمال العباد ؛ لأن قوله : " لا مانع لما أعطيت " يقتضي نفي جميع المانعين سواء ، وكذلك قوله : " لا معطيي لما منعت " يقتضي نفي جميع المعطين سواء ، وأنه لا معطيي ولا مانع على الحقيقة بفعل المنع والعطاء سواء ، وإذا كان ذلك كذلك يثبت أن من أعطى أو معن من المخلوقين فإعطاؤه ومنعه خلق الله وكسب للعبد ، والله - تعالى - هو المعطي وهو المانع لذلك ، حقيقة من حيث كان مخبرًا خالقًا للإعطاء والمنع ، والعبد مكتسب لهما بقدرة محددة ، فإن أن إنا نهى مانعًا ومعطيًا ( مخبرًا ) (3) للمنع والأعطاء / ويخلقهما .

قال الطبري : وقوله : " لا ينفع ذا الجد منك الجد " - يفتح الجيم في الحرفين جميعًا يقول : " لا ينفع ذا الحظ في الدنيا من المال والولد منك حظه في الآخرة ؛ لأنه إذا ينفع في الآخرة عند الله العامل .

(1) في : "الأصل " : التي هي . والثبوت من : " هـ ".
(2) من : " هـ " .
(3) في : "الأصل " : مخبر ، والثبوت من : " هـ ".

- 321 -
الصالح لا المال والبنون، كما قال تعالى : مال والبنون زينة الحياة الدنيا} (1) الآية.

وحكي عن أبي عمرو الشيباني أنه كان يقول: إما هو الجد - بكسر الجيم في الحرفين جميعًا - يمّعى: ولا ينفع ذا الاجتهاد في العمل منك إجتهاده.

قال الطبري: وهذا خلاف ما يعرفه أهل النقل والرواية لهذا الحديث، ولا نعلم أحداً قال ذلك [ غيره مع ] (2) بعد تأويله من الصحة.

**

باب: نعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء

وقال تعالى: قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق (3)

فيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: [ تعوذوا ] (4) بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشمامة الأعداء.

قال المؤلف: [ (5) المستفاد من قوله تعالى: قل أعوذ برب الفلق إلى آخر السورة، خلق الله - تعالى - لشهد ما خلق، ولشر غاصق، ولشر النفاث، ولشر حاسد، لأنه لو كان هذا الشر كله خلقًا من إضافة إليه من الغاشق والناشط والحادد، مخترعًا لا كسبًا؛ لم يكن لأمر الله تعالى لنبيه ولعباده بالتعوذ به من شر ذلك كله معنى، وإنما يصح التعوذ به [ عز وجل ] (5) مما هو قادر عليه دون من أضافه

(1) الكهف: 46. (2) في الأصل: غير من، والثبت من هـ.
(3) الفلق: 1. (4) في الأصل: نعوذ، والثبت من هـ، ن.
(5) من هـ.

- 372 -
إليه ، (فتعبدنا) تعالى بسأله دفع شر خلقه عنا ؛ لأنه إذا كان قادرًا على فعل ما أضافه إلى من ذكر في السورة كان قادرًا على فعل ضده ، وتعبدنا بسأله تعالى فعل ضد ما أمرنا بالاستعاذة منه ، فبيان أن الخير والشر بهذا النص خلق الله تعالى .

وأما قوله عليه السلام : `تعوذنا بالله من جهد البلاء` ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء ؛ فإنا أمرنا بالتعوذ به تعالى من أن ينزل بنا فعلًا من أفعاله (سبق) (1) علينا نزوله بنا لما يقتضيه من الشدة والمشقة ، وذلك بلاء وشقاء وسوء قضاء وشماتة الأعداء ، فالشقاء يكون في دين ودنيا ، وإذا كان في الدنيا كان تضيعًا في العيش ، وتقتيرًا في الزهر ، وذلك فعل الله وإن كان في الدين كذلك كفر أو معاصر ، وذلك فعل الله أيضًا ، وكذلك سوء القضاء عام في جميع ما قضاه تعالى من أمر الدين والدنيا ، وشماتة الأعداء ، وإن كانت مضافة إليهم إضافة الفعل إلى فاعله في الظاهر ، فإذا ذلك على سبيل إضافة الكسب إلى مكتسه ، لا على سبيل الاختراع ، إذ لا يصح في المخلوق اختراع عين ، فبيان أن جميع ما أمرنا بالتعوذ منه به خلق الله بدليل قوله : (خلق كل شيء) (2) .

* * *

باب : يحول بين المرء وقلبه

فيه : ابن عمر : (كثيرًا) (3) ما كان النبي - عليه السلام - يحلف :

لا ومقلب القلوب .

وفيه : ابن عمر : قال النبي ﷺ : لا ابن صياد : `اخسأ ، فإن تعدو قدرك`

قال عمر : `أئذن لي فأضرب عنقه` . قال : `دمعه ، إن يكن هو فلا تطقه`

وإن لم يكن هو فلا خير لك في قوله .

(1) في الأصل ؛ فتعوذنا . واليتمت من هـ .
(2) في هـ ؛ يشغ . (3) الزمر ؛ 27 .
(4) في الأصل ؛ كثير . واليتمت من هـ ، ن .
وقوله تعالى: «يحول بين المرء وقلبه» (1) يقتضي النص منه تعالى على خلقه الكفر والإيمان بأن يحول بين قلب الكافر والإيمان الذي أمره به، فلا يكتسبه إذ لم يقدر عليه، بل أقدره على ضده وهو الكفر، ويجوز بين المؤمن وبين الكفر الذي ناهيه عنه بأن لم يقدر عليه، بل أقدر عليه الإيمان الذي هو به [متبس] (2) وإذا خلق تعالى لهما القدرة على ما هما مكتسبان له مختاران لاستكانبه، فلا شك أنه خلق لكرههما وإيائهما؛ لأن خلقه لكره أحدهما، وإيائه الآخر من جنس خلق قدرتهما عليهما، ومحال كونه قادرًا على شيء غير قادر على خلافه أو ضده أو مثله، فإن أنه خالق هذا النص جمع كسب العباد، خيره وشره، وهذا معنى قوله عليه السلام: «لا وملقب القلوب» لأن معنى ذلك تقليبه قلب عبده عن إيثار الإيمان إلى إيثار الكفر، وعن إيثار الكفر إلى إيثار الإيمان، وكان فعل الله ذلك عدلاً فين أصله وختنه؛ لأنه لم يمنعهم حقاً وجب عليه فنزل صفة العدل، وإمّا منهم ما كان له أن يفضل به عليهم لا ما وجب لهم وأضلهم، لأنهم ملك من ملكه خلقهم على إرادته، لا على إرادتهم، فكان ما خلق فيهم من قوة القيادة والتوافق على وجه الفضل (3)، وقد بين هذا المعنى إياض بن معاوية; ذكر الآجري بإسناده عن حبيب بن الشهيد قال: «جاءوا برجل يتكلم في القدر إلى إياض بن معاوية فقال له إياض: ما تقول؟ قال: «أقول إن الله أمر العباد ونهاهم [فإن] (4) الله لا يظلمهم شيئًا» فقال له إياض: أخبرني عن الظلم، تعرفه أو لا تعرفه. قال: [بل] (5)


-٣٢٤-

وقال عمران بن حصن لأبي الأسود الدؤلي: لو عذب الله أهل السماء والأرض لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكان رحمته أوعس لهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهب ما تقبل منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره.

وروي مثل ذلك عن ابن مسعود، وأبي بن كعب، وسعد بن أبي وقاص، وزيد بن ثابت، وقال زيد: سمعته من رسول الله ﷺ أن الحمده(fl) ﷺ.

قال: لو رحمهم كانت رحمته لهم [خير] (1) من أعمالهم.

وموافقة الحديث للترجمة قول النبي ﷺ لعمر: «إن يكن هو فلا تطبيقه»، وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله» يعني أنه إن كان الدجال قد سبق في علم الله خروجه وإيضاحه للناس، فلن يقدر كخالق على قتل من سبق في علمه أنه يخرج ويشل الناس. إذ لو أدرك على ذلك لكان فيه انقلاب علمه، والله تعالى عن ذلك.

***

باب: قال لين بصيبينا إلا ما كتب الله لنا

قال مجاهد: بينتين: بمثليان إلا من كتب الله أنه يصلى الجمجم قدر فهدى، قدر الشقاء والسعادة وهدى الأنعام لمريثها.

فيه: عائشة: «أنها سألت النبي ﷺ عن الطاعون، قال: كان عذابًا ببعثه الله على من يشاء فأجلله الله رحمة للمؤمنين، ما من عبد يكون في بلدة

(1) في الأصل: خير. والثبوت من absence.
بكون فيه ويتكل فيه لا يخرج من البلد صابرًا محتسبًا، يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله إلا كان له مثل أجر شهيد.

معنى هذا الباب أن الله أعلم عباده أن ما يصيبهم في الدنيا من الشدائد والمحنة والضيق والتصيب وال🎉، أن ذلك كله فعل الله بفعل من ذلك ما يشاء بعباده ويتلبس بالخير والشراء وثُلثه، وذلك كله مكتوب في اللوح المحفوظ، ولا خلاف في هذا بين جماعة الأمة من قدري وسني، وإنما اختلقوا في أفعال العباد الواقعة منهم على ما تقدم وهذه الآية إذا جاءت فيما أصاب العباد من أفعال الله التي اختص باختراعها دون خلقه، ولم يقدرهم على كسبها دون ما أصابوه مكتسبين له مختارين.

* * *

باب: وما كنا لنتهدي لولا أن هدانا الله (1)

و لو أن الله هدائي لكنت من المتقين (2)

فيه: البراء: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق وهو يقول:

«والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمتنا ولا صلينا».

في هاتين الآتيتين وفي الحديث نص أن الله - تعالى - انفرد بخلق الهيدين والبشرين، وإنما قدر العباد على اكتساب ما أراد منهم اكتسابهم له من إيمان أو كفر، وإن ذلك ليس بخلق للعباد كما زعمت القدرية. وروى أن علي بن أبي طالب لقي رجلاً من القدرية فقال له: خالتم الله وخلقتكم الملائكة، وخالتمي أهل الجنة وخالتمي أهل النار، وخلقتكم الأنبياء وخلقتكم الشيطان، فأما خلافكم الله فقوله: إنك لا تهدي من أحبب ولكن الله يهدي من يشاء (3). وأما خلافكم.

(1) الأعراف: 43.
(2) الزمر: 57.
(3) القصص: 56.

- 329 -
الملاكوتة فقال لهم: {لا علم لنا إلا ما علمنا} (1). وأما خلافكم في النار، فقالوا: {ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن تنسح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم} (2). وأما خلافكم في الجنة، فقال لهم: {الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لهبتتي لولا أن هدانا الله} (3). وأما خلافكم في الدنيا، فقالوا: {ربنا غلت علينا شفوتنا وكنى قومًا ضالين} (4). وأما خلافكم الشيطان، فقال إبريل: {رب بما أعوينتي} (5).


وقال محمد بن كعب القرظي: لقد سمى الله المكذبين بالقدر باسم نسبهم إليه في القرآن فقال: {فإن المجرمين في ضلال وسحر يوم يصبحون في النار على وجههم ذوقوا مس سكر إنا كل شيء خلقنا بقدر} (7) فهم المجرمون.

* * *

(1) الآية 33 في سورة القدر.
(2) الآية 34 في سورة البقرة.
(3) الآية 16 في سورة المؤمنون.
(4) الآية 5 في سورة الإعراف.
(5) الآية 44 في سورة البقرة.
(6) الآية 16 في سورة النحل.
(7) الآية 49 في سورة البقرة.
كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة

فيه : طارق بن شهاب : قال رجل من اليهود لعمر : يا أمير المؤمنين ، لو أن علينا نزلت هذه الآية { اليوم أُكلمت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا } (1) لانخذنا ذلك اليوم عيدًا . فقال عمر : إنني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية نزلت يوم عرفة في يوم جمعة .

وفيه أنس : { سمع عمر الغد حين باب المسلمون أبا بكر ، واستوى على منبر رسول الله ﷺ تشهد قبل أبي بكر فقال : } أما بعد ، فاختار الله لرسوله الذي عقده على الذي عندكم ، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم ، فخذوا له تهتدوا لما هدى الله به رسوله .

وفيه : ابن عباس : ضمني النبي ﷺ عليه السلام - إليه وقال : { اللهم علمه الكتاب } .

وفيه : أبو بزة : قال إن الله يغنيكم بالإسلام وبمحمد ﷺ .

وفيه : ابن عمر : { أنه } (2) كتب إلى عبد الملك بن مروان بيايعه ، وأقر للك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت .

لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله وسنة رسوله وصفه في إجماع العلماء على معنى في أبدهم .

والأمة تنقسم قسمين : منها واجبة ، ومنها غير واجبة ، فاما الواجبة فما كان تفسيرا من النبي ﷺ على السلام - لفرض الله ، وكل ما أمر به النبي ﷺ أو نهى عنه أو فعله فهو سنة ، ما

(1) المائدة : 3 (2) من 3 هـ
لم يكن خاصًا له، وأما غير الواجب من سنته عليه السلام فما كان من فعله تطوعًا ولا يحرج أحد في تركه كقوله عليه السلام: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلا يقول: لا تتخذوا الضياعه [فتركوا] (1) في الدنيا.

وأكثر أصحابه كان لهم ضياع، فدل أنه أدب منه نستعين به على دفع الرغبة في الدنيا، ومثل ذلك ما أمر به تأدیا لامته بأكرم الأخلاق من غير أن يوجب ذلك عليهم، ومثل ذلك ما فعله في خاصة نفسه من أمر الدنيا كتخاذله لنعله قبائل، ولبسه النعل البسيطة، وصبغه إزاره بالورس، وحبه الفرع، وإعجابه بالطيب، ووجه من الشاة الذراع، ونومه على الشق الأيمن، وسرعته في المشي، وخروجه في السفر يوم الخميس، وقدمته منه في الضحى وشبه ذلك، فلم يسه لأمته، ولا دعاه إليه ومن تشبه به عليه السلام حبًا له كان أقرب إلى ربه كفعل ابن عمر في ذلك.

****

باب: قول النبي عليه السلام: بعشت بجوامع الكلم

فيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: "بعشت بجوامع الكلم، ونصرت بالزمام، ويبنا أنا نائم [رأيتني] (2) أنيت بفاتح خزائن الأرض، فوضعت في يدي. قال أبو هريرة: فقد ذهب رسول الله وأتم تلغنثها أو ترغثونها أو كلمة تشبهها.

وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: "ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله أومن - أو آمن عليه البشر - [و] (2) إذا كان الذي أوتى وحيًا أو حاه الله إلى فأرجو أن يتأمرهم تابعًا يوم

(1) في: الاصل: لتركوا . والمثل: من هـ .
(2) من: هـ . نـ .
القيادة: أي: صدى بتلك الآيات لإعجازها لمن شهدها، كقلب العصا حية، وفرق البحر لموسى وكباشة الأكمام والأبرص وإحياء الموتى ليسى، وكان الذي أعطيت أنا وحياً أوحاه الله إليّ، فكان آية باقية دعى إلى الإيابان بعله أهل التعاطي له، ومن نزل بسانتهم، فعجزوا عنه ثم بقي آية مائلة للعقول إلى من يأتي إلى يوم القيامة، يرون إعجاز الناس عنه زاي العين، والآيات التي أوتيها غيره من الأطباء قبله رئي إعجازها في زمانهم، ثم لم تحصبهما إلا مدة حياتهم، وانقطعت بوفاتهم، وكان القرآن باقًا بعد النبي - عليه السلام - يتحدى الناس إلى الإيابان بعله، وعجزهم على مرو رؤية الأعصار فكان آية باقية لكل من أتي، فلذلك رجا أن يكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة، مع أن الله - تعالى - قد ضمن هذه الآية ألا يدخلها الباطل إلى أن تقوم الساعة بقوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإننا له حافظون" (1) وضمن نبينا - عليه السلام - بقاء شريعته [ وإن ] (2) ضيع بعضها قوم بقوله : "لا تزال طائفة من أتى على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك". وقاله: وأتمن تلغؤتها أو ترغثونها، شك في أي الكلمتين قال النبي - عليه السلام (3) - فأما لغث باللائم فلم أجده فيما تصفحت من اللغة، وأما رغث بالرآء فهو معروف عندهم يقال: رغث كل أنثى ولدها وأرغث أرضعته فهي رغوث.

* * *

(1) الحجر : 9.
(2) في "الأصل" : "بأن، والمثبت من "هـ".
(3) هذا قول أبي هريرة كما في المتن.

٣٣٠٠
باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ
وقول الله تعالى: "وأجعلنا للمتقين إماما"(1)
أي أئمة نقتدي بهم قبلنا ونقتدي بناءً عندها. وقال ابن عون: ثلاث أجهن لنسبي وليماني: هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يفهموه ويسألوا عنه، وندعو الناس إلا من خير.
فنه: أبو واثل قال: «جلست إلى شيبة في هذا المسجد، فقال: جلس [إلي](2) عمري في مجلسك هذا، فقال: همت ألا أدع فيها صفراء ولا بضاء إلا قسمتها بين المسلمين. قلت: ما أنت بفاعل. قال: لم قلت، لم يفعله صاحبنا، قال: هذا القرآن يقتدي بهم».
وفيه: حديثة: قال النبي - عليه السلام -: «إن الأمة نزلت من السماء في جذر قلوب الرجال ونزل القرآن، فقرأه القرآن، وعلموا من السنة».
وفيه: عبد الله: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وإن لم تعودون لأت وما أتمن بعجزين».
وفيه: أبو هريرة وزيد بن خالد: قال النبي - عليه السلام -: «[الاقضية](3) بينكما بكتاب الله».

(1) القرآن: 74. (2) من هـ. (3) في الأصل: «الاقضية». والكتيب من هـ. (3)
قالوا: إن لصاحبك المثل: "أنا معرش القراء، استقيموا فقد سبقتم سبيلاً بعيدًا، ولئن أخذتم بيئة وشمالة فقد ضلتم ضلالاً بعيدًا.

وفيهم: أبو موسى: قال النبي - عليه السلام -: "مثل مثلي ومثل ما يبعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم، إنني رأيت الجيش بعيني [إن] (4) أحد منذير العربان [فاللقاء] (5) فاطئة من قومه، فأدجلوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فسحبت الجبه فأحلكهم [واجتاحهم] (4) فذلك مثل من أطاعني وتابع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذبت ما جئت به من الحق.

وفيهم: أبو هريرة: "لما توفي النبي واستخلف أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال: والله لو منعوني عقابًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلهم على منعه.

وفيهم: ابن عباس: "أن عينه بن حصن قال لعمر: والله ما تعطينا

(1) في الآصل: مائدة، والثبت من هي، ن.
(2) في الآصل: جياع، والثبت من هي، ن.
(3) في الآصل: المائدة، والثبت من هي، ن.
(4) من هي، ن.
(5) في الآصل: فاللقاء، والثبت من هي، ن.
(6) في الآصل: فاجتاحهم، والثبت من هي، ن.
الجزل ولا تحكم بـنا بالعدل. فغضب عمر حتى هم بأن يقع به، فقال له
الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله - تعالى - قال لنبيه: فخذ العفو
وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (1) وهذا من الجاهلين فوالله ما
جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقاؤاً عند كتاب الله ».
وفيه: أسامة في حديث [الخسوف] (2): قال النبي - عليه السلام-: فإنه المؤمن فيقول: هو محمد [ جاءنا ] (3) بالبحث والهدى
فآمنا واتبعنا » / الحديث.
وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام-: « دعونى ما تركتم، فإنما هلك من كان يقلكم بناءه ومختلفهم على أبنائكم، فإذا نهتمكم
عن شيء فاجتثبوه، وإذا أمرتم بأمر فاتنا منه ما استعملتم ».
قال المؤلف: آمر الله عباده باتباع نبيه والاعتداء بسته فقال:
فآمنا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (4) وقال: الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور
الذي أنزل منه أولئك هم الفلحون (5) وترك عن خالف سببه ورغب عن سنته فقال: فلا يذخرون الذين يخلقون عن أمره أن تصيهم
فتنة أو يصيهم عذاب أليم (6) وهذه الآيات مصدقه [ لاحديث ] (7)
هذا الباب.
وأما قول عمر: « لقد هممت آدوك فيها صفرا ولا بيضاء»
يعني: ذهب ولا فضا، أراد أن يقسم المال الذي يجمع بركة ،

(1) الأعراف : 199
(2) في: الأصل : الخسوف. والثابت من: ه. 
(3) في: الأصل : جاء. والثابت من: ه.
(4) الأعراف : 158
(5) الأعراف : 7
(6) النور : 63
(7) في: الأصل : الحديث.
وفقًا إلى تفاصيلها ومؤنتها ووضعه في مصالح المسلمين، فلم يكن
شيبة النبي وابن يافع وابن بكر بعدة لم يعرفوا له؛ لم يغصه خلافهما،
orأى المعتقدون بهما واجب، فتمارا يهتم البيت أو خلق بعض آليته
فسرب ذلك المال فيه. ولد صرف ذلك المال في منافع المسلمين لكان
كأنه قد خرج من وجهه الذي سبل فيه.
قال المهلب: واما الأمانة التي في حديث حذيفة، فإنها الإيمان
وجميع شرائعه، التنزه عن الخيانة وشبهها.
والجذور: أصل الشيء، فدل ذلك أن الإيمان مفروض على القلب
ولا بد من النية في كل عمل على ما يذهب إليه الجمهور.
وقاله: «نزلت في جذر قلوب الرجال» يعني: بعض الرجال
الذين ختم الله لهم بالإيمان، وأما من لم يقدر له فليس بداخل في
معنى ذلك، إلا ترى قوله: «نزل القرآن ثم قرأوا من القرآن
وعلموا من السنة» يعني المؤمنين خاصية المذكورين في أول الحديث.
وقاله: «جاءت الملاككة، فقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقطان»
يبدل أن رؤية الأشياء وحي لثبات القلب ولهذا قال عليه السلام:
«إن عيني تنامان ولا يبدي قلبي» وفيه دليل أن الفهم والعرفة في القلب.
وقول الملك: «أولوها له» يدل أن الرؤيا على [ ما عبرت ] (1)
في النوم.
[معنى] (2) قول الخبر: «فما جاورها عمر وكان وقعاً عند كتاب
الله». فهو معنى الترجمة، والإعراض عن الجهله إن صبح أنه جهل
مرغب فيه متذوب إليه، وأما إذا كان الجفاء على السلطان تعبيد أو
استخفافاً بحقه فله تغييره والتشديد فيه.

(1) في الأصل: معرفة. وتثبت من هؤلاء.
(2) في الأصل: في معنى.
واستعمال عمر لهذه الآية يدل على أنها [ غير ] (1) ممنوحة، وهو قول مjahid وقادة، وروى هشام بن عروة عن أبيه، وعن عبد الله ابن الزبير قالا: نزلت هذه الآية في أخذ العفو من أخلاقي الناس وأعمالهم وما لا يجهدهم.

فعلي هذا القول هي محكمة وهذا لفظ الأمر، وهو تأديب من الله نبيه، وفي تأديبه تأديب لامته، فهو تعليم للمعاشرة الجميلة والأخذ بالفضل، وقد روي عن ابن عباس في قوله: «خذ العفو» (2) يعني: الفضل من أموال الناس، ثم نسخ ذلك وهو قول الضحاي والدستي، وفيها قول ثالث عن ابن زيد قال: أمر الله نبيه بالعفو عن المشركين وترك الخِلْطَة عليهم، قبل أن يفرض [ عليه ] (3) قتالهم ثم نسخت بالقتال.


(1) من هـ.
(2) في الأصل: عليهم. والمثبت من هـ.
(3) في الأصل: ندبنا. والمثبت من هـ.
(4) النبأين: 16.
(5) في الأصل: عليهم. والمثبت من هـ.
غير عجزة قادرين، ولم يرده أنه لا يؤمن إلا من قد وجدت قدرته على الفعل كما تقول القدرة.
وقال المهلب: من أحتذى بهذا الحديث أن النواحي أوجب من الأوامر فهو خطاً؛ لأنه عليه السلام لم ين به هذا الحديث عن المحرمات (1) نهى الله عنها في كتابه بأن حرم الفوااحش ما ظهر منها وما بطن. وإذا أراد إذا نهيكم عما هو مباح لكم أن تئتوه، فإنما نهيكم رسميًا بكم كنهك عن الوصال إبقاء عليهم، وكنهك عند الله ابن عمرو (2) عن صيام الديار وقيام الليل كله، وكنهك عن إضاءة المال؛ لسلا يكون سبيًا لهلاككم، وكنهك عن كسب الحجام وعصب الفحل تزجُّه واعتزلاً عن الأعمال الوضيعة.
وأما الأمر الذي أمرهم أن يأتوا منه ما استطاعوا فهو الأمر من التواصي بالخير، والصدقات وصلة الرحم، وغير ذلك مما سنه، وليس بفرض ولذلك قال لهم: فانتوا ما استطعتم أي: لم آمرككم بذلك أمر إلزام ولا أمر حتم أن تبلغوا غايته لكن ما استطعتم من ذلك. لأن الله تعالى عفواً عما لا يستطاع.
وعلى هذا المعنى خرج (معني) (3) الحديث منه عليه السلام: لآن أصحابه كانوا يكثرون سؤاله عن أعمال من الطاعات يحرصون على فعلها فكان ينهاهم عن التشديد ونامرهم بالرفق، خشية الانقطاع وساستقصى [مذهب العلماء في الأئمة والنهي في باب النهي على التحريم إلا ما يعرف إباحته بعد هذا إن شاء الله تعالى] (4).

* * *

(1) في: الأصل: الذي، والمثبث من: هم.
(2) في: الأصل: عمر، والمثبث من: هم.
(3) في: هم: لفظ.
(4) في: الأصل: ذلك بعد هذا، والمثبث من: هم.
باب : ما يكره من كثرة السؤال وتكرف ما لا يعني

وقول الله : (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) (1)

فيه : سعد : قال النبي - عليه السلام - (إن أعظم المسلمين جرماً من سأل [عن شيء] (2) ليمحرم ، فحرم من أجل مسألته).

وفيه : زياد بن ثابت : "أن النبي - عليه السلام - اتخذ حجرة في المسجد من حصير فصل فيهما ليالي حتى اجتمع إليه ناس ، ثم فقروا صوته ليلة فظنوا أنه قد نام ، فجعل بعضهم [يتتحجج (3)] ليخرج إليهم فقال : ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم حتى خشيت أن يكتب عليكم ، ولو كتب عليكم ما قام به ، فصلوا أياها الناس في بيوتم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة.


وقال أنس : لما قال النبي - عليه السلام - : أبوك فلان : نزلت : ( يا أبا الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم (1) الآية.

__________
(1) المثابة : 111
(2) في "الأصل" : شيئًا. والثبت من "هم ن".
(3) في "الأصل" : يسح. والثبت من "هم ن".
(4) في "الأصل" : يسح. والثبت من "هم ن".
وفي المغيرة: «أن النبي - عليه السلام - كان ينهى عن قول وقال، وكثره السؤال، وإضاعة المال ... الحديث.

(1) من له، ن. 
(2) في الأصل: وفيه، والمثبت من له. 
(3) في الأصل: لذلك، والمثبت من له. 
(4) من له، ن. 
المกำหนด: 10.1.
- 338 -
تشعرون(1) ألا ترى فهم عمر / لهذا الأمر وتلافيه له ؛ بأن برّك
على ركبيه ، وقال : رضيتا بالله ربا وبالإسلام دينًا وبيحتم نبيا
وقال مرة : إذا تنبت إلى الله . فلاكت عليه السلام وسكن غضبه،
ورضى قول عمر حين ذه بع نبيه ونبره على التوبة مما فيه إغضابه أن
يؤدي إلى غضب الله ، وقد ذكرنا شيئًا من هذا المعنى في كتاب الفتن
في باب التعوذ من الفتنة (2) والدليل على صواب فعل عمر قول
النبي - عليه السلام - بعد ذلك : أولاً والدي نسي بيده ؛ يعني :
أولى من عنت نبي في المسألة وأغضبه ، ومعنى أولى عند العرب التهذد
والوعيد . قال المهلب : يقال للرجل : إذا أفلت من عظيمة : أولى
لك . أي : كدت تهلك ثم أفلتت ، ويرى عن ابن الحفية أنه كان
يقول : إذا مات ميت في جواره : أولى لي ، كدت والله أن أكون
السواد المختوم .
قال المهلب : وأصل النهي عن كثرة السؤال والتنطق في المسائل مبين
في كتاب الله - تعالى - في بقرة بني إسرائيل أمرهم الله بذبح بقرة فلو
ذبحوا أي بقرة كانت لكانوا مؤمنين غير عاصين ، فلمما سالوا ما هي
وما لونها ؟ (قيل لهم) (3) : لا فارض ولا بكفر . ضيق عليهم وقد
كان ذلك مباح ، وكذلك ضيق عليهم في لونها فقيل لهم : صفراء .
فمنعوا من سائر اللوان ، وقد كان ذلك مباحا لهم ، ثم لما قالوا :
إن البقر تشابه علينا . قيل لهم : لا دلول حرائه ولا ساقية للحمر أي
ملمعة لاستخراج الماء وقد كان ذلك [ مباحا ] (4) لهم ، فعز عليهم
وجود هذه الصفة المضيق عليهم فيها حتى أمرهم أن يشروها بأضعاف
ثمنها عقوبة سؤالهم عما لم يكن لهم به حاجة .

(1) المحجرات : 2 .
(2) من هـ .
(3) تكررت في الأصل .
(4) في الأصل : مباح ، والثبت من هـ .

- 339 -
وقوله تعالى: {لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم}.

بحذر مما نزل بهؤلاء القوم ثم وعد أنه إن سألوا عنها حين نزول القرآن ضيق عليهم، وقد قال بعض أصحابنا: إنه بقيت منه بقية مكروهة وهو أن التنطع في المسألة والبحث عن حقيقةها بلزم منها أن [ يأتي] بذلك الشرع على الحقيقة التي اكتشفت له في البحث، وذلك مثل أن يسأل عن سلع الأسواق الممكن فيها الغصب والنهب هل له شراء ذلك في سوق المسلمين، وهو يمنع فيه ذلك المكره أو أم لا؟ ففي نهت بأن له أن يتبع ذلك، ثم إن تطلع، فقال: إن قام الدليل على السلاة أنها من نهب أو غصب هل لي أن أشربها؟ ففي نهت بأن لا يشربها فهذا الذي بقي من كراهة السؤال والتنطع [حتى] {الآن في النسخ الذي كان يمكن حين نزول القرآن والتقليد المنشور}.

وقد سئل مالك عن قول وقال وكثرة السؤال؟ فقال: لا أدرى أهو ما أنهاماه عنه من كثرة المسائل، فقد كره رسول الله المسائل وعابها، أو هو سؤال الناس أموالهم، وكان زيد بن ثابت وأبي بن كعب وجماعة من السلف يكرهون السؤال في العلم عما لم ينزل، ويقولون: {إذا نزلت النازلة وفق [المسؤل] عندها، وبرون الكلام فيما لم ينزل من التكلف}. وقال مالك: أدركت أهل هذا البلد وما عند أحدهم علم غير الكتاب والسنة، {إذا نزلت النازلة جمع الأمير لها من حضر من العلماء، فما تفقوا عليه أنفذه، وأنتم تكثرون المسائل وقد كرهها رسول الله}. فإن قيل: فإذا نبت النهي عن كثرة السؤال والبحث في هذه الأحاديث، فقد جاء في كتاب الله ما يعارض ذلك، وهو

(1) المائدة: 101. (2) من هم. (3) في الأصل: حس. والثبت من هم. (4) في الأصل: يقول. والثبت من هم. (5) في الأصل: السؤال. - 340 -
الأمر بسؤال العلماء والبحث عن العلم؛ بقوله تعالى: { فاسألوا أهل الذكر إن كنت لا تعلمون } (1).

فاجواب عنه أن [ الذي ] (2) أمر الله عباده بالسؤال عنه هو ما ثبت وتقرر وجوده مما يجب عليهم العمل به، والذي جاء فيه النهي هو ما لم يتبع الله عباده به، ولم يذكره في كتابه، وقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى: { لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم } (3) الآية قال: ما لم يذكر في القرآن فهو مما عفا الله عنه، إلا ترى أن الله لم يجب اليهود عن سؤالهم عن الروح لما لم يكن مما لهم به الحاجة إلى علمه، وكان من علم الله الذي لم يطلع عليه أحداً فقال النبي ﷺ: { قال الروح من أمر ربي وما أتيتهم من العلم إلا قليلًا } (4). فنسبهم تعالى في سؤالهم عما لم ي ينبغي لهم السؤال عنه إلى قلة العلم، وقال مالك:قيل وقال هو هذه الأخبار والاراجيف في رأيي أعطى فلان كذا ومنع إذا بقوله: { ولأن سألتم ليقولن إما كنا نخوض ونلعب } (5). فهؤلاء يخرجون، رواه عنه أشهب في جامع المستخرجة.

وأما قول بعض اليهود حين سألوا عن الروح: لا تسألوا يسمعكم ما تكرهون. فإذا قال ذلك لعلمه أنهم كانوا معتنين ومستنثرين من عقوبة أن يخطب بما يكره.

وأما قوله عليه السلام في حديث أنس: { لن يرح الناس يسألون:}

(1) النحل : 43، الأنيبياء : 7.
(2) من ه : 6.
(3) الإسراء : 85.
(4) المؤائدة : 101.
(5) في ه : لا.

-341-

وقد ذكر ابن أبي شيبة من حديث الأعمش ، عن ذر ، عن عبد الله ابن شداد ، عن ابن عباس قال : " جاء لجل إلى النبي - عليه السلام - فقال : " إن أحدث نفسي بالأمر لأن أكون حمما أحب إلي من أن أتكلم به . فقال له رسول الله : الحمد لله الذي رد إلي الوسواس " .

فإن قيل : كيف سمي هذه الخطرة الفاسدة من خطرات الشيطان على القلب صريح الإمام ؟ قال الخطابي : يردد أن صريح الإمام هو الذي يجعل ما تجده في صدوركم وينعمكم من قول ما يلقبه الشيطان في قلوبكم ولولا لم يتعاظموه ، ولم ينكروه ولم [يرو [2(2) أن الوسوسة نفسها صريح الإمام ، وكيف تكون إياتنا وهي من قبل الشيطان وكيده ، إلا تراه حين سيلع من هذا قال : " الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة " .

وفي وجه آخر ، قال المهلب : قوله : " صريح الإمام » يعني : الانقطاع في إخراج الأمر إلى ما لا نهاية له فلا بد عند ذلك من إجابة

((1) في "الأصل " : وان . والثابت من "ه" .

((2) من "ه" .

- ٣٤٢ -
خالق لا خالق له، لأن المفكر يجد المخلوقات كلها لها [خالق](1) بآثار الصنعاء فيها والحادث الجاري عليها والله تعالى - بخلاف هذه الصفه لمبايث صفات المخلوقين، فوجب أن يكون خالق الكل، فهذا هو صريح الإيمان، لا البحث الذي هو من كيد الشيطان المؤدي إلى هذا الانقطاع ليحيي العقول، فنَبه عليه السلام على موضع كتبه [وتشيره](2).

قال غيره: فإن وسوس الشيطان فقال: ما المانع أن يخلق الخالق نفسه. قال له: هذه وسوسية ينقض بعضها بعضًا، لأن بقولك يخلق قد أوجب وجوده تعالى، وبقولك نفسه قد أوجب عدمه، والجمع بين كونه موجودًا ومعدومًا معًا تنافض فاقد ؛ لأن من شرط الفاعل [تقديم](3) وجوده على وجود فعله فيتحل كون نفسه فاعلاً له ؛ لاستحالة أن يقال إن النفس تخلق النفس التي هي هو [وهو بين](4) في حال هذه الشبه وهو صريح الإيمان.

و قال غيره: إن سأل سائل عن حديث سعد وزيد بن ثابت، فقال: في هذين الحديثين دلالة على أن الله تعالى يفعل شيئاً من أجل شيء (وسبيه)(5)، وهذا يؤدي إلى قول القدرية.

فالجواب أنه قد ثبت أن الله على كل شيء قادر، وأنه بكل شيء عليهم، وأنه لا يكون من أفعاله التي انتهى بالقدرة عليها ولا تدخل تحت قدرة العباد، ولا تكون من مقدرات العباد التي هي كسب لهم وخلق الله إلا والله مراد جمع ذلك، فسواء كان آمرًا بذلك عباده أو ناهيًا لهم عنه، فغير جائز أن يقال أنه (فعل) (6) فعلاً من أفعاله بسبب من الأسباب أو من أجل داع يدُعوه إلى فعله؛

(1) في  "الأصل": خالقًا، والثبت من  "هـ".
(2) في  "الأصل": وتشيره، والثبت من  "هـ".
(3) في  "الأصل": تقديم، والثبت من  "هـ".
(4) في  "الأصل": وهو بين، والثبت من  "هـ".
(5) في  "هـ": وسبيه.
(6) مكررة "بالأصل".

-343-
لأن السبب والداعي فعل من أفعاله، والقول أنه فعل بسبب يقضي
إلى تعجيزه لحاجته إلى ما لا يصح وقوعه من فعله إلا بوقوع غيره
تعالى الله عن ذلك، فإذا فسد ذلك وجب حمل قوله عليه السلام:
"إن أعظم المسلمين جرمًا من سائل عن شيء لم يحرم فحرم من
أجله". على غير ظاهره وصره إلى أن الله - تعالى - فاعل بنؤال
السائل الذي نهاه عنه، ومقدر أن يحرم الشيء المستول عليه إذا وقع
السؤال فيه، كل ذلك قد سبق به القضاء والقدر [ لا أن ] (1) السؤال
موجب للتحريم وعله.

وذلك قوله عليه السلام: "ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم"
معنى: من كثرة مطالبكم بالخروج إلى الصلاة حتى خشي أن تكتب
عليكم عقابًا لكم على كثرة ملازمتهم لي في مداومة الصلاة لكم، لا
أن [ ملازمتهم ] (2) لمو جهة لكتاب الله [ عليهم ] (3) الصلاة؛ لما
ذكرنا من أن الملازم والكتب فعلان الله تعالى غير جائز وقوع أحدهما
شرطًا في وقوع الآخر، ولو وقعت الملازم وأوقع كتاب الصلاة عليهم
(4)

إذا نهاه عليه السلام عن مثل هذا وشبهه تنبهًا لهم على ترك
الغلو في العبادة وركوب القصد فيها، خشية الانقطاع والعجز عن
الإتيان بما طلبوه من الشدة في ذلك، ألا ترى قوله تعالى فيمن فعل
مثل ذلك: "قد سنها قوم من قبلكم" (4) ففرضت عليهم، فعجزوا
عنها فأصبحوا بها كافرين وكان عليه السلام رؤفًا بالمؤمنين

(1) في "الأصل": "لان"، والمؤثث من "ه".
(2) في "الأصل": "لازمتهم"، والمؤثث من "ه".
(3) في "الأصل": "عليكم"، والمؤثث من "ه".
(4) المائدة: 102
وافقًا بهم، وقد تقدم مثل حديث زيد من رواية عاشبة في [ أبواب](1) قيام الليل في كتاب الصلاة، وذكرنا في توجيهه ما لم يذكر في هذا الباب فتأمله هناك.

فإن قيل: فإذا حمل قوله عليه السلام: "إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجله" على غير ظاهره، فما وجه ذلك وإثم الجرم به؟! قيل: هو على ما تقر علمه من نسبة اللوم والمكره إلى من تتعلق بسبب من فعل ما يلام عليه، وإن قل تذبذباً من موافقته له فعظم جرم فاعل ذلك لكثره الكارهين لفعله.

وعرض الحائط: وسطه، وكذلك عرض البحر وعرض النهر وسطهما، واعترضت [ عرضه ](2) نحور نحوره عن صاحب العين.

* * *

باب: الاقتداء بأفعال النبي عليه السلام

فيه: ابن عمر: "اتخذ النبي - عليه السلام - خاتمًا من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فقال النبي - عليه السلام -: إنني اتخذت خاتمًا من ذهب. فنذلر وقال: لن ألبس أبداً. فبنى الناس خواتيمهم".

قال أبو قاسم المالكى، وأبو بكر بن الطيب: ما كان من أفعال الرسول بيانًا [ لمجلم ](3) كصلاة، والصيام، والحج، وما دعا إلى فعله كقوله: "خذوا عنى مناسككم، وصلوا كما رأيتوني أصلي". فلا خلاف بين العلماء أنها على الوجه، واختلفوا فيما كان منها واقعًا موقع القرب لا على وجه البيان والامتثال لتمثيل [ أمر](4) لزمه، فقال مالك وأكثر أهل العراق: إنها على الوجه،

------------------------
(1) في الأصل: ثواب، والثبت من هـ.
(2) من هـ.
(3) في الأصل: لجملة، والثبت من هـ.
(4) في الأصل: من، والثبت من هـ.
------------------------
إلا أن يمنع من ذلك دليل، وهو قول ابن سريج وأبن [خيران] (1) من أصحاب الشافعي، وقال بعض أصحاب الشافعي: إنها على الندب وإن المناشي به فيها مندور إلا أن يقوم دليل على وجوبها، وقال كثير من أهل الحجاز والعراق وأصحاب الشافعي: إنها على الوقوف إلا أن يقوم دليل على كونها ندباً أو إباحة (2) أو محظورة. قال أبو بكر بن الطيب: وهذا نقول (3) لذلك بأنه لما كانت القرية الواقعة محتملة لكونها فرضًا ونفلاً لم يجز أن يكون الفعل منه دليلاً على أننا [معبدون] (4) بمتلكه، ولا على كونه واجبًا علينا دون كونه نفلاً؛ لأن فعله مقصور عليه دون متدعد إلى غيره، وأمره لونه، معتدبان إلى الغير والعرض فيما امتثالهما فافترقا.


(1) في «الأصل» خير، والثبت من له.
(2) في «ه»: مباحة.
(3) في «ه»: واحتجوا.
(4) في «الأصل»: معبدون، والثبت من له.
(5) في «الأصل»: علي، والثبت من له.
وأفعالنا مخصوصة بِـ، فلم يقل لهم ذلك، ولكن بين لهم المعنى في اختصاصه بالمواصلة، وهو أن الله يطيعه ويسقيه، وأنهم يخللوا في ذلك، وكذلك خص الله الموهوبة أنها خالصة له من دون أمه، ولو لا ذلك لكان مباحًا لهم.

* * *

باب: ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين لقوله تعالى: ﴿لا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله ﴿(1) الآية

فيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام: ﴿لا تواصلوا. قالت: إنك تواصل، قال: إنني لست ملككم، إنني أبتي فبطعمي، أبي ويسقين...﴿

الحديث ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر لزدتمكم، كالمتك لفقه.] 

وفيه علي: ﴿أهِنَّ خَطبةٍ / [عليه سيف] (2) وفيه صحيحة معلقة.

قال: والله ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة... ﴿ذكر الحديث.

وفيه: عائشة: ﴿صنع النبي - عليه السلام - شيئًا تخص فيه، وتتزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي - عليه السلام - فحمد الله، ثم قال: ما بال أقوام ينثرهم عن الشيء أصنعه فوالله إني لأاعلمهم بالله، وأشدهم له خشية. ﴿


(1) النساء: ١٧١.
(2) في ﴿الأصل ﴿: بسيف، والثبت من هـ.

وفي عاشقة: {أن النبي - عليه السلام - قال في مرضه: مروا أبا بكر فليصل بالناس} إلى قوله: {إن يكن لأثنين صواحب يوسف...} الحديث.

وفي حديث مالك بن أوس: {أن العباس وعليا جاءا إلى عمر يطلبان ميراثهما من النبي - عليه السلام - وتنافسا في ذلك مع عمر...} الحديث بطوله.

قال المهلب في قوله: {فيا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق} (الغلور: مجازاة الحد. وهذا يدل أن البحث عن أسباب الروبية من نزاعات الشيطان، بما يؤدي إلى الخروج عن الحق؛ لأن هؤلاء غلوا في الفكرة حتى آل بهم الأمر أن جعلوا الآلهة ثلاثة، وأما الذين غلوا في الصيام فهو اتباعهم للوصول بعد أن نههم النبي - عليه السلام - فاعاقهم بأن زادهم ما تعمقوا به.

وقول علي: {ما عندنا إلا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة} فإنها آراد به تكييت من تنفع [وجه] {بغير ما في كتاب الله وغير ما في سنة رسول الله} (فهو مذموم).

حدث حديث القبلة للصائرين الذي تنزو قوم عنها وترخص فيها النبي. (فلمهم بتعمهم ومخالفته عليه السلام.)

---

1) الحجرات: 2
2) في الآصل: السرا، أو لا. والثبت من: هـ، ن، ن
3) النساء: 171
4) في الآصل: رداً. والثبت من: هـ
5) سقط من: الآصل. والثبت من: هـ
قصة بني تميم لما Ал التنازع بين أبي بكر وعمر إلى المخاشنة في التفاصل بين الأقرع بن حابس وعينة بن حصن، ورغم بعضهم بعضاً بالمناواة والقصد إلى المخالفة والفرقة، كذلك ينبغي أن تدمن كل حالة تخرج صحابها إلى افتراق الكلمة واستشعر العداوة.

وقوله: "مورا أبا بكر يصلني بالناس". ذم عائشة لتمعنها في المعاني التي خشيها من مقام أبيها في مقام رسول الله بما روي عنها أنها قد صدت ذلك، وذكرتها في كتاب الصلاة، وذم حفصة أيضاً؛ لأنها أدخلتها في المعارض للنبي - عليه السلام -، وكذلك كراهية رسول الله مسائل اللعان وعيبه لها هو نص في هذا الباب؛ لأنه خشي أن ينزل من القرآن ما يكون تضييقاً، فنزل فيه اللعان وهو وعيد عظيم وسبب إلى عذاب الآخرة ممن أراد الله إنفاذه عليه.

وحدثسابعض ولاي خشي أن يتول ما ذم من تنازعهما إلى انقطاع الرحم التي بينهما بالخاصة في هذا المال الموقوف لا سيما بعدما نص عليهم حدث رسول الله، فلما ينتبه عن طلب هذا الوقف ليتيم، كما كان يلي الخليفة من توزيعه حيث يحب، وانفرادهما بالحكم [ وقد تقدم الكلام في معاينة في كتاب فرض الخمس من كتاب الجهاد والحمد لله كثيراً] (1).

* * * *

(1) في "الأصل" : وقد تقدم في كتاب الخمس، والثابت من هـ.
وقال موسى ابن أنس عن أبيه: أو أوى محدثًا.

في هذا الحديث فضل عظم للمدينة، وذلك تغليظ الوعيد بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين من أحدث فيها حدثًا أو أوى محدثًا، وفي حديث علي: "لا يقبل منه صرف ولا عدل". ذكره في آخر كتاب الحج، ودل الحديث على أنه من أوى أهل المعاصر والبدء أنه شريك في الإثم، وليس يدل الحديث على أن من أحدث حدثًا أو أوى محدثًا في غير المدينة أنه غير متوعد ولا ملوم على ذلك؛ [لتفصيل] (1)

العلم بأن من رضي فعل قوم وعملهم أنه منهم، وإن كان بعيدًا عنهم.

فهذه الحديث نص في تحذير (2) فعل شيء من المنكر في المدينة وهو دليل في التحذير من [إحداث] (3) مثل ذلك في غيرها، وإما خصت المدينة بالذكر في هذا الحديث، لأن اللعنة على من أحدث فيها [اختلاف العلماء فيما يجوز قطعه من شجر المدينة، وما يجوز من الصيد في حرمها] (4) في آخر كتاب الحج.

* * *

(1) في الأصل: لعدى، والمثبت من هم.
(2) رآه في الأصل: في، وهي مقحمة.
(3) في الأصل: أحدث، والمثبت من هم.
(4) في الأصل: لعدى، والمثبت من هم.
باب: ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس
وقوله تعالى: «ولا تتفق ما ليس لك به علم» (1)
فيه: عبد الله بن عمرو [ (2): قال النبي - عليه السلام -: إن الله لا ينزل العلم بعد أن أعطاكموه ازداعة، ولكن ينزله (منكم) (3) مع قبض العلماء بعلهم فيبقى ناس جهال فيستقلون فيتلون برأيهم فيضلون ويتلون».
وفيه: أبو وائل: «شهدت صفين، فسمعت سهل بن حنيف يقول: يا أبا الناس، انهموا وأبكم على دينكم لقد أراني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله لردته، وما وضعنا سيفنا على عوننا إلى أمر بن يفظعنا (4) إلا أن سهل بنع إلى أمر نعرفه غير هذا الأمر. وقال أبو وائل: شهدت صفين ونست الصفو».
قال الطبري: روى مبارك بن فضالة، عن عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قال: يا أبا الناس انهموا الرأي على الدين، كقول سهل سواء.
قال المهلب وغيره [ (5)]: إذا كان [ الرأي ] (6) والقياس على أصل من كتاب الله وسنة رسول الله أو إجماع الأمة فهو محمود، وهو الجهاد والاستنباط الذي أباحه الله للعلماء، وأما الرأي الملموم والقياس المكلف المنهي عنه، فهو ما لم يكن على هذه الأصول؛ لأن ذلك ظن ونزع من الشيطان، والدليل على صحة هذا قوله تعالى: «ولا تتفق ما ليس لك به علم» (1). قال ابن عباس: لا تقل ما ليس لك به علم. وقال قتادة: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم

سمع ، وعلمت ولم تعلم . وأصل القفر العضه والبهت ، فهى الله عبادة عن قول ما لا علم لهم به ، فإنه سائل السمع والبصر والفؤاد عما قال صاحبها فتشهد عليه جوارحه بالحق ، ومثل هذا قوله عليه السلام : " إن الله يقبض العلم بقبض العلامة فيبقى ناس جهل فيفتنون برؤيهم فضلهم ويضلون " . ألا ترى أنه وصفهم بالجهل ، فذللك جعلهم ضالين ( هو ) (1) خلاف الذين قال فيهم : « لعلمه الذين يستبطنوهم منهم » (2) ، وأمر بالرجوع إلى قولهم . [ قال الطبري ] (3) : فإن قيل : فإن قول سهل بن حنيف ، وعمر ابن الخطاب : اتهموا الرأي . برد قول من استعمل الرأي في الدين ، وانه لا يجوز شيء من الرأي والقياس لأنهم أخطروا يوم أبي جندل في مخالفتهم رسول الله ﷺ في صلحه المشركين ، ورده لأبي جندل لأبيه وهو يستغيث ، وكان قد عذب في الله ، وهم يظنون أنهم محصنون في مخالفة رسول الله ﷺ .

قيل : وجه قولهما : اتهموا الرأي الذي هو خلاف لأبي الرأي رسول الله وأمره علي الدين ، الذي هو نظر آرائنا التي كنا خالفنا بها رسول الله يوم أبي جندل ، فإن ذلك خطا ، فاما الاجتهاد والاستنباط من كتاب الله ﷺ وسورة إجماع الآمة فذلك هو الحق الواجب والفرض اللازم لاهل العلم ، وينحو هذا جاء الاختيار عن النبي ﷺ ، وعن جماعة الصحابة والتابعين ، روى ابن عمر أن النبي - عليه السلام - لما انصرف من الأحزاب قال : " لا يصلح أحد العصر إلا في بني قريش فابطأ ناس فتخوفوا وقت الصلاة ، فضلوا ، وقال آخرون : لا نصل إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ ، وإن فاتنا العصر ، فما عنف

(1) في 9 هـ ، (2) النساء : 83 ، (3) من 9 هـ .
الرسول الله ﷺ أحد الفريقين. وهذا الخبر نظر خبر سهيل بن حنيف، ومن حرص يوم أبي جندل على الفتاة اجتهادًا منهم ورسول الله ﷺ ترك تقاتلهم في أنه لم يؤثهما كما لم يؤث أحد الفريقين: لا الذين صلوا قبل وصولهم إلى بني قريظة، لأن معنى ذلك كان عندهم ما لم يخشوا فوت وقتها، وكذلك لم يؤثهما أيضًا الذين لم يصلوا حتى فاتهم وقتها إلى أن صاروا إلى بني قريظة، لأن معنى أمره عليه السلام بذلك كان عندهم لا يصلوا إلا في بني قريظة، وإن فاتكم وقتها، فعذر كل واحد منهم لهذه العلة، وروى سفيان، عن /[الشياني عن (1) الشعبي، عن شريح (2) أنه كتب إلى عمر بن الخطاب يساله، فكتب إليه: أن أقص بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله ففي سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يكن فيما قضى الصحاحون، فإن لم يكن فإن شئت تقدم وإن شئت تأخر، ولا أرى التأخر إلا خيرًا لك، والسلام].

وروى هشيم، حدثنا سيار، عن الشعبي قال: "لما بعث عمر شريحًا على قضاء الكوفة قال: انظر ما تبين لك في كتاب الله ولا تسأل عنه أحدًا، وما لم تبين لك في كتاب الله فاتبع في سنة رسول الله ﷺ وما لم تبين لك في السنة (فاجتهد رأيك)." (3) فقد أثبتت هذه الآخرين عن عمر أن معنى قوله: اتهموا الرأي على الدين. أنه الرأي الذي وصفنا؛ لأنهم قلوا: اتهموه واستعملوه، لأن النهي عن الشيء والأمر به في حالة واحدة (ينقض) (4) بعضها بعضًا، ولا يجوز أن يظن ذلك بعمر ونظراته، ويريد ذلك بيانًا (4) روي مjahad، عن الشعبي، عن

1) من ﮫم.  
2) مكررة بالفصل.  
3) في ﮫم الأصل، ينقضه، والمثبت من ﮫم.  
4) زاد هنا بالفصل، و، وهي زيادة مفحمة.

- 153 -
عمرو بن حريث قال: قال عمر بن الخطاب: "إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي، فضلوا وأصلوا". فقد بين هذا القول من عمر [أو: (1)] أمر باتهام الرأي فيما خالف أحكام رسول الله ﷺ وسته، وذلك أنه قال: "إنهم أعداء السنن أعيتهم أن يحفظوها".

وأخبر أنه لما أعيهم حفظ سنن رسول الله ﷺ، قالوا بآراءهم وخلافها، جهلا منهم بأحكام رسول الله وسته وذلك هو الجرأة على الله لما ياذن به في دينه، والتقدم بين يدي رسول الله ﷺ، فاما اجتهاد الرأي في استنباط الحق من كتاب الله وسنة رسوله فذلك الذي أوجب الله على العلماء فرضًا، وعمل به المسلمون بمحتوى من رسول الله ﷺ، فلم يعتفهم ولا نهائم عنه، إذ كان هو الحق عند، والدين، واقتفي أثرهم فيه الخلف من بعدهم، روي ذلك عن ابن مسعود، وابن عباس، وروى أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمار، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال ابن مسعود: "ومن عرض له منكم قضاء فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه ﷺ، فإن جاءه أمر ليس في سنة نبيه فليقض بما قضى به صالحون، فإن جاء ما ليس في ذلك، فليجتهد رأيه، ولا يقل: إني أرى رأي أخاف فإن الخلاف بين والحرام بين وبينهما أمر مشتبه، فدع ما يريك إلى ما لا يريك".

وقد تقدم حدث سهل في آخر كتاب الجهاد ومر فيه من معناه ما لم أذكره هنا خوف التكرار.

وقول أبي وائل: "وينت صفون؟، سمى المكان بالجمع المسلم كما سمى الرجل يزيدن أو عمير فيجريه في حال التسمية به مجراه في (1) من هـ".
حال الجمع، وما كان من الواحد عن بناء الجمع فإعرابه كإعراب
الجمع كقولك دخلت فلسطين وهذه [ فلسطين ] (1) وأتيت قسنرين
وهذه قسنرين، وأنشد المبرد:
وشاهدنا الحل والياسمون [ والسعاب ] (2) بقضائها

ومن هذا قول الله - تعالى: ﴿فَكَلَا إِنَّ كِتَابَ الأُبْرَارِ لَقَبْلَ عَلَيْنَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيْئُونَ﴾ (3) في مذهب [ آخر ] (4) للعرب وهو أن يعربوا
النون ويجعلوها بالباء في كل حال كقولك: هذه السلفين، ومررت
بالسلاطين، ورأيت السلفين.

* * *

باب: ما كان النبي عليه السلام سألك فيما لم ينزل عليه الوحي
فيقول لا أدرى أو لا يجيب حتى ينزل عليه ولم يقل برأي ولا
قياس، لقوله: ﴿وَمَا أُرَافَّكَ اِللهُ﴾ (5) وقال ابن مسعود: سأل النبي ﷺ
عن الروح فسكت حتى نزلت الآية.

فيه: جابر: ﴿مرست فجاءني النبي - عليه السلام يعودني وأبو
بكر وهما مشيئان فأثنيني وقد أغمي علي، فتوضأ النبي ثم صب
وضوءه علي فأوقفت، فقلت: يا رسول الله، كيف أقضي في مالي؟
فما أجوابي بشيء حتى نزلت آية (المواريث) (6).﴾

قال المهلب: هذا الباب ليس على العموم في أمر النبي - عليه
السلام -؛ لأنه قد علم أمته كيفية القياس والاستباحت في مسائل لها أصول
ومعاني في كتاب الله ومشروع سنته؛ لييريهم كيف يصنعون فيما عدوا فيه

(1) في [ الأصل ]: فلسطين، والنتيجة من [ هـ ].
(2) في [ الأصل ]: والسعاب، والنتيجة من [ هـ ].
(3) الطيفين: 18 - 19 (4) من [ هـ ].
(5) النساء: 105 (6) في [ هـ ]، ن ف [ الميراث ].

- 355 -
النصوص: إذ قد علم أن الله - تعالى - لابد أن يكمل له الدين. والقياس: هو تشبّه ما لا حكم فيه بما فيه حكم في المعنى نفسه عليه السلام الحمد вечيًّا جميعاً (1) فقال: ما أنزل عليه فيها شيء غير هذه الآية الفايدة الجامعة: فمن يعمل مثالًا دنيا خيراً وهم يعمل مثالًا دنيا شرهاً بره (2) وشبه الله بدين العباد في الزمر، وقال للتي أخبرته أن أباها لم يحج: أرايت لو كان على أبيك دين أكثّر قاضيته؟ فقلت: أحق بالقضاء، وهذا هو نفس القضاء عند العرب، وعند العلماء بمعنى الكلام.

وأما سكت النبي حتى نزل عليه الوعي، فإنما سكت في أشياء معضلة ليست لها أصول في الشرعية فلا أدانيها من إطلاع الوعي، وإن كان الوعي قد فرغت لنا الشرائع واتتم لنا الدين، وإنما ننظر ونقاس على موضوعاتها فيما أفضل من النوازل.


(1) وذلك أنه سل من ملأ فقال له ثلاثة: ل الرجل أجر، للرجل سره وعلى رجل ور وسائل عن الحرم دذكر الحديث.
(2) الزائدة: 7، 8، (3) في هـ: بنعوا. (4) الحشر: 2.
كذا. فسماء النبي - عليه السلام - ذا الرأين. فعمل برأيه ولم ينتظر الوحي وحكم بالفوفاء والمن على الأسرى يوم بدر بعد المشورة، وقال تعالى: (وشاورهم في الأمر) (1). ولا تكون المشورة إلا فيما لا نص فيه. وروى أنه عليه السلام آراد أن يضمن لقوم من الأعراب ثلث ثامن المدينة، فقال له سعد بن معاذ: والله يا رسول الله كنا كفارًا فما طمع أحد أن يأخذ من ثماننا شياً، فلما أعزنا الله بك نعطيهم ثلث ثماننا! فعمل بذلك رسول الله، وقد ذكر الله في كتابه قصة داود وسليمان حين اجتهدا في الحكم في الخرث، ولا يجوز أن يختلفا مع ما فيه من نص موجود.

bab: تعليم النبي عليه السلام أمه من الرجال والنساء
ما علمنه الله ليس برأي ولا تأليف

قال المهلب: في من الفقه أن العالم إذا أمكن أن يحدث بالنصوص عن الله ورسوله فلا يحدث بنظره ولا قياسه، هذا معنى

(1) آل عمران: 159. (2) من 5 هـ، ن. 357.
الترجمة : لأن النبي - عليه السلام - حديثهم حديثًا عن الله لا يبلغه قياس ولا نظر، وإنما هو توقف ورادي، وكذلك ما حديثهم به من ستة فهو عن الله أيضًا ; لقوله تعالى : "فما ينطق عن الهوى " (1) وقال : "أوتيت الكتاب ومثله معه" قال أهل العلم ; أراد بذلك السنة التي أوتي . وفيه سؤال الطلاب العالم أن يجعل لهم يومًا يسمعون فيه عليه العلم ، وإجابة العالم إلى ذلك ، وجواز الإعلام بذلك المجلس للاجتماع فيه ، وترجم له في كتاب العلم هل يجعل للنساء يومًا على حده في العلم .

** **


قال المؤلف : إن قال : إن قوله : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق " لفظة لفظ الخصوص في بعض الناس دون بعض، وقال في حديث معاوية : " لن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة " .

فعم الآمة وهذا معارض للحديث الأول ، مع ما يقوي ذلك مما رواه محمد بن بشار قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال :

(1) النجم : 3

- 358 -
لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لله، وما رواه شعبة عن علي بن أبي طالب، عن أبي الأوحش، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» وهذه أخبار معارضة لحديث معاوية.

قال الطبري: ولا معارضة بين شيء منها، بل بعضها يدل على صحة بعض، ولكن بعضها خرج على العموم، والمراد به الخصوص، قوله: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لله، و لا تقوم إلا على شرار الناس» يعني: في موضع كذا دون موضع كذا، فإن به طائفة من أمتي لا يضرهم من خالفهم وهم الذين عنى بقوله ﷺ: لن يزال أمر هذه الأمة مستقماً يريد: في موضع دون موضع.

فإن قيل: وما الدليل على ذلك؟

قيل: هو أنه لا يجوز، وأن يكون في الخير ناسخ ولا منسوخ، وإذا ورد منه قولان من آن من آتته طائفة على الحق، وأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق بالأسانيد الصالح، وكان غير جائز أن توصف الطائفة التي على الحق بأنها شرار الناس، وأنها لا توحد الله على أن الموصوفين بأنهم شرار الناس غير هؤلاء الموصوفين بأنهم على الحق، وقد بين ذلك أبو أمامة في حديث حديثان أحمد بن الفرح الخصمي قال: لنا ضررة بن زبيدة، عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني، عن عمرو بن عبد الله الحفصي، عن أبي أمامة الباهلي أن النبي ﷺ قال: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لدعوهم قارون، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قال: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأكثاف بيت المقدس، فثبت أنه ليس أحد هذه الأخبار معارضاً لصاحبه.

* * *
باب: قوله تعالى: "أو يلبسكم شياعًا" (1)

فه: جابر: "لا نزلت على النبي ﷺ: "قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم" (1) قال: أعود بوجهك أو ممنحت أرجلكم (1) قال: أعود بوجهك. فلما نزلت أوبلبسكم شياعًا وذيق بعضكم بأس بعض (1) قال: هتان أهون وأيسر. ذكر المسروق في قوله تعالى: "قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم" (1) قالوا: يحصبكم بالحجارة، أو يغرقكم بالطوفان الذي غرقه بقوم نوح (1) أو من تحت أرجلكم (1). الخسوف الذي نزل قارون ومن خسف به، وقيل: الريح (1) أو يلبسكم شياعًا (1). يعني: يخلق أمركم فيجعلكم مختلفي الأهواء، يقال: ليست عليكم الأمر ألبسته إذا لم أبنيه، ومعنى شياع أي: فرقًا، لا تكون شيعة واحدة. "وذيق بعضكم بأس بعض" (1) يعني: بالحرب والقتل، ويرى أن النبي ﷺ قال ربه: عز وسلم - ان لا يستأصل أمته بذابة، ولا يذيق بعضهم بأس بعض، فاجبه عز وسلم في صرف العذاب ولم يجه في أن لا يذيق بعضهم بأس بعض وأن لا تختلف، فلذلك قال: "هتان أهون وأيسر" أي: الاختلاف والفتنة أيسر من الاستيصال والانتقام بذاب الله، وإن كانت الفتنة من عذاب الله. لكن هي أخف؛ لأنها كفارة للمؤمنين، أعادنا الله من عذابه ونقمه.

* * *

باب: عن شبه أصلا معلومًا بأصل مبين فين رسول الله ﷺ [حكمها] (2) ليفهم السائل فيه: أبو هريرة أن أعرابيًا أتي النبي ﷺ فقال: إن أمراً ولدته غلامًا

(1) الأثمان: 55. (2) من 8، ن.


ووهذا كله هو عين القياس وبهذين الحديثين احتج المزني على من أنكر القياس، قال أبو تمام المالكي: أجمعت الصحابة على القياس، فمن ذلك أنهم جمعوا على قياس الذهب على الورق في الزكاة. وقال أبو بكر الصديق: أقيلوني بعيتي. فقال علي: والله لا نفلك، رضيك رسول الله لدينا، فلا نرضك لنا نادينا؟ فإن قيس الإمامة على الصلاة، وقياس الصديق الزكاة على الصلاة، وقال: والله لا أفرق بين
ما جمع الله. وصرح علي بالقياس في شارب الخمر بمحضر الصحابة، وقال: إنه إذ سكر هذي وإذا هذي افترى، فهده حد الفاذف. وكذلك لما قال له الخوارج: لم حكمت؟ قال: قد أمر الله تعالى - بحكمين في الشقاق الواقع بين الزوجين فما بين المسلمين أعظم.

وهذا ابن عباس يقول: ألا اعتبروا، الأصابع بالяснاء اختلت مناعيفها واستوت أروشها، وقال: ألا يتقى الله زيد، يجعل ابن الابن ابنًا، ولا يجعل أبا الأب أبيا. وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري يعلمته القضاء فقال له: اعرف الأشقاء والأمثال وقاس الأمور.

وختلف علي وزيد في قياس الجد على الإخوة، فقاسم عليّ بيسبيل انشعبت منه شعبه ثم انشعبت من الشعب شعبة، وقاسم ذلك زيد بشجرة انشعبت منها غصن، ونشعب من الغصن غصن.


قال المزني: وجدنا بعد النبي ﷺ أئمة الدين فهموا عن الله تعالى - ما أزلنا إلينهم وعن الرسول ﷺ ما أروج عليهم، ثم الفقهاء إلى اليوم هلم جرا، استعملوا المقاييس والنظائر في أمر دينهم، فإذا ورد عليهم ما لم ينص عليه نظروا، فإن وجدوا مشجهاً لما سبق الحكم فيه من النبي ﷺ أروجوا حكمه عليه، وإن كان مخالفًا له.

-362-
فرقوا بينه وبينه، كيف يجوز لأحد إنكار القياس؟ ولا ينكر ذلك إلا من أعمى الله قلبه وحبب إليه مخالفة الجماعة.

قال المؤلف: وإنما أثك القياس: النظام، وطائفة من المتزلة، واقتدي بهم في ذلك من ينسب إلى الفقه داود بن علي، وجماعة هم الحججة ولا ينتظرون من شدة عنها.

* * *

باب: اجتهاد القضاء بما أنزل الله

لقوله تعالى: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون} (1)

ومدح النبي صاحب الحكمة حين يقضي بها وعلمها ولا يكلف من قبل نفسه، ومشاورة الخلفاء وسولهم أهل العلم فيه: عبد الله: قال النبي: لا حسد إلا في القتين رجل آتاه الله مالا فسلته على هلكه في الحق، وأآخر آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها وعلمها.

وفيه: المغيرة بن شعبة قال: سأل عمر بن الخطاب عن إملام المرأة وهي التي يضرب بطنها فتلقتي جنبًا - فقال: أيكم سمع من النبي في شيء؟ فقال: أنا. فقال: ما هو؟ قلت: سمعت النبي يقول:


الاجتهاد فرض واجب على العلماء عند نزول الحادثة، والواجب على الحاكم أو العالم إذا كان من أهل الاجتهاد أن ينتمى حكم الحادثة في الكتاب أو السنة، إلا ترى أن عمر بن الخطاب لما احتاج إلى أن يقضي في إملام المرأة سأل الصحابة من عده علم من النبي - عليه السلام - في ذلك؟ فأخبره المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة

(1) المائدة: 45.
لا فرق بين أن ( يجعل) (3) الحالة ما هو من باب الحادثة أو (غيره) (4) ؛ لأن الأصول كلها يجب القياس عليها إذا صحت الحالة، فإن لم يجد الحالة استدل بسواه الأصول وغلبة الأشعة إذا كان من يرى ذلك، فإن لم يوجه له وجه من بعض هذه الطرق وجب أن يقر الأمر في النازلة على حكم العقل، ويعلم أنه لا حكم الله فيها شرقيًا. زائدة على العقل. هذا قول ابن الطيب.

قال غيره: وهذا هو الاستنباط الذي أمر الله عباده بالرجوع إلى العلماء فيه بقوله تعالى: "ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعله الذين يستبطنون منهم" (5) والاستنباط هو الاستخراج، ولا يكون إلا في القياس؛ لأن النص ظاهر جلي وليس يجوز أن يقال: إن عدم النص على الحادثة من كتاب الله أو سنة رسوله بوجب حكم الله فيها لقوله تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من شيء" (6) إذ لو خلا بعض الحوادث أن تكون لا حكم الله فيها بطل إخباره إيانا بقوله: "ما فرطنا في الكتاب من شيء" (7)، وفي علمنا أن النصوص لم تحت بجميع الحوادث دلالة أن الله - تعالى - قد أبان لنا حكمها في غير جهة النص، وهو القياس على علة النص، ولو لم

---

(1) في هـ : السنة.
(2) في هـ : السنة.
(3) في هـ : يقع.
(4) في هـ : غيرها.
(5) السنة : 83.
(6) الأعوام : 38.
(7) فيه 834.
يتعبدنا الله إلا بما نص عليه [فقط]) (1) لمنع عباده الاستنباط الذي
أباحه لهم ، والاعتبار في كتابه الذي دعاهم إليه ، ولو نص على كل
ما يحدث إلى قيام الساعة لطال الخطاب ، وبعد إدراك فهمه على
المكلفين ، بل كانت بنية الخلق تعجز عن حفظه ، فالحكمة فيما فعل
من وجوه الاجتهاد والاستنباط والحكم للأشياء باشباحها ونظائرها في
المعنى ، وهذا هو القياس الذي نفاده أهل الجهة [الفائئين] (2)
بالظاهرة [المكررون] (3) للمعاني والعلل ويلزمهم التنافض في تفهم
القياس ؛ لأن أصلهم الذي بنوا عليه مذهبهم أنه لا يجوز إثبات فرض
في دين الله إلا بإجماع من الأمة ، والاجتهاد والقياس فرض على
العلماء عند عدم النصوص فيلزمهم أن يأتوا بإجماع من الأمة على
إقلاع القياس ، حينئذ يصح قولهم ، ولا سبيل لهم إلى ذلك .

** * * *

باب : قول النبي عليه السلام : « لتبعنت سنن من كان قبلكم »

فيه : أبو هريرة : « قال النبي - عليه السلام - : لا تقوم الساعة حتى
تأخذ أمتي بأخذ القرن قبلها شيرا بشيرا وذرايعة بذرايع . قبل : يا رسول
الله ، كفارس والروم ؟ قال : ومن الناس إلا أولئك » .

وفيه : أبو سعيد : « قال النبي - عليه السلام - : لتبعنت سنن من كان
قبلكم شيرا بشيرا وذرايعة بذرايع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموه .
قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصاري ؟ قال : فمن » .

(1) من « هـ » . (2) في « الأصل » : الفائئين . والمثبت من « هـ » .
(3) في « الأصل » : المكررون . والمثبت من « هـ » .
قال المهلب: قوله: "لتبين سنن من كان يقتلكم". يفتح السين
هو أولى من ضمها؛ لأنه لا يستعمل الشعر والذراع إلا في السن وهو
الطريق فأخير عليه السلام أن أظه قيل قيام الساعه يتبعون المحدثات من
الأمور، والبعض والأهواء المضلة كما [تبعها] (1) الأمام من فارس
والروم حتى يتغير الدين عند كثير من الناس، وقد أنذر عليه السلام
في كثير من حديثه أن الآخر شر، وأن الساعه لا تقوم إلا على شرار
الخلق، وأن الدين إذا يبقى قائما عند خاصة من المسلمين لا يخافون
العذاوات، ويحسبون أنفسهم على الله في القول بالحق، والقيام
بالمنهج القوي في دين الله وفي رواية الأصلي: "بما أخذ القران".
والنسفي وابن السكن: "بأخذ القران". وقال ثعلب: أخذ.
[أخذُ] (2) الجهة: إذا قصد نحوها.

****

باب: إثم من دعا إلى ضلالة أور سن سبعة
لقول الله تعالى: "ومن أوزار الذين يضلونهم" (3) الآية
فيه: أبو النبي - عليه السلام -: ليس من نفس تقتل ظلمًا.
إلا كان على ابن آدم الأول كفاف من دمها؛ لأنه أول من سن القتل.
قال المهلب: فيه الأخذ بالمال، والحديث على معنى الوعيد.
وهذا الباب والذي قيل به في معنى التحذير من الضلال واجتناب البعد
ومحدثات الأمور في الدين، والنهي عن مخالفته سبيل المؤمنين المتبين
لسنة الله وسنة رسوله التي فيها النجاة.

****

(1) في الأصل: اتبعها. والثبوت من 1 هـ.
(2) من 2 هـ.
(3) النحل: 25.
باب: ما ذكر النبي ﷺ وحضور عليه من اتفاق أهل العلم وما أجمع عليه الحرمان مكة والمدينة وما كان بها من مشاهد النبي عليه السلام والمهاجرين والأنصار ومصمى النبي عليه السلام والمنبر والقبر

فيه: جابر: "أن أعرابي بايع الرسول - عليه السلام - على الإسلام... الحديث. فقال: أطبقاً بيعتي...") الحديث. فقال النبي - عليه السلام -: "إما المدينة كالكبر تبني خبيها وينصع طيبها.


وفيه: محمد: كنا عن أبي هريرة، وعليه ثوابان متقن من كنان فتمخط فقال: بخ يخ، أبو هريرة يتمخط في الكنان! لقد رأيتني [واني] (2) لآخر فيما بين منبر النبي (وحجرة) (3) عائشة مغشيًا (عليه) (4)، فيجيء الجاهل فيضع رجله على عنقي، فيرى أي مجنون، وما بي من جنون، ما بي إلا الجوع«.

وفيه: ابن عباس: قيل له: أشهدت العيد مع النبي - عليه السلام؟ قال:

(1) في "ن": أن يغصبونهم.
(2) من "ه، ن": وفي "الأصل": فاني.
(3) في "ه، ن": إلى حجرة.
(4) في "ه، ن": علي. وكلاهما صحيح، فتنهى.
نعم، ولولا [منزلتي] (1) منه من الصغر ما شهدته، أي العلمن الذي
عند دار كثير بن الصلت فضلى وخطب... الحديث.
وفيه: ابن عمر: «أن النبي - عليه السلام - [كان] (2) يأتي قباء
راكيًا وماشيًا».
وفيه: عائشة: قلت: لعبد الله بن الزبير: "إذ أوفني مع صواحي، ولا
تدفني مع النبي - عليه السلام - في البيت؛ فإني أكره أن [أركى] (3)
».
وفيه: أن عمر أرسل إلى عائشة: إذني لي أن أذن من صاحبي.
فقالت: إيا والله. قال: وكان الرجل إذا أرسل إليها من الصحابة
قالت: لا والله، لا أوثرهم بأحد أبدًا.
وفيه: أنس: "أن النبي كان يصلى العصر فيأتي العوالي
والشمس مرتفعة. قال يونس: وبعد العوالي أربعة أميال أو ثلاثة».
وفيه: السائب: "كان الصاع على عهد النبي مد وثلاث بمدكم
اليوم وقد زيد فيه».
وفيه: أنس: "أن النبي - عليه السلام - قال: اللهم بارك لهم في
مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم ومدهم. يعني: أهل المدينة.
وفيه: ابن عمر: "أن اليهود جاءوا إلى النبي - عليه السلام - برجل
واهرة زانية، فأمر بهما فرجوا قريباً من حيث موضع الجنازة عند المسجد».
وفيه: أنس: "أن النبي - عليه السلام - طلع له أحد فقال: هذا جبل يحبنا
ونحه، اللهم اعفاه، إن إبراهيم حرم مكة، وإن أحرمت ما بين لا بينها».
وفيه: سهيل: "إن كان بين جدار المسجد مما يلي القبلة وبين المنبر ممر
الشاة».

---

(1) في الأصل: منزلتي. والمثبت من هـ، نـ. (2) من هـ، نـ. (3) في الأصل: أركى شيء. والمثبت من هـ، نـ.
وفيه: أبو هريرة: قال عليه السلام: "ما بين بني ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي".

وفيه: ابن عمر: سابق النبي - عليه السلام - بين الخليل، فأرسلت التي أضرمت منها - وأمدها الخفية - إلى نتية الوداع، والتي لتم تضمر - أمدها نتية الوداع - إلى مسجد بني زريع.

وفيه: ابن عمر: "سمعت عمر على منبر النبي - عليه السلام - [وفيه] (1) أن السائب سمع عثمان خطيبًا على منبر النبي - عليه السلام - ".

وفيه: عائشة: "كان يوضع لي ورسول الله ﷺ هذا المركن فنشرع فيه جميعا".

وفيه: أنس: / "حالف النبي - عليه السلام - بين الأنصار وقريش في داري النبي بالدينة، وقت شهرا يدعو على أحياء من بني سليم".

وفيه: أبو بردة: قدمت المدينة، فلقيتي عبد الله بن سلام، فقال لي: انطلق إلى [المزول] (2) فاستيق كف في قدم شرب فيه النبي - عليه السلام - وتصلي في مسجد صلى فيه، فانطلقت معه، فأسقفي سويقًا وأطمعني تركا، وصلت في مسجده".

وفيه: عمر: "أن النبي - عليه السلام - قال: آثاني الليلة آت من ربي [وهو] (3) بالعقيق أن صل في هذا الوادي المبارك وقل: "عمرة وحجة" وروي: "عمرة في حجة".

وفيه: ابن عمر: "أن النبي - عليه السلام - أرى وهو في معرسه بذي الخلفية فقال له: إنك ببطحاء مبارة".

(1) من هـ. (2) في، الأصل: المدينة، والثبت من هـ، ن. (3) من هـ، ن.
وفيه: ابن عمر: "وقت النبي - عليه السلام - قرُنًا لأهل نجد، والمحفة لأهل الشام، فذا الجليفة لأهل المدينة، وبلغني أن النبي - عليه السلام - قال: ولا أهل اليمن يُلمعُم، وذكر له العراق؟ فقال: لم يكن العراق يومئذ".

قال المهلب: غرضه في هذا الباب تفضيل المدينة بما خصها الله به من معالم الدين، وأنها دار الوهى ومهبط الملائكة بالهدى والرحمة، ووقعة شرفها الله بسكنى رسوله وجعل فيه قبره وصبره وبينهما روضة من رياض الجنة، وجعلها كالكير تنفي خبث الفضية وتخلص من بقي فيها من أن يشوبهم ميل عن الحق، ألا ترى قول ابن عوف لعمر بن الخطاب: إنها دار الهجرة والسنة، وإن أهلها أصحاب النبي الذين خصهم الله بفهم العلم وقوة التميز والمعرفة بإنشال الأمور منازلها.

وأما حديث أبي هريرة فإنا ذكر وقوعه [بين المثير] (1) وحجرة عائشة للذين هما من معالم الدين وروضة من رياض الجنة، إعلامًا منه بصبره على الجوع في طلب العلم، ولزوم النبي - عليه السلام - حتى حفظ من العلم ما كان حجة على الآفاق ببركة صبره على المدينة.

فأما قول ابن عباس: شهدت العيد ولولا مكان من الصغر ما شهدته. فمعناه: أن صغير أهل المدينة وكبیرهم ونساءهم ومخدوهم ضبطوا العلم [والسنين] (1) معاينة منهم في مواطن العمل من شارعها المبين عن الله - تعالى - وليس لغيرهم هذه المنزلة.

وأما إتيان النبي - عليه السلام - [قباء فمعناه: معاينة] (2) النبي ماشيًا وراكبًا في قصده مسجد قباء، وهو معلم من معالم الفضل، ومشهد من مشاهده عليه السلام وليس ذلك لغير المدينة.

(1) من "هـ". (2) في "الأصل": فما معناه. والثبت من "هـ". 370.
وأما حديث عائشة وأمرها أن تدفن مع صواحبها كراهة أن تزكي بالدفن في بيته مع النبي - عليه السلام - وصحابه، فلولا ظن أحد أنها أفضل الصحابة بعد النبي وصاحبته، إلا تسمع قول مالك للرشيد حين سأله عن منزلة أبي بكر وعمر من النبي في حياته، فقال له: منزلتاهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد مماته. فركاهما بالقرب منه في البقعة المباركة والترية التي خلق الله منها خير البشرية، وأعاده فيها بعد مماته. [ قفام مالك ] (1) الدليل من دفنهما معه على أنهما أفضل الصحابة لاختصاصهما بذلك.

وقد احتج الأبهري على أن المدينة أفضل من مكة، فإن النبي - عليه السلام - مخلوق من ثرى المدينة، وهو أفضل البشر، فكانت تربته أفضل الترب.

قال المهله: وأما حديث أنس أن النبي - عليه السلام - كان ينصب العصر فيأتي العوالي والشمس مرفعة فيهما: أن بين العوالي ومسجد المدينة للماشي معلم من معالم ما بين الصلاتين يستغنى الماشي فيها يوم الغيم عن معرفة الشمس وإنما يبعدها عن طراز الأرض، فإذا كانت مئات الزمان معينة بالمدينة لمكان باد للعيان ينقله العلماء إلى أهل الأفلاق ليتمثلوه في أقاصي البلدان، فكيف يساهم أهل بلدة غيرها، وكذلك دعاوهم لهم بالبركة في مكيالهم خصمه من بركة دعوته ما أضر أهل الأفلاق إلى القصد إلى المدينة في ذلك العيار المدعو له بالبركة، ليتمثلوه ويجعلوه سنة في معاشهما وما فرض الله عليهم في عيالهم، وظهرت البركة لاهل كل بلدة في ذلك الميكل.

وأما رجمه اليهوديين عند موضع الجائزة، فإن الموضع قد صار علمًا.

(1) في الأصل: والملك، والثت من هـ.
لإقامة الحدود والصلاة على الجنائز خارج المسجد. وله قال مالك
فهمه من الحديث.
وأما قوله: "هذا جبل يحبنا ونحبه" فمحبة للجبل توجب له
بركة ترغب في مجاورته لها، وعلى هذا التأويل تكون محبة للجبل
ومحبة الجبل ليست حقيقة لا مجازاً بأن يحدث الله في الجبل محبة
ويكون ذلك من آيات نبوته، وقيل فيه وجه آخر: أن قوله: "هذا
جبل يحبنا ونحبه" / هو على المجاز يريد أهل الجبل كقوله:
وأسأل القرية التي كنا فيها والعبر" (1) يريد أهل القرية.
وأما مقدار ممر الشاه بجبل الجدار والمنبر، فذلك معلم للناس وسنة
ممثلة في موضع المنبر يدخل إليها من ذلك الموضوع فينقص من القبر
وينظف.
وأما ذكر مدى ما بين الحفيدة وثنية الوداع، فمسافة ذلك سنة ممثلة
مبدئاً خيل الله المضمرة.
وأما خطبة عمر، وعثمان على منبر النبي - عليه السلام - فإن
ذلك سنة ممثلة. فإن الخطبة تكون على المنبر لا بجانبها ليوصل
الموعظة إلى أسماع الناس إذا أشرف عليهم، وكذلك مركب الماء الذي
كانت تشع فيه عائشة مع النبي - عليه السلام - للغسل، ومقدار ما
يكلفها من الماء سنة، ولا يوجد ذلك المركب إلا بالمدينة، وكذلك
موضع محالته عليه السلام بين قريش والأنصار بالمدينة معروف تثبت
بقائه جواز المقالة في الإسلام على أمر الدين والتعاضد فيه على
المخالفين، وقد ذكر في كتاب الأدب ما يجوز من الحلف في الإسلام

(1) يوسف: 82.

٣٧٢
وأما لا يجوز، في باب الإخاء والحلف، فتأمله فيه، وكذلك قلبه عليه السلام ومكان صلاتنا لا يوجد في غير المدينة، وكذلك وادي العقيق. المبارك يوجي الله إلى رسوله وأن الله أنزل فيه بركة إحلال الاعتراف في شهر الحج، وكان محرماً قبل ذلك على الأمم، وأمره بالصلاة فيه لبركته، وليس ذلك مأموراً به إلا في هذا الوادي الذي يقصد فيه الأفلاق للصلاة فيه والتبرك [به] (1).

وكل تلك توقيت النبي - عليه السلام - المواقيت لأهل الآفاق عامل للحج وللعملة رفقًا من الله سبحانه وتعالى عليهم مشقة الإحرام من كل فج عدقم، فهذه بركة من الله في الحجاز موقوفة للعباد، ليست في غيره من البلاد، وفي جعل الله بطماع العقيق المباركة مهلا للنبي -عليه السلام- ولاهل المدينة، وهي آخر جزائر المدينة، على رأس عشرة أيام من مكة وغيرها من المواقيت على رأس ثلاثة أيام من مكة فضل كبير لأهل المدينة؛ لحمله تعالى عليهم من مشقة الإحرام أكثر مما حمل على غيرهم، وذلك لعلمهم بتصريرهم على العبادة وأحاسيبهم لتحملها.

وكلها صبرهم على لأوادر المدينة وشدتها حرصًا على البقاء في منزل الوعيد، وثمر الدين؛ ليكون الناس في موازينهم إلى يوم القيامة كما صاروا في موازينهم بإدخالهم أولا في الدين؛ مما وضع فيهم من القوة والشجاعة التي تعاطوا بها مقارعة أهل الدنيا، وضمنوا عن أنفسهم نصرة نبي الهوى فوفي الله بضمانهم ونصرهم على أعدائهم، وتمت كلمة ربك ودية بهم فكانوا أفضل الناس؛ لقربهم من رسول الله وسلم وعلمهم بأحوالهم وأحكامه وآدابه وسيره.

(1) في الآصل : فيه . والثبت من : هدا .
وجب لمن كان على مذاهب أهل المدينة حيث كان من الأرضا
نصيب وافر من بركة [المدينة ] وانتظروا أن يكونوا من أهلها
إتباعهم ست ؛ رسله الثانية عنهم من علمائها والمتبين لهم بإحسان
قال تعالى ؛ ﷺ والذين اتبعهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا
عنه ﷺ والمرء مع من أحب.
وجب أيضاً أن يكون لأهل مكة من ذلك نصيب ؛ لأن عنهم
معالم فريضة الحج كلها ، وقد عاينا من صلاته وأقواله عليه السلام
في المرات التي دخلها ما صاروا به عالمين ، ولهم من بركة ذلك نصيب
وافر وحظ جزيل ، وقد اختلف أهل العلم فيما هم فيه أهل المدينة
حجة على غيرهم من الأمصار ، فكان الأبهر يقول : أهل المدينة
حجة على غيرهم من طريق الاستنباط ، ثم زوج فقال : قولهم من
طريق النقل أولى من طريق غيرهم ، وهم وغيرهم سواء في
الاجتهاد . وهذا قول الشافعي.
وذهب أبو بكر بن الطيب إلى أن قولهم أولى من طريق الاجتهاد
والنقل جميعاً . وذهب أصحاب أبي حنيفة إلى أنهم ليسوا حجة على
غيرهم لا من طريق النقل ، ولا من طريق الاجتهاد ، واحتج من قال:
هم أولى بالاجتهاد من غيرهم بأنهم شاهدوا التنزيل وأقوال النبي
ومعرفوا معاني خطابه وفحوى كلماته ، لذلك هم أولى من غيرهم
بالاستنباط . واحتج أصحاب الشافعي فقالوا : من قال هذا القول فقد
قال بالتقليد وقد أخذ علينا النظر في أقوال الصحابة والترجيح في
اختلافهم ، فإذا قام لنا الدليل على أحد القولين وجب المصير إليه ،
وإذا صبح هذا بطل التقليد ، وإيماهم أولى من غيرهم من طريق النقل
لصحة عداتلهم ومغايتهم التنزيل ومشاهدتهم للعمل فأما الاستنباط
فالتناس فيه كلهم سواء .

____________________
(1) من 5 هـ . (2) التوبة : 100 .
وقوله بخ بـ : كلمة تقال عند الإعجاب بالخفيف والتثقيل.

والمركن : شيء تور من خزف يستعمل للماء.


باب : قوله تعالى : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ١


قوله : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ يعني : ليس لك من أمر خلقي شيء، وإما أحرهم والقضاء فيهم بيدي دون غيري فهم، وأقضي الذي أساء من التوبة على من كفري وعصاني أو العذاب : إما في عاجل الدنيا بالنقت ولالق، وإما في الأجل بما أعدته لاهل الكفر بي.

ففي هذا من الفقه أن الأمور المقدرة لا تغير عما حكمته عليه;

لقوله : ﴿ما يبدل الفول لدي﴾ ٤ : وقوله : ﴿يُحِبُّ اللَّهَ مَا يَشَاء﴾ ٥.


١ (١) آل عمران ١٢٨، (٢) من ﴿هَيْنَ سورة ق : ٢٩.

٢ (٣) في ﴿الأصل﴾ : ﴿أمره، والثبوت من ه٦﴾.

٣ (٤) في ﴿الأصل﴾ : خير أو شر، والثبوت من ه٦.

٤ (٥) الرعد : ٣٩.

٥ (٦) في ﴿هَيْنَ زعم﴾.

٦ (٧) في ﴿الأصل﴾ : خير أو شر، والثبوت من ه٦.
والدعاء جائز من جميع الأمم. لكن ما ختم الله به من الأقدار على ضربين: منه ما قدر وقضى، وإذا دعي وتضرع إليه ضرب البلاء، وضرب آخر: وهو الذي في هذا الحديث الذي ختم بإمضائه، وقال لنبيه: ليس لك من الأمر شيء (1) في الدعاء على هؤلاء؛ لأن منهم من قد قضىت له بالتوهم، ومنهم من قد قضيت عليه (العقاب) (2) [ فلا بد منه ] (3) لكن لانفراد الله بالمشيئة، وتعذر علم ذلك على العقول جاز الدعاء الله تعالى - إذ الدعوة من أوصاف العبودية، فعلى العبد التزامها، ومن صفة العبودية الضرورة والمسكنة، ومن صفة الملك الرأفة والرحمة، ألا ترى قوله عليه السلام: لا يقولون أحدكم: اللهم ارحمني إن شئت، وليعزم المسألة، فإنه لا مكره له (4) إذا كان السائل إذا يسأل الله من حيث له أن يفعل لا من حيث له ترك الفعل، وهذا الباب وإن كان متعلقًا بباب القدر فله مدخل في كتاب الاعتصاب لدعاء النبي - عليه السلام - لهم إلى الآية الذي الاعتصام به [ يمنعهم القتال ] (4) ويحقن الدم.

* * *

باب: قول الله تعالى: وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً (5) وقوله: ولا تجادوا أهل الكتاب [ إلا التي هي أحسن ] (6) الآية

فيه: علي: أن النبي - عليه السلام - طرره وفاتحة ابن النبي فقال لهما: آن تصلون؟ فقلت: يا رسول الله، إنا أنفسنا بيد الله، فإذا شاء

أن يعثنا بعثنا، فانصرف النبي ولف لرجع إليه [شبيها] (1) وهو مدير، يضرب فخذه ويقول: "وكان الإنسان أكثر شيء جدلا" (2).

وفيها: أبو هريرة: "قال النبي - عليه السلام - انطلقوا إلى يهود.

فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فناداه النبي - عليه السلام - بيا معشر اليهود، أسلموا تسليما. فقالوا: [بلغت] (3) يا أبا القاسم.

فقال: ذاك أريد، أسلموا تسليما. قالها ثلاثا. قال: أعلموا أباها الأرض ورسوله، وإني أريد أن أجعلكم من هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئًا فليقعه، وإلا فأعلموا أباها الأرض ورسوله.

قال المهلب: الجدل موضوعه في اللغة المدافعة، فمه مكروه، ومنه حسن، فما كان منه تشبث للحقائق وتشبيه للسن والفرائض، فهو الحسن وما كان منه على معيى الاعتذار والدفاعات للحقائق فهو المذموم.

وأما قول علي فهو من باب المدافعة، فاحتاج عليه النبي - عليه السلام - بقوله تعالى: "وكان الإنسان أكثر شيء جدلا" (2).

وقال غيره: وجه هذه الآية في كتاب الاعتصام أن النبي وعرف (19/6) عرض (2) على علي وفاطمة الصلاة فاحتاج عليه ينعيه علي بقوله: إما أنفسنا بيد الله.

قلل يكن له أن يدفع ما دعا النبي إليه بقوله هذا بل كان الواجب عليه قبل ما دعا إليه، وهذا هو نفس الاعتصام بسته عليه السلام؛ فلاجل تركه الاعتصام [بقول] (4) ما دعاه إليه من الصلاة قال عليه السلام: "وكان الإنسان أكثر شيء جدا" (2). ولا حجة لأحد في ترك أمر الله، وأمر رسوله بمثل ما احتاج عليه.

وأما حدث أبي هريرة، فموضع الترجمة منه أن اليهود لما بلغهم النبي

(1) في الأصل: شيء، واللغة من "هـ، ن".
(2) الكهف: 54. (3) من "هـ، ن".
(4) في الأصل: يقول. واللغة من "هـ، ن".

- 377 -
ما زرعهم العمل به والإيام بموجبه قالوا له: قد بلغت يا أبا القاسم. رادين لأمره في عرضه عليهم الإيام، فبُنِي في تبلتهم، وقال: ذلك أريد، ومن روى، ذلك أريد، ثم أريد بذلك بياناً بتكير البلغ، وهذه مجدولة من النبي ﷺ لاهل الكتاب تي هي أحسن.

وقد اختلف العلماء في تأويل هذه الآية، فقالت طائفة: هي محكمة، ويجوز مجدولة أهل الكتاب تي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله والتثبت على حجة [وآياته] (1) رجاء إجابتهم إلى الإيام وقوله تعالى: «إلا الذين ظلموا منهم» (2) معناء: إلا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب، فجادلهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية. هذا قول مجاهد، وسعيد بن جبير.


وقال: هي محكمة. وقال قنادة: هي منسوخة بآية القنال.

باب: قوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً» (3)


(1) في: الأصل: إيمانه، والثبت من: هـ، هـ.
(2) البقرة: 150.
(3) البقرة: 143.
(4) من: هـ، هـ.
(5) في: الأصل: يقولوا، والثبت من: هـ، ن.
ثم قرأ رسول الله ﷺ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمُ أَمَةً وَسُطُّا) (1) [أي: عدلاً.

إلى قوله: (شَهِيدًا) (2).]

معنى هذا الباب: الاختصاص بالجماعة، لا ترى قوله: (لَكُنْوا شهداء على الناس) (3) [و] (4) لا يجوز أن يكونوا شهداء [نقيب] القول، لما كان الرسول واجب اتباعه وجب اتباع قولهم؛ لأن الله جمع بينه وبينهم في قول قولهم وزكاهم وأحسن الثناء عليهم بقوله: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمُ أَمَةً وَسُطُّا) (1) يعني: عدلاً.

والاختصاص بالجماعة كالاختصاص بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لقيام الدليل على توثيق الله ورسوله صحة الإجماع، بحيث يذكرهما من مفارقوه بقوله تعالى: (وَمَن يشاقق الرسول مِنْ بَعْدِ ما تَبَيِّن لَهُ الْهَيْدَى) (5) الآية، وتقوله: (كَانَ خِيرٌ أَمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ) (6) الآية. وهاتان الآيتان [قاطعان] (7) على أن الأمة لا تجتمع على ضلال، وقد أخبر الرسول بذلك فهماً (من كتاب الله) (8) فقال: (لا تَجِيِّمَ أَمْتِي عَلَى ضلال) ولا يجوز أن يكون أراد جميعها من عصره إلى قيام الساعة؛ لأن ذلك لا يفيد شيئًا؛ إذ الحكم لا يعرف إلا بعد انقراض جميعها.

فعلم أنه أراد أهل الخال والعقد من كل عصر.

* * *

---

(1) البقرة : 143.
(2) في الأصل : الآية.
(3) من هـ.
(4) في الأصل : شهيدًا.
(5) في الأصل : مقبول.
(6) النساء : 115.
(7) آ ي عمران : 110.
(8) في الأصل : ما قطعنا.
(9) تكررت بالأصل.

379 –

قد تقدم هذا الباب في كتاب الأحكام ومعناه، وفي كتاب الاعتصام أن الواجب على من حكم بغير السنة جهلا وغلطًا، ثم تبين له أن سنة الرسول خلاف حكمه / فإن الواجب عليه الرجوع إلى حكم السنة وترك ما خالفها امتنالا لامره تعالى بوجوب طاعته وطاعة رسوله آلا يحكم بخلاف سننته، وهذا هو نفس الاعتصام بالسنة، وقد تقدم فيه؛ وأن الرسول أمر بردة هذا البيع في البيع.

وقوله: "وذلك الميزان" معناه: وكذلك ما يوزن أن يباع مثلًا

مثل مثل ما يكال.

* * *

(1) من 8 هـ، ن.
باب: أجر الحاكم إذا اجتهذ فأصاب أو أخطأ
فيه: عمرو بن العاص: "أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا حكم الحاكم فاجتهذ فأصاب فله أجر، وإذا حكم فاجتهذ ثم أخطأ فله أجر". قال ابن المنذر: إذا يكون الأجر للحاكم المخطئ إذا كان عالما بالاجتهاد والسنن، وأما من لم يعلم ذلك فلا يدخل في معنى الحديث، يدل على ذلك ما رواه الأعمش، عن سعيد بن عيدة، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقضي في الجنة، فقضي بغير الحق وهو يعلم، فذلك في النار، وقضي قضى وهو لا يعلم فأهلك حقوق الناس فذلك في النار، وقضي قضى بالحق، فذلك في الجنة".
قال ابن المنذر: إما يأجر على [ اجتهاده ] (1) في طلب الصواب لا على الخطا، وما يؤكد هذا قوله تعالى: "وادوا وسلماً" (2) الآية. قال الحسن: أثني على سليمان ولم يذم داود. وذكر أبو تمام المالكي أن مذهب مالك أن الحق في واحد من أقوال المجتهدين، وليس ذلك في جميع أقوال [ المختلفين ] (3) وله قال أكثر الفقهاء.
قال: وحكم ابن القاسم أنه سأل مالكًا عن اختلاف الصحابة، فقال: مختطى ومصيب وليس الحق في جميع أقوالهم. قال أبو بكر ابن الطيب: اختلفت الروايات عن أئمة الفتوى في هذا الباب فكماك وأبي حنيفة والشافعي:
فأما مالك، فلأروي عنه منعه المهدي من حمله الناس على العمل والفتيا بما في الموطا، وقال له: دع الناس [ يجتهدون ] (4) وظاهر هذا إجابة على كل مجتهذ الحال بما يؤدي الاجتهاد إليه، ولو رأى أن الحق في قوله فقط، أو قطع عليه لكان الواجب عليه

المشورة على السلطان [ بالعمل ] (١) به ، وبعد أن يعتقد مالك أن كل مجتهد مأمور بالحكم والفتية باجتهاده ، وإن كان مخطئًا في ذلك ، وذكر عن أبي حنيفة والشافعي [ القولين ] (٢) جميعًا.

(٣) واحتج من قال : إن الحق في واحد من أقوال المجتهدين بقوله عليه السلام : "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجر ، وإذا اجتهد فأخطأ ظله أجر". قالوا : وهذا نص على أن في المجتهدين وفي الحاكم مخطئًا ومضيءًا ، قالوا : والقول بأن كل مجتهد مصيب يؤدي إلى كون شيءًا حلالًا حرامًا وواجبًا ندبًا ويلزم الحاكم اعتقاد كونه حلالًا إذا رأى ذلك بعض أهل الاجتهاد ، وحرامًا إذا رأى ذلك غيره ، وأن تكون الزوجة محللة محترمة ، والمال ملك الإنسان وغير ملك له إذا اختلف في ذلك أهل الاجتهاد.

واحتج كل من قال : كل مجتهد مصيب ، فقالوا : اتفق الكل من الفقهاء على أن فرض كل عالم الحكم والفتية لما أداء الاجتهاد إليه ، وما هو الحق عنه وفي غالب طبه ، وأنه حرام عليه أن يفتي ويحكم بقول مخالف له ، ولو كان في الأقوال المختلف فيها ما هو خطأ وخلاف دين الله لم يجوز أن تجمع الأمة على أنه فرض القتل به ، لأن إجماعها على ذلك إجماع على خطأ ، وقد نهى الله عنه وشرع خلافه.

ولو جاز أن يكون أحدهما مخطئًا لأدى ذلك إلى أن الله تعالى أمر أحدهما بإصابة عين الباطل ، وفي هذا القول بأن الله أمر بالباطل ، وإذا فقد هذا مع كونه مأمورًا بالاجتهاد وجب كونه بغيثًا ممثلا أمر ربه وطاعًا له ومضيءًا عند الله ، فثبت أن الحق مع كل واحد منهما بدليل قوله تعالى : "إني الله لا يأمر بالفجحاء" (٤) ومع قيام الدليل على أن طاعة الباض إذا كانت طاعة لأمره بها كما أن المعصية كانت معصية لنهيه عنها.

(١) في "الأصل" ١٨ والأعمال، والمنبت من ١٨ هـ.
(٢) الأعراف ٢٨.
(٣) في "الأصل" ١٨، فاحتج، والمنبت من ١٨ هـ.
(٤) في "الحجة" ١٨، وصلى الله على محمد وвеله وسلم.
وقد أجاب الشافعي عن هذا الحديث في الرسالة بنحو هذا فقال:

(1738م)

لو كان في الاجتهاد خطا وصواب / في الحقيقة لم يجز أن يثاب على أحدهما أكثر ( من ) (1) الآخر ؛ لأن الثواب لا يجوز فيما لا يسوغ ولا في الخطا الموضوع إمه عنا.

وقال ابن الطيب : هذا الخبر يدل على أن كل مجتهد مصيب أولى وأقرب ؛ لأن المختلق للحكم الله والحاكم بغيره مع الأمر له بآلة لا يجوز أن يكون مأجورا على الحكم بالخطأ بل أقصى حالاته أن يكون إمه موضوعا ( عنه ) (2) فاما أن يكون بما خلافه حكم الله مأجورا فإنه بطل باتفاق ، والنبي - عليه السلام - قد جعله مأجورا ، فدل ذلك على أن هذا ليس بخطأ في شيء من الأحكام وجب عليه وزمه الحكم به.

ويحتمل أن يكون معنا إذا اجتهاد في البحث والطلب للنص فاصابه وحكم بموجه فله أجر : أحدهما على البحث والطلب ، والآخر على الحكم بموجه ، وأراد بقوله : « إن حكم فاختطا » أي : أخطأ الخبر ، بأن لم يبلغه مع الاختهاد في طبه ، ثم حكم باجتهاده المخالف للحكم النص كان مخطئا للنص ومصيبه لا محالة في الحكم ؛ لأن الحكم بالاجتهاد عند ذلك هو فرضه.

وهذا كان يقول عمر عندما كان يبلغه الخبر : لولا هذا لقضيتي فيه برأيتك. ولم يقول له أحد من الصحابة : لو قضيت فيه برأيك ولم يبلغك الخبر لكنت بذلك عاصيا ، ولم أردت أن قضتي بالرأي وهذا الخبر كان موجودا ، فدل إمساك الكل عن ذلك أن فرض الحاكم والمجتهد الحكم والفقه برأيه ، وإن خالف موجب الخبر ، فإذا بلغه تغير عند ذلك فرضه وزمه الحكم بموجه.

ولا نقول : إن كل مجتهد مصيب إلا في الفروع ومسائل الاختهاد

(1) في 'ه: ' مما يثاب على .
(2) من 'ه" 
التي يجوز للعوامي فيها التقليد، وأما القول بوجوب الصلوات الخمس والصيام والحج [ وكل ] (1) فرض يثبت العمل به بالتوتر والاتفاق فأصل من أصول الدين الذي يحرم خلافه كالتوحيد والنبوة وما يتصل بها

* * *


وفيه: أبو هريرة: «إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن النبي - عليه السلام - والله الذي وعده، إنني كنت [ (2) أمرأ مسكيتاُ الزم النبي - عليه السلام - على [ملأ] [3] بطني، وكان المهاجرون يشغفهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغفهم القيام على أموالهم، فشهدت رسول الله ﷺ ذات يوم وقال: من يسجد فيه حتى أقضي مقالتي، ثم يقبضه فلن يسمع شيئًا ممنى، فسبقت بردة كانت علي، فوالذي بعثه بالحق، ما نسيت شيئًا سمعته منه».

هذا الباب يرد به على الرافضة [ وقوم] (4) من الخوارج زعموا بأن أحكام

---

(1) في «الأصل»: وكان. والثبت من «ه» . (2) من «ه» .
(2) في «الأصل»: ما في. والثبت من «ه» .
(3) في «الأصل»: وقوما، والثبت من «ه» .
(4) في «الأصل»: وقوما، والثبت من «ه» .

- 384 -
النبي وسنته منقولات عنه نقل تواتر، وأنه لا سبيل إلى العمل بما لم ينقل نقل تواتر، وقولهم في غاية الجهل بالسن وطريقهم، فقد صحت الآثار أن أصحاب النبي ﷺ أخذ بعضهم السن من بعض ورجع بعضهم إلى ما رواه غيره عن النبي – عليه السلام – وانعقد الإجماع على القول بالعمل بأخبار الآحاد، وبطل قول من خرج عن ذلك من أهل البدع، هذا أبو بكر الصديق على مكانة له يعلم النص في الجدة حتى أخبره محمد بن مسلمة والمغيرة بالنصر فيها، فرجع إليه، وأخذ عمر بن الخطاب بما رواه عبد الرحمن بن عوف في حديث الوباء، فرجع إليه، [وذلك أخذ أيضًا عمر بما رواه أبو موسى في دية الأصابع، فرجع إليه] (1) وأخذ أيضًا عمر بما رواه المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة في دية الجين، ورجع عمر إلى أبي موسى وأبي سعيد في الاستذان، وابن عمر يحكى عن رافع بن خديج النهي عن المخابرة فرجع إليه، والصحابية ترجع إلى قول عائشة: "إذا النقي الحنانة وجب الغسل" وأيضًا ترجع إليها في أن النبي ﷺ كان يصح جنبًا من جماع غير احترام ثم يصوم. وأبو موسى يرجع إلى حديث ابن مسعود في باب وابنة ابن / وأخذ وهذا الباب أكثر من أن يحصى.

* * *

باب: من رأى ترك النكر من النبي ﷺ حجة لا من غيره

 فيه: ابن المنذر: "رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد الدجال. قلت: تحلف بالله؟ قال: إنني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ.

(1) من هـ 1035

فإن اهترب ما روى من قول عمر للنبي - دعني أضرب عنقه.

قال: {إن يكن هو فلن تسلط عليه، وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله} فهذا يدل على شكه عليه السلام فيه، وترك الجعل عليه أنه الدجال.

قيل: عن هذا جوابان: أحدهما أنه يمكن أن يكون هذا الشك منه عليه السلام كان متقدمًا ليمين عمر أنه الدجال، ثم أعلمه الله أنه الدجال فلذلك ترك إنكار يمينه عليه لتقيته بصحة ما حلف عليه.

الوجه الآخر: أن الكلام وإن خرج مخرج الشك فقد يجوز أن يراد به التيقن والقطع كقوله: {لن أشرك ليحبطن عملك} [٣] وقد علمني أنه لا يقع منه [الشرك] {٤}. وإنما خرج منه هذا عليه السلام على المعارف عند العرب في تطابقها قال الشاعر:

أبا ظبية الوعاء بين جلال [بين] (٥) الناقة [آلت] {٦} أم أسلم

١ من {هـ}.

٢ في {الأصل}: يقره، والمنبت من {هـ}.

٣ الزمر: ٦٥.

٤ في {الأصل}: الشك. والمنبت من {هـ}.

٥ في {الأصل}: وبين. والمنبت من {هـ}.

٦ في {الأصل}: وثب. والمنبت من {هـ}.

- ٣٨٦ -
تأخر كلامه مخرج الشك مع كونه غير شاك في أنها ليست بأم سالم، وكذلك خرج كلامه عليه السلام مخرج الشك لطفًا منه [بعمرا] (1) في صرفه عن عزمه على قتله، وقد ذكر عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: لقيت ابن صياد يومًا ومعه رجل من اليهود، فإذا عينه قد طفت وهي خارجة مثل عين الحمل، فلما رأيتها قلت: أشدك الله يا ابن صياد، فتما طفت عينك؟ قال: لا أدرى والرحم. فقلت: كذبت لا تدرى وهي في رأسك؟ قال: فمسحها ونخر ثلاثًا فزعم اليهودي أني ضربت بيدي على صدره وقتلت له: أحسا نلن [تعدو] (2) قدرك، فذكرت ذلك حكمة (قالت) (3)؛ اجتنب هذا الرجل، فإذا

نتحدث أن الدجال يخرج عند غضبة يغضبها.

فإن قبل: هذا كله يدل على الشك في أمره.

قيل: إن وقع الشك في أن الدجال الذي يقتله عيسى ابن مريم النبي - عليه السلام - من قوله: "إن بين يدي الساعة دجالين كذابين أزيد من ثلاثين" فلذلك لم ينكر على عمر عيبته، والله أعلم - لأن الصحابة قد اختلوا فيها مسائل: فمنهم أن ينكرون على مخالفته قوله، ومنهم من سكت عن إنكار ما خالف انجهادهم وذهبه، فلم يكن سكوت من سكت رضا بقول مخالفه، إذ قد يجوز أن يكون الساكت لم يبن له وجه الصواب في المسألة وأخرى إلى وقت آخر ينظر فيها، وقد يجوز أن يكون سكوته ليبين خلافها في وقت آخر إذا كان ذلك أصلح في المسألة.

فإن اعترض أن سكوت البكر حجة عليها.

(1) في الأصل: لما، والثبت من هـ.
(2) في الأصل: تعد، والثبت من هـ.
(3) في الأصل: فقال، والثبت من هـ.
(4) من هـ.
باب: الأحكام التي تعرف بالدلائل
(1) كيف معنى الدلالة وتفسيرها

وقد أخبر النبي - عليه السلام - أمر الخيل وغيرها، ثم سأله عن الحمر، فدلهم على قوله تعالى: ﴿فَنَفَّذَّ نُورَّكَ بِذِرَةٍ خَيْرٍ﴾ (١١). ووسائل عن الضب فقال: ﴿لا آكله ولا أحرمه﴾ وأكر على مائدة

وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: «الخيل ثلاثة: لجل أجر [وتلجلج] (٢) بستر، وعلى رجل وذر ...» الحديث ﴿وسمع النبي عن الخمر، فقال: ما أنزل الله علٍ فيها إلا هذه الآية الفائدة الجامعة:﴾ (٣)


وفيه: ابن عباس: ﴿أن أم حفيد أهدت للنبي سمنا وأفظًا وأضًا﴾

(١) من ﴿اَلَّذِينَ أُهْدِيَ لِلَّهِ ﻟَوْ إِلَيْهِ ﻏَرَابُ ﻣَلَكَاتِ ﺍَلْخَلْقِ ﻛُلِّهِ، ﺎَلْهَةُ ﻓِي ﺍَلْخَلْقِ ﻛُلِّهِ ﻛَابِرَةُ، ﻓِي ﺍَلْخَلْقِ ﻛُلِّهِ مَأْثُورَةٌ.﴾

(٢) في ﴿اَلَّذِينَ أُهْدِيَ لِلَّهِ ﻟَوْ إِلَيْهِ ﻏَرَابُ ﻣَلَكَاتِ ﺍَلْخَلْقِ ﻛُلِّهِ، ﺎَلْهَةُ ﻓِي ﺍَلْخَلْقِ ﻛُلِّهِ ﻛَابِرَةُ، ﻓِي ﺍَلْخَلْقِ ﻛُلِّهِ مَأْثُورَةٌ.﴾

(٣) في ﴿اَلَّذِينَ أُهْدِيَ لِلَّهِ ﻟَوْ إِلَيْهِ ﻏَرَابُ ﻣَلَكَاتِ ﺍَلْخَلْقِ ﻛُلِّهِ، ﺎَلْهَةُ ﻓِي ﺍَلْخَلْقِ ﻛُلِّهِ ﻛَابِرَةُ، ﻓِي ﺍَلْخَلْقِ ﻛُلِّهِ مَأْثُورَةٌ.﴾

(٤) في ﴿اَلَّذِينَ أُهْدِيَ لِلَّهِ ﻟَوْ إِلَيْهِ ﻏَرَابُ ﻣَلَكَاتِ ﺍَلْخَلْقِ ﻛُلِّهِ، ﺎَلْهَةُ ﻓِي ﺍَلْخَلْقِ ﻛُلِّهِ ﻛَابِرَةُ، ﻓِي ﺍَلْخَلْقِ ﻛُلِّهِ مَأْثُورَةٌ.﴾

- ٣٨٨ -
فَدعا بِهِن النبى - عليه السلام - فأكلن على مائدةه، فتركهم النبي
كالمتقدم له، ولو كان حراماً ما أكل على مائدةه ولا أمر بأكله
و فيه: جابر: قال النبي - عليه السلام -: «من أكل ثومًا أو بصلا
فليغزلنا - أو ليغزل مسجداً - وليقع في بيه. وأن أتي بيدر - قال
ابن وهب يعني: طبقًا فيه خضرات من بقول - فوجد لها ريحًا فسأل
عنها، فأخبر بما فيها من البقول، فقال: قربوها فقبروها إلى بعض
أصحابه كان معه، فلما رآه كره أكلها قال: كل، فإنني أناجي من لا
تناجي». وعِن ابن وهب: يقدر فيه خضرات.
و فيه: جبير بن مطعم: «أن امرأة أتت النبي - عليه السلام - وكلمه
بشي، فأمرها بأمر، فقالت: أرأيت يا رسول الله، إن لم أجدك؟ قال:
إن لم تجدني فانتهي، أبا بكر، زاد الحميدي عن إبراهيم ابن سعد كأنها
تعني: الموت.
قال المهلب وغيره: هذا كله ببين في جواز القياس والاستدلال
وموضوع الاستدلال على أن في الحمر [أجزأ] (1) قوله تعالى: "فمن
يعمل منقلاً ذرة خيرًا يره" (2) فحمل عليه السلام الآية على عمومها
استدلالاً بها.
وأما استدلال ابن عباس أن الضب خلال بأكله على مائدةه عليه السلام
بحضرته، ولم ينكرب ولا منع منه قوله: "ولا أحرمه". فتحمل أن
يكون استدلالاً لا نصًا لاحتمال قوله عليه السلام: "ولا أحرمه"
الندب إلى ترك أكله، فلما أكل بحضوره استدل ابن عباس بذلك على أنه
لم يحرمه ولا ندب إلى تركه، ويحمل أن يكون نصًا لأن قوله: "ولا
[ أحرمه ] (3) فلا يتضمن الندب إلى ترك أكله فيكون نصًا في تحليله.

---
(1) في الأصل: أجزأ. والمثبت من: هم.
(2) الززلة: 7.
(3) من: هم.
وأما الحديث الحائز فهو استدلال صحيح؛ لأن السائلة لم تفهم غرض النبي ﷺ حين أعرض عن ذكر موضع الأذى والدم حياء منه ولم تدرك أن [ السياق ] لأثر الدم بالخرقة سمي توضأه ففهمت ذلك عائشا من إعراضه فهو استدلال صحيح.

وأما الحديث جابر في الثوم والنص فهو نص منه على جواز أكله بقوله: "كل، فإني أناجي من لا تناجي".

وأما حدث المرأة فهو استدلال صحيح استدل النبي بظاهر قولها:

فإن لم أجدك، أنها أرادت الموت، فأمرها بإتيان أبي بكر.

فإن قيل: فليس في ظاهر قولها دلالة على الموت.

قيل له: قد يمكن أنه [ اقترن بسواها ] (2) إن لم أجدك؟ حالة من الأحوال، وإن لم يمكن نقلها دلته عليه السلام على مراضا، فوكلها إلى أبي بكر، وفي هذا دليل على استخلاف أبي بكر، وقد أمر الله عباده بالاستدلال والاستنباط من نصوص الكتاب والسنة وفرض ذلك على العلماء القائمين به.

bab: قول النبي عليه السلام لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فيه: عبد الرحمن: "سمع معاوية يحدث رهطًا من قريش بالمدينة وذكر كعيب الأحبار فقال: إن كان [ من أصدق ] (3) هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن [ أهل ] (4) الكتاب، وإن كنتا مع ذلك لنبنو عليه الكذب".

وفيه: أبو هريرة قال: "كان أهل الكتاب يقرؤن النوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا

(1) في "الأصل": المتتبع، والمبتدأ من "هـ".
(2) في "الأصل": أقرن سواها، والمبتدأ من "هـ".
(3) في "الأصل": أصدق من، والمبتدأ من "هـ"، نِـ. (4) من "ن".

390
أهل الكتاب ولا تكذبواهم، وقالوا: «آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم».

وفيه: ابن عباس قال: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابهم الذي أنزل على رسوله أحدث نقرؤونه محضاً لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيرهم وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً. ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسالتهم؟»(2) لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم.

قال / المهلب: قوله عليه السلام: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» إنما هو في الشرائع لا تسألهم عن شرعهم فيما لا (نعرفه)(3) من شرعنا لم ت علم به؛ لأن شرعنا مكتوب بنفسه وما لا نص فيه عندنا ففي النظر والاستدلال ما يقوم الشرع منه.

وأما سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا، وما جاء به نبينا - عليه السلام- من الأخبار عن الأمام السالفة فلم نه عنه.

فإن قيل: فقد أمر الله رسوله بسؤال أهل الكتاب فقال تعالى: «إذا كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب»(4) قبلك.


(1) العنكبوت : 46. (2) في 5 : نص فيه. (3) فيروس : 94. (4) الطلاق : 1.
فإن قيل: فإذا كان المراد بالخطاب غير النبي - عليه السلام - فكيف يجوز سؤال الذين يقرؤون الكتاب مع جحدهم النيب؟
ففي قوله: أحدهما: سل من آمن من أهل الكتاب كابن سلام، وكعب الأحبار، عن ابن عباس والضحاك، ومجاهد وأبن زيد.
الثاني: سلهم عن صفة النبي - عليه السلام - المشتر به في كتبهم، ثم انظر ما يوافق تلك الصفة.

* * *

باب: النهي [على] [1] التحريم إلا ما تعرف [إباحته] [2]
وكذلك الأمر نحو قوله حين أحلوا: أصيبوا من النساء.
قال جابر: ولم يعزم عليهم ولكنه أحلهن لهم. وقالت أم عطية:
نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا.
فلبغه أنا نقول: لما لم يكن لنا وبين عرفة إلا خمس أمرين أن نحل إلى نسائنا فتأتي عرفة نظر مذاكرتنا النبي، فقام النبي - عليه السلام - فقال: قد علمتم أن عتقتم الله، وأصدقكم، وأبركم ولولا هديه، لحللت كما تحللون فحلوا، فلو استقبلت من أمري ما استدررت ما أهديت. فحللنا وسمعنا وأطعنا».

وفيه: عبد الله المزني: قال النبي - عليه السلام -: "صلوا قبل صلاة المغرب. قال في الثالثة: لم شاء. كراهية أن يتخذه الناس سنة".

(1) في "الأصل" عن. والمثبت من "ه". (2) من "ه". ن".
وفيه: جندب: قال النبي - عليه السلام -: "أقرأوا القرآن ما اختلفت قلوبكم، فإذا [اختلفتم] (1) فقوموا عنه".


اختلف العلماء في هذا الباب فذكر ابن الباقلاني، عن الشافعي أن النهي عنه على التحرم والإيجاب وقائه كثير من الناس، وقال الجمهور من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وجميع أهل الظاهرة: النهي عن الشيء بدل على فساد المنهي عنه.

قال المؤلف: وهذا يدل على أنه عندهم على التحرم والإيجاب، وكذلك الأمر عند الدهماء من الفقهاء وغيرهم موضوع لإيجاب المموم وحتمه إلا أن يقوم الدليل على أنه ندب، وحكي أبو تمام عن مالك أن الأمر عنه على الواجب، وإلى هذا ذهب البخاري في هذا الباب إلى أن النهي والأمر على الواجب إلا ما قام الدليل على خلاف ذلك فيه، وذهبوا الأشعرية إلى أن النهي لا يقتضي التحرم، بل يتوقف في (5) إلى أن يرد الدليل.

قال ابن الطيب: وقال هذا فريق من الفقهاء. قال: وقال

(1) في الأصل: اختفت. والمثبت من هه، ن
(2) من هه، ن. (3) في هه، ن: فيهم.
(4) زاد في هه، ن: قبل هذا الحديث، والذي قبله يبه بكرهية الاختلاف وصنع المؤلف يقتضي أنهما في باب واحد.
(5) من هه.
كثر من أصحاب الشافعي: إن الأمر موضوع للندب إلى الفعل فإن اقترن به ما يدل على كراهة تركه من ذم أو عقاب كان واجبا، وقال:
وأشهدوا إذا تبايعتم (1) ومتى مما ورد الأمر به على سبيل
الندب. قال ابن الطيب: وقد دل بعض كلامه على أن مذهبه الوقف.
وقال أبو الحسن الأشعري وكثر من الفقهاء والمتكلمين: إنه محتمل
للأمورين. قال ابن الطيب: وهذا الذي تقول به.
قال غيره: واللحجة للجماعة أن النهي على التحريم أنه موجب اللغة
ومقتضاهما، فإن من فعل ما نهي عنه استحق اسم العصيان؛ لأنه لا ينفي
إلا عن قبح قبل النهي، وعما هو له كاره، وقد فهمت الأمة تحريم
الزنا، ونكاية المرحمات، والجمع بين الأخنتين، تحريم يعف الغير، ويعن ما
لم يقبض يجرد نهي الله - تعالى - نهي رسوله عن ذلك لا شيء سواء.
قال أبو النعم: وأما الحجة لوجوب الأمر فإن الله - تعالى - أطلق
أوامره في كتابه ولم يقرنها بقرينة، وكذلك فعل النبي - عليه السلام -
فعلم أن إطلاق الأمر يقتضي وجبه، ولو اقترب إلى قرينة لقرنت به.
والعرب لا تعرض القرائن، وإنما هو شيء أحدثه متاؤرو المتكلمين
فلا يجوز أن يقال: إن [لغز] (2) الأمر لا تأثر له في اللغة وأنه
حاجة إلى قرينة، وقد قال تعالى: فلا يحظر الذين يخالفون عن
أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (3) فوجب بهذا الوعيد
حمل الأمر على الوجوب.
وحجة الذين قالوا بالوقف وطلب الدليل على المراد بالامر أن الأمر
قد يرد على معان، فالواجب أن ينظر فإن وجد ما يدل على غير
الواجب حمل عليه، ولا فظاهره الوجوب؛ لأن قول القائل: أفعل

(1) البقرة: 282.
(2) في الأصل: لغظة. والثبت من هؤلاء.
(3) الدور: 63.
لا يفهم منه لا تفعل ولا افعل إن شئت ، إلا أن يصله بما يعقل به التخيل ، فإذا عدم ذلك وجب تنفيذ الأمر ، واحتجوا على وجب طلب الدليل والقرينة على المراد بالأمر ، فقالوا : اتفق الجميع على جنس الاستفهام [ عن ] (1) معنى الأمر إذا ورد هل هو على الوجوب أو الندب ؟ ولو لم يصلح استعماله فيه لقيق الاستفهام عنه ؛ لأنه لا يحسن أن يستفهم هل أريد باللفظ ما لا يصلح إجراؤه عليه [ إذ ] (2) لا يصلح إذا قال القائل : رأيت إنسانًا. إن يقال له : هل رأيت إنسانًا ؟ حمارًا ؛ وحسن أن يقال له : أذكرًا رأيت أم أتيّص لصالح وقوعة عليهما .

وقد ثبت قبح الاستفهام مع القرائن الدالة على المراد بالحتم من اللفظ ، وإنما يسوغ الاستفهام مع التباس الحال وعدم القرائن الكافئة عن المراد.

قال المؤلف : وما ذكر البخاري في هذا الباب من الآثار يبطل هذا القول ؛ لأنه عليه السلام حين أمرهم بالحل وإصابة النساء بين لهم أن أمره إياهم بإصابة النساء ليس على العزم ، ولوا بيانه ذلك لكان إصابتهم للنساء واجبة عليهم ( وكذلك ) (3) بين لهم عليه السلام بهيه النساء عن اتباع الجنائز أنه لم يكن نهي عزم ولا تحريم ، ولوا بيانه ذلك لفهم من النهي بعجره التحريم ، وكذلك بين لهم أيضًا أن أمرهم لهم بالصلاة قبل المغرب ، وأمره لهم بالقيام عن القراءة عند الاختلاف ليس على الوجوب ؛ لأنه أمرهم بالاختلاف على ما دل عليه القرآن.

وحذرهما الفرقة.

فإذا حدثت شبهة توجب المنازعة فيه أمرهم بالقيام عن الاختلاف ولم يأمرهم بترك قراءة القرآن [إذا اختلفوا في تأويله لإجماع الآمة على قراءة القرآن] (2) من فهمه ولم لم يفهمه، فدل أن قوله : "قوموا (1) في الأصل " على . والثبت من " هـ " (2) من " هـ " (3) مكررة بالاصل .
وعنـه على وجه الندب لا على وجه التحريم للقراءة عند الاختلاف.

وكلما رأى عمر في ترك كتاب رسول الله لهم حين غلبه الوجع من أجل تقدم العلم عدنه وعند جماعة المؤمنين أن الدين قد أكمله الله، وأن الأمة قد اكتمت بذلك، فلا يجوز أن يتوهم أن هناك [شيئا بقي] (1) على النبي تلبغه فلم يبلغه لقوله تعالى: "يا أيها الرسول، بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فلا بلغت رسالته" (2). وبقوله: "فتول عنهم لما أنت بعملهم" (3) وقد أنبنا الله أنه أكمل به الدين فقال: "اليوم أكملت لكم دينكم" (4).

وإذا ثبت هذا بالقوله - عليه السلام - "لهم ما كتبه لكم كتابًا لن تضلوا بعده" متحمل على ما أشار به عمر بأنه قول من "قد غلبه" (5) الوجع وشغل بنفسه، واتبعت بما أخبر الله - تعالى - به من إكمال الدين، وبيان بهذا مقدار عمر وتربيته على ابن عباس فكل أمر [الله] (6) تعالى - [والرسول] (7) لم يكن واجباً على العباد قد جاء معه من بيان النبي - عليه السلام - بتصريح أو بدليل ما فهم به أنه على غير الزور.

وقد فهم الصحابة ذلك من فحوى خطابه عليه السلام وكل أمر [ن.220] عري عن دليل يخرج عن الوجوب، وجب حمله على الوجوب /؛ إذ لو كان مراد الله به غير الوجوب لبيته النبي - عليه السلام - لامته، فوجب أن يكون ما عري من بيانه عليه السلام أنه على غير الوجوب غير مفتوح إلى طلب دليل أو قريبة [أن المراد] (8) بيج الوجوب لقيام لفظ الأمر بنفسه، وكذلك ما عري من نهي عليه السلام من دليل.

(1) في "الأصل": بقيق شيء، والمثبت من "هذا" (2) المائدة: 57. (3) الذريات: 54. (4) المائدة: 3. (5) في "الأصل": شغله، والمثبت من "هذا". (6) في "الأصل": الله، والمثبت من "هذا". (7) في "الأصل": ورسول، والمثبت من "هذا". (8) في "الأصل": إن أريد، والمثبت من "هذا".
يتجرّه عن التحريم وجب حمله على التحريم كحكم الأمر سواء، على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء.
ووقع في بعض الأمهات في هذا الباب باب النهي عن التحريم [وهو غلط من النسخ والصوراب في باب النهي على التحريم] (1) يعني أن النهي محمول على التحريم إلا ما علمت إياه على حديث أم عطية.

* * *

باب: قوله تعالى: "وأمرهم شورى بينهم" (2)
وشورى في الأمر (3)
وأن المشاورة قبل العزم [والنبي] (4)؛ لقوله تعالى: "فإذا عزمت فتوكل على الله" (5) فإذا عزم الرسول لم يكن لبشر التقدم بين يدي الله ورسوله، وشاور النبي عليه السلام يوم أحد أصحابه في المقام أو الخروج فرأوا له الخروج، [ثمما] (6) ليس لأنته وعزم قالوا: آم. فلم يزل إليهم بعد العزم، وقال: لا ينبغي لنبي يلبس لأمه فضيعها حتى بحكم الله. وشوار علماً وأساسة فيما رمي أهل الإفك عائشة، فسمع منهوا حتى نزل القرآن، فجعل الرأيم ولم يلفت إلى منازعتهم، ولكن حكم بما أمر الله، وكانت الأئمة بعد [النبي] (7) عليه السلام يستشرون [الأمناء] (7) من أهل العلم في الأمور الباهية، لباختروا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم (بعدوه) (8) إلى غير اقتداء بالنبي ورأى أبو بكر فقال من مع الزكاة، فقال عمر: كيف تقاتل وقد قال النبي عليه السلام: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلا الله، فإذا قالوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، فقال أبو بكر: والله لأقاتل من فرق بين ما جمع الله، ثم تابه بعد عمر، فلم يلفت أبو بكر إلى [مشورة] (9)

(1) من هه، (2) الشورى: 28. (3) آل عمران: 159.
(4) في: الأصل، والنسخ، والمثبت من هه، ن.
(5) في: الأصل، والناس، والمثبت من هه، ن.
(6) مكررة بالأصل.
(7) في: الأصل، الآتي، والمثبت من هه، ن.
(8) في: هه، ن، ينهدو. (9) في: الأصل، مشورة، والمثبت من هه.
عمر، إذ كان عنه حكم النبي في الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة، وأرادوا تبديل الدين وأحكامه. وقال عليه السلام: من بدل دينه فاقتله. وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولا كانوا أو شبابًا وكان وقافًا عند كتاب الله.

فيه: عائشة: « حين قال لها أهل الإفك، ودعا النبي عليها وأسامة بن زيد حين استلبه الوحي يسألهما ويبشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار بالذي يعلم من براءة أهله، وأما علي فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواءا كثير، وسلم الجارية تصدقك...» الحديث.

اختفى أهل التأويل في المعنى الذي أمر الله نبيه أن يشاعر أصحابه، فقالت طائفة: أمر الله ان يشاورهم في مكائد الحروب وعند لقاء العدو طبيعتهما لنفسهم وتألقًا لهم على دينهم وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم، وإن كان الله قد أغناه عن رأيهم بوجهه. روي هذا عن قتادة والربيع وأبن إسحاق.

وقال آخرون: إما أمر بشورتهم فيما لم يأته في رحقي، ليتبين لهم صواب الرأي. فروي ذلك عن الحسن البصري والضحاك قالا: ما أمر الله نبيه بالمشاورة لجابة منه إلى رأيهم، وإذا أراد أن يعلمهم ما في المشورة من الفضل. قال الحسن: وما شاور قوم إلا هدوا لارشد أمرهم.


(1) في الأصل: بين والثبت من هه.
فأما قوله تعالى : (إذا عزمت فتوكل على الله) قال قتادة : 

أمر الله نبيه إذا عزم على أمر أن يمضي فيه ويتوكل على الله.

قال المهلب : وامثل هذا النبي عليه السلام فقال : لا ينبغي لنبي
لبناته أن يضعها حتى يحكم الله أي : لا ينبغي له إذا عزم أن
ينصرف ; لأن نقض التوكل الذي شرطه الله مع العزيزة ، فلشبه لهامه
دال على العزيزة ، وفي أخذ النبي - عليه السلام - بما أمره الله من
الرأي بعد المشورة حجة من قال من الفقهاء أن الأنباء يجوز لهم
الاجتهاد فيما لا وحي عندهم فيه. وقد تقدم بيان ذلك قبل هذا.

وفيفه من الفقه : أن للمستشير والحاكم أن يعزم من الحكم على غير
ما قال به مشاوره إذا كان من أهل الرسول في العلم ، وأن يأخذ بما
يراه كما فعل النبي - عليه السلام - في مسألة عائشة / فإنه شاور
علي واسامة ، فشأن عليه أسامة بإمساكها ، وأشار عليه بفراقها ،
فلم يأخذ بقول أحدهما وتركها عند أهله حتى نزل القرآن فأخذ به.
وكذلك فعل أبو بكر الصديق فإنه شاور أصحابه في مقاتلة من مع
الزكاة ، وأخذ بخلاف ما أشاروا به عليه من ترك قتالهم لما كان عنده
متضحًا من قول النبي - عليه السلام - : (إلا يبقى ) وفهمه هذه
النكتة مع ما يعضدها من قوله : من غير دينه فاقطلوه .

وأما قول البخاري : فكان الآية بعد النبي - عليه السلام -
باستشير الأئمة من أهل العلم ، فبتلك تواصي العلماء والحكماء.
قال سفيان الثوري : ليكن أهل مشروعتهم أهل التقوى والإمانة ، ومن
يخشي الله ، فإن أشار أحد نأمه سأله : من أين قاله ؟ فإن اختلفوا
أخذ بأشباههم قولا بالكتاب والسنة ، ولا يحكم بشيء حتى يبين له
حجة يجب الحكم بها .

(1) آل عمران : 159
وقول البخاري: فإذا وضع الكتاب والسنة يعني: إن وجد فيهما نص لم يتعدوه، وإن لم [ يوجد ] (1) نص وسعهم الاجتهاد. وقال الشافعي: وإنما يأمر الحاكم بالمشورة، لأن المشير يشبه لما يغفل عنه ويدله من الأخبار على ما يجهله، فأما أن يقلد مشيراً فلم يجعل الله هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ.


* * *

(1) في الأصل: يجد، والثبت من هـ.

(2) في الأصل: غير مسندة، والثبت من هـ.
باب: ما جاء في دعاء النبي عليه السلام أمته إلى توحيد الله

فيه: ابن عباس: "أن النبي - عليه السلام - بعث معاذًا إلى اليمن فقال: أما إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليلكن أولًا تدعوهم إلى توحيد الله، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا، فأخبرهم أن الله فرض عليهم Zakēta في أموالهم تؤخذ من غنيهم وترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوقي كرام أموال الناس.


(1) في الأصل: كتاب رد الجهمية وغيرهم التوحيد وهي رواية. والمثبت من ﷺ.
(2) من ﷺ، ن.
(3) في الأصل: ينقلها. والمثبت من ﷺ، ن.
وفي: ظاهرة: «أن النبي عليه السلام بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ
بصاحبهم في صلاتهم فيخرج بـ: قل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا
ذلك للنبي عليه السلام فقال: سلوا لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه
فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ:
أخبروه أن الله يحبه».

قال المؤلف: أمر الله - تعالى - نبيه بدعاء العباد إلى دينه
وتوجيهه ففعل ما لزمه من ذلك، ولبلغ ما أمره بتيليطه ونزل عليه:
فقولهم: فما أنت بعلوم؟ (1) ووجه ذكر حديث قل هو الله أحد
في هذا الباب؛ لأنها سورة تتضمن على توحيد الله وصفاته الواجبة له
وعلى نفسي ما يضحك عليه من أنه لم يلد ولم يولد، ولم يكن له
كيفاً أحد (وتضمنت ] (2) ترجمة هذا الباب أن الله واحد وأنه ليس
بجسم؛ لأن الجسم ليس بشيء واحد بل هو أشياء كثيرة مولعة، ففي
نفس الترجمة الرد على الجهمية في قوله أنه تعالى جسم. والدليل
على استحالة كونه جسمًا أن الجسم موضوع في الله للمؤلف
المجتمع، وذلك حال عليه تعالى؛ لأن له كان كذلك لم ينك من
الأعراض المتعاقدة عليه الدالة بتعاقبها عليه على حدثها لبناء بعضها عند
مجيء أصدادها، وما لم ينك من المعتقدات محدث مثلها، وقد
قام الدليل على قدمه تعالى، فبطل كونه جسمًا.

* * *

(1) الذريات : 54. (2) في الأصل: وتضمنه، والثبوت من هذا.
باب: قوله تعالى: ﴿قِلْ اذْهَبْنَا إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (1)

ففيه: جريج قال عليه السلام: ﴿لا يرحم الله من لا يرحم الناس﴾.


غرضه في هذا الباب إثبات الرحمة وهي صفة من صفات ذاته لا من صفات أعفائه، والرحمان وصف به نفسه تعالى وهو متضمن لمعنى الرحمة كتتضمن وصفه بكونه عالم وقادر وحكي وسمع وبصير، ومتكلم ومرشد للعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام والإبادة، التي جميعها صفات ذاته لا صفات أعفائه، لقيام الدليل على أنه تعالى لم يزل ولا [3] يزال حيًا عالماً قادرًا سميعاً بصيراً متكملًا، ومن صفات ذاته الغضب والسخط، والمراد بهره تعالى [إرادته] [4] [لتنع] [5] من سبق في علمه أنه ينفعه ويثبه على أعماله، فسماها رحمة، والمراد بغضبه وسخطه إرادته لإضرار من سبق في علمه إضراره وعقابه على ذنوبه فسماها غضبًا وسخطًا.

(1) الإسراء: 110.
(2) في «الأصل»: ﴿وَحَتَّبَ. وَلِلَّهِ مِنْ هُدَى﴾.
(3) في «الأصل»: ﴿وَلِمَلِئَةٌ مِنْ هُدَى﴾.
(4) في «الأصل»: لذاته.
(5) ﴿فِي‌ الْأَصْلِ﴾: لقع.
ووصف نفسه بأنه راحم ورحيم ورحمن وغاضب وساخت بمعنى أنه مريد لما تقدم ذكره. وإنما لم يعرف بعض العرب الرحمن من أسماء الله - تعالى - أن أسماءه كلها واجبة استعمالها ودعاي بها سواء.

لكون كل اسم منها راجعًا إلى ذات واحدة، وهو الباري - تعالى - وإن ذلك كل واحد منها على صفية من صفاته تعالى يختص الأسم بالدلال عليه، وأما الرحمة التي جعلها الله في قلوب عبادة يتراحمون بها فهي من صفات أفعاله، ألا تراه قد وصفها بأن الله خلقها في قلوب عباده، وجعله لها في القلوب خلق منه تعالى لها فيها، وهذه الرحمة رقة على المرحوم، والله - تعالى - (1) أن يوصف بذلك.

* * *

باب: قوله تعالى: "إن الله هو الرزاق ذو القوة المبين" (2)

فيه: أبو موسى قال: النبي ﷺ قال: (3) من أحد [ أصبر [ (3) على أدى

سمعه ] (4) من الله يذكرون له الولد ثم يعاقبون ويرزقونهم].

قال المؤلف ] (5) : تضمن هذا الباب صفتين الله - تعالى - صفة فعل، وصفة ذات. فصفة الفعل ما تضمنه اسمه الذي أجراء تعالى عليه وهو قوله تعالى: "الرزاق" والصفة الرزق، والرزق فعل من أفعاله لقيام الدليل على استحالة كونه تعالى فيما لم يزل رازقًا، إذ [ رازق ] (6) يقتضي مرزوقًا، والباري - تعالى - (مذ) (7)

كان ولا مرزوقًا، فمحال كونه فاعلا للرزق فيما لم يزل.

(1) في `هد` يتعالى عن .
(2) الزارعات : 58.
(3) في `الأصل` يصبر. والثبوت من `هد` ن .
(4) في `الأصل` يسمع. والثبوت من `هد` ن .
(5) في `الأصل` يسمع. والثبوت من `هد` ن .
(6) في `الأصل` يصبر. والثبوت من `هد` .
(7) في `هد` قد.
فثبت أن ما لم يكن ثم كان محدث مخلوق، فزلفه إذا صفة من صفات أفعاله، وأما وصفه بأنه الرزاق فلم يزل الباري واصفاً لنفسه بأنه الرزاق، ومعنى ذلك [ أنه ) سيرزق إذا خلق المزوقين، وأما صفة الذات فالقوة ، والقوة والقدرة اسماً متراضان على معنى واحد، والباري - تعالى - لم يزل قادرًا قوياً ذا قدرة وقوة، وإذا كان معنى القوة [ معنى القدرة ، فالقدرة ) لم تزل موجودة قائمة به موجبة له حكم القادرين.


( 1 ) في [ الأصل ] بأنهم ، والثبت من [ هه ].
( 2 ) في [ الأصل ] : والقدرة ، والثبت من [ هه ].
( 3 ) من [ هه ].
( 4 ) في [ الأصل ] : العاجلة ، والثبت من [ هه ].
( 5 ) في [ الأصل ] : إذا ، والثبت من [ هه ].
( 6 ) في [ الأصل ] : رداً ، والثبت من [ هه ].

- ٤٠٥ -
لما جاءوا به، فلذلك جاز أن يضاف الآذى في ذلك إلى الله - تعالى - إنكاراً لمقা�تمهم وتعظيمًا لها؛ إذ في تكذيبهم للرسول في ذلك إلحاح في صفاته تعالى، ونحو قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يؤذون اللَّهَ وَرَسُولَهُ (1) تأويله الذين يؤذون أولياء الله وأولياء رسوله، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه في الإعراب، والمحدود مراد، نحو قوله: "وَاسْأَلَ الْقَرْيَةَ" (2) يعني: أهل القرية.

وقد تضمن هذا الباب الرد على من أنكر أن الله صفة ذات هي قدرة وقوة لاعتقادهم أنه قادر [ بنفسه] (3) لا بقدرة، والله - تعالى - قد نص على أن له قدرة بخلاف ما تعتقل القدرية من أنه قوي بنفسه لا بقوة وفهم رد على المجسمة القائسين للغائب على الشاهد قالوا: كما لم نجد قويا ولا ذا قوة فيما بيننا إلا جسمًا كذلك الغائب حكمه حكم الشاهد، فقائلا لهم: إن كنت على الشاهد تقولون عليه تعتمدون في قياس الغائب عليه، فكل ذلك لم نجدوا جسمًا إلا ذا أبعاض وأجزاء مؤلفة، فصيح عليه الوقت و [الحياة] (4) والعلم والجهل والقدرة والعجز، فأقضوا على أن الغائب حكمه حكم هذا فإن مما عليه الحدواوابطالا الحدوث والمحدث، وإن أبوه نقضا استدلالهم ولا اتفاقي لهم من أحد الآخرين.

ومن هذه الجهة دخل على المعزولة الخطا في قياسهم صفات الله عل صفات المخلوقين، والله - تعالى - لا يشبه المخلوقين؛ لأنه الخالق ولا خالقه له وقد أعلمنا الله - تعالى - بالحكم في ذلك فقال: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (5) فكيف يشبه الخالق بالمخلوق، ومن ليس كمثله شيء كمن له مثل من الأشياء المخلوقة؟! وهذا ما لا يخفى فساده وإبطاله.

(1) الأحزاب: 57. (2) يوسف: 82. (3) في الأصل: لنفسه، والابتث من هم. (4) في الأصل: الحياة، والابتث من هم. (5) الشعرى: 11.
باب: قوله تعالى: عالم الغيب فلا يظهر على غيره أحداً (١)

إن الله عنده علم الساعة (٢) و أنزله بعلمه (٣) وما تحمل من أخرى ولا تضع إلا بعلمه (٤) إليه يرد علم الساعة (٥) قال يحيى: الظاهر على كل شيء علمًا، والباطن على كل شيء علمًا


وفيه: عائشة قالت: من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب، وهو يقول: لا تدركه الأبصار (٧) ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: لا يعلم الغيب إلا الله، 

غرضه في هذا الباب إثبات علم الله تعالى - صفة لذاته ؛ إذ العلم حقيقة في كون العالم عالمًا، إذ من المحال كون العالم عالما ولا علم له، وكذلك سائر [أوصافه] (٨) القصص للصفات التي هي حقيقة في ثبات الأوصاف المجردة عليه تعالى من كونه حيًا وقادرًا وما شابه ذلك خلافًا لما تقوله القدرية من أنه عالم قادر حي بنفسه لا بقدرة ولا بعلم ولا بحياة، ثم إذا [ثبت كون] (٩) علمه قديمًا وجب تعلقه بكل معلوم على حقيقته، وقد نص البالي - تعالى - على إثبات

(٤) فاطر : ١١ . (٥) فصلت : ٤٧ . (٦) من هم، ن،
(٧) الأئملا : ١٠٣ . (٨) في الأصل : صفاته .
(٩) في الأصل : سيكون .
علمه بقوله تعالى : ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ (۱) ونقوله تعالى :
﴿أنزله بعлерه﴾ (۲) ونقوله : ﴿ولا تضع إلا بعمره﴾ (۳) ونقوله :
﴿إله يرده علم الساعة﴾ (۴) فمن دفع علم الباري - تعالى - الذي
هو حقيقة في كونه عالمًا، وزعم أنه عالم بنفسه لا علم فقد رد نصه
تعالي على إثبات العلم الذي هو حقيقة في كونه عالماً ولا خلاف بين
رد نصه على أنه ذو علم وبين رد نصه على أنه عالم، فالنافي لعلمه
كالناطي لكونه عالمًا، واجتمعت الأمة على أن من نفى كونه عالمًا فهو
كافر، ففي الثاني أن يكون من نفى كونه ذا علم كافرًا، إذ من نفى أحد
الأمرين كمن نفى الآخر، والقول في العلم بهذا كاف من القول به
في جميع صفاته، وتضمن هذا الباب الرد على هشام بن الحكم ومن
قال بقوله من أن علمه تعالى محدث وأنه لا يعلم شيء قبل وجوده.
وقد نبى الله تعالى على خلاف هذا بقوله تعالى : ﴿إن الله عنده علم
الساعة﴾ (۱) الآية، وجميع الآيات الواردة بذلك، وأخبرنا النبي
عليه السلام - بمثل ذلك في تحدث ابن عمر وعائشة فلا يلفت إلى
من رد نصوص الكتاب [ والسنة ] (۵).

* * *

باب قوله تعالى : ﴿السلام المؤمن المهيمن﴾ (۶)

فقال النبي ﷺ: إن الله هو السلام، ولكن قولنا: التحيا ط،
والصلوات الطيبات..." الحديث.

(۱) لفظ : ۱۶۶. (۲) الفاطر : ۱۱.
(۳) النساء : ۳۴. (۴) مسال : ۴۷.
(۵) من هب : ۲۳. (۶) الحشر : ۲۳.

۴۰۸

فأما المؤمن فهو على وجهين: أحدهما: أن يكون صفته: ذات، وهو أن يكون متضمنًا لكلام الله الذي هو تصديقه لنفسه في أخباره ورسالته في صحة دعواهم الرسالة عليه، وتصديقه هو قوله: وقوله صفة من صفات ذاته لم يزل موجودًا به حقيقة في كونه قايتلا متكلمًا مؤتمًا مصدقاً.

والوجه الثاني: أن يكون متضمنًا صفة فعل هي أمانة رسله وأولائه المؤمنين به من عقبة [وأليم عذابه] ۚ (۴) من قوله: آمنت فلانًا من كذا، وامته منه، كأكرمته وكرمتهم، وأنزلت ونزلت، ومنه قوله تعالى: ۚ (۵) آمنهم من خوف.

وأما المهيمن فهو راجع إلى معنى الحفظ والرعاية، وذلك صفة فعل له تعالى. وأما منعه عليه السلام من القول السلام على الله فقد بين عليه السلام معنى ذلك بقوله: ۚ (۶) إن الله هو السلام، ويستحيل أن يقال السلام على الله، لا استحالة القول الله على الله، وعلى [قوله]: من جعل السلام يعنى السلمة يستحيل أيضًا أن يدعو له.

بالسلامة . وقولوا : التحيات لله . . . إلى آخر الحديث فهو صرف منه عليه السلام لهم ( بما ) (1) يستحل الكلام به إلى ما يحسن، ويحمل لما في ذلك من الإقرار لله بملك كل شيء، وشرع ما شرعه لعباده مما أوجه عليهم من الصلوات المفروضة، وندبه إليهم من النواقل [ والتقرب ] (2) إليه بالدعاء والكلام الطيب الذي وصف تعالى أنه يصعد إليه بقوله : ﴿إلهي يصعد الكلم الطيب﴾ (3).

والتحية في كلام العرب الملك . قال الشاعر :

ولكل ما نال الفتى قد نله إلا التحية

معنى : الملك . فمعنى قوله : التحيات لله : الملك لله .

bab : قوله تعالى : ﴿ملك الناس﴾ (4)

فيه : ابن عمر عن النبي - عليه السلام -.

فيه : أبو هريرة : قال النبي - عليه السلام - : ﴿يقبض الله الأرض يوم القيامة وبطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض؟﴾.

قوله تعالى : ﴿ملك الناس﴾ (4) هو داخل في معنى ما أمرهم به النبي - عليه السلام - من قولهم : التحيات لله . يريد : الملك لله، وكأنه عليه السلام إذا أمرهم بذلك من حيث أمره الله بالاعتراف بذلك بقوله تعالى : ﴿قل﴾ يا محمد : ﴿أوعده برب الناس ملك الناس﴾ ووصفه

(1) في ﴿ه١﴾ : عما .
(2) في ﴿الأصل﴾ : والقرب . والثبت من ﴿ه١﴾ .
(3) فاطر : ١٠ . (٤) الناس : ٢
تعالى نفسه أنه ملك الناس على وجهين: أحدهما: (أ) يكون راجعاً إلى صفته ذاته وهو القدرة؛ لأن الملك يعني: القدرة.
والثاني: أن يكون راجعاً إلى صفته فعل وذلك بمعنى: القهر والصرف لهم عما يريدونه إلى ما أراده تعالى، فتكون أعمال العباد ملكاً له تعالى لا قدرة لهم عليها. وفيه إثبات اليمين لله صفه من صفاته ذاته ليست بجارحة خلافاً لما تعتقد流传 الجمعية في ذلك لاستحالة جواز وصف بالخوارج والأبعاض (2)، واستحالة كونه جسمًا، وقد تقدم القول في حل شبههم في ذلك.

* * *

باب: قول الله تعالى: (3) وهو العزيز الحكيم (4) سبحانه ربك رب العزة عما يصفون (5) ورسوله (6) ومن حلف بعزة الله وصفاته

[ و ] (1) قال أنس: قال عليه السلام: (أ) تقول جههم: قطع وعزتكم. وقال أبو هريرة عن النبي - عليه السلام -: (ب) يبقى رجل بين الجنة والنار، آخر أهل النار دخولاً الجنة فيقول: يا رب، اصرف. (4/222-2)
ووجهي عن النار، لا وعزتكم لا أسألوكم غيرها.

وقال أيوب: وعزتكم لا غنى بي من برتكب.

فيه: ابن عباس: (أ) قال عليه السلام: أعوذ بعزتكم الذي لا إله إلا أنتم الذي لا غوت والإنس والج hend المبونون.

(1) في "الأصل": أن. والبت من هـ.
(2) بإل الصواب إثبات ما أثبت الله لنفسه ورسوله له دون شبه ولا تعليل.
(3) إبراهيم: 4، وغيرها.
(4) الباقات: 180.
(5) المنافقون: 8.
(6) من "هـ، ن".

- 411 -
وفيه: أنس قال النبي- عليه السلام- : "يلقي في النار وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العالمين قدمه فينزو يبعضها إلى بعض، فقول: قد قد، بعزتك وكرمك، ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقًا فسكنهم (فضل) (1) الجنة ".

قال المؤلف : (2) فالكلام في هذا الباب على معنى العزيز الحكيم والعزة والحكمة والقدم.

فالعزيز متضمن للعزة، والعزة الكلام عليها من وجهين:

أحدهما: أن تكون صفة ذات معنى القدرة والعظمتان.
والثاني: أن تكون صفة فعل معني القهر لمخلوقاته والغلبة لهم.
ولهذا صح إضافته تعالى اسمه إليها، فقال: "سحبا ربك وب العزة" (3). والمررب مخلوق لا محالة.

والحكيم متضمن معنى الحكمة، وهو على وجهين أيضًا: صفة ذات تكون معنى العلم، والعلم من صفات ذاته.


(1) في "هـ"، (2) من "هـ"، (3) الصفات: 18.
(4) في "الأصل": شيء. والثبت من "هـ".
(5) في "الأصل": أمن على لذهب.
(6) في "الأصل": تخلق. والثبت من "هـ".

وأما القدم فلفظ مشترك يصلح استعماله في الجارحة وفيما ليس بجارحة فيستحيل وضعه تعالى بالقدم الذي هو الجارحة؛ لأن وضعه بذلك يوجب كونه [ جسماً ] (٤) والجسم مؤلف حامل للصفات وأضدادها غير متوهم خلوه منها، وقد كان أن التضادات لا يصح وجودها معًا؛ وإذا استحال هذا ثبت وجودها على طريق التعاقب، وعدم بعضها عند مجيء بعض وذلك دليل على حدوثها، وما لا يصح خلوع من الحوادث فواجب كونه محدثًا، ثبت أن المراد بالقدم في هذا الحديث خلق من خلقه تقدم علمه أنه لا تمتا جهنم إلا به (٥).

وقال النضر بن شميل : القدم هاهنا : هم الكفار الذين سبق في علم الله أنهم من أهل النار [ وأنه تمتا النار ] (٦) بهم حتى ينزوؤ بعضها إلى بعض من الماء، لضياع أهلها فقول : قط قط - أي : امتلأت. ومنه قوله تعالى : «وَبِشَرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَن لَهُمْ قَدِمٌ صَدِيقٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ» (٦) أي : سابقة صدق، وقال ابن الأعرابي : القدم : هو التقدم في الشرف والفضل، وقد قد، وقط قط، بمعنى:

(١) سورة يس : ١٤ - (٢) من هم، (٣) سورة ص : ٢٣ - (٤) في الأصل : جسَم، والcribing من هم، (٥) هذا تعديل لصفة ابنها الله عز وجل نفسه والصواب إثباته له دون تشبه ولا تعطيل ولا تأويل راجع المقدمة - (٦) يومن : ٢.
حسى أي : كفاني ، وينال : قدني ، وقطني بمعنى ذلك ، واختلفت الرواية في قوله : فسكنهم أفضل الجنة ، وروى فضل الجنة ، فمن روى فضل الجنة فهو أحسن يعني : ما فضل منها وبقي ، ومن روى أفضل الجنة فمعنى : فضل الجنة ، وفضل وفاضل الجنة عائدا إلى معنى واحد ، وليس بمعنى أفضل من كذا الذي هو بمعنى المفاضلة قال تعالى : {وهو أهون عليك} (1) على أحد التأويلين . قال الشاعر : لعمرك لا أدري وإن لا أوجل يريد : لو جل

باب : قوله تعالى

{وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق} (2)

فيه ابن عباس : {كان النبي عليه السلام يدعو من الليل : اللهم لك الحمد رب السماوات والأرض ، لك الحمد أن تقم السماوات والأرض وما فيهن لك الحمد أن تور السماوات والأرض قولك الحق ، ووعدك الحق ، وقاؤوك حق واجتنا حق والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت / وعليك توكلت وأنت وبك خاصمت وإليك حاكمت ، فأغفر لي ما قدمت وما أحرت وأسررت} [وعلمت] (3) {أنت إلهي لا إله غيرك} . وقال سفيان مرة : أنت الحق . وقولك الحق.

قوله تعالى : {خلق السماوات والأرض بالحق} (2) قوله :

(1) الروم : 27
(2) الأنصار : 73
(3) من هـ ، ن
خلق السماوات والأرض بالحق أي : أدعهما وانشاهما بالحق.


والمعنى الثاني : يكون الحق راجعًا إلى صفة ذاته . لقوله : خلق السماوات والأرض بالحق [ أي قال ] (1) لها : كوني فكانت . وقوله صفة من صفات ذاته عند أهل الحق والسنة على ما يأتي بياته بعد هذا . إن شاء الله .

وأما قوله : " أنت نور السماوات والأرض " وقوله : " الله نور السماوات والأرض" (2) فواجب صرفه [ عن ] (3) ظاهره لقيام الدليل على أنه لا يجوز أن يوصف بأنه نور ، والمعنى : أنت نور السماوات والأرض بأن خلقهما دلالة لعبادك على وجودك وربوبتك بما فيهما من دلائل الحديث المنتجة إلى محدث فكأنه نور السماوات والأرض بالدلائل عليه ومنهما وجعل في قلوب الخلقين نورًا يهدون به إليه ، وقال ابن عباس : الله نور السماوات والأرض أي : هاديهم ، وعنه أيضًا مدبريهما ، ومدير ما فيهما وتقديره : الله نور السماوات والأرض .

وأما قيم السماوات والأرض ، فالكلام فيه من وجهين :

أحدهما : أن يكون يعني العالم بمعلوماته ، فتكون صفة ذات.

________________________
(1) في "الأصل" : قوله . والثبت من هـ . (2) النور : 35 .
(2) في "الأصل" : على . والثبت من هـ .
(3) في "الأصل" : قوله . والثبت من هـ .
الوجه الثاني: أن يكون بمعنى الحفظ لمخلوقاته، والرزق للحي منها، فتكون صفة فعل.


باب: قوله تعالى: وَكَانَ اللَّهُ سَمِيْعًا بصِيَارًا (1)
وقالت عائشة: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات فأنزل الله: قد سمع الله قولك التي تجادلتك في زوجها (2) الآية.
فيه أبو موسى: كنا مع النبي عليه السلام في سفر، فكنا إذا علمنا كبرنا فقال: أربعا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، تدعون سمعيًا بصيرًا. الحديث.
وفيه أبو بكر الصديق: أنه قال للنبي عليه السلام: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: فقل اللهم إني ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي من عندك مغفرة إنك أنت الغفور الرحيم.

غرضه في هذا الباب أن يرد على من يقول: إن معنى سمع بصير معنى علمي لا غير، لأن كونه كذلك يوجب مساواته تعالى للأعمى والأصم [الذي] (3) يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، وأن في العالم أصوات ولا يسمعها ولا شك أن من سمع الصوت وعلمه [ورأى] (4) خضرة السماء وعلمهها أدخل في صفات الكامل من انفرد بإحدى هاتين الصفتين، وإذا استحال كونه [أحدنا] (5) من لا آفة به أكمل

(1) النساء : 134. (2) المجادلة : 1. (3) من هـ.
(4) في الأصل: قد رأيت، والثابت من هـ.
(5) في الأصل: إحدان، والثابت من هـ.

- 416 -
صفة من خالقه وجب كونه تعالى سميعًا بصيراً [ مفيداً ] (1) أمراً زائداً على ما يفيده كونه علينا.

ثم نرجع إلى ما تضمنه كونه سميعًا بصيراً، فنقول: هما متضمنتان لسمع وبصر بهما كان سميعًا بصيراً كما تضمن كونه عالماً علمًا لاجله كان عالماً وكما أنه لا خلاف بين إثباته سميعًا بصيراً، وبين إثباته هذا سمع وبصر، كما أنه لا خلاف بين إثباته عالماً وبين إثباته ذا علم، فإن من نفي أحد الأمرين كمن نفي الآخر، وهذا مذهب أهل السنة والحق.

ومعنى قول عائشة: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات".
أدرك سمعه الأصوات، لا أنه اتبع سمعه لها؛ لأن المصدر بالسمعة يصح وصفه بالضيق بدلاً منه والوصفان جميعاً من صفات الأجسام، وإذا استحال وصفه بما يؤدي إلى القول بكونه جسمًا، ووجب صرف قولها عن ظاهره إلى ما اقتضى صحته الدليل، ومعنى قوله عليه السلام: "إذاكم لا تدعون أصم ولا غابيًا". نفي الآفة المائعة من السمع، ونفي الجهل المائع من العلم وفي هذا القول منه عليه السلام دليل على أنه لم يزل سميعًا بصيراً عالماً، ولا تصح أضداد هذه الصفات عليه.

وقوله: قريباً، إخبار عن كونه عالماً بجميع المعلومات لا يعزب عنه شيء، ولم يرد بوصفه بالقرب قرب المسافة؛ لأن الله تعالى لا يصح وصفه بالخلول في الأماكن، لأن ذلك من صفات الأجسام والدليل [3/332-333] على ذلك قوله تعالى: "قد يكون من غاوي ثلاثة إلا هو رابعهم" (2) الآية معناه: إلا هو عالم بهم، وبجميع أحوالهم ما يسرون وما يظهرونه، ومعنى حديث أبي بكر في هذا الباب هو أن

(1) في "الأصل": مفيد، والثبت من "ه". (2) المجلدة: 7.
دعاء الله بما علمه النبي - عليه السلام - يقتضي اعتقاد كونه تعالى
سمعًا لدعاته ومجازًا له عليه.

* * *

باب: قوله تعالى: «قل هو القادر» (1)
فيه: جابر قال: «كان النبي - عليه السلام - يعلم أصحابه الاستخاره
في الأمور كلها كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: إذا هم أحكم
بالأمر فلبiryك ركعتين من غير الفرضية، ثم ليقل: اللهم إنى أستخبرك
بعلmk وأستدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك، فإنك تقدر ولا
أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب» ....

القادر والقدرة من صفات الذات، وقد تقدم في باب قوله تعالى:
«إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين» (2) أن القوة والقدرة بمعنى واحد،
وكذلك القادر والقوي بمعنى واحد، وذكر الأشعري أن القدرة والقوة
والاستطاعة [معناها واحد، لكن لم يشتق الله - تعالى - من
الاستطاعة] (3) اسم، ولا يجوز أن نوصف بأنه مستطيع لعدم التوقف
بذلك، وإن كان قد جاء القرآن بالاستطاعة فقال: «هل يستطيع
ربك» (4)، [فإنما] (5) هو خبر عنهم ولا يقتضي إيثابه صفة له
 تعالى فدل على ذلك أمران: تأنيبه لهم عقيب هذا، وقراءة من قرأ:
«هل تستطيع ربك» بمعنى: هل تستطيع سؤال ربك، وقد أخطأوا
في الأمرين جميعًا لافتراضهم على نبيهم وخلافهم ما لم يذن لهم فيه
ربهم - تعالى.

__________________________
(1) الإعجام: 25.
(2) الداريات: 58، ووقع في: الأصل، هـ: إنى أنا الرزاق ذو القوة المتين.
(3) من: هـ.
(4) المائدة: 112، (5) في: الأصل، وغا، والثبوت من: هـ.
(6) -418-
باب: مقلب القلوب

وقوله تعالى: {ومنقلب آقتديتهم وأبصارهم} (1)

فيه: ابن عمر: {كان النبي - عليه السلام - أكثر ما يحرف: لا}

ومقلب القلوب.

قد تقدم الكلام في هذا الحديث في كتاب القدر، ومما فيه أن تقلب القلوب عبادة صرفه لها من إيمان إلى كفر، ومن كفر إلى إيمان، وذلك كله مقدر الله تعالى. وفعل له، بخلاف قول القدرية] (2).

* * *

باب: قول النبي - عليه السلام - {إن الله مائة اسم إلا}

واحدة من أعصاه دخل الجنة.

قال ابن عباس: ذو الجلال ذو العظمة البر اللطيف

فيه أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام - {إن الله تسمى وتعس سماً}

مائة إلا واحدة من أعصاه دخل الجنة. أحبيناه: حفظاً.

الإحصاء في اللغة على وجهين: أحدهما يعني: الإحاطة بعلم عدد الشيء وقدرته، ومنه قوله تعالى: {وأحصى كل شيء عددًا} (3)

وهذا قول الخليل.

والثاني: يعني: الإطاعة له، كقوله تعالى: {علم أن لن}

تختصو} (4) أي: لن تطقوه. وقال النبي {استقموا ولن}

تختصوا} (5) أي: لن تطقوا العمل بكل ما الله عليكم، والمعنى في ذلك كله متقارب، وقد يجوز أن يكون المعنى: من أعصاه عددًا.

(1) الأعلام: 110
(2) في الأصل: قد تقدم في كتاب القدر. والمثبت من هـ.
(3) الأجل: 28
(4) المزمول: 20
(5) من هـ.

- 194 -
وحفظًا وعلمًا بما يمكن علمه من معانيها المستفاد منها علم الصفات التي
تفيدها؛ لأن تحت وصفنا له بعالم إثبات علم له تعالى لم يزل
موصوفًا بها كـالعلم، وتحت وصفنا له بقدر إثبات قدرة لم يزل
موصوفًا بها كـقدر المخلوقين، وكذلك القول في الحياة وسائر
صفاته، وفيه وجه [ آخر يحتمل ] (۱) أن يكون الإحصاء المراد في
هذا الحديث - والله أعلم - العمل بالأسماء والتعبير عن اسمي بها.

إذا قال قائل: كيف وجه إحصائها عملًا؟

قيل له: ووجه ذلك أن ما كان من أسماء الله تعالى - مما يجب
على المؤمن الانتقاء بالله - تعالى - فيه كالرحيم والكريم والعفو
والغفور والشكور والتباب وشبهها فإنه الله - تعالى - يجب أن
يرى على عبده حلاوة ويرضى له معناها، والانتقاء به تعالى فيها.
فهذا العمل بهذا النوع من الأسماء وما كان منها ما لا يلق بالعبد
معانيه كالله والأحد والقديس والجبار والمعتبر والتكبير والعظيم والعزيز
والقوي وشبهها، فإنه يجب على العبد الإقرار بها والتذلل لها
والإشفاق منها، وله كله الرعى كشديد العقاب، وعزيز [ ذي ]
انتمام سريع الحساب. وشبهها، فإنه يجب على العبد الوقوف عند
أمره واجتناب [ نهيه ] (۲).

واستشعار خشية الله - تعالى - من أجلها خوف وعبده، وشديد
عقابه هذا وجه إحصائها عملًا فهذا يدخل الجنة إن شاء الله، وأخبرني
بعض أهل العلم عن أبي محمد الأصيلي أنه أشار إلى هذا المعنى غير

(۱) في الأصل : احتتم، والمثبت من هـ.
(۲) في الأصل : دو. والمثبت من هـ.
(۳) في الأصل : أمره، والمثبت من هـ.

- ۴۲۰ -
أنه لم يشرحه فقال: الإحساء لأسماه تعالى هو العمل بها لا عدها وهفظها فقط; لأنه قد يعدها المنافق والكافر وذلك غير نافع له.
قال المؤلف: والدليل على أن حقيقة الإحساء والحفظ في الشريعة إنما هو العمل قوله - عليه السلام - في وصف الخوارج: "يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يرقون من الذين مروق السهم من الرمية" في حين أن من قرأ القرآن ولم يعمل به لم يرفع قراءته إلى الله، ولا جازت حنجرته، فلم يكتب له أجرها وخاب من ثوابها كما قال تعالى: "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" (1) يعني:
أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله - تعالى.
وكمآ قال ابن مسعود لرجل: إنك في زمان كثير فقهاؤه (قليل) قرأوه - تحفظ فيه حدود القرآن وتضبط فيه حروفه، وسياطي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قرأوه (2) تحفظ فيه حروف القرآن وتضبط حدوده. فذم [من (3) حفظ الحروف وضبط العمل ولم يقف عند الحدود، ومدح من عمل بعマイ القرآن وإن لم يحفظ الحروف، فدل هذا على أن الحفظ والإحساء المندوب إليه هو العمل.
ويوضح هذا أيضًا ما كتب به عمر بن الخطاب إلى عماله: إن أهم أموركم عند الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه. ولم يرد عمر بحفظها إلا المبالغة في إتقان العمل بها من إتمام ركوعها وسجودها (إكمال) (4) حدودها لا حفظ أحكامها وضبط العمل بها، والله الموفق.

* * *

(1) في "الأصل": كثيرة. والثبت من "ه".
(2) في "الأصل": كثيرة. والثبت من "ه".
(3) في "الأصل": "ه".
باب: السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها

فيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: "إذا جاء أحدهم فراشه فلينفثه بصمت ثَرَهَ ثلاث مرات، وليقل: [باسمك] (1) ربي وسعت جنبي وليك أرفعه، إن أمسكت نفسك فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين.

وفيه: حديثه: "كان النبي - عليه السلام - إذا أوى إلى فراشه قال: اللهم باسمك أحياء وأموات. وإذا أصبحة قال: الحمد لله الذي أحياء بعد ما أمتنا وإله النشور".


وفيه: عدي: "سألت النبي - عليه السلام - فقال: أرسل كابي المعلمة؟ فقال: إذا أرسلت كابك المعلمة وذكرت اسم الله، فآمسكن فكل... الحديث.

وفيه: عائشة: "قالوا: يا رسول الله، إن هنا أقواماً حديث عهدهم بشرك يأتونا بلحمان لا ندري أيذكرون اسم الله عليها أم لا؟ قال: اذكروا [ آتمه ] (2) اسم الله وكلوا".

وفيه: أسس: "ضحى النبي - عليه السلام - بكبشين يسمى ويكبر".

وفيه: جندب: "أن النبي - عليه السلام - قال يوم النحر: من ذبح قبل أن يصلي، فليذبح مكانها أخري، ومن لم يذبح فليذبح باسم الله".

(1) في "الأصل": باسم...

(2) من...
وفي ابن عمر: قال النبي - عليه السلام -: لا تعلقو بآبائكم، فمن كان حلفًا فليحلف بالله.


ويكون قوله: و بك أرفعه، و قوله: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور يراد به الله فيكون بعض الدعاء له وصرف الأمر فيه 
(1) إليه، ويكون بعض الدعاء وصرف الأمر فيه إلى غير الله، وهذا كفر صريح لا يخفى، و ما يدل على أن اسم الله هو قوله سبحانه: ( فسح باسم ربك العظيم ) أي: سبح / ربك العظيم. ونزه باسمه الحسن، ولو كان اسمه غيره لكان الله أمر نبيه بيتنزه معنى هو غير الله وهذا مستحيل، وما يدل على ذلك قوله تعالى: ( بارك اسم ربك الذي الجلال والإكرام ) في قراءة من قراءة ( ذو)

(1) من 52-4. (2) الواقعة: 74، 96. (3) الرحمن: 78. - 423 -
وذه وصف الاسم لا شك فيه فإذا قد وصف الاسم بالجلال والإكرام،
وهذا خلاف قول القردارية التي تزعم كون كلمته محدثة، وأنه تعالى
لم يزل غير ذي اسم ولا حقة حتى خلق الخلق وخلق كلمه نفسه.
خلقه بأسماء محدثة وسمى نفسه بكلها، وهذا بين الفساد بما قدمناه أنه
 تعالى [ لا يجوز ] (1) أن يأمر نبيه بتنزيه غيره.

فإن قال قائل: فإن قلتتم: إن اسم الله هو هو فما معنى قوله عليه
السلام: " إن الله تسمع وتسمعين اسمًا " وكيف تكون الذات الواحدة
تسمع وتسمعين [ شيكا ] (1)? قالوا: وهذا كثر من قال به، فإن من
هذا الحديث أن اسمه غيره.

فالأجواب أنه لو كان اسمه غيره لم يأمر نبيه بتنزيه مخلوق غيره على
ما قدمناه، وإنما إلى تأويل الحديث فنقول: إن المراد بقوله: " تسمية
وسمعين اسمًا التسمية " لأنه في نفسه واحد والاسم يكون معنيين يكون
معني المسمى، ويكون معنى التسمية التي هي كلمته فالمسمى 
معني المسمى يقال فيه: هو المسمى، والذي معنى التسمية لا يقال فيه: هو
المسمى، ولا هو غيره، وإلا فلا نقل فيه: هو المسمى، لاستحالة
كون ذاته تعالى كلمه وساده مسمه ولم نقل فيه أيضاً: هو غيره، فإن
تسميته لنفسه كلمه له ولا يقال في كلمته أنه غيره.

ومعنى الترجمة [ معنى ] (2) قوله تعالى: " والله الأسماء الحسنن
فادعوه بها " (3). فأمر بدعائه بها ووصفه لها بالحسن يقتضي نفي
تضم كل اسم منها نفيه ما يوصف أنه حسن، ونقيض الحسن قبح

(1) من " هـ " .
(2) في " الأصل " : اسمًا . والمثل من " هـ " .
(3) الآية : 180 .

- 424 -
لا يجوز على الله، ومعنى هذا أن عالمًا من اسمائه يقضي علمًا ينفي نقيضه من الجهل وقادرًا يقضي قدرة تنفي نقيضها من العجز، وحيا يقضي حياة تنفي ضدها من الموت، وكذلك سائر صفاته كلها فائدة، كل واحدة منها خلاف فائدة الأخرى، فأمر تعالى عباده بالدعاء بأسمائه كلها لما يتضمن كل اسم منها وبخصمه من الفائدة ليجتمع للعباد الداعين له جميعها فوائد عظيمة، ويكون معبودًا بكل معنى.

وقال ابن كثير: صنفة الثوب حاشيته التي لا هدف فيها، ووقع في كتاب الدعاء: "فليقفوا بداخلة إزارة". يزيد: ما ولى جسمه من إزارة وقد تقدم في كتاب الدعاء.

* * *

باب: ما يذكر في الذات والنوعوت وأسامي الله.

وقال خبيب: وذلك في ذات [الله] [1] فذكر الذات باسمه.


ما أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان الله مصرعي وذل ذلك في ذات الإله وإن يسأل يبارك على أوصال شمل همّ فقتله [ابن ] [2] الحارث وأخبر النبي - عليه السلام - خبرهم يوم أصبووا".

1) في "الأصل": الله، والثبت من "ه، ن". (2) من "ه، ن".

2) في "الأصل": فأخبر هبة الله.
اعلم أن أسماء الله تعالى - على ثلاثة أضرب: ضرب منها يرجع إلى ذاته ووجوده فقط لا إلى معنى يزيد على ذلك كقولنا:
شيء وموجود ذات ونفس.
والضرب الثاني: يرجع إلى إثبات معنا قائمة به تعالى هي صفات له كقولنا: حي وقادر وعالم ومريد، يرجع ذلك كله إلى حياة وقدرة وعلم وإرادة؛ لأنها كان حيا قادرًا غالبًا مردأًا.
والضرب الثالث: يرجع إلى صفات من صفات أفعاله كقولنا: خالق ورارق ومحيي ومميت، يرجع بذلك إلى خلق ورزق وحياة وموت، وذلك كله فعل له تعالى.
فأما إثبات ذاتًا وشيئًا ونفسًا فطريقه السمع، وقد سمع النبي ﷺ قول خبيب: «وذلك في ذات الإله» فلم ينكره، فصار طريق العلم به التوقيف من الرسول ﷺ وذاته هو هي، ومعنى قوله في ذات الإله: أي في دين الله وطاعته، فجميع هذه الأضرب الثلاثة أسماء الله في الحقيقة كنما ما يتضمن صفة ترجع إلى ذاته أو إلى فعل من أفعاله أم لا، فكل صفة اسم الله تعالى - وليس كل اسم صفة.
ومذهب أهل السنة أنه محال أن يقال في صفات ذاته أن كل واحدة منها غير الأخرى، كما استحال القول عندهم بأنها غيره تعالى؛ لأن حد الفيروض ما يجاز وجود أحدهما مع عدم الآخر، ولا لم يجز على شيء من صفات إهداء [1] مع وجود سائرها استحال وصفها بالتغيير كما استحال وصفه بأنه غيره؛ لقيام الدليل على استحال وجوده تعالى مع عدم صفاته، التي هي حياته وعلمه وقدرته وسائر ضفاته ذاته، وليس كذلك صفات أفعاله؛ لأن أفعاله متغيرة يجوز وجود بعضها مع عدم سائرها كالرجز والإحياء والإماتة، وسائر

(1) في "الأصل": إحداهما، والثبت من "ه".

- 426 -
صفات أفعاله التي تتضمنها أسماء له أطلقها تعالى على نفسه كرازق وخلاص ومحيي ومبت ودبيع، وما شاكل ذلك، فهذه كلها أسماء له تعالى سمي نفسه بها، وتسميته: قوله، وقوله ليس غيره كسائر صفات ذاته، متضمن هذه الأسماء متغايراً على ما ذكرنا وغير له تعالى لقيام الدليل على وجوده في ازله مع عدم جميع أفعاله.

bab : قوله تعالى : ( ويحذركم الله نفسه ) (1)

وقوله تعالى : ( تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسي ) (2) فيه: عبد الله قال النبي - عليه السلام - : "ما من أحد آخر من الله، ومن [ آجل] (3) ذلك حرم الفواحش، وما أحد أحب إليه المدح من الله."

وفيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام - : "لمًا خلق الله الخلق كتب في كتابه - هو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش - : إن رحمتي تغلب غضبي."

فيه: أبو هريرة قال - عليه السلام - : "يقول الله - تعالى - : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، فإن ذكرني في ملا ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشير تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باععاً، ومن أتاني يشي أيته هرولة."

قوله : ( ويحذركم الله نفسه ) (1)، وقوله : ( ولا أعلم ما في نفسي ) (2) وما ذكر في [ الأحاديث ] (4) من ذكر النفس، فالمراد به إثبات نفس لله، والنفس لفظة تحتل معان، والمراد بنفسه تعالى ذاته، نفسه ليس بأمر يزيد [ عليه ] (5)، فوجب أن تكون نفسه

هي هو، وهذا إجماع، ولنفس وجه آخر لا حاجة بهنا إلى ذكرها;
إذ الغرض من الترجمة خلاف ذلك.
أما قوله ﴿ما أحد أكبر من الله﴾ فليس هذا موضوع الكلام في، وسياطي.
وأما قوله: «وضع عنده» فعند في ظاهر اللغة تقتضي أنها للموضع، والله يталع عن الحلوى في المواضع، لأن ذلك من صفات الأجسام إذ الحال في موضوع لا يكون بالحلوى فيه الأولى منه بالحلوى في غيره إلا أمر يخصه حلوه فيه، والحوال في عرض من الأعراض يفني [بمجيء حلوه آخر] يحل به في غير ذلك المكان.
والحلوى محدث والحوارد لا تتيقنه تعالى، لدلائلها على حدث من قامت به فوجب صرف «عند» عن ظاهرها إلى ما يليق به تعالى، وهو أنه أراد عليه السلام - إثبات علمه بإثابة من سبق علمه أنه عامل بطاعته، وعاقب من سبق علمه بأنه عامل بمعصيته.
وأما قوله: «لغير المكان كقوله عليه السلام: أنت عند ظن عبدي بي» ولا مكان هناك.
وأما قوله: «إن رحمني تغلب غضبي» فقد تقدم أن رحمنه تعالى إرادته لإثابة المطيعين له وغضبه إرادته لعقاب العنازين له، وإذا كان ذلك كذلك كان [معنى] قوله: (۱) إن رحمني تغلب غضبي إنه إرادتي ثواب العاديين لي هي إرادتي ألا أغتبطهم، وهو معنى قوله تعالى: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» فإرادته بهم اليسر هي إرادته ألا يريد بهم العسر، وما كان ما أراد من ذلك بهم، ولم يكن ما لم يرده فعفر عليه السلام عن هذا المعنى بقوله: «إن رحتمي تغلب».

(۱) في الأصل: حلوه آخر يجيء. والمثبت من له.
(۲) في الأصل: يعني . (۳) البقرة: ۱۸۵.

۴۲۸
والضعف من الكرامة والثواب بالذراع، فجعل ذلك دليلاً على مبلغ كرامة لن آكرم على طاعته أن ثواب عمله له على عمله الضعف.
وأن إكرامه عليه مجاوز حدٍّ إلى ما بينه عز وجل.
فإن قيل: فما معنى قوله: "إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي؟"
قيل: معنى ذلك: وإذا ذكرني بقلب مخفى ذلك عن خلقى ذكرته برحمتي وثوابي مخفى ذلك عن خلقى حتى لا يطلع عليه أحد منهم.
وإذا ذكرني في ملا من عبادي، ذكرته في ملا من خلقى أكثر منهم وأطب ب.
قال الطبري: فإن قيل: أي الذکرين أعظم ثوابًا الذکر الذي هو بالقلب، أو الذکر الذي هو باللسان؟
قيل: قد اختلف السلف في ذلك، فروى عن عائشة أنها قالت: لأن أذكر الله في نفسي أحب إلي أن أذكره بلساني سبعين مرة، وقال آخرون: ذكر الله باللسان أفضل، روى عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال: ماء قلب الرجل يذكر الله - تعالى - فهو في صلاة، وإن كان في السوق، وإن تحرك بذلك اللسان والشفتان فهو أعظم.
قال الطبري: والإصواب عندي أن إخفاء النواقل أفضل من ظهورها لمن لم يكن إمامًا يقتدى به، وإن كان في محفل اجتمع أهله لغير ذكر الله أو في سوق وذلك أنه أسلم له من الرياء، وقد رويت من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي - عليه السلام - أنه قال: "خير الرزق ما يكفي، وخير الذكر الخففي" [ولن] (1) كان بالحلاة أن يذكر الله بقلب ولاسانه، لأن شغل جارحتين بما يرضي الله - تعالى - أفضل من شغل.

(1) في الأصل: ومن، والملحية من هـ.
baar "الله تعالى": "كل شيء هلالاً إلا وجهه" (1)

في حابر: "لم نزلت أنا النبي: "قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من نفوقكم" (2) قال: على السلام: "أعود بوجهك
أو من تحت أرجلك" (3) قال: على السلام: "أعود بوجهك قال:
أو يلبسكم شيء" (4) قال النبي: على السلام: "هذا أبيض".

[استدلاله] (3) من هذه الآية والحديث على أن الله تعالى-
وجهًا هو صفة ذاته لا يقال: هو هو، ولا هو غيره بخلاف قول
المعتزلة، ومحال أن يقال: هو جارحة كالذي نعلمه من الوجه
كما لا يقال: هو تعالى فاعل وحي وعالم، كالفاعلين والأحياء
والعلماء الذين نشاهدهم، وإذا استحال قياسه على المشاهدين
[الحكم] (4) له بحكمهم مع مشاركتهم له في التسمية كذلك يستحيل
الحكم لوجهه الذي هو صفة ذاته بحكم الوجود التي نشاهدها، وإذا
لم يجز أن يقال: إن وجهه جارحة لاستحالة وصفه بالجوارح لما فيها من
أثر الصنعة، ولم يقل في وجهه أنه هو لاستحالة كونه تعالى وجهًا،
وقد أجمعت الأمة على أنه لا يقال: يا وجه، يا سورة، ولم يجز أن
يكون وجهه غيره؛ لاستحالة [مفارقتها] (5) له بزمان أو مكان أو عدم
أو وجود، فثبت أن له وجهًا لا كالوجهه؛ لأنه ليس كمثله شيء.

(1) القصص : 88 . (2) الإعصار : 25 .
(3) في "الأصل : استدلالاً . والثبت من "هـ".
(4) في "الأصل : الحكم . والثبت من "هـ".
(5) في "الأصل : مفارقة . والثبت من "هـ".
باب قوله تعالى: {ولتصنع على عيني} (1)

يعني: تذذى. وقوله تعالى: {تحري بأعيننا} (2)

فيه: ابن عمر: {ذكر الدجال عند النبي - عليه السلام - فقال: إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور - وأشار بيده إلى عينه - وإن المسيح الدجال أعور عين اليمني}. (3)

وفيه: ناس: قال النبي - عليه السلام -: {ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكاذب، إنه أعور وإن ربك ليس بأعور، مكتوب بين عينيه: كافر}. (4)

[استدلاله] (3) من هذه الآية والحديث على أن الله صفة سماها عيّنا ليست هو ولا غيره، وليس كالأجسام المادية [بينتاه] (4); لقيام الدليل على استحالة وصفه بأنه ذو جوارح وأعضاء. خلافاً لما تقوله المجسمة من أنه [جسم] (5) لا كالاجسام، واستدلالوا على ذلك بهذه الآيات كما استدلالوا بالآيات المتضمنة لمعنى الوجه واليدين، ووصفه لنفسه بالإثيوبي والمجري والهرولة في حديث الرسول، وذلك كله باطل وكفر من متناوله؛ لقيام الدليل على تساو الأجسام في دلائل الحدث القائمة بها واستحالة كونه من جنس المحدثات، إذ المحدث إذا كان محدثًا من حيث هو متعلق بحدث أخذته، وجعله بالوجود أولى منه بالعدم.

فإن قالتوا: الدليل على صحة ما نذهب إليه من أنه تعالى جسم قوله عليه السلام: {إن الله ليس بأعور - وأشاره إلى عينيه بيده - وإن المسيح الدجال أعور عين اليمني} ففي إشارة إلى عينيه بيده تنبه منه على أن عينه كسائر الأعين. (6)

(1) طه: 39. (2) القمر: 14.
(3) في الأصل: {استدلالا}. والثبت من {ه}. (4) في الأصل: جسمًا. والثبت من {ه}. (5) في الأصل: {جسم}. والثبت من {ه}. (6) ميرا 432.
قلنا : تقدم في دليلنا استحالة كونه جسماً لاستحالة كونه محدثًا، وإذا صح ذلك وجب صرف قوله عليه السلام وإشارته إلى عينه إلى معنى يليق به تعالى وهو نفي النقائص والعور عنه ، وأنه ليس كمن لا يرى ولا يبصر ، بل هو منطف عنه جميع النقائص والآفات التي هي أضراد السمع والبصر وسائر صفات ذاته التي يستجلي وصفه بأضدادها ; إذ الموصوف بها تارة وأضدادها أخرى محدث مربوب ، لدلالة قيام الحوادث به على [ محدث ] [ ]

* * *

باب : قوله تعالى : ( هو الله الخالق الباريّ المصير ) [ ]

فيه : أبو سعيد : ( أنهم أصابوا سبايا في غزوة بحي المصطلح ، فأرادوا أن يستمتعوا بهن ولا يحملن ، فسألوا النبي - عليه السلام - عن العزل . فقال : ما عليهكم ألا تفعلوا ؟ فإن الله قد كتب من هو خالق إلى يوم القيامة و قال أبو سعيد مرة عن النبي - عليه السلام - : ( ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها ) .

الكلام في معنى قوله تعالى : ( الخالق ) من وجهين : أحدهما أن يكون بمعنى المبادع والمشتري لأعيان المخلوقات ، وهذا معنى لا يشاركه فيه أحد من خلقه ، ولم يزل الله مسيماً لنفسه خالقاً ورآزاً على معنى أنه سيخلق وسيسرق ، لا على معنى أنه خلق الخلق في أزه لاستحالة قدم الخلق .

والثاني : أن يكون الخلق بمعنى التصوير ، وهذا أمر يصح مشاركة الخلق فيه له ، فالخلق المذكور في هذا الباب بمعنى الإبداع والاختراع

(1) في الأصل : حديثه والثبت من هم
(2) الحشر : 24

- 433 -
لاعيان السماوات والأرض، والخلق بمعنى التصور في قوله تعالى:

وإذ خلق من الطين كهيئة الطير (1) أي: تصور لا تخرج. ونعته
قول الشاعر:

ولانت تفهري ما خلقتي وبعض القيم يخلق ثم لا يفري

bab: قوله تعالى (لما خلقت بدي) (2)

فيه: أنس: قال علي بن السلام: "يجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون:
لو استفشعنا إلى ربي حتى يريبحنا من مكاننا هذا. فأتيت آدم فيقولون:
يا آدم، أما ترى الناس؟ خلق الله بيدته، وآسخ لك ملائكته،
وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى [ربنا] (3) حتى يريبحنا من
مكاننا هذا. فيقول: تست هناك – وذكر لهم خطيته التي أصاب-
ولكن ائتوا نحوا فإنك أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فأتيت نوحًا
فيقول: تست هناك – وذكر خطيته التي أصاب - ولكن ائتوا إبراهيم
خليل الرحمن. فأتيت إبراهيم، فيقول: تست هناك – ويذكر لهم
خطاباه التي أصابها - ولكن ائتوا موسى عبده آنئه الله التوراة وكلمه
تكليمةً. فأتيت موسى فيقول: تست هناك - ويذكر لهم خطيته التي
أصاب - ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمه وروحه فأتيت
عيسى فيقول: لست هناك (4) ولكن ائتوا محمدًا [عبدًا] (5) غفر
الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر [فياتون] (6) فانطلق فاستأذن على
رب، وؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيฤดني ما شاء

(1) المرجول: 110. (2) سورة ص: 75.
(3) في الأصل: ربك، والمثبت من "هـ، ن.
(4) من "هـ، ن.
(5) في الأصل: عبد الله، والمثبت من "هـ، ن.
(6) في الأصل: فياتون، والمثبت من "هـ، ن.
الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل تسمع، وسل تعده، وافشع تشفع. فأحمدبه بمحامد علمنيها ربي، ثم أشفع فيها لي حذًا فدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، وقل تسمع، وسل تعده، وافشع تشفع. فأحمد ربي بمحامد علمنيها [ربي، ثم أشفع] (1) في حذًا فدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، وقل تسمع، وسل تعده، وافشع تشفع. فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيها لي حذًا فدخلهم الجنة (2) ثم أرجع فقول: يا رب ما بقي في النار إلا من جسده القرآن ووجد عليه الخلدود. قال عليه السلام: [يخرج] (3) من النار من قال: لا إله إلا الله. وكان [في قلبه] (3) من الحب ما يزن غزارة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وكان في قلبه من الحب ما يزن عين، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وكان في قلبه من الحب ما يزن عين.

وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: "يد الله ملأى لا يغيبها نفقة سحاء الليل والنهار. وقال: أرأيت ما أتفوق من خلق السماء والأرض، فإنه لا يضف ما في يده، وقال: عرشه على الماء ويهده الأخرى الميزان يخفض ويرفع".

وفيه: ابن عمر: قال النبي - عليه السلام -: "إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماوات بيبته، ثم يقول: أنا الملك".

وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: "يقبض الله الأرض".

(1) من "لا إله إلا الله، وحده خالق万象 لا إله إلا هو محمد رسوله".
(2) في "الأصل"، فخروج، والمثبت من "لا إله إلا الله".
(3) في "الأصل"، فيه، والمثبت من "لا إله إلا الله".
وفيه: عبد الله: "أن يهودية جاء إلى النبي - عليه السلام - فقال: يا محمد، إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلالق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك. فضحك رسول الله، حتى بدأ نواحذه، ثم قرأ: " وأما قدروا اله. فضحك النبي، تعالى، تعبجًا وتصديقًا لـ".

استدلاله من قوله تعالى: "ما خلقتي بدي" (2) وسائر أحاديث الباب على إثبات يدين [ الله ] (3) هما صفات من صفات ذاته ليستا بجارحتين بخلاف قول المجتمعة المثبتة أنهما [ جارحتان ] (4) وخلاف قول القدرة [ النفاة ] (5) لصفات ذاته، ثم إذا لم يجز أن يقال: إنهما جارحتان لم يجز أن يقال: إنهما قدرتان، ولا إنهما نعمتان؛ لأنهما لم كنا قدرتين لفسد ذلك من وجهين: أحدهما: أن الأمة أجمعت من بين ناف لصفات ذاته، وبين مثبت لها أن الله - تعالى - ليس له قدرتان بل له قدرة واحدة في قول المثبتة، ولا قدرة له في قول النافئة لصفاته؛ لأنهم يعتقدون كونه قادرًا لنفسه لا بقدرة والوجه الآخر أن الله - تعالى - تعالى - قال لابليس: "ما منعك أن تسجد لما خلقتي بدي استكبرت أم كنت من العالين؟" (2) قال إيليس مجيبًا له: أنا خير منه. فأخير بالعيلة التي من أجلها لم يسجد، وأخيره تعالى بالعيلة التي لها أوجب عليه السجود. وهو أن خلقه بديده، فلما كانت اليد القادر التي خلق آدم بها وبها خلق إيليس لم يكن لاحتجاجه

(1) الآمن: 91. (2) سورة ص: 75.
(3) في "الأصل، هـ": الله. والثبوت أبلى للسباق.
(4) في "الأصل": جارحتين. والثبت من "هـ".
(5) من "هـ", وفي "الأصل" غير واضحة.
 تعالى عليه بأن خلقه ما يوجب عليه السجود معيًّ ؛ إذ إيليس مشارك لآدم فيما خلقه به تعالى من قدرته ، ولم يعجز إيليس بأن يقول له : أي رب ، وأي نسله له عليّ وأنا خلقتي بقدرتك كما خلقته ؛ ولم يعدل إيليس عن هذا الجواب إلى أن يقول : أنا خير منه ؛ لأنه خلقه من نار وخلق آدم من طين ، فعدل } [11} إيليس عن هذا الاحتجاج مع وضوحه دليل على أن آدم خصه الله - تعالى - من خلقه بيديه بما لم يختص به إيليس .

وكيف يسوع للقدرة القول بأن اليد هنا القدرة مع نفيهم للقدرة ؟ وظاهر الآية مع هذا يقتضي يدين، في ينبغي على الظاهر إثبات قدرتتين، وذلك خلاف [للامة. و ] [20] لا يجوز أن يكون المراد باليدتين نعمتين لا استحالة خلق المخلوق بمخلوق مثله ؛ لأن النعم مخلوقة كلها وإذا استحال كونهما جارتين ، وكونهما نعمتين ، وكهنوحما قدرتين ثبت أنهما يدان صفتان لا كالآيدي والجوارح المعروفة عندنا ، اختص آدم بأن خلقه بهما من بين سائر خلقه تكريما له وتشريعا .

وفي هذا الحديث دليل على إثبات شفاعة النبي - عليه السلام - لأهل الكبائر من أمه خلافا لقول من أنكرها من المتزلجة والقدرة والخوارج ، وهذا الحديث في غاية الصحة والقوة تلقاء المسلمين بالقبول إلى أن حدث أهل الع난 والرود لسنن الرسول ، وفي كتاب الله تعالى - ما يدل على صحة الشفاعة قوله تعالى إلخيارًا عن الكفار ؛ إذ قيل لهم : ما سلككم في سفر قالوا / لم ننك من المصلين ولم ننك نطعم المسكن وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نذك زيم الدن حتى أثنا الأيقين (2) فأخبروا عن أنفسهم بالعمل التي من أجلها سلكوا في سفر ، ثم قال تعالى ] [4] : فما تنفعهم شفاعة الأشاغين (5)

[1] ٣٦٨٥/١٣-١٩٠ -[

(1) في الأصل : عدل . والمثبت من "هَ".
(2) في الأصل : إمامة . والمثبت من "هَ".
(3) المذكر : ٤٢ - ٤٧.
(4) في الأصل : عالمين . وهذا خطأ.
(5) المذكر : ٤٨. 

-٤٣٧ -
زوً لائمائهم من الكافرين ورغبًا للمؤمنين في الإيمان لتحصل لهم
بِه شفاعة الشافعين، وهذا دليل قاطع على ثبوت الشفاعة.
فإن عارض الشفاعة معارض بقوله عليه السلام: "من قتل نفسه
بحديدة عذب بها في نار جهنم خالدة، ومن تخسي سما . . ." الحديث.
قيل له: مكن الجمع بين هذا الحديث، وحديث الشفاعة بوجوه
صحاح: فيجوز أن يكون [ فيمن ] (١) قتل نفسه [ و ] (٢) أنف الله
عليه الوعيد بأن خلده في النار مدة أكثر من مدة من خرج بالشفاعة,
ثم خرج من النار بعد ذلك مدة بشفاعة النبي - عليه السلام - بما في
قبله من الأئمة المنافق للكافر، لأن الخلود الأبدى الدائم إذا يكون في
الكافار [ الجاهدين ] (٣) وما جاء في كتاب الله من ذكر الخلود
للمؤمنين كقوله تعالى: « ومن يقتل مؤمنًا ممتدًا فجزاؤه جهنم خالدة
فيها » (٤) فإنما يراد [ بالتقليد ] (٥) تطويل المدة عليه في العذاب ولا
يقتضي التأбир كما يقتضي خلود الكافرين، ويعتبر أن يكون تأويل
الحديث من قتل نفسه على وجه الاستحلال والردة فجزاؤه ما ذكر في
الحديث؛ لأن فعل ذلك كافر لا محالة، ويشهد لهذا ما قاله قبصة
في البخاري في تأويل قوله عليه السلام: « فسجحًا سحقوًا ». قال:
هو في المرتدين. وقد سلمت طائفة من المتزلة شفاعة الرسول على
وجه دون وجه لما لم يكنها رد الأحاديث الوازمة فيها لانتشارها وقبول
الامة لها وشهادة ظواهر كتاب الله لها، فقالوا: تجوز شفاعة عليه
السلام للتأثين من الكبار، ومن أي صغيرة مع اجتناب الكبار أو

(١) في الأصل: قبل. والثبت من هـ . (٢) من هـ .
(٣) في الأصل: الخالدين. والثبت من هـ . (٤) النساء : ٩٣.
(٥) في الأصل: بالخلود. والثبت من هـ .
مؤمن لا ذنب له (لتباب) (1) ، وهذا كله فاسد على أصولهم لاعتقادهم أن الله يستحيل منه تعذيب النائب من كبرته [ أو ] (2) فاعل الصغائر إذا اجتبى الكبائر ، أو تأخير [ ما ] (3) استحق الذي لا ذنب له من التواب ؛ لأنه لو عذب من ذكرنا وأخر ثواب الآخر ولم يوف التائب والمجتيب للكبائر مع فعله الصغائر ثوابه على أعماله ، لكان ذلك خارجًا عن الحكمة وظامًا ، وذلك من صفات المخلوقين.

و [ (3) إذا كان هذا أصلهم ، فإنهم الشفاعة على هذا الوجه لا معنى له فبطل قولهم ولزمهم الشفاعة على الوجه الذي تقول به أهل السنة والجماعة ، وهذا بين الحمد لله .

وأما ذكر الأنبياء - عليهم السلام - في [حديث] (4) الشفاعة للخطاياهم ، فإن الناس اختلفوا هل يجوز وقوع الذنوب منهم ؟ فاجمعت الآية على أنهم معصومون في الرسالة ، وأنه لا تقع منهم الكبائر ، واختلفوا في جوار الصغائر عليهم فاطبقت المتزيلة والخوارج على أنه لا يجوز وقوعها منهم ، وزعموا أن الرسول لا يجوز أن تقع منهم ما ينفر الناس [عنهم] (3) وأنهم معصومون من ذلك ، وهذا باطل لقيام الدليل مع التنزيل وحديث الرسول : "أهله ليس كل ذنب كفر".


- 439 -
تعالى: وإذا بدلنا آية مكان آية [وَلله أَعْلَمُ بَمَا يَنزِلُ قَالَوا إِنَّا أُنْتُمْ مُفْتَرِرُونَ (2)] (3). فكان التبدل الذي هو النسخ سببًا للكفرهم كما كان إزالة متشابهاً سببًا للكفرهم، وقال أهل السنة: جائز وقوع الصغيرات من الأنبياء، واحتجوا بقوله تعالى مختابًا لرسوله: [لِيَغْفِرْ لِلَّهِ مَا تَقْدِمَ مِنْ ذَنْبِكُمْ وَمَا تَأَخَّرَ (3)] فأضاف إليه النبي ﷺ، وقد ذكر الله في كتابه ذنوب الأنبياء فقال تعالى: [وعصى آدم ربه فغوى (4)] وقال نوح لربه: [إِنِّي أَبْنِي مِنْ أَهْلِي (5)] فسأله أن ينجبه، وقد كان تقدم إليه تعالى فقال: [وَلَا تَخَاطَبُوا إِنَّمَا يُحِبُّ رَبُّكُمُ بَيْنَهُمْ مَغَرَّقًا (6)] وقال إبراهيم: [وَالَّذِي أَطْعِمُ أَن يَغْفِرُ لي خَطَايَايْنِ (7)] وفي كتاب الله تعالى من ذكر خطابات الأنبياء ما لا خفاء به، وقد تقدم الاحتجاج في هذه المسألة في كتاب الدعاء في باب قول النبي ﷺ: [الله يغفر لي ما قدمت وآخرك] ما لم أذكره هنا. فإن قال قائل: ما معنى قول آدم: ولكن ائتوا نوحًا ؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. وقد تقدم آدم قبله؟ فالجواب أن آدم لم يكن رسولًا؛ لأن الرسول يقتضي مرسلاً إليه في وقت الإرسال وهو أهبه إلى الأرض وليس فيها أحد. فإن قيل: لما تنازل منه ولده وجب أن يكون رسولًا إليهم؟ قيل: إما أهبه عليه السلام إلى الأرض وقد علمه الله أمر دينه وما يلزمهم من طاعة ربه فلما حدث ولده بعده حملهم على دينه، وما هو

(1) ليبس بالأسل . (2) آل عمران : 7 . (3) النحل : 110 .
(4) طه : 121 . (5) هود : 45 .
(6) هود : 37 ، المؤمنون : 27 . (7) الشعراء : 82 .
على من شريعة ربه، كما أن الواحد منا إذا ولد له ولد يحمله على سنته طريقة، ولا يستحق بذلك أن يسمى رسولاً، وإذا سمى [نوح (1)] رسولاً؛ لأنه بعث إلى قوم كفار ليدعوهم إلى الإيمان...

وأما حدث الإصبع فإنه لما لم تصح أن تكون جارحة لما قدمنا من إبطال التجميم فتأويله ما قال أبو الحسن الأشعري: من أن هذا وشيء مما أثبته الرسول بل وصفه به راجع إلى أنه صفة ذات لا يجوز تجديدها ولا تنفيها.

وقال أبو بكر بن فورك: يجوز أن يكون الإصبع خلقاً لله (خلقته) [2]

يحمله ما حملت الإصبع، ويحمل أن يكون المراد بالإصبع: القدرة والملك والسلطان علىمعنى قول القائل: ما فلان إلا بين إصبعي. إذا أراد الإخبار عن (جريان) (3) قدرته عليه فذكر [معظم] (4) المخلوقات، وآخربعدة الله على جميعها معظمه لشأن الرعب - تعالى - في قدرته وسلطته، فضحك رسول الله كما التعجب منه أنه يستعمل ذلك في قدرته، وأنه ليس في جنب ما يقدر عليه، ولذلك قرأ عليه قوله تعالى: (وأوما قدروا الله حق قدره) (5) أي: ليس قدره في القدرة على ما يخلق على الحد الذي ينتهي إليه الوهم ويحيط به الحد والخصر، لأنه تعالى يقدر على إمكاني جميع مخلوقاته على غير شيء كما هي اليوم، لقوله تعالى: (رفع السموات غير عمود ترونها) (6).

وقوله: (لا يغيضها) أي: لا ينقضها. وقال أبو زيد: غاضب

ثم السورة أي: نقص، ومنه قوله تعالى: (وغيض الماء) (7).

وقوله: سحاء، يقال: سح المطر والدموع وغيرهما سحوحًا، وسحا: انصب وسال.

* * *

باب: قول النبي عليه السلام لا أحد آخر من الله

فيه: المغيرة: قال سعد: لو رأيت رجلاً مع أمرأي [لضربته]  
بالسيف غير مصحف، بلغ ذلك الرسول فقال: تعجبون [من غيرة]  
سعد والله أنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم 
الفواحش ما ظهر منها وما ظهر، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من 
أجل ذلك ببعث المنذرين والمبشرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله 
ومن أجل ذلك وعد الجنة.

وقال عبيد الله بن عمرو، عن عبد الملك: لا شخص أغير من الله.

اختفت ألفاظ هذا الحديث فروى ابن مسعود، عن النبي - عليه وسلم -: لا أحد أغير من الله. ذكره في آخر كتاب النكاح، وفي رواية عبيد الله، ورواية ابن مسعود مبينة أن لفظ الشهير موضوع موضع أحد على أنه من باب المستوى من غير جنسه وصفته كقوله تعالى: ما لههم به من علم إلا إتباع الظن (3) وليس الظن من نوع العلم بوجه، وأجمعت الأمة على أن الله لا يجوز أن يوصف بأنه شخص; لأن التوقف لم يرد به، وقد منعت المجسمة من إطلاق الشخص عليه مع قولهم: إنه [جسم] (4). ولهدف لموضوع للإشتراك بين الله تعالى وبين خلقه، وقد نص الله على تسمية نفسه

(1) في الأصل: احترته، والثبت من هن، نه، نه.
(2) في الأصل: لفيرة، والثبت من هن، نه، نه.
(3) النساء: 157.
(4) في الأصل: سحيم، والثبت من هن.
قال: «قل هو الله أحد» وقد تقدم في كتاب النكاح في باب الغيرة، معنى الغيرة من الله أنها بمعنى: الزجر عن الفواحش والتحريم لها، ومعنى الحديث: أن الأشخاص المصدرة بالغيرة لا تبلغ غيرتها غيزة الله وإن لم يذر شخصًا.
وقوله: «لا أحد أحب إليه المدحة من الله» فألحابة من الله تعالى للمدحة: إرادته من عباده طاعته وتنزيهه والثناء عليه; ليجازيهم على ذلك.
وقوله: «لا أحد أحب إليه العذر من الله» فمعناه ما ذكر في قوله تعالى: «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات»(1)
فالعذر في هذا الحديث: التوبة والإنابة.

---

باب: قوله: «قل أي شيء أكبر / شهادة قل الله»(2)
فسمى الله نفسه شيئا، وسمى النبي عليه السلام القرآن شيئًا وهو صفة من صفات الله تعالى وقال: «كل شيء هالك إلا وجهه»(3).
قال عبد العزيز صاحب كتاب الخيدة: إما سمي الله نفسه شيئًا إثباتًا للوجود ونفيًا للعدم، وكذلك أجرى على كلامه ما أجرى على نفسه فلم يتسم [بالشيء ](4) ولم يجعل الشيء من أسمائه ، ولكنه دل على نفسه أنه شيء أكبر الأشياء، إثباتًا للوجود ونفيًا.

---

(1) الشورى : 25 . (2) الأعراف : 19 .
(3) القصص : 88 . (4) في «الأصل» بالاسم، والثبت من «هـ».
للعدم، وتكدسًا للزنادقة والدهرية ومن أنكر روبه إياه من سائر الأمم فقال لنسبه: «قل أي شيء آخر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم» (1) فدل على نفسه أنه شيء لا كالأشياء لعلمه السابق أن جهماً وشرًا [ومن وافقهما] (2) سيلدون في أسمائه ويشبهون على خلقه ويلغونه وكلاهم في الأشياء المخلوقة فقال تعالى: «ليس كمثله شيء» (3) فأخرج نفسه وكلامه وصفاته [عن] (4) الأشياء المخلوقة. بهذا الخبر تكدساً من الحد في كتابه، وشبه بخلقه.


قال غيره: وتكلم الله نفسه بشيء، يرد قول من زعم من أهل

(1) الأفعال: 19. (2) من «اله» . (3) الشارح: 11.
(4) في «الأصل»: من . والمهت من «اله».
(5) في «الأصل»: خلقه . والمهت من «اله».
(6) الأفعال: 91. (7) الأفعال: 93.
البدع أنه لا يجوز أن يسمى الله بشيء وهو قول الناشئ ونظرائه، وقولهم خلاف ما نصف الله عليه في كتابه وهو القائل: شيء إثبات موجود، ولا شيء نفي. فبان أن المعدوم ليس بشيء خلافًا لقول المعتزلة من أن المعدومات أشياء وأعيان على ما تكون عليه في الوجود، وهذا قول يقضي بقائله إلى قدم العالم ونفي الحدث والحدث ولن المعدومات إذا كانت على ما تكون عليه في الوجود أعيانًا لم تكن لقدرة الله على خلقها وحدثها تعلق، وهذا كفر عن قائل به.

* * *

باب: قوله تعالى: (وكان عرشه على الماء) (1) وهو روب العرش العظيم (2)


(1) هود: 7. (2) التوبة: 149. (3) في ه: ن، علا على العرش.
(4) من ه: ن، مكرمة بالأصل.
(5) في الأصل، لنفسه، والثبوت من ه: ن، ن.
يَكِن شَيْءٍ قَبْلَهُ وَكَانَ عَرَضَهُ عَلَى الْماَءَةَ، ثُمَّ خُلِقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ
وَكَتَبَ فِي الْذَّكَرِ كُلٌ شَيْءٍ».

وَفِيهِ: أَبُو هَرِيرةَ: قَالَ النَّبِيُّ - عَلِيـهِ السَّلَامُ - : "يَكِنُ اللَّهُ مَلَائِٰكَ".

الحَدِيثُ "وَعَرَضَهُ عَلَى الْماَءَةَ...

وَفِيهِ: أَسَّ: "جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةُ يَشْكُرُ فِي عِظَالِ النَّبِيِّ - عَلِيـهِ السَّلَامُ-
يَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ وَامْسَكَ عَلَى زُوجِكَ. وَكَانَتْ تَفَخَّرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ-
عَلِيـهِ السَّلَامُ - تَقُولُ: زُوجِكَ أَهْلِيْكَ، وَزُوجِيَ اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَعْ
سَمَوَاتٍ".

وَفِيهِ: أَبُو هَرِيرةَ: قَالَ - عَلِيـهِ السَّلَامُ - : "إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّقُ الْخَلْقَ كَتَبَ
عَنْهُ فَوْقَ عَرَشَهُ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضِيِّ".

وَفِيهِ: أَبُو هَرِيرةَ: قَالَ النَّبِيُّ - عَلِيـهِ السَّلَامُ - : "مِنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ هَاجِرًا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ الْجَلَّسِ فِي أَرْضِهِ النَّبِيِّ وَلَدَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولُ اللَّهِ،
أَفَلَا نَبْيُ النَّاسِ بِذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَاهِيّةً دَرْجَةً أَعْدَهَا اللَّهُ
لِلِّمَاجِدِينِ فِي سَبِيلِهِ كِلٌّ دَرْجَتِينَ مَا بَيْنَهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ،
فَإِذَا سَأَلَّهُمُ اللَّهُ فَسَلَّوهُ الفَرْدَوْسَ، فَإِنَّ أَوْسَطَ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ فَوْقَهُ
عَرَشُ الرَّحْمَنِ وُجِّهُ فَتَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ".

وَفِيهِ: أَبُو ذَرَّ: "دَخَلَ الْمَسْجِدُ وَالنَّبِيُّ - عَلِيـهِ السَّلَامُ - جَالَسَ فِي
غَرْبَةِ النَّشَمِ. قَالَ: يَا أَبَا ذَرُّ، هِلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهِبُ هَذِهْ؟ قَلَتِ: اللَّهُ
وَرَسُولُهُ عَلِيمٌ. قَالَ: إِنَّهَا تَذْهِبُ فَتْسَأَلُ فِي السَّجَودِ فَاوْدِنُ لَهَا،
وَكَانَتْ تُقَدِّمُ (1) لِلَا: أَرْجُعُ مِنْ حَيَّةَ جَنَّتِ، فَتَطُرُّ مِنْ مَغْرِبِهَا،
 ثُمَّ قَرَأَ: "ذَلِكَ مِسْتَمْتَرُ لَهَا" فِي قِرَاءَةِ عَبْدُ اللَّهِ

(1) فِي "الآدَّا"، وَكَانَ يَقُالُ، وَالْمُبْطَنُ مِنْ "هَ". - ٤٤٩ -
وفيه : زيد : أرسل إليّ أبو بكر فتثبت القرآن حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة - أو أبي خزيمة الأنصاري - لم أجدها مع غيره: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» (1) حتى خاتم براءة - يعني «وهو رب العرش العظيم» (2). 

وفي : ابن عباس : كان النبي - عليه السلام - يقول عند الكرب : «لا إله إلا الله العلي الخاكم، ولا إله إلا الله رب العرش العظيم» (3) لا إله إلا الله رب السموم ورب الأرض رب العرش الكريم».

وفي : أبو سعيد : عن النبي - عليه السلام - قال : «الناس يصعبون يوم القيامة فإذا أتا موسى آخذ بقائمة من قواطع العرش».

وقال [ أبو هريرة ] (4) عن النبي - عليه السلام - : فآكون أول من يبعث فإذا موسى آخذ بالعرش».

غرضه في هذا الباب إثبات حديث العرش بدليل قوله تعالى : «وهو رب العرش العظيم» (5) ودليل قوله عليه السلام : «فإذا موسى آخذ بقائمة من قواطع العرش» فوصفه تعالى بأنه مربوب كسائر المخلوقات ووصفه عليه السلام بأنه ذو أبعاد وأجزاء منها ما سمى قائمة، والمتبعض والمتجزئ لا محالة جسم، والجسم مخلوق، لقيم دلال الحدث به من التأليف خلافاً لما تقوله الفلسفنة أن العرش هو الصانع الخالق.

وأما الاستواء فاختلف الناس في معتاه : قيلت المعتزلة : إنه يعني الاستيلاء والقهار والغبطة، واحتجوا بقول الشاعر :

________________________
(1) التوبة : 148 . (2) التوبة : 129.
(3) من هٍ، ن (4) في الأصل : الزهري، والثبت من هٍ، ن.
(5) التوبة : 129، وفي الأصل : الكريم، والثبت هو الصواب.
قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

بمعنى: قهر وغلب، ثم مختلف من سوياهم في العبارة عن

الاستواء. فقال أبو العالية: استوى: ارتفع. وقال ماجاهد:

استوى: علا. وقال غيرهما: استوى: استقر. فأما قول من جعل

الاستواء بمعنى القهر والاستيلاء فقوله فاسد: لأن الله - تعالى - لم

يزل قاهرًا غالبًا مستلقيًا.

وقوله تعالى: { ثم استوى } يقتضي استفتاح هذا الوصف

واستحقاقه بعد أن لم يكن، كما أن المذكور في البيت إذا حصل له

هذا الوصف بعد أن لم يكن، وتشبههم أحد الاستواءين بالآخر غير

صحيح، ومود إلى أنه تعالى كان مغالبًا في ملكه، وهذا منتف عن

الله - تعالى - هو الغالب لجميع خلقه، وأما من قال

تأويله: استقر. فقال فاسد أيضًا؛ لأن الاستقرار من صفات

الأجسام، وأما قول من قال: تأويله: ارتفع. فقال مرغوب عنه لما

في ظاهره من إيهام الانتقال من سفلى إلى علو، وذلك لا يليق بالله;

وأما قول من قال: علا. فهو صحيح وهو مذهب أهل السنة والحق.

إذا قيل: ما ألزمت في ارتفاع مثله يلزم في علا.

قيل: الفرق بينهما أن الله وصف نفسه بالعلو بقوله: { سبحانه

وتعالى عما يشركون } (1) فوصف نفسه [بال تعالى ] (2) والتعالي من

صفات الذات، ولم يصف نفسه بالارتفاع. وقال غيره: الاستواء

ينصرف في لسان العرب ( إلى ) (3) ثلاثة أوجه: فالوجه الأول:

قوله تعالى في ركوب الأئمة: { ثم تذكروا نعمة ربكم إذا

(1) الروم : 40 . (2) في "الأصل" : العالي، والثابت من هم؟

(3) في "هم" : علا.

- 448 -
لاستواء عليه (1) فهذا الاستواء بمعنى الحول، وهو منتف عن الله - تعالى - لأن الحول يدل على التجديد والنتاحي، فبطل أن يكون حالاً على العرش لهذا الوجه.

والوجه الثاني: الاستواء بمعنى الملك للشيء والقدرة عليه كما قال بعض الأعراب، وستله عن الاستواء فقال: خضع له ما في السماوات وما في الأرض، ودان له كل شيء وذل، كما نقول للملك إذا دانت له البلاد بالطاعة: قد استوت له البلاد.

والوجه الثالث: الاستواء بمعنى التمام للشيء والفراغ منه كقوله تعالى: حتى إذا بلغ أشدها واستوى (2) فالاستواء في هذا الموضع: التمام، كقوله تعالى: الرحمن على العرش استوى (3) أراد التمام للخلق كله، وإنما قصد بذكر العرش لأنه أعظم في الأشياء، ولا يدل قوله تعالى: وكان عرشه على الماء (4) أنه حال عليه، وإنما آخر [ عن ] (5) العرش [ خاصة أنه على الماء ولم يخبر (6) عن نفسه أنه جعله للحلول، لأن هذا كان يكون حاجة منه إليه، وإنما جعله [ ليبعد ] (7) به ملاحظته فقال تعالى: الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربه (8) الآية. وكذلك تعبد الخلق بحجب بيته الحرام ولم يسمه بيته، بمعنى أنه سكنه وإما سماه بيته بأنه الخلق له والمالك، وكذلك العرش سماه عرشه؛ لأنه ملكه والله - تعالى- ليس لأولئك حد ولا متيه، وقد كان في أزليته وحده ولا عرش معه سبحانه وتعالى، ثم اختلف أهل السنة: هل الاستواء صفة


449
ذات أو صفقة فعل؟ فمن قال هو بمعنى علا جعله صفة ذات، وإن الله - تعالى - لم يزل مستويًا بمعنى أنه لم يزل غالبًا. ومن قال: إنه صفة فعل قال: إن الله - تعالى - فعل فعلًا مما سماه استوأ على عرشه لا أن ذلك الفعل قائم بذاته تعالى لإستحالة قيام الحوادث به.

وأما قول بني قيم للنبي - عليه السلام - : يشرتنا فأعلنا [إفإنا] (1) قالوه جريًا على عادتهم في أن البشرى إذا كانت تستعمل في فوائد الدنيا (2).

قال المهلم: وفي حدث عمران أن السؤال عن مبادئ الأشياء والبحث عنها جائز في الشريعة وجائز للعالم أن يجيب السائل عنها بما انتهى إليه علمه فيها إذا كان تبناها [للإيمان] (3) وأما إن خشي من السائل إيهام شك أو تقصير فهمهم، فلا يجب فيه ولئنه عن ذلك ويزوجه.


(1) في [الأصل] : فإنه.
(2) في [الأصل] : الشيء.
(3) في [الأصل] : للإيمان، والثبت من [ه].
(4) في [الأصل] : يقت، والثبت من [ه].

- 450 -
وأما قوله: "إن حقًا على الله أن يدخله الجنة" ففيه تعلق للمعتزلة والقدرية القائنين بأن واجب عليه الوفاء لحدهم الطائع بأجر عمله، وأنه لو اخرج عنه في الآخرة كان ظلًا له. هذا متقرر عنهم في العقول، قالوا: وجاءت السنة بتأكيد ما في العقول من ذلك. وقولهم فاسد، ومذهب أهل السنة أن الله تعالى - أن يعذب الطائفين من عباده وينعم على الكافرين، غير أن الله تعالى - أخبرنا في كتابه وعلى لسان رسوله أنه لا يعذب إلا من كفر به، ومن وافاه بكبيرة من شاء الله تعنيه عليها.

فمعنى قوله عليه السلام: "إن حقًا على الله أن يدخله الجنة". ليس على أن يعني ذلك واجب عليه؛ لأن واجبًا يقتضي موجبًا له عليه والله تعالى - ليس فوقه أمر ولا ناه يوجب عليه ما يلزمه المطالبية به، وإنما معناه: إجاز ما وعد به من فعل ما ذكر في الحديث؛ لأن وعده تعالى عبده على فعل تقدم إعلانه قبل فعله، وعده خبر ولا يصح منه تعالى إخلاء عبده ما وعده لقيام الدليل على أن الصداق من صفاته ذاته، فعبر عليه السلام في هذا المعنى بقوله: "إن حقًا على الله أن يدخله الجنة" بمعنى: أنه يستحيل عليه إخلاء ما وعد عبده على عمله.

وأما استثناهما الشمس في السجود، فالاستثنايان قول للها، والله على كل شيء قدير، فيمكن أن يخلق الله فيها حياة توجد القول عندها فقبل الآخر والنهي؛ لأن الله قادر على إحياء الجماد والموت، وأعلم عليه السلام أن طلوعها من مغربها شرط من أشراط الساعة.

* * * * 401 -
باب قوله تعالى: "تخرج الملائكة والروح إليه" (1)
وقوله: "إليه يصعد الكلام الطيب" (2)
قال ابن عباس: بلغ أبا ذر مبعث النبي عليه السلام فقال لأخيه:
اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء. وقال:
مما يخدع: العمل الصالح برفع الكلام الطيب [يقال] [3]: لنا معارج:
الملائكة تخرج إليه.
فيم: أبو هريرة: أن النبي - عليه السلام - قال: "يتلاقون [فيكم
ملائكة] (4) بالليل وملائكة بالنها، ويجمعون في صالة العصر وصلاة
الفجر، ثم يخرج نذين بنوا فيكم [يسألهم] (5) وهو أعلم بهم:
كيف تركتم عبادي؟ يقولون: تركناهم [وهيم] (6) يصلون وأذنابهم
ومهم يصلون.
وفيهم: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: "من تصدق بعد عتة
من كسب طيب ولا يصعد إليه إلا الطيب..." الحديث.
وفيهم: ابن عباس: "أن النبي - عليه السلام - كان يدعو بهن عند
الكرب: لا إله إلا الله العليم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم
لا إله إلا الله رب السماوات ورب العرش الكريم."
وفيهم: أبو سعيد: "بعث علي إلى النبي من اليمن بذهبية في تربيتها،
فقسمها بين أربعة، فغصب قرش والأنصار وقالوا: يعطي صناديد
أهل فهد ويدعنا. قال: إنما أطلقهم. فأتي رجل غائر العينين، نايت
الجبين، كث اللمحة، مشرف الوجنتين، محلوق الرأس، فقال: يا
محمد، اتق الله. قال له: فمن [يطبع] (1) الله إذا أنا عصيته؟ يا أمتني
على أهل الأرض ولا تأمنونى..." الحديث.

(1) المعارج: 4، 21، 20، 1.
(2) في الأصل "قاله ن. "، "المثب من "، " ن. ".
(3) في "الأصل: "الملاك" فيكم، "لمباث من "، " ن. ".
(4) من "، " ن. "، " في "الأصل: "يطع، " ، "المثب من "، " ن. ".
وفيه: أبو ذر: "سألت النبي - عليه السلام - عن قوله تعالى:
والمشمس تجري مستقر لها (1) قال: مستقرها تحت العرش.

"فزأ ظاهر في هذا الباب رد شبهة الجهمية المحسوب في تعلقه بظاهر قول]: "ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه" (2) وقوله: "إليه يصعد الكلم الطيب" (3) وما تضمته أحاديث الباب من هذا المعنى.

وقد تقدم الكلام في الرد عليهم وهو أن الدلائل الواضحة قد قامت على أن الباري - تعالى - ليس بجسم ولا محتجزا إلى مكان يحله ويستقر فيه ؛ لأنه - تعالى - قد كان ولا مكان وهو على ما كان، ثم خلق المكان فمحال كونه غنيا عن المكان قبل خلقه إياه ؛ ثم يحتاج إليه بعد خلقه له هذا مستحيل ؛ فلا ] (4) حجة لهم في قوله: "ذي المعارج" (2) لأنما إذا أضاف المعارج إليه إضافة فعل ، وقد كان ولا فعل له موجود ، وقد قال ابن عباس في قوله: "ذي المعارج" (2).

هوي بمعنى: العلو والرفعة ، وكذلك لا شبهة لهم في قوله - تعالى -: "إليه يصعد الكلم الطيب" (3) لأن صعود الكلم إلى الله - تعالى - لا يقتضي كونه في جهة العلو لأن الباري - تعالى - لا تحوي جهة ؛ إذ كان موجودًا ولا جهة ، وإذا صح ذلك وجب صرف هذا عن ظاهره وإجراءه على المجاز ؛ لبطلان إجرائه على الحقيقة ؛ فوجب أن يكون تأويل قوله: "ذي المعارج" (2) [رهفة] (5) اعتلاوً على خلقه وتزبيه عن الكون في جهة ؛ لأن في ذلك ما يوجب كونه جسمًا تعالى الله عن ذلك ؛ أما وصف الكلام بالصعود إليه فمجزأ أيضًا وإتاسع ؛ لأن الكلم عرض والعرض لا يصح أن يفعل ؛ لأن من

(1) بإسناد: 39. (2) في "المعارج": 3، 4، 10. (3) فاطر: "في "الأصل": 10، 11. (4) "في "الأصل": "بلي"، بالمثبت من "ه". (5) "في "الأصل": "رفعه"، بالمثبت من "ه".
الشرط الفاعل كونه حيًا قادرًا عالماً مريداً، فوجب صرف الصعود المضاف إلى الكلام إلى الملائكة الصاعدين به.

باب: قوله تعالى: {وجهه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (1)


(1) القيادة: 22 - 23
(2) من هـ، ن.
كلاً كلاً مثل شوك السعدان، هل رأيت السعدان? قالوا: نعم يا رسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان غير [انظر: (1)] لا يعلم قد عظمها إلا الله / تخفف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن يقي بعمله أو الموت بعمله [ومنهم المخلق والمجزاء وحنوه، ثم ينجل حتى إذا فرغ الله] (2) من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمة من أراد من أهل النار أمر اللائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا من أراد أن يرحمه من يشهد أن لا إله إلا الله، فعرضونهم في النار بأثر السحود، وتأكل النار ابن آدم إلا أثر السحود حرم الله على النار [انظر: (3)] تأكل أثر السحود، يخرجون من النار قد امتحنوا، ينصب عليهم ماء الحياة فيبتون تحت كما تنبت الحبة في حمالة السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويجي رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخلوا الجنة، يقول: أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنك قد قشيتي ربحها وأحرقي ذاكها. فيدعوا الله بما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله: هل عسيت إن أعطيت ذلك ذاك أن تسألني غيره؟ يقول: لا وعزت لا أسألك غيره. ويعطي راهب من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورأها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب [قراني] (4) إلى باب الجنة. يقول الله له: أنت قد أعطيت عهودك ومواثيقك ألا تسألني غير الذي أعطيت أبداً، ويلك يا ابن آدم ما أهدرك. يقول: أي رب. يدعو الله حتى يقول: هل عسيت إن أعطيت ذلك ذاك أن تسأل غيره؟ يقول: لا وعزت لا أسألك غيره. فيعطي ما شاء الله من عهود ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام إلى باب الجنة

(1) في الأصل: أنتها، والبحث من ٦٨.  
(2) يبيض بالأصل. والبحث من ٦٨. وفي: ٦٨ أو المجاز أو نحوه.  
(3) من ٦٨.  
(4) في ٦٨، ن: قدمني.


وفيه: عدي بن حاتم: قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه".

وفيه: أبو سعيد: مثل حديث أبي هريرة الطويل إلى قوله: "فذهب أصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فأجر وغيرات من أهل الكتاب، ثم يأتي بجهنم تعرض كأنها

(1) في هـ، نـ: دخلها.

(1) من <هم> .
(2) من <هم>.
(3) ك <الأصل> : ملفحة. والثابت من <هم>.
(4) في <الأصل> : خروا. والمجت من <هم>.
(5) في <هم> . صورهم.
غاَبِ فِي النَّارِ إِلَى قَدِمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِهِ، فِي خَرَجُوَانِ مِنْ عَرَفَوْا، ثُمَّ يَعْوَدُونَ، فَيَقُولُ: أَذْهَبُوا فَنُمُ وَجَدْتُمُ فِي قَلَبِهِ مَثَلًا نَصْفٍ دِينَارٍ مِنْ إِبَانْ فَأَخْرِجُوهُ. فِي خَرَجُوَانِ مِنْ عَرَفَوْا، يَعْوَدُونَ، فَيَقُولُ: أَذْهَبُوا فَنُمُ وَجَدْتُمُ فِي قَلَبِهِ مَثَلًا دِينَارٍ مِنْ إِبَانْ فَأَخْرِجُوهُ، فِي خَرَجُوَانِ مِنْ عَرَفَوْا- وَقَالَ أَبُو سَعَدٍ - فَإِذَا لَمْ تَصَدَّقُوْنَ فَأَقْرَأُوا: "إِنَّ اللَّهِ لَا يَظْلِمُ مَثَلًا دِينَارٍ. وَإِنَّكَ حَسَنَةٌ يَضَاعِفُهَا" (١) فَيَشْفَعُ النِّبِيُّونَ وَالملائكةُ وَالمؤمنون، يَقُولُ، الجَبَّارُ عَزُ وْجَلُ. : قَدْ بَقيَ شَفَاعَتِي، فِي قَبْضَةٍ مِنْ النَّارِ، فِي خَرَجُ أَقوامٍ قَدْ امْتَحَشُوا، فِي لقَوْنِ فِي نَهَرٍ بَأَفْوَاءِ الجَنَّةِ يَقُولُ لَهُ مَا يَهَادِرٌ، فِي نَتْبِتِ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السِّبَلِ يَكُونُ هُمُ الْأَرْضِمُ رَأَيْتُهُمَا إِلَى جَانِبِ الصَّخَرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الْشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرُ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الْظَّلِّ كَانَ أَبْيَضُ، فِي خَرَجُوَانِ كَأَنَّهُمُ اللْلَوْئِيَّةٌ فَيَجُلُ فِي [رَقَابِهِمْ] (٢) الْخَوَايِمُ فِي خَرَجُوَانِ الجَنَّةِ، يَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هُؤُلَاءِ عَتَّاقُ الرَّحْمُنِ، [اَدْخَلُوهُمْ] (٣) الْجَنَّةُ بِغُرُبٍ عَمَلِهِمْ وَلَا خِيرٍ قَدْمُهُ. يَقُولُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُ وَمَثِيلُ مَعِهِ. وَفِيهِ: أَنَّسُ: قَالَ النَّبِيُّ - عَلِيَّالسَّلاَمُ - : [ يَحَشُّرُ النَّاسِ] (٤) يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَهْمَوْا بِذَلِكَ يَقُولُوْنَ: لَوْ أَسْتَفْتَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَرِيْحِنا مِنْ مَكَانٍ فِي آنِئَكَانِ آذِنُمُّ.. فَذَكَّرْ حَدِيثَ الْشِفَاعَةِ، فِي أَنْوَاتِي مُقَدِّمُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذِنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وُقِيتُ سَاجِدًا...» الْحَدِيثُ، فَأَشْفَعُ فِي دِينِي حَيَّاً، فَأَخْرِجُوهُمْ، فَأَدْخَلُوهُمْ الجَنَّةَ فَلاَ يَبْقِيْنَ فِي النَّارِ إِلَّا مِنْ قَدْ حَبِسَهُ الْقُرْآنَ - [أَيِّ] (٥) وَجِبَ عَلَى الْخَلْوَةِ - ثُمَّ تَلاَ:}

(١) النَّاسُ: ٤٠٠ . (٢) غَيْرُ مَقْرُوْرِيَّةٌ فِي الأَصْلِ، وَالْمِثْلُ مِنْهُ. (٣) فِي الأَصْلِ: أَدْخَلُوهُمْ، وَالْمِثْلُ مِنْهُ، نَ. (٤) فِي «نِ»: يَحَشُّرُ الْمُؤْمِنِينَ. (٥) فِي الأَصْلِ: أَيِّ. وَالْمِثْلُ مِنْهُ، نَ.}

٤٥٨
(1) قال: وهذا القام المحمود الذي توعده نبيكم.
وفيه: أنس: "أن النبي - عليه السلام - أرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة وقال لهم: أصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإني على الخوض".
وفيه: أبو موسى: قال النبي - عليه السلام - "جتتان من فضة آتينهما وما فيها، وجتتان من ذهب كذلك، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ريهما إلا رداء الكبراء على وجهه في جنة عدن".
وفيه: ابن مسعود: قال النبي - عليه السلام - "من اقتصط مال امرئ مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه غضبان، ثم قرأ النبي - عليه السلام - مصداقه في كتاب الله: "إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ الْأَيَاَةِ".
وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام - "ثلاثة لا يكلمهما الله ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقطع بها مال امرئ مسلم، ورجل منع فضل ماء، فقول الله: اليومن أمنعك [فضلي]" كما ما منعت فضل ما لم تعمل يداك".
وفيه: أبو بكر: قال النبي - عليه السلام - "إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض ..." الحديث "وستلقوه ربك فيسألكم عن (أعمالكم)".

(1) الإسراء : 76 .
(2) آل عمران : 77.
(3) في "الأصل" : فضل ماتي، والثبت من "هد« ، ن ».
(4) في "الأصل" : إياناكم، والثبت من "هد« ، ن ».

فعداه بنفسه لم يكن يعني ينتظرون. قال الشاعر:
فإن كـ ما إن تنظران ساعة من النهار تنفعني أرى أم جندب

 يعني: تنتظرني.

والوجه الثاني: أن حمله على [معنى] [1] الانتظار لا يخلو إما أن يراد به منتظرة ربه أو منتظرة ثوابه، وعلى أي الوجهين حمل فهو خطأ؛ لأن المنتظر لا ينتظر في تغيص وتكرير، والله تعالى - تعالى - قد

---

[1] ن.1231

[2] من هـ


وصف [ أهل ] (1) الجنة بغير ذلك وأن لهم فيها [ ما يشاهون ] (2). 
فبطل كون النظر في الآية بمعنى الاعتبار والتفكر؛ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار وتفكير؛ إذ ليست بدار محنة وعبادة؛ ولأن ذاته - تعالى - ليست ما يعتبر بها فبطل قولهم. ويبطل كون النظر في الآية بمعنى التعظف والرحمة؛ لأن ذاته - تعالى - ليست مما يتعطف عليها وترحم.

إذا بطلت هذه الأقسام الثلاثة؛ صبح القسم الرابع وهو النظر إلى ربيا بمعنى الرؤية بالإبصار له تعالى، وهو ما ذهب إليه جمهور المسلمين قبل حدوث [ القائلين ] (3) بهذه الضلالة، وشهدت له السن ثبتة من الطرق المختلفة.

وأما احتج به من نفسي الرؤية من أنها توجب كون المرئي محددا فهو فاسد؛ لقيام الدلائل على أن الله - تعالى - مطلق وأن الرؤية منزلتها في تعلقها بالمرئي منزلة العلم في تعلقه بالعلم، فكما أن العلم المتعلق بالوجود لا يختص بموجود دون موجود، ولا توجب تعلقه به حديث كذلكر للرؤية في تعلقها بالمرئي لا يوجب حدوث.

واحتج لفاة الرؤية بقوله تعالى: "لا تدرك الأبصار" (4)، وقوله تعالى لموسى: "لن تراني" (5) في جزور سؤاله الرؤية، وهذا لا تعلق لهم فيه؛ لأن قوله: "لا تدرك الأبصار" (4) وقوله: "لن تراني" (5) لفظ عام، وقوله: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربيا ناظرة" (1) خاص، والخاص يقضي على العام وبيته، فمعنى الآية لا تدرك الأبصار في الدنيا؛ لأنه تعالى قد أشر إلى أن المراد بقوله: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربيا ناظرة" (6) الآخرة؛ لقوله:

(1) من ٦٨٩، (2) في ٨ الأصل: ما يشاهوا وعند نظيرهم (٨)، (3) في ٩ الأصل: العالمين، واللبيت منهم (٨)، (4) الأعمام: ١٠٣، (5) الأعراف: ١٤٣، (6) القيامة: ٢٢ - ٣٣.
يومئذ، وكذلك يكون معنى قوله لموسى: «لَن تراني» (1) في الدنيا، ولأنه قد ثبت أن نفي الشيء لا يقتضي إلحائه، بل قد يتناول المستحيل وجوده والجائز وجوده، فلا تتعلق لهم بالآيات مع ما يشهد لصحة الرؤية لله - تعالى - من الأحاديث النبوية التي تلقاها المسلمون بالقبول من عصر الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم أجمعين إلى حدوث المارقين المتكررين للرؤية.

وأما وصفه عليه السلام لله - تعالى - بالإيات بقوله: «فياتهم الله»، فليس على معنى الإيات المعهود (فيما] (2) بينا الذي هو انتقال وحركة؛ لاستحالة وصفه بما توصف به الأجسام، فوجب حمله على أنه يفعل فعلاً يسبيه الإياناً وصف تعالى به نفسه، ويتملأ أن يكون الإيان المعهود فيما بيننا خلقه تعالى لغيره من ملانكة فأضافه إلى نفسه كما يقول القائل: قطع الأمير اللص، وهو لم يل ذلك بنفسه إما أمر به.

وأما وصفه تعالى بالصورة في قوله: [فياتهم] (3) الله في صورته. ففيه إيهام للمجسمة أنه تعالى ذو صورة، ولا حجة لهم فيه؛ لأن الصورة هاهنا يُحتمل أن تكون معنى العلماء وضع الله - تعالى - دليلاً لهم على معرفته والتفرقة بينه وبين مخلوقاته، فسمى الدليل والعلامة صورة مجازاً كما تقول العرب: صورة حداثك كيت كيت، بصورة أمرك كذا وكذا، والحديث والأمر لا صورة لهما، وإنما يريدون حقيقة حداثك وأمرك كذا وكذا.

قال المهبل: وأما قوله: «إذا رأينا ربينا عرفناء» فإناذا ذلك أن الله-

(1) الأعراف : 143. (2) في الأصل: بما والثبت من هم. (3) في الأصل: فياتكم والثبت من هم.
 تعالى - يبعث إليهم ملكًا ليغتنهم ويختبرهم في اعتقاد صفات ربهم 
الذي ليس كمثله شيء فإذا قال لهم الملك: أنا راكم، رأوا عليه دليل 
الخليقة التي تشبه المخلوقات فيقولون: هذا مكاناً حتى يأتينا رباً فإذا 
جاينا عرفناه. أي أنك لست رباً، فأتينهم الله في صورته التي 
يعرفون أي يظهر إليهم في ملك لا ينغي لغيره وعظمة لا تشبه شيئًا من 
مخلوقاته، يعرفون أن ذلك الجلال والعظمة لا تكون لغيره، فيقولون: 
أنت رباً لا يشبه شيء. فالصورة يعبر بها عن حقيقة الشيء.

وأما قوله: "فقال: هل بينكم وبينه آية تعرفونها؟ فيقولون:
الساق؟ فهذا يدل - والله أعلم - أن الله عرف المؤمنين على السنة 
الرسول يوم القيامة أو على السنة المليئة المتلقين لهم بالبرهان أن الله قد 
جعل علامة تجلية لكم الساق / وعرفهم أنه سيأتي الكذبين بأن يرسل 
إليهم من يقول: أنا راكم. فتنة لهم وبدل على ذلك قوله تعالى:
«ليشت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة» (1)
في سؤال القبر، وفي هذا الموطن، وقال ابن عباس في قوله تعالى:
"يوم يكشف عن ساق" (2) عن شدة الأمر، وروى عن عمر بن 
الخطاب في قوله تعالى: "وقالت الساق بالساق" (3) أي: أعمال 
الدنيا بمحاسبة الآخرة. وذلك أجر عظيم، والعرب تقول : قامت 
الحرب على ساق. إذا كانت شديدة [في شهر] الله على الخلاقين 
هذه الشدة التي لا يكون مثلها من مخلوق ليثبت بها الكافرين ، 
وينزع عنههم قدرتهم التي كانوا يدعونها، فيعلمون حينئذ أنه الحق ، 
فيذهبون إلى السجود مع المؤمنين لا يرون من العظمة والشدة فلا

(1) إبراهيم: 27. (2) القلم: 42. (3) القيامة: 29. (4) في الأصل: يظهر واثبات من ه"
يستطيعون، فبشت الله المؤمنين فيسجدون له، وذكر ابن فورك قال:
زرى أبو موسى الأشعري عن النبي - عليه السلام - في قوله تعالى:
سماق (1) قال: عن [ نور ] (2) عظيم قال:
ومعنى ذلك ما يتجدد للمؤمنين عند رؤية الله - تعالى - من القوائد والائتلاف، ويظهر لهم من فضل سرائرهم التي لم يطلع [ عليها غيره] (3) تعالى.
قال المهلب: هذا يدل أن كشف الساق للكافرين نقيمة وعذاب، وللمؤمنين نور ورحمة ونعمه، والضحك منه تعالى بخلاف ما هو فينا وهو معنى إظهاره لعباده لطائف وكراهة لم تكن تظهر لهم قبل ذلك، والضحك المذهب فيما بيننا هو إظهار الضاحك لمن شاهده ما لم يكن يظهر له منه قبل من كثره عن أسباته.
وأما قوله عليه السلام: (4) في ذهب كيف يسجد فيعود ظهور طبقًا واحدًا، هذا استدله به من أجل تكليف ما لا يطلق وهو مذهب الأشعرية قالوا: جائز في حكم الله أن يكلف عباده ما لا يطيعون، واحتجوا على ذلك بأن الله - تعالى - قد كلف أبا لهب الإيمان به مع إعلامه تعالى له أنه لا يؤمن، وأنه يموت على الكفر الذي له صلى نارًا ذات لهب.
ومنع الفقهاء من ذلك، وقالوا: لا يجوز أن يكلف الله عباده ما لا يطيعون واحتجوا بقوله تعالى: (5) لا يكلف الله نفسه إلا وسعها (4) قالوا: وقدما أخبر فلا يجوز أن يقع بخلاف خبره، وقالوا: ليس في

(1) الفيلم: 42   (2) في "الأصل": نور. وللثب من "ه".
(3) في "الأصل": عليه نفسه. وللثب من "ه".
(4) الفيلم: 282.

- 464 -
قوله تعالى: "فَيُنْفِقُونَ عَنِ السَّاعِدِينَ" (1) حجةٌ لَّمَّا خَالِفَنَا؛ لَاتَّمُنَّ إِذَا بَدَعُونَ إِلَى السَّجُودِ تَيِبَّاكِيًا لَهُمْ؛ إِذَا دَخَلُوا أَنفُسَهُم بَزْعَمُهُمْ فِي جَمْهُورِ الْمُؤْمِنِينَ السَّاجِدِينَ فِي الدَّنيا وَعَلَّمُ اللَّهُ مِنْهُمُ الْرِّياءَ فِي سَجُودِهِمْ، فَدَفَعُوا فِي الْآخِرَةِ إِلَى السَّجُودِ كَمَا دَعِيَ الْمُؤْمِنُونَ الْمَحِيَّونُ لِيُعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلِيُّهُمْ نَفَاقَهُمْ فَأَخَزَّاهُمْ وَأَوْقَعُوهُمْ عَلَى الْحَجَّةِ عَلَيْهِمْ، فَلاَ حَجَّةُ فِي هَذِهِ الآيَةِ لَهُمْ، وَمِثْلُ هَذَا مِنَ الْتَبْكِيَتِ. قَوْلُهُ تَعَالَى لِلْكَفَّارِ: "إِنِّي أَرْجَعُ وَرَأَيْتُمُ فَتَنَّيتمُوا نُورًا فَضَرِبْ بِهِمْ بِسُورِ" (2) وَلِيْسَ فِي هَذَا شَيْءًا مِّنْ تَكْفِيْفِ مَنْ لاَ يَطَّاقُ، وإنما هو خَزِي وَتَوْبَىْ.

وِمِثْلُ قَوْلِهِ عَلَى الْسَّلَامِ: "مُنِّكِذَ فِي حَلَّمِهِ" (3) كَلَفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أن يَعْقِدَ بِشَعْرَتِينَ وَلِيْسَ بِعَاقِدَاهُمَا" فَهَذِهِ عَقْوَةُ وَلِيْسَ مِنْ تَكْفِيْفِ مَا لاَ يَطَّاقُ.

وأَنَا قَوْلُهُ عَلَى الْسَّلَامِ: "فَيَشْعَرُ الْبَيْنُونَ وَالْمُلَائَكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فِيهِ حَجَّةٌ لَّا أَهْلَ السَّنَةِ فِي إِبْتِنَاهُمْ الشَّفَاعَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

وِقَوْلُهُ: "فَأُسْتَأْذَنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ" فَدَارَ جَنُّهُ، وَلَا تَعْلَقُ فِيهِ لِلْمَجْمُوعَةِ أَنَّهُ تَعَالَى فِي مَكَانٍ لَّا قَوْلُهُ: "فِي دَارِهِ" يَحْتَمُّ أَنَّهُ تَقْدِيمُ الْإِضَاحَةِ لَللهِ إِضَاحَةٌ لَّمْ يُعَلِّمَهَا مَا أَضَفَّهَا إِلَى نَفْسِهَا تَعَالَى مِنْ أَفْعَالِهَا، وَيَحْتَمُّ أَنْ يَكُونَ (قَوْلُهُ) "فِي دَارِهِ" رَاجِعًا إِلَى النَّبِيِّ تَأْوِيلُهُ: فَأُسْتَأْذَنُ عَلَى رَبِّي وَأَنَا فِي دَارِهِ، فَالْفَظْرُ وَالْمُكَانَ هَاهُنَا لِلنَّبِيِّ ﷺ لَا رَبِّ يَلْتَقَى - تَعَالَى - لْقِيَامِ الدَّلِيلِ عَلَى أَسْتِحْلَالِ حَلَوَلِهِ فِي المَواَضِيعِ.

(١) الَّذِيَمَ: ٤٢، (٢) الْحَدِيثُ: ١٣، (٣) فِي ٣٢، (٤) مِنْ ٥٠٥٠.
وقوله: «حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الخوض» ففيه إثبات الخوض له على السلام خلافاً لمَّا كَرِهَه مِن المعتزلة وغيرهم ممن يدفع أخبار الآحاد، وجمهور الأمة على خلافهم مؤمنين بالخوض على ما ثبت في السنن الصحاح.

وقوله: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان» ففيه إثبات الرؤية لله تعالى - وإثبات كلامه لعباده - ورفع الحجاب بينه تعالى وبين خلقه هو تجعله لهم، وليس ذلك بمَّعنى الظهور والخروج من سوَّاتر وحجب حائلة بينه وبين عباده، لأن ذلك من أوصاف الأجسام وهو مستحيل على الله، وإنما رفع الحجاب بمَّعنى إزالته [الآيات من أبصار خلقه المانعة لهم من رؤيته؛ فيرونه لارتفاعها] لَّوَّهُم بخلق صداً برغم، وهو الرؤية، وبخلاف هذا وصف الله الكفار فقال: «لا إنهم حبوب لمحلجوبين» فالفجاب هنا الآفة المانعة لهم من رؤيته التي لو فعل تعالى الصداً برغم، وهي التي فعل في المؤمنين.

وقوله في الحديث الآخر: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربه إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» فلا تعلق فيه للمجسمة في إثبات الجسم والمكان، كما تقدم من استحالة كونه جسمًا أو حالاً في مكان، فوجب أن يكون تأويل الرداء مصروفًا إلى أن المراد به الآفة المانعة لهم من رؤيته الموجودة بأبصارهم، وذلك فعل من أفعاله تعالى يفعله في محل رؤيته له بدلاً من فعله الرؤية، فلا يرون ما دام ذلك المانع المسمى رداء موجودًا يحل رؤيته له، فإذا فعل الرؤية اتفتى ذلك المانع لهم من رؤيته وسماء رداء مجازًا واتساعًا، إذ منزلته في...

(1) بياض بالأصل. والمثبت من ٨١٣. (٢) المطافين: ١٥
المنع من رؤيتة منزلة الرداء وسائر ما يحتاج به والله - تعالى - لا يليق به الحجاب والأستار ؛ إذ ذاك من صفات الأجسام.

وقوله : « على وجه » المراد به : أن الآفة المائعة لهم من رؤية وجهه تعالى التي هي صفة من صفات ذاته كأنها على وجه ؛ لكونها في أبصارهم ومانعة لهم من رؤيته ، فعبر عن هذامعنى بهذااللفظ ، والمراد به غير ظاهر ؛ إذ يستحيل كون وجهه محمجوًا برداء أو غيره من الحجاب ؛ إذ ذاك من صفات الأجسام.

وقوله : « في جنة عدن » ليس بمكان له تعالى ، وإنما هو راجع إلى القوم كأنه قال : وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربيهم وهم في جنة عدن إلا المانع المخلوق في محل رؤيتهم له من رؤيته فلا حجة لهم فيه.


وقوله : « فما أتم باشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن بومئذ للجبار ، فإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم » يريد أن المؤمنين إذا نجوا من الصراط ينشدون الله في إخوانهم ويشعرون فيهم فيقول الله - عز وجل - : « اذهبوا فمن [ وجدتم ] (3) في قلبه مثال.

(1) في « الأصل » : إليه مته . والمنبت من هـ . (2) النجم . ٣٠ .
(2) في « الأصل » : وجد . والمنبت من هـ .
(3) في « الأصل » : إليه مته . والمنبت من هـ .
نصف دينار ... إلى مثال ذرة من إيمان فأخبرجوه، فيخرجون من
عرفوا من النار في هذا إثبات شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض
وقوله: "في جهنم كالليب" جمع كلوبي وهو الذي يتناول به
الخطاف الجديد من النار، والخطاف الطيف جمع خطاف، والخطاف خديجة
معوجهة الطرف بذنب بها الآتياء قاله النابتة:
خطاف الطيف حجين في جبال متبينة
والخسك: معروف، وهو شيء مضر مدين شوك يشجب [ به ] (1)
كل ما مره به.
وقوله: مفطحة فهو كل شيء عريض [ (2) قال ابن دزيد:
قطحت العود إذا برئه ثم عرضته، وفطح الأنف - بكسر الطاء-
فطحاً: لصن بالوجه، والبقر كلها فطح وخنس.
وقوله: "فمنهم الموق بعمله" يعني: الهالك بذنبوه. يقال:
أوبقت فلاناً ذنبوه أي: أهلكته.
وقوله: "ومنهم المحردل" قال صاحب العين: خردت اللحم
فصلته، وخردلت الطعام: أكلت خياره، وقال غيره: خردلتة-
صرعته، وهذا الوجه يوافق معنى الحديث، والجردة - بالجيم-
الإشراف على السقوط والهلكة.
وقوله: "امتحشوا" قال صاحب العين: المحسد: إحرق الجلد،
واستحش [ الجلد ] (3) احتراق، والسنة المحسود: البابسة.
وقال صاحب الأفعال: محيشة النار شيء محسثاً: أحرقت لغة،

(1) في "الأصل": فيه
(2) في "الأصل": مطلقة، والمتثبت من "ه".
(3) في "الأصل": الحمر، والمتثبت من "ه".

- 468 -
والمعروف أمحشته، وكان أبو زيد ينكر محبته، وفعد يومًا إلى أبي حنيفة
فسمه يقول: قال رسول الله  ﷺ: «يخرج من النار قوم قد محسنهم
النار». فقال أبو زيد: ليس كذلك الحديث -يرحمك الله- إما هو:
أمحشتهم النار. فقال أبو حنيفة: من أي موضوع أنت؟ قال أبو
زيد: من البصرة. قال أبو حنيفة: أبالبصة مثلك؟ قال أبو زيد:
إني لم أكن أهلها. فقال أبو حنيفة: طوبي لبلاد أنت أخس أهلها.
والحبة: بزور البقل، وقد ذكرته في كتاب الإيمان/ في باب (4/202-10)
تفاضل أهل الإيمان في الأعمال] (1) وقال أبو عبيد: وأما الحبة فكل
ما يبت له حب فاسم الحب منه الحبة.
وقال القراء: الحبة بزور البقل. وقال أبو عمرو: الحبة نبت
في الحشيش صغير. وقال الكسائي: الحبة حب الرياحين وواحد
الحبة حبة.

وأما الحنة ونحوها فهو الحب لا غير.
وقال الأصمعي: الحميل ما حمله السيل من كل شيء وكل
محمول فهو حميل كما يقال للمقتل قتل.
وقشت الشيء - بكسر اليمين - قشباً قذر عن صاحب الأفعال.
وقال ابن قتيبة: قشني ريحها من القش والقشبة: السم كأنه
قال: سمني ريحها، وياقل لكل مسموم قشيب. وقال الخطابي:
قشب الدخان إذا لمأ خياشيمه وأخذ يكظه وإن كانت ريحه طيبة،
وأصل القشبة خلط السم بالطعم يقال: قشبة إذا سمه [ وقشبتنا ] (2)
الدنا فضار حبها كالمضار، ثم قيل على هذا قشبة الدخان
والريح الذكية إذا بلغت منه الكظم.

(1) من ٥ هـ (٢) في <الأصل> : قشبت. والثبت من ٥ هـ

* * *

باب: قوله تعالى: «إِنِ الرَّحْمَةُ اللَّهُ قَرَبُ من الْمُحِسَّنِينَ» (1)

فيه: اسماء: «كان ابن لبعض بنات النبي - عليه السلام - [يقضي]»
إلى قوله: «فبكي النبي - عليه السلام - فقال سعد: أتبيكي؟ فقال: إنما يرحم الله من عباد الرحماء».


1) الأعراف 56(2) في الأصل: يقبض، والمثبت من 6به،
2) في الأصل: له، والمثبت من 5به،
وفيه: أنس قال عليه السلام: "ليسين أقوياء سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، فقولهم الجهميون".

قال المؤلف: [1) الرحمة تنقسم قسمين: تكون صفة ذات الله، وتكون صفة فعل، فصفة الذات مرجع [بها] [2) إلى إرادته - تعالى - إثابة الطائعين من عباده، وقوله تعالى: { إن رحمة الله قريب من المحسنين } [3) يحتمل الرحمة ها هنا أن تكون صفة ذات ترجع إلى إرادته إثابة المحسنين كما قلنا وإرادته صفة ذاته.

ومثل قوله عليه الامام: "إذا يرحم الله من عباده الرحماء" معناه إذا يريد إثابة الرحماء لعباده من خلفه، ويحمل أن تكون صفة فعل فيكون المعنى أن نعمته الله على عباده ورزقه لهم ونزول المطر وشبيه قريب من المحسنين، فسمي ذلك رحمة لهم لكونه بقدرته وعن إرادته مجازاً واتساعاً، لأن من عادة العرب تسمية الشيء باسم سببه وما يتعلق به ضربًا من التعلق، وعلى هذا المعنى سمي الله الجنة رحمة فقال: { إن ترحمتي فسماها مع كونها [ فعلًا ] [4) من أفعاله رحمة، إذ كانت حادثة بقدرته وإرادته تنعيم الطائين من عباده.

قال المهلب: وأما اختصاص الجنة والنار فيجوز أن يكون حقيقة، ويجوز أن يكون مجازًا، فكونه حقيقة يخلق الله فيه حياة، وفهمًا وكلامًا لقيام الدليل على كونه تعالى قادرًا على ذلك، وكونه مجازًا واتساعًا فهو [ على ] [1) ما تكونه العرب من نسبة الأفعال إلى ما لا يجوز وقوعها منه في تلك الحال كقولهم: إمتلا الخوض وقال قطني، والخوض لا يقول، وإنما ذلك عبارة عن امتلائه، و إنه لو

(1) من هـ (2) في الأصل: لها، والمثبت من هـ (3) الأعراف: 56. (4) في الأصل: فعل، والمثبت من هـ.
كان [من ] "(1) يقول لقال / ذلك ، وقولهم : قالت الضفد ، وعلى هذين التأويلين يحمل قوله تعالى : "ونقول هن من مزيد"(2) ، واحتمال الجنة والنار هو افتخار بعضهما على بعض مب يسكنهما ، فالنار تكبر بين يقين فيها من المتكبرين وظن أنها أثر بذلك عند الله من [الجنة] (3) وسقط قول النار من هذا الحديث في جميع النسخ، وهو محفوظ في الحديث : "وقالت النار : أوترت بالمتكبرين والمتجربين "رواه ابن وهب ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة [من رواية] (4) الدارقطني ، وتظن الجنة ضد ذلك [لقولها] (5) : "ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم "فكانها أشقت من إيضاع المنزلة عند الرب - تعالى - . "
فحكم تعالى للجنة بأنها رحمته لا يسكنها إلا الرحمة من عباده ، وحكم للنار بأنها عذابه يصيب بها من يشاء من المتكبرين ، وأنه ليس [إحديهما] (6) فضل من طريق من يسكنها الله - تعالى - من خلقه ، إذ هما اللتان للرحمة والعذاب ، ولكن قد قضى لهما بالملوء من خلقه (7) . وقوله : "وينشب للنار خلقاً يرى من قد شاء أن يلقي فيها من قد سبق له الشقاء من عصاء وكفر به ، قاله المهلم . وقال غيره : ينشى الله لها خلقاً لم يكن في الدنيا ، قال : وفيه حجة لأهل السنة في قولهم إن الله أن يعذب من لم يكن يكلمه عبادته في الدنيا ولا يخرجه إليها لقوله : "ويفعل الله ما يشاء "(8) بخلاف

1) في "الأصل" : من . والثابت من "ه" . (2) سورة ق : 30 .
2) في "الأصل" : النار والثابت من "ه" .
3) في "الأصل" : وراء ، والثابت من "ه" .
4) في "الأصل" : لهؤلا . والثابت من "ه" .
5) في "الأصل" : لهمها . والثابت من "ه" .
(6) في "الأصل" : لاحدهم ، وفي "ه" : لإحداهما .
7) في "الأصل" : لاحدهم ، وفي "ه" : لإحداهما .
8) في "الأصل" : لاحدهم ، وفي "ه" : لإحداهما .
(7) من "ه" . (8) إبراهيم : 27 .

- 472 -
من يقول إن الله لو عذب من لم يكفيه لكان ظالماً، وهذا الحديث حجة عليهم.

وقوله: "حتى يضع فيها قدمه" قد تقدم في باب قوله: "وهو العزيز الحكيم" (1) [من كتاب التوحيد (2)].

***

باب: قوله تعالى: "إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا" (3) الآية

فيه: عبد الله بن مسعود: "جاء حبر إلى النبي - عليه السلام - فقال:

يا محمد، إن الله يضع السماء على إصبع، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر والأنهار على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يقول بيده أنا الملك، فضحكت النبي وقال: وما قدروا الله حق قدره".


وتفسيره الإسماك بالأصابع هذا لبيان المجمل من الإسماع في الآية؟

قيل له: ليس كما توهملت، وتفسير النبي ورد على الحبر، وقوله: "وقدروا الله حق قدره" (7) هو رد لما توهمله الحبر من

(1) إبراهيم: 4 وغيرها.
(2) في الأصل: في أول هذا الخبر، ومثبت من هـ (ع) 41.
(3) سورة ص: 57 (5) من هـ 41.
(4) الأئمه: 91، الزمر: 67.

- ٤٧٣ -
الاصلى أي أن الله أجل ما قدرت ، وذلك أن اليهود تعتقد التجميد ،
فتني النبي - عليه السلام - ذلك عنه يقوله : ( وما قدرنا الله حق قدره ) (1) فإن قيل : فإن تصدق النبي للحبر وتعجب من قوله
بدر أنه لم ينكر قوله كل الإثارة ، ولو لم يكن لقوله بذلك الأصواب
وجه لأعلن بإيالته . فاجواب : أنه لو كانت السمات وغيرها متفقة
إلى الأصواب لكان أو الصواب متفقة إلى أمثالها تعتمد عليها ، وأمثال
أمثالها إلى مثلها ، ثم كذلك إلى ما لا نهاية لها ، وهذا فاسد ، وقد
تقدم قول الأشعري ابن فاروق وأن الإصبع يجوز أن تكون صفة ذات
الله - تعالى - ويجوز أن تكون صفة خلق له من بعض ملائكته كلفهم
حمل الخلقات وتعبدهم بذلك من غير حاجة إليه في حملها ، بل
الباري مسكم ومسك ما يحملونه بقدرته تعالى ، وصدق هذا
التأويل قوله : ( ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ) (2).

* * *

باب : ما جاء في خلق السماوات والأرض

وغيرهما من المخلوقات

وهو فعل الزار تعالى وأمره ، فالرب تعالى بصفاته وأمره وقوله
[ هو ] (3) الخلق المكون غير مخلوق [ وما ] (4) كان بفعله وأمره 
وتخيله وتكوينه [ (4) فهو مفعول [ مكون ] (5) مخلوق ].

فيه : ابن عباس : ( بت في بيت ميمونة ليلةَ والنبي حينها لأنظر كيف
صلاة النبي ، فتحدث النبي - عليه السلام - مع أهلها ساعة ثم رقد ، فلما
كان ثلاث الليل الآخر أو بعضه ، فقد فنظر إلى السماء فقرأ : وإن في خلق
السمات والأرض » إلى قوله : ( لأولى الأباب ) (1) ] الحديث .

غرضه في ] 1) هذا الباب أن يعرف أن السموم والأرض وما بينهما كل ذلك مخلوق لقيام دلائل الحدث بها من الآبات المشاهدات، من النظام الحكمة واتصال العصيدة للخلق فيهما، وقام برهان [العقل] 2) على إلا خالق غير الله وبطل قول من يقول أن الطبائع خالقة العالم، وأن الأفلاك السبعة هي الفاعلة، وأن النور والظلمة خالقن، وقال من زعم أن العرش هو الخالق.

وقدت جميع هذه الأقوال لقيام الدليل على حدوث ذلك كله وافتقاره إلى محدث لاستحالة وجود محدث لحدث له، كاستحالة وجود مضروب لا ضارب له، وكتاب الله شاهد بصحة هذا، وهو قوله تعالى: "هل من خالق غير الله" 3) فنفى خالقًا سواء، وقال تعالى: "أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقهم" 4) و قال عقيب ذلك: "فنشابه الخلق عليهم" 5) ثم قال النبي: "قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار" 6) ودل على ذلك أيضًا بقوله تعالى: "إن في خلق السموم والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الآلاباب" 7).

فاستدل بآيات السموم والأرض على قدرة الله ووحدانيته فوجب أن يكون الخلق العليم بجميع صفاته من الخلق والامر 8) الفعل والسمع والبصر والتكون للخليفات كلها خالقًا غير مخلوق الذات والصفات، وأن القرآن صفة له غير مخلوق، ووجب أن يكون الخلق مخلوقًا لسائر المخلوقات، ووجه خلافه لها انتفاء قيام الحوادث عنه الدالة على حدث من تقوم به، وللذ من يكون ما سواء من مخلوقاته التي كانت عن قوله وأمه وفعله وتكوينه مخلوقات له، هذا موجب العقل.

---

(1) بياض بالأصل، والنبث من ه ه ه، (2) في الأصل : الخلق، (3) فاطر : 3، (4) الرعد : 16، (5) آل عمران : 190. (6) من ه ه}

- 475 -
باب : قوله : إنا أمرنا لشيء (1) الآية
وفيه : ابن عباس : وقف النبي ﷺ على مسيلة في أصحابه فقال : لو سألتمي هذه القطعة ما أعطيكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولكن أدبرت ليعرقنك الله .
وفيه : ابن مسعود : بينما أنا أمسكي مع النبي - عليه السلام - وهو يتوكل على عسيب فمرنا على نفر من اليهود ، فقالوه عن الروح فأنزل عليه : وسألونك عن الروح كل أولو من أمر ربي (2) الآية .

غرضه في هذا الباب الرد على المعتزلة في قولهم : إن أمر الله الذي هو كلامه مخلوقه ، فأراد البخاري أن يعرف أنه الأمر هو قوله للشيء إذا أراده كن يكون بأمره له وأن أمره وقوله في معنى واحد ، وذلك غير مخلوق وأنه سبحانه يقول كن على الحقيقة ، وأن الأمر غير الخلق لقوله تعالى : ألا للخلق والأمر (3) . ففصل بينهما بالواو وهو قول جميع أهل السنة ، وزعمت المعتزلة أن وصفه نفسه بالأمر .

(2) الإسراء : 85 . (3) الأعراف : 54 .
وفي قولهم في هذه الآية مجاز واتساع على نحو ما تقول العرب: قال الحافظ فما واملا الحوض، وقال اقتني. وقالهم فاسد; لأنه عدول عن ظاهر الآية وحملها على غير حقيقتها، وإنما وجب حمل الآية على ظاهرها وحقيقة لثبات كونه حيًا، والحي لا يستطيع أن يكون متكملًا.

وقوله عليه السلام: "حتى يأتيهم أمر الله" يعني أمر الله بالساعة.
وقوله: "لن تدعو أمر الله فيك" أي ما قدر فيك من الشفاء أو السعادة. وقوله: "قل الروح من أمر ربي" (1) أي من أمره المتقدم بما [سبق] (2) في علمه من القضاء المحتوم الذي أمر به الملك أن يكتب في بطن أمه قبل نفخ الروح فيه.

* * *

باب: في المشيئة والإرادة وقوله تعالى:

(3) وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين (4) ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك / غداً إلا أن يشاء الله (5) إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء (1)

قال سعيد بن المسبح عن أبيه: نزلت في أبي طالب

معنى هذا الباب: إثبات المشيئة والإرادة لله - تعالى - وأن مشيئته وإرادته ورحمه وغفرونه وسخطه وكراهيته كل ذلك بمعنى واحد أسماء مترادفة هي راجعة كلها إلى معنى الإرادة، كما يسمى الشيء الواحد بأسماء كثيرة، وإرادته تعالى هي صفة من صفات ذاته خلانية. من يقول من المتزيلة أنها مخلوقة من أوصاف أفعاله، وقولهم فاسد لأنهم إذا أثبتوا تعالى مريدًا، وزعموا أن إرادته محددة لم تخل من أن يحدثها في


- 477 -
نفسه أو في غيره، أو لا في نفسه ولا في غيره، وهذا الذي ذهبوا إليه، فيستحيل إحداثه لها في نفسه؛ لأنه لو أحدثها في نفسه لم يخل منها ومن ضدها على سبيل العقاب، ولا يجوز تعاقب الحوادث على الله – تعالى – لقيام الدليل على قدمه قبلها، ويستحيل أن يحدثها في غيره؛ لأنه لو أحدثها في غيره لم يجب أن يكون ذلك الغير [مريدًا] (1) بها دونه، [بطل [ كونه [ مريدًا] (3) بإرادة أحدثها في غيره، كما يبطل كونه عالما بعلم يحدثه فيه، أو قادرًا بتقدرة يحدثها فيه؛ لأن قياس ذلك كله واحد، ومن شرط المريد وحقيقة أن تكون الإرادة موجودة فيه دون من سواه، ويستحيل إحداثه لها لا في نفسه ولا في غيره؛ لأن ذلك يجب قيامها بنفسها واحتمالها للصفات وأضدادها، ولو صح ذلك لم تكن إرادته له أولى أن تكون لغيره، وإذا فسدت هذه الأقسام الثلاثة يجب أن الإرادة قديمة قائمة به تعالى لأجل قيامها به [ و] (4) صح كونه [ مريدًا، ووجب تعلقه بكل ما يصح كونه] (5) مرادًا له، وهذه المسألة مبنية على صحة القول بكونه تعالى خالقًا لأفعال العباد، وأنهم لا يفعلون إلا ما يشاء، وقد دل الله على ذلك بقوله تعالى: وما تشاءون إلا أن يشاء الله) (1) (وأما تلاه من الآيات، ويقوله: ولو شاء الله ما أقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) (7) فنص الله تعالى - على أنه لو شاء أن لا يقتلوا ما يقتلوا، فدل أنه تعالى شاء ما شاءوه من اقتتالهم، وأنه لو لم يشأ اقتتالهم لم يشاءوه ولا كان موجودًا، ثم أكد ذلك بقوله: ولكن الله يفعل ما يريد) (7) يدل أنه فعل اقتتالهم الواقع منهم لكونه شائيا له، وإذا [كان] (4) شائياً

(1) في `الأصل`: مريد، والثبت من `هـ`
(2) في `الأصل`: بطل، والثبت من `هـ`
(3) في `الأصل`: مدبر، والثبت من `هـ`
(4) من `هـ`
(5) مكررة بالأصل`.
(6) التكوين: 29.
(7) البقرة: 253.

**بِبَابٍ: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُم الْيَسِيرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمِ الْعَسْرََ (3)


وفيه: علي: »أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة ابنته، فقال لهم: ألا تصلون؟ فقال علي: يا رسول الله، إنا أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ...» الحديث.

وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: »مثل المؤمن كمثل خامش الزروع، يفيء ورقه من حيث أتته الريح تكنؤها، فإذا سكنت اعتدلت، وكذلك المؤمن يكفا بالبلاء، ومثل الكافر كالآرة صماء معدنة حتى يقصصها الله إذا شاء«.

وفيه: ابن عمر: قال النبي - عليه السلام -: »إذا بقاكم فيمن سلف...«

(1) في: »الأصل: فإن لم، والمشت من هـ«.
(2) في: »الأصل: الله، والمشت من هـ«.
(3) في: »البقرة: 185«.
(4) في: »الأصل: فإذا، والمشت من هـ«.
من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ..." وذكر الحديث إلى قوله: "فذلك فضل أوطئها من أشياء".


وفيه: ابن عباس: "أن النبي - عليه السلام - دخل على أعرابي يعود، فقال: "لا بأسر عليكم طهور، إن شاء الله ..." الحديث.

وفيه: أبو قتادة: "حين ناما عن الصلاة، فقال النبي - عليه السلام -: إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردوا حين شاء ..." الحديث.

وفيه: أبو هريرة: "استل رجل من المسلمين ورجل من اليهود ..." وذكر الحديث إلى قوله: "عليه السلام - لا تخضوني على موسى فإن الناس يصعبون، فاكون أول من يفتق، فإذا موسى باتش بجانب ..."}

(1) في الأصل: وسر من، ولهب من. (2) من ه. (3) من ه.
العرش فلا أدرى أكان فيمن صفع فأفلاق قبلي، أو كان فيمن استثنى الله.
و فيه: أنس: قال النبي - عليه السلام -: "المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها، فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله".
و فيه: أبو هريرة: قال عليه السلام: "لكل نبي دعوة، فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة".
و فيه: أبو هريرة: قال عليه السلام -: "بيتا أنا نائم رأيتني على قلبي فنزعته ما شاء الله أن أنزع..." الحديث.
و فيه: أبو موسى: "كان النبي - عليه السلام - إذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة، قال: "أشعوا فتؤجروا [وليقض ] (1) الله على لسان نبيه ما شاء".
و فيه: ابن عباس: "أن أبي بن كعب حدثه الحديث مع موسى..." إلى قوله: "فإني نسيت الحوت" (2) ..." الحديث.
و فيه: أبو هريرة: قال عليه السلام: "نزل غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة [ حيث ] (3) نقسموا على الكفر. يزيد المحصب ".
و فيه: عبد الله بن عمر: "حارس النبي أهل الطائف فلم يفتحها، فقال: "إنا قافلون غداً إن شاء الله..." [ وذكر الحديث ] (4).

معنى هذا الباب كمعنى الذي قيله في إثبات الإرادة لله - تعالى- والمشيئة، وأن العباد لا يريدون شيئًا إلا وقد سبقت إرادة الله له،...

(1) في "الأصل": حين. والثبت من 5 هـ، ن. (2) من 5 هـ.
(2) الكهف: 63 (3) في "الكهف": وفقضي.
وأنه خالق لأعمالهم: طاعة كانت أو معصية، وأما تعلقهم بقوله تعالى: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" (1) في أنه لا يريد المعصية فليس على العموم، وإنما هو خاص فيمن ذكر، ولم يكلله ما لا يطيف.

مثل هذا للمؤمنين المفترض عليهم الصيام، ومن هذا الله إلى دينه فقد يسره وأراد به اليسر، فكان المعنى: يريد الله بكم اليسر الذي هو التخيسر بين صومكم في السفر، وإفترامكم فيه (بشرط) (2) قضاء ما أفترضوه من أيام أخرى، ولا يريد بكم العصر، الذي هو إزامكم الصوم في السفر على كل حال، فإن من نفس الآية أن الله رفع هذا العصر عنكم ولم يريد وقوعه بنا، إذ لم يلزمنا الصيام في السفر على كل حال، رحمة منه ورفاعة بنا، فسكت تعلقهم بالآية، وكذلك تأويل قوله تعالى: "ولا يرضى لعبادك الكفر" (3) هو على الخصوص في المؤمنين الذين أراد منهم الإيمان، فكان ما أراده من ذلك، ولم يرد منهم الكفر فلم يكن، فلا تعلق لهم في هذه الآية أيضًا.

فإن قال: قد تقدم من قولكم أن الله تعالى خالق لأعمال العباد، فما وجه إضافة فتى موسى نسيان الخوات إلى نفسه مرةً، وإلى الشيطان أخرى.

فإذا الجواب: أن فتى موسى [نبي (4)] وصادم نبي، وقد تقدم من قول موسى أن أعفعاه مخلوقة لله تعالى: "إن هي إلا فتنتك تصل بها من نداء، وتهدي من نداء" (5) فثبت أن إضافة النسيان إلى نفسه لاجله قيامه به، لا أنه مختصر له، والعرب تضيف الفعل إلى

من وجد منه ، وإن لم يكن مخترعًا له ، وقد نطق بذلك القرآن في مواضيع كثيرة ، وكذلك إضافته النبي إلى الشيطان ، [فليس على معنى أن الشيطان فاعل لنسائه ، وإما [ (1) تأويله أنه وسوس [إليه] (2) حتى نسيت الموت ؛ لأن فإن موسى إذ لم يكنه أن يفعل نسيانه القائم به كان الشيطان [ابدع ] (3) من أن يفعل فيه نسيانًا ، وكانت إضافته إليه على سبيل المجاز والاتساع .


وأما قوله علي : " إن أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا " ففيه : إن إرادة العبد للعمل ولتركه لا يكون إلا عن إرادة الله ومشيئته ، بخلاف قول القدرية أن للإنسان إرادة ومشيئة دون إرادة الله ، وقد تقدم أن ذلك كله من عمل العبد مخلوق الله ، مراد له على حسب ما أراد

(1) من " ه " . (2) في " الأصل " : له ، والمثبت من " ه " .
(3) في " الأصل " : أتفق . والثبت من " ه " 
(4) بياض بالأصل . والمثبت من " ه " .
(5) طمس بالأصل . والمثبت من " ه " .
من طاعة أو معصبة ، ومعنى قوله عليه السلام : "المؤمن كخامة الزرع" في هذا الباب : أن المؤمن يألم في الدنيا بما يتبليه الله به من الأمراض التي يتحته بها ، فسيسره للنصر عليها والرضا بحكم ربه واختياره له ؛ ليفرح بثواب ذلك في الآخرة ، والكافر كلا صبح في الدنيا وسلم من آفاقها كان موته أشد عذابًا عليه ، وأعظم الله في منافقة الدنيا ، فثبت أن الله - تعالى - قد أراد بالمؤمن بكل عمر يسرًا ، وأراد بكل ما أتاه الكافر من اليسر عسرًا ، وقد تقدم في أول كتاب المرضى .

وقوله : "فذلك فضل أواتيه من أشياء" فقال بني في أن الإرادة هي المتشيه علي ما تقدم بيانه ؛ إذ الفضل عطاءه من له أن يتفضل به ، وله إلا يتفضل ، وليس من كان عليه حق فاده أو فعل ما عليه فعله يسمى متفضلاً ، وإنما هو من باب الأداء والوفاء بحق ما لزمه .

وقوله : "فقوال إن شاء الله لقائلوا فرسًا أجمعون" فوجهه أنه لما نسي أن يرد الأمر لله الخالق العليم ، ويجعل المتشيث إليه كما شرط في كتابه ، إذ يقول : "وما تشاءون إلا أن يشاء الله " (1) "ولا تقولن لشيء" (2) . فاشبه قوله : "لأطوفن الليلة " قول من جعل لنفسه الحول والقوة ؛ فحمره الله - تعالى - تعالى - مراده وما أمله .

وأما قوله للأعرابي : "لا بأي حال طهور إن شاء الله" فإما أراد تأنيه من مرضه بأن الله يكفر ذنوه ، ويقبله ، ويأخير وفاته فوقع الاستثناء على ما رجا له من الإقالة والفرج ؛ لأن المرض معلوم أنه كفارة للذنوب ، وإن كان الاستثناء قد يكون يعني رد المتشيه [إلى

(1) التكرير : 29 . (2) الكهف : 23 .

- 484 -
وقوله: 

ووقوله عليه السلام: "فنعم إذاً" دليل على أن قوله: "لا بأس عليك"، أنه على طريق الرجاء لا على طريق الخبر عن الغيب.

وذلك قوله: "إن الله قبض أرواحنا حين شاء، وردها حين شاء".

وحدث عبادة، وحدث أبي هريرة في قصة موسى عليه السلام،

وقوله عليه السلام: "لا أدري أكان فيمن صعق، فأفاق قبلي، أو ممن استنف الله«، فيها كلها إثبات المشيئة لله تعالى، وفيه فضيلة موسى؛ لأن الآمة أجمعت على أن النبي عليه السلام أفضل البشر.

فإن كان لم يصعق موسى حين صعق الناس، ففيه من الفقه أن الفضول قد يكون فيه فضيلة خاصة لا تكون في الفاضل.

واستثناء النبي عليه السلام في دخول الدجال والطاعون المدينة، هو من باب التأدب لا على الشك الذي لا يجوز على الله - تعالى - روجيه التحريض على سكنى المدينة لامته، ليحترسوا بها من الفتنة في الدين؛ لأن المدينة أصل دينه فلم يسلط الله على سكانها المعتصمين بها.

فمحتفل، ولا الطاعون لاعتصام سكانها بها من الفتنة الكبرى، وهي الكفر المستاصل عقوبته، فكذلك [لا يستأصلهم] (3) بالموت بالطاعون الذي كان من عقوبات بني إسرائيل.

وأما قوله في الصدقي: "أنه نزع من البهاء ما شاء الله أن ينزع"، فهذا استثناء صحيح، وأن حركات العباد لا تكون إلا عن مشيئة الله.

(1) من "هـ". (2) في "الأصل" أ، أو "الثاني من "هـ".
(3) في "الأصل" لا يستأصل.
وإرادته، وكذلك قوله: ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء، أي أن الإنسان لا يتكلم إلا بمشيئة الله المحرك للسانه، والمقلب لقلبه، وكذلك قوله: "إنا قلتم غدا إن شاء الله". فاستنتج فيما يستقبل من الأفعال، كما أمره الله برد الحول والقوة إليه في قوله: "ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله" (1).

********

باب: قوله تعالى: "ولقد سبقت كلمتنا للعبادنا المرسلين" (2)

فيه: أبو هريرة: قال عليه السلام: "لما قضى الله الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبى".


و فيه: ابن عباس: أن النبي عليه السلام قال: يا جبريل، ما ينطق عن تزورنا أكثر مما تزورنا، فنزلت: "وما ننزل إلا بأمر ربك..." (5) الآية.

و فيه: ابن مسعود: كنت أمسي مع النبي، فمر بنقر من اليهود فقال (6):

(1) الكهف: 13. (2) الصافات: 171. (3) غير واضحة بالأصل. (4) في الأصل "ولاء". (5) مريم: 64. (6) 486.
بعضهم: صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: لا تسألوا، فسألوا، فقام متوكلًا على العيسى، وأنا خلقه وظنت أن يوحي إليه، فقال:
«وسألونك عن الروح» إلى «قليلًا» (1).
وفيه: أبو هريرة: قال عليه السلام: "تكفل الله من جاءده في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته، بأن يدخله الجنة ...
الحديث.
وفيه: أبو موسى: جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال: الرجل يقاتل حمياً، وشجاعةً، ورقاءً، فأي ذلك في سبيل الله؟ قال: "من قاتل لتكون كلمة الله [هي] (2) العليا، فهو في سبيل الله.
قال المهلب: الكلمة السابقة: هي كلمة الله بالقضاء المتقدم منه قبل أن يخلق خلقه في أم الكتاب، الذي جرى به القلم للمرسلين إنهم لهم المنصرون في الدنيا والآخرة، وقد تقدم في كتاب القدر، ومنع هذا الباب إثبات الله متكتمًا وذا كلام، خلاصًا لمن يقول من المعتزلة: أنه غير متكلم فيما مضى، وكذلك هو فيما بقى. وهذا كفر قد نص الله على إبطاله بقوله: "ولقد سبقت كلمتنا" (3) في آيات أخرى، وقد نص النبي عليه السلام على بيان هذا المعنى في أحاديث هذا الباب، فقال: "كتب عنده فوق عرشه"، وقال: ثم يبعث [الله إليه] (4) الملك يؤمن بأربع كلمات يوحها الله إلى الملك، فيكتبها في أم الكتاب، وقال: فيسبق على الكتاب بالقضاء المتقدم في سابق علمه، والكتاب يقضي كلامًا مكتوبًا، ودل [ذلك على] (5)

(1) الإسراء: 85. (2) من 9 هـ، ن، ه. (3) الصفات: 171. (4) في "الأصل": الثالثة، والثابت من 9 هـ. (5) في "الأصل": على ذلك، والثابت من 9 هـ.
أنه لم يزل عالماً بما سيكون قبل كونه، خلافاً لم يقول: لا يعلم الأشياء قبل كونها، ووجه مشاكلة حديث ابن عباس للترجمة، هو أن الذي ينزل به جبريل هو كلام الله وحجه، وكذلك قوله في حديث ابن مسعود: فقل الروح من أمر ربي(1) يريد أن الروح خلق من خلقه تعالى، خلقه بقوله: كن [وكن(2): كلامه الذي هو أمره الذي لم يزل ولا يزال.

وقوله: وما أولهم من العلم إلا قليلاً(3) في دليل على أنه لا تبلغ حقيقة العلم بالمخلوقات فضلاً عن العلم بالخالق سبحانه، وأن من العلم ما يلزم التسهيل فيه لل تعالى - ويجب الإيمان بمشكلة، وأن الراسخين في العلم لا [يعلمون(4) تأويل المشابه كما يزعم المتكلمون، إذ قد أعلمنا الله أن السؤال عن الروح اتباعه ما لم يوته من العلم، مع أنه وصف قلوب المتبوعين مشابهه بالزيف وابتغاء الفتنة، ويصف الراسخين في العلم بالإيمان به، وأن كل من عند ريبهم، مستعدين من الزيف الذي وسم الله به من اتباع تأويل المشابه منه، داعين إلى الله لا يزيغ قلوبهم باختفاء تأويله، بعد إذ هداهم إلى الإيمان به.

وأما قوله: كتب عنده: إن رحمتي سبقت غضبي فهو - والله أعلم - كتابه في أم الكتاب الذي قضى به وخطه القلم، فكان من رحمته تلك أن ابتدأ خلقه بالنعمه بإخراجهم من العدم إلى الوجود،

(1) الإسراء: 65. (2) في الأصل: وكان و_WS WS. (3) في الأصل: تعلم، والمثبت من هـ. (4) في الأصل: النعمة، والمثبت من هـ.
وسط لهم من رحمته في قلوب الآباء على الأبناء ، من الصبر على تربينهم ، ومباشرة [ أقشارهم ] (1) ما إذا تدبر منذب أيقن أن ذلك من رحمته تعالى ، ومن رحمته السابقة أنه يرزق الكفار وينعمهم ، ويدفع عنهم الآلام ثم ربما أدخلهم الإسلام رحمة منه لهم ، وقد بلغوا من التمرد عليه والخروج لربوبته غابات غضبته ، فتغلب رحمته ويدخلهم جنته ، ومن لم يلب عليه حتى توفاه فقد رحمه مدة عمره بتراخي عقوبته عنه ، وقد كان له أولا يملأه بالعقولية ساعة كفره به ومعصيته له ، لكنه أمله رحمة له ، ومع ذا إن رحمة الله السابقة أكثر من أن يحيط بها الوصف .

* * *

باب : قوله تعالى :  قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي إلى قوله :  مدادًا (2) ، وقوله :  ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحار  

ما نفذت كلمات الله (2)

فيه : أبو هريرة : قال عليه السلام :  تكفل الله لمن جاءه في سبيله ، لا يخرجهم من بينه إلا الجهاد في سبيله ، وتصديق كلمته : أن يدخله الجنة .

قال مجاهد :  قل لو كان البحر مدادًا (2) للقلم يستمده للكتاب لكلمات ربي (2) ، أي لعلم ربي  .

وقال قتادة : لنفد ماء البحر قبل أن ينفد كلام ربي وحكمه .

ومعنى هذا الباب إثبات الكلام الله صفة لذاته ، وأنه لم يزل

(1) في الأصل 0 : ما أذكارهم . والمثبت من ٨٠ .
(2) الكهف : ١٠٥٩ . (٣) لقمان : ٢٧ .
ماتكلمًا ولا يزال، كمعنى الباب الذي قبله، وإن كان قد وصف كلامه تعالى بأنه كلمات فإنه شيء واحد لا يتجزأ ولا يقسم، وكذلك يعبر عنه بعبارات مختلفة: تارةً عربيةً، وتارةً سريانيةً، وبجميع الألسنة التي أنزلها الله عليه إنيه، وجعلها عبارة عن كلامه القديم الذي لا يشبه كلام المخلوقين، ولا كانت كلماته مخلوقة لنفدته كما تنفد البحر والأشجار وجميع المحدثات، فكما لا يحقق بوصفنا تعالى، كذلك لا يحقق بكلماته وجميع صفاته.

-----------

باب: قوله تعالى:  ولا تفع الشفاعة عنده إلا من أذن له
الآية: قالوا مادى قال ربك قالوا الحق وهو العلي الكبير.

ولم يقل مادى خلق ربك، وقال تعالى:
من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه

وقال مسروق عن ابن مسعود: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات، فإذا فزع عن قلوبهم، وسكن الصوت: عرفوا أنه الحق
ونادوا: مادى قال ربك قالوا الحق.

ويذكر عن جابر، عن عبد الله بن أنيس سمعت النبي - عليه السلام - يقول: يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بعيد، كما يسمعه من قريب: أنا الملك، أنا الدبان.

فيه: أبو هريرة يبلغ به النبي - عليه السلام - إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعتًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان.

-----------

(1) سبأ: 23. (2) البقرة: 255.
قال علي بن المدني، وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فرع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربك؟ قالوا: قال الحق، وهو العلي الكبير.

وقال عكرمة [مرة عن أبي هريرة] (1) يرفعه: أنه قرأ: فَزَعْ.

وفيه: أبو هريرة قال النبي - عليه السلام -: ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يغني بالقرآن.


وفيه: عائشة : ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة.

[والقد] (2) أمره ربه أن يبشرها ببنت في الجنة.

قال المهلب: استدل البخاري بقوله تعالى: فمما قال ربك.

ولم يقل: ماذا خلق ربك. على أن قوله تعالى قائم بذاته، صفة من صفاتنا، لم يزل موجودًا ولا يزال، وأنه لا يشبه كلام المخلوقين، وليس بدي حروف، خلافًا للمعتزلة [التي] (3) نفت كلام الله - تعالى -، وقالت: إن كلامه كرية عن الفعل والتكوين، قالوا: وهذا سائح في كلام العرب، ألا ترى أن الرجل يعبر عن حركته بيده فقولوا: قلت بدي هكذا، وهم يريدون حركت يدي، ويعتبرون بأن الكلام لا يعقل منا إلا بأعضاء وليسان.

(1) من هـ.
(2) في الأصل: فلقد، والثبوت من هـ، ن.
(3) في الأصل: الذي، والثبوت من هـ.
والباري - تعالى - لا يجوز أن يكون له أعضاء وآلات الكلام ؛ إذ ليس بجسم.

فرد البخاري عليهم يقوله عليه السلام : "إذا قضى الله الأمر في السماء ، فزعت الملائكة وضربت باجنحتها فكان لها صوت ، كأنه سلسلة على صفوان خضعانًا " لقوله تعالى : "حتى إذا فزع عن قلوبهم " (1) ، أي أذهب الفزع عن قلوبهم ، قالوا للذي فوقهم : "ماذا قال ربكم ؟ فدل ذلك على أنهم سمعوا قولًا لم يفهموا عناه من أجل فزعهم ، فقالوا : ماذا قال ربكم ؟ ولم يقولوا : ماذا خلق ربك ، وأكد ذلك بما حكاه عن الملائكة أيضًا " قالوا الحق " والحق : إحدى صفتي القول الذي لا يجوز على الله غيره ؛ لأنه لا يجوز على كلامه الباطل.

ولو كان القول منه خلقًا وفعلًا لقالوا حين سألوا ماذا قال ، أخلق خلقًا كذا ، إنسانا ، أو جبلا ، أو شيئًا من الخلقات ، فلا وصفوا قوله بما يوصف به الكلام من الحق ، لم يجز أن يكون القول يعني الخلق والتكوين ، وكذلك قوله لأدم : يا آدم ، [ وهو ] (2) كلام مسموع ، ولو كان يمعنى إخلق والتكوين ما أجاب بلبيك وسعيك ، التي هي جواب المسموعات ، وكذلك قول عاشية : "ولقد أمره ربه أن يبشرها " هو كلام ، وقول مسموع من الله - تعالى - ولو كان خلقًا لما فهم [ منه ] (3) عن ربه له بالبشرى.

* * *

(1) سيا : 23 . (2) في الأصل " : هذا . والملت من " ه". (3) في الأصل " : عمه . والملت من " ه".
باب: كلام الرب تعالى مع جبريل ونذاء الله تعالى الملائكة

وقال معاصر: إنك لتلقى أي يلقي عليك، وتلقاه أنت أي تأخذه عليهم، ومثله: "فلتلقى آدم من ربه كلمات" (1)

وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: "إن الله إذا أحب عباده، نادي جبريل: إن الله قد أحب فألبأ فأحبه. فيجبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فألبأ فأحبوه. فيجبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض".

وفيه: أبو هريرة: قال عليه السلام: "يتعاقبون فيكم ملائكتة بالليل، وملائكة بالنحار يجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يقرأ الذين باتوا فيكم [فيكم] (2) فيسألهم - وهو أعلم بهم: كيف تركتم..." الحديث.

وفيه: أبو ذر: قال النبي - عليه السلام -: "أنثاني جبريل فيبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً داخل الجنة. قلت: وإن سرق وزنا؟ قال: وإن سرق وزنا".

هذا الباب كالباب الذي قبله في إثبات كلام الله وإسماعه إياه جبريل والملائكة، فيسمعون عند ذلك الكلام القائم بذاته الذي لا يشبه كلام المخلوقين، إذ ليس بحرف [ولا تقطع نحو] (3) وليس من شرط أن يكون بسنان وشفتين وآلات، وحقيقة أن يكون مسموعًا مفهومًا، ولا يليق بالباري - تعالى - أن يستعين في كلامه بالجوارح والآدوات، فمن قال لم أشاهد كلامًا إلا بإدوات، لزمه [التشبيه] (4)؛ إذ حكم على الله بحكم المخلوقين، وخلاف قوله تعالى: "ليس كمثله شيء" (5).

(1) البقرة : 37 (2) من "ه" نـ. (3) في "الأصل": ولا يقطع بضم ونثبت من "ه". (4) في "الأصل": الشه. وألمت من "ه". (5) الشورى : 11.

- 493 -
باب: (أنزله بعلمه والملائكة يشهدون) (1)
قال مjahid: (يتنزل الأمر بينهن) (2): بين السماء السابعة والأرض السابعة.


وهبه: ابن أبي أوفي: قال النبي - عليه السلام - يوم الأحزاب: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، وزلزل بهم.»

وهبه ابن عباس: (ولا تجب بصلاتهك ولا تخفات بها) (3) نزلت ورسول الله متوار بمنى، وكان إذا رفع صوته سمعه المشركون، فسوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال تعالى: (ولا تجب بصلاتهك) حتى تسمع المشركين (ولا تخفات بها) عن أصحابك فلا تسمعهم (وابغ بين ذلك سبيلًا) (4) أسمعهم ولا تجب حتى يأخذوا عنك القرآن.

ولا تعلق للقدرة في قوله تعالى: (أنزله بعلمه) أن القرآن مخلوق، لأن كلمة قديم قائم بذاته، ولا يجوز أن تكون صفة ذات القدوم إلا قديمة، فالمراد بالإلغاء (إنهام) (4) عبادة المكلفين معاني كتابة وفرائضه (5) التي افترضها عليهم، وليس إلغاؤه كإنزال الأجسام المخلوقة التي يجوز عليها الحركة والانتقال من مكان إلى مكان; لأن القرآن ليس بجسم ولا مخلوق، والأفعال التي يعبر بها

(1) النسا : 166 . (2) الطلاق : 12 . (3) الإسراء : 110
(4) في الأصل: إبهام، والثبت من هـ.
(5) في الأصل: عبادة وكتابه، والثبت من هـ.
عن الأجسام كالحركة والانتقال من الأمكنة تستحيل على الله وعلى
كلامه وجميع صفاته.

قال المهلب: وفي حديث البراء الرض إلى القدرية الذين يعزمون أن
لهم قدرة على الخبر والشر استحقوا عليها الثواب والعقاب لامر النبي
- عليه السلام - من أوى إلى فراشة [بالبرق] (1) عند نومه من
الحول والقوة والاستسلام لقدرة الله التي عليه بها اليوم، فلم يستطيع
دفعه، فلو كان يملك نفسه نفعا أو ضرا لدفع عن نفسه النوم الذي هو
موم على أمل الله نفسه فيه مات أبدا، وإن أرسلها بعد موهبة ساعة أو
ساعات جدد لها حياة.

وكيف يملك الإنسان لنفسه قدرة، وقد أمره نبيه - عليه السلام - أن
يتجأ من جميع وجوهها في هذا الحديث، ثم عرفك أن هذه الفطرة
التي فطر الله الناس عليها يجب أن تكون آخر ما يقوله المرء الذي
[حضرة] (2) أول الموت فيموت على الفطرة التي عليها خلقه، وإن
أحياه أصاب بتره إليه خيرا يريد أجزا في الآخرة خيرا من رزق
وكفأته وحفظ في الدنيا.

وفي حديث ابن أبي أوفى جواز الدعاء بالسجع، إذا لم يكن
متكئا مصونا تفكره، وشغله بالتهنيه (فضعف) (3) بذلك تحقيق
نية الداعي فلذلك كره السجع في الدعاء، وأما إذا تكلم به طبعا
فهو حسن [وقد أشارنا إلى هذا المعنى في كتاب الدعاء.

وفي حديث ابن [4) عباس أن قطع الذرائع التي تنقص الباري
- تعالى - وتنقص كتابه واجب وإن كان المراد بها الخير [إنه]
من رفع الصوت بالقرآن لثلا يسمعه من بسه ومن أزله.

(1) في الأصل: المبرق. والثبت من [ ]
(2) في الأصل: ذكره والثبت من [ ] (3) في [ ] فضعف.
(4) براض في الأصل . والثبت من [ ]
(5) في الأصل: لنفتة . والثبت من [ ]
باب: قوله تعالى: «يريدون أن يبدلوا كلام الله» (1)
قول فعله: الحق وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (2)
باللعب فيه أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: «قال الله - تعالى - [يؤذني] (4) ابن آدم سب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار».
وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: «يقول الله - تعالى - الصوم لي، وأنا أجزي به، يدع شهوته واكله وشربه من أجل ... الحديث.
وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: «بينما أيوب يغسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب، فجعل يتحي في ثوبه، فتاداه، ربه: يا أيوب ...».
وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: «ينزل رينا إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول من يدعوني فأستجب له ...» الحديث.
وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: «قال الله - تعالى -: أُنفِق أَنْفُق علَيكَ».
وفيه: أبو هريرة، قال: هذه خدیجة تأتيك بإناء فيه طعام-أو شراب- فأقررتها من ريها السلام، وبشرها بيبت في الجنة من قصب ...» الحديث.

(1) الفتح : ١٥ (٢) الطارق : ١٣ (٣) الطارق : ١٤ (٤) في الأصل : يؤذني، والثبت من هـ، ن، ﷺ (٥) من هـ.
وفي فيه: عائشة في حديث الإفك: « ولنستني في نفسي كان أحرق من أن يتكلم الله في بأمر يتلى... » الحديث.

وفي فيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: « يقول الله: إذا أراد عبد أن يعمل سبئة فلا تكتبها عليه حتى يعملها... » الحديث.


وفي فيه: زيد بن خالد: مطر النبي - عليه السلام - فقال: « قال الله - تعالى -: أصيح من عبادي مؤمن بي وكافر بي... ».

وفي فيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: « قال الله - تعالى -: إذا أحب عبادي لقائي، أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه... ».

وفي فيه: أبو هريرة: قال عليه السلام: « قال الله - تعالى -: أنا عند ظن عبدي بي... ».


وفي فيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام -: « إن عبدًا أصاب ذنبًا فقال: [رب أذنت (1) فأغفره، فقال ربه -جل ثناؤه:- علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب [و(2) يأخذ به غفرت لعبري... » الحديث.

قال المهلب: عرضه في هذا الباب كفرسه في الأبواب التي قبله،

(1) في الأصل: وما ذنب، وثالث من: ه، ن.
(2) في الأصل: ه، ن، أو، وثالث من: ن.


(1) الفتح : 15. (2) في الأصل : لرسوله. والمثبت من «ه».
(3) التوبة : 83. (4) في الأصل : أطماعهم. تعرفه، والمثبت من «ه».
(5) من «ه». (6) بياض بالأصل. والمثبت من «ه».
(7) الفتح : 16.
وأما قوله : « يوذبحي عبد أدم ، يسب الدهر » قد تقدم في
[باب]قوله : « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (2) [آن] (3)
الأذى لا يلحق بالله ، وإنما يلحق من تعاقب عليها الحوادث ، ويلحقه
العجز والتقشير عن الانتصار ، والله تعالى عن ذلك ، فوجب أن
يرجع الأذى المضاف إليه تعالى إلى أنبيائه ورسله ، والمعنى يؤدي ابن
آدم أنبيائي ورسله بسب الدهر ؛ لأن ذلك ذريعة إلى سب خالق
الدهر ، ومصرف أفضيته وحفادته .
وقوله : « ও آنا الدهر » أي : « فعل ما يجري به الدهر من السراء
والضراء ، آل ترى قوله تعالى : « يبني الأمير أقلب الليل والنهار »
فالألاسب والمليلى ظروف للحوادث ، فإذا سبم الدهر [ و ] (1) هو لا
يفعل شيئًا فقد وقع السب على الله . وقد بينت هذا الحديث بأكثر من
هذا في كتاب الأدب في باب : لا تسبوا الدهر .
قال المهلب : وأما قوله تعالى : « أعددت لعبادك الصالحين ما لا
عين رأت ، ولا إذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » فهله كقوله
 تعالى : « ويلخلي ما لا تعلمون » (4) مما لا عين رأت ، ولا إذن
سمعت ، ولا توهمه قلب بشر . هو على الحقيقة ما لا يعلمه بشر
من له الأذن والقلب والبصر ، فخصصه قلب بشر ] (1) بأن لا
يعلمه ، يدل - والله أعلم - أنه يجوز أن يخطر على قلوب الملائكة ،
لا ترى أنه إذ أفردنا بالخطابة بقوله : « ويلخلي ما لا تعلمون » (4)
فدل على جواز أن يعلمه غيرنا .
وقوله في حديث أبي هريرة : « لما فرغ الله من الخلق قامت الرحمة
____________________________
(1) من "ه".
(2) التذكاريات : 866 . ووقع في "الأصل" ، هـ : إني أنا الرزاق ذو القوة المتين ،
وما أنت لنا إلاو الصواب . وقد صوب .
(3) في "الأصل" : أي . والثبت من "ه" .
(4) النحل : 8 .
قالت: هذا مقام العائدة بك من القطيعة. فقال تعالى: إلا ترضى... «الحديث.

فلا تعلق فيه لم يقول: بحدث كلامه تعالى من أجل أن الفاء في قوله: فقال: توجب في الظاهرة كون قوله تعالى عقيب قول الرحمن، وذلك مقتضًى للحدث لقَيام الدليل على أن الله لم يزل قائلًا متكلماً قبل أن يخلق خلقه بما لا أول له من الأزلان. وإن كان ذلك كذلك وجب حمل قوله تعالى على معنى إفهامه تعالى إياها معنى كلامه الذي لم يزل به متكلماً وقائلاً، وعلى هذا المعنى يحمل نحو هذا اللفظ إذا أتي في الحديث.

وقد يحتل أن يكون بأمر ملكًا من ملائكته بأن يقول للرحيم هذا القول عنه تعالى، وأضافه إليه، إذ كان قول الملك عن أمره تعالى له، ودليل على صحة هذا التأويل رواية من روى في حديث الشفاعة: "فأستأذن على ربي وأخبر له ساجداً [ فيقال ] (1): يا محمد، ارفع رأسك..." تركز إسناده القول إلى الله تعالى جاءت هذه الرواية في الباب بعد هذا.

وقوله للفحيم: مه، فمعنى مه في لسان العرب: الزجر والردع. فمحال توجه ذلك إلى الله، فوجب توجهه إلى من عادت الرحم بالله - تعالى - من قطعه إياها.

وإن أبطأت حديثًا وتراخت وقتًا لإنفاذاً لما حتم به، على من سبق عليه
إنهداً الصدقة فعلاً، لأنه قد كان له أن يعذب بذنب واحد أبداً
cالقبيل، فهو عند ظن الله، وإن عاقبه برهة فإن كان ظنره به إلا
يعذبة برهة، ولا ظننه فإنه كذلك يجده كما ظن – إن شاء الله – فهو
أهل التقوى وأهل المغفرة.

وأما حديث الذي لا يعمل خيرًا قط، ففيه دليل على أن الإنسان لا
يدخل الجنة بعمله ما لم يتجاوزه الله برحمته كما قال عليه السلام. وفيه
أن الإنسان يدخل الجنة بحسن نيته في وصيته لقوله: خشيتك يا رب.
وفيه أن من جهل بعض الصفات فليس بكافر خلافًا لبعض
المتكلمين؛ لأن الجهل بها هو العلم؛ إذ لا يبلغ كنه صفاته تعالى،
فلاجاهل بها هو المؤمن حقيقة/ ولهذا قال بعض السلف: عليكم
بدين العذارى، أقرى [العذارى يعلمن حقيقة صفات الله تعالى]
وللالشعري [1] في تأويل هذا الحديث [قولان] [2]: كان قوله
الأول: من جهل [القدرة أو صفة من صفات - الله تعالى -
فليس] [1] المؤمن.
وقوله في هذا الحديث: «لن تذكر الله علٍّ لا يرجع إلى القدرة
[إذا ما يرجع إلى معنى التقدير الذي] [1] هو معنى التضيق كما قال
عليه، ثم رجع عن هذا القول وقال: لا يخرج المؤمن من الإيمان
بجهله بصفة من صفات الله – تعالى - قدرة كانت أو سائر صفات ذاته
تعالى إذا لم يعتقد في ذلك اعتقادًا يقطع أنه الصواب


- 501 -
والدين المشروع، إلا ترى أن الرجل قال: لن قدر الله عليه ليذبذبه فأخرج ذلك مخرج النفل دون القطع على أنه تعالى غير قادر على جمعه وإيجاده إخراج خائف من عذاب ربه ذاهل العقل.

يدل على ذلك قوله مجيءا لربه لما قال له: لم فعلت؟ قال: من خشيتكم، وأنت أعلم، فأخبر بالعلبة التي لها فعل ما فعل، وبدل. على صحة هذا القول [من روى (1) قوله: علی أصل الله.

"ولعل" في كلام العرب موضوعة لتوقع مخوف لا يقطع على كونه، ولا على انتفاه، ومعنى قوله: "علي أصل الله، علي أخفي عليه وأجيب، وكان الواجب في اللغة: علي أصل علي الله وحذف حرف الجر، وذلك مشهور في اللغة كما قال الشاعر:

آسفوف الله ذنباً

والمعنى من ذنباً، ومن كان خائفًا عند حضور أجله فجدير أن تختلف أحواله لفرط خوفه، وينطق بما لا يعتقد، ومن كان هكذا فغير جائز إخراجه من الإمام الثابت له؛ إذ لم يعتقد ما قاله دينًا وشرعًا، وإذا يفقر من اعتقده تعالى على خلاف ما هو به، وقطع على أن ذلك هو الحق، ولو كفر من جهل بعض صفات الله لكثر عامة الناس؛ إذ لا يكاد نجد منهم من يعلم أحكام صفات ذاته، ولو اعترضت جميع العامة و كثيرًا من الخاصة وسألكتهم: هل الله تعالى-

قدرة [أو علم] (1) أو سمع أو بصر أو إرادة، وهل قدرته [متعلقة] (2) بجميع ما يصح كونه معلومًا لما عرفها حقية ذلك؟ فلو حكم بالكفر على من جهل صفة من صفات الله - تعالى، لوجب الحكم به على جميع العامة، وأكثر الخاصة وهذا محال.

____________________

(1) من ٥٠٤ – (٢) في الأصل: كلمة غير واضحة، والثبت من ها.
والدليل على صحة قولنا حديث السوداء، وأن الرسول قال لها:

وأما حديث أبي هريرة في الرجل الذي وقع الذنب مرة بعد مرة ثم استغفر ربه فغفر له، ففيه دليل على أن المصر في مشيئة الله - تعالى - إن شاء غفره وإن شاء غفر له مغلبيا خشيته التي جاء بها وهي اعتقاده، وإن له ربا خالقا يذبحه ويغفر له واستغفره إياه على ذلك، يدل على ذلك قوله: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» [الله] (1) في المغفرة.

فإن قيل: فإن استغفره ربه توبة منه، ولم يكن مرضاً! قبل له ليس الاستغفار أكثر من طلب غفرانه، وقد يطلب الغفران المصر والثواب، ولا دليل في الحديث على أنه قد كان تاب علامة الغفران.

(1) من هم (2) الآعدام: 160.
باب: كلام الرحب تعالى مع الأنبياء وغيرهم يوم القيامة

فيه: أنس: قال النبي - عليه السلام -: "إذا كان يوم القيامة شفعت
ثم أقول [1]: يا رب / [دخل من كان في قلبه خردة. فيدخلون]
[فقطت] (1). وأدخل الجنة من كان في قلب أدنى شيء ، وقال أنس
مرة عن النبي ﷺ: إذا كان يوم القيامة وماج الناس بعضهم في بعض
فيأتيون آدم... " إلى قوله: فأتيوني فأقول: أنا لها، فاستأذن على ربي
فؤذن لي ويلهمي محامد أحمد بنها، لا تخضري الآن، ولا
ساجدا، فقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، واشفع
تشفع، وسل تعط. فأقول: يا رب، أمتي. فإنا: انطلق فأخرج
[منها] (2). من كان في قلب مثقال شعيرة من إيهان... " وذكر الحديث
إلى قوله: "أدنى مثقال حبة من خردل من إيهان إلى قوله: " فمرونا
بأبي الحسن وهو متواز فقلنا: يا أبا سعيد، جتناك من عند
أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة. قال: هيه
فحدثناه، قال: حدثنا، وهو جميع منذ عشرين سنة أنه قال: ثم أعوذ
الرابعة فأحمد به تلك المحامد ثم أخر له ساجدا... " إلى قوله: " فقول:
وعزتي وجلالتي وكرياتي وظمتي لأخرىن منها من قال: لا إله إلا الله."
وفيه: عبد الله قال النبي - عليه السلام -: "إن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً من النار رجل يخرج [حوَّ] (1) فيقول له ربه: ادخل الجنة، فيقول: رب الجنة [ملاوي] (2) فيقول ذلك ثلاثة كل ذلك [يعيد] (3) عليه: الجنة ملأى! فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مرات".

وفيه: عدي قال النبي - عليه السلام -: "ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان".

وفيه: عبد الله: جاء حبر من اليهود إلى النبي - عليه السلام - فقال:
"إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع... الحديث "ثم يهزن ثم يقول: أنا الملك..." الحديث.


قال المهبل: قد تقدم إثبات كلام الله مع الملائكة المشاهدة له وأثبت في هذا الباب كلامه تعالى مع [النبيين] (4) يوم القيامة بخلاف ما حرمهم إياه في الدنيا بحجابه الأنصار عن رؤيته فيها، فيرفع في الآخرة ذلك الحجاب عن أبصرهم، ويكلهم على حال المشاهدة كما قال عليه السلام: "ليس بينه وبينه ترجمان" وجميع أحاديث الباب فيها كلام الله مع عباده، ففي حديث الشفاء قوله تعالى لمحمد:

(1) في الأصل: حبر.
(2) في الأصل: ملاوي. والثبت من "هبن".
(3) في الأصل: يعبر. والثبت من "هبن".
(4) في الأصل: "هب". والثبت من "هبن".
أخرجه من النار من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، 
قله: «وعزي وجلالي وكبرائي لآخر جن من منها من قال: لا إله إلا الله، فهذا كلامه للنبي - عليه السلام - بدليل قوله: فاستأذن على ربي»، وفي بعض طرق الحديث، فإذا رأيت أنه ساجداً، وكذلك قوله في حديث آخر من يدخل الجنة. قوله تعالى: «ادخل الجنة.» 
فيقول: رب الجنة ملأها »، إلى قوله: «لك مثل الدنيا عشر مرات.» 
فأتى بذلك كلامه تعالى مع غير الأنباء مشاهفة، ونظرهم إليه، وكذلك حديث النجوى: بدينه الله من رحمته وكرامته، وقوله: «سنترها عليك في الدنيا.»، وأنا أغرفها لك اليوم على الانفراد عن الناس، وقد تقصيت الكلام في النجوي في باب: سثر المؤمن على نفسه في كتاب الأدب في موضعه.

وقوله: «هي» هي كلمة استناداً للكلام، عن صاحب العين.

**

باب: قول الله تعالى: (وكلم الله موسى تكليماً) (1)

فيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام - : «احتجه آدم وموسى قال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة.» قال: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسلته وتكلمته... الحديث.

وفيه: أبو هريرة: قال النبي - عليه السلام - : «يجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشعتنا إلى ربي فرحنا من مكاننا هذا.»

وفيه: أنس قال: ليلة أسرى بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة، جاءه ثلاثة نفر قبل [أأن] (2) يوجي إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم:

(1) النساء: 164. (2) من هـ، ن.

قال المؤلف: بوب البخاري لحديث أنس في كتاب الأنبئاء باب:

[1) في "الأصل": لم. والثبت من "ه". ن.
[2) يباشر في "الأصل": والمثبت من "ه". ن.
[3) يباشر بال"الأصل": والمثبت من "ه". ن.
[4) في "الأصل": كلامه. والمثبت من "ه". ن.
[5) من "ه". ن.
[6) في "الأصل": عنه. والمثبت من "ه". ن.
كان النبي ﷺ نام عينه ولا ينام قلبه. ورب له في تفسير القرآن باب: 
قوله تعالى: «وما جعلنا الرؤيا التي أرينك» (1).

استدل البخاري على إثبات كلام الله، وإثباته [متكملًا] بقوله تعالى: «وكلم الله موسى تكليماً» (2) وأجمع أهل السنة على أن الله كلم موسى فلا واسطة ولا ترجمان، وأفهمه معاني كلامه، وسمعه. 
إياها؛ إذ الكلام مما يصح سماعه.

فإن قال قائل من العتزلة أو غيرهم: فإذا سمع موسى كلام الله بلا واسطة ولا ترجمان، فلا يخلو أن يكون من جنس الكلام المسموع المعهود فيما بيننا أو لا يكون من جنسه، فإن كان من جنسه فقد وجب أن يكون محدثًا كلام المحدثين، وإن لم يكن من جنسه فكيف السبيل إلى إسماعه إياها وفهمه معانيه؟

فأجابه أن له لزم من حيث سمعه منه تعالي وفهم معانيه أن يكون كسائر كلام المحدثين قياسًا عليه للزم أن يكون كونه فاعلاً وقادراً عالياً وحيًا ومريدًا، وسائر صفات من جنس جميع المصوفين بهذه الصفات فيما بيننا. فإن قالوا: نعم، خرجوا من التوحيد، وإن أبوه نقضوا دليلهم [واعتمادهم] (3) على قياس الغائب على حكم الشاهد.

ثم قال لهم: لن وجب أن يكون كلامه من جنس كلام المخلوقين من حيث اشتراك كلامه تعالي وكلامهم في إدراكهما بالاسماع لوجب إذا كان الباري - تعالى - موجودًا وشيئًا أن يكون من جنس الموجودات وسائر الأشياء المشاهدة لنا، فإن لم يجب هذا لم يجب

(1) الإسراء : 160. (2) في الأصل، مكتوماً. والثبت من همه. 
(3) النساء : 164. (4) في الأصل، واعتقادهم، والثبت من همه
ما عارضوا به ، وقد ثبت أنه تعالى قادر على أن يعلمنا اضطرارًا كل شيء يصح أن يعلمنا استدلالًا ونظرًا ، وإذا كان ذلك كذلك وجب أن يكون تعالى [ قادراً ] (1) على أن يعلم موسى معاني كلمه الذي لا يشبه كلام المخلوقين الخارج عن كونه حروفًا منظمة وأوصافًا مقطعة اضطرارًا أو ينصب له دليلا إذا نظر فيه أداه إلى العلم بمعاني كلمه ، فإذا كان قادرًا على الوجهين جميعًا زالت شبهة المعتزلة .

قال المهلب : في إفهام الله - تعالى - موسى من كلامه ما لا عهد له مثله بتوير قلبه له وشرحه لقبوله لا يخلو أن يكون ما أفههم الله سليمان من كلام الطير ومنطقها هو مثل كلام سليمان أو لا يشبه كلامه ، فإن كان يشبه كلام سليمان ومن جنسه فلا وجه لاحصاص سليمان ودواد بتعليمه دون بي جنسه ، ولا معنى لفخره عليه السلام بالخاصة وامتداحه بقوله : ٍّ علمنا منطق الطير ٍ (2) إلى قوله : ٍ إن هذا لهو الفضل المبين ٍ أو يكون منطق الطير الذي أفههم سليمان غير منطق سليمان وآله وبني جنسه ، فقد أفههم الله ما لم يفههم غيره من كلام الدهد وكلام النمل التي تسم ضاحكًا من قولها لفههم عنها ما لم يفههم غيره منها .

وإذا ذكر حديث أبي هريرة في حديث الشفاعة مختصرا لما في الحديث الطويل من قول إبراهيم : ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التوراة ، وكلمه تكتبًا وكذلك في حديث أنس في الإسراء : فوجد موسى في السماء السابعة بتفضيل كلمه عز وجل / وهذا يدل على أن الله - تعالى - لم يكلم من الأنبياء غير موسى - عليه السلام -

(1) في } الأصل : قادر . والثبت من } هـ .
(2) النمل : ١٦ .

- ٥٠٩ -
بخلاف ما زعم الأشعياء، ذكروا عن ابن عباس وابن مسعود أن الله
كلم محمدًا عليه السلام بقوله: ﴿أَوْحَى إِلَى عِبَادِه مَا أُوْحِي﴾ (1)
وأنا رأي ربه - تعالى -، وقد دفعت هذا عائشة وأعظمت فرية من
افترى فيه على الله - تعالى -.

وأما قول موسى إذ علا جبريل محمد: ﴿يا رب، لم أظن أنك
ترفع علي﴾ (2). موسى أن الله لم يكلم أحدًا من البشر في
dنيا غيره؛ إذ بذلك استحق أن يرفع إلى السماء السابعة، وفهم من
 قوله تعالى: ﴿إني أصطفيتك على الناس برسالاني ويكلامي﴾ (3) أنه
أراد البشر كلهم.

ولم يعلمنا - والله أعلم - أن الله - تعالى - فضل محمدًا عليه بما
أعطاه الله من الوسيلة والدعوة المقبولة منه شفاعة لامته وسائر الأنبياء
من شدة موقفهم يوم الحشر حين أحجم الأنبياء عن الوسيلة إلى ربهم
لشدة غضبه، وفضله بالإسعاف (4) بالمقام المحمود الذي وعده في
كتبه، فهذا رفع الله محمدًا على موسى.

وأما قوله: ﴿فَدَني الجبار رب العزة﴾ فهو دنو محبة ورحمة وفضيلة
لا دنو مسافة ونقلة لاستحالة النقلة والحركة على الباري إذ لا يجوز أن
تحوي الأمكانة.

وقوله: ﴿حتى كان قاب قوسين أو أدنى﴾ فهو جبريل الذي تدلي،
فكان من الله أو من أمره على مقدار ذلك. عن الحسن ﴿أَوْحَي إِلَى
عباد ما أُوْحِي﴾ (1) إلى جبريل ما أُوْحِي، وكتب القلم وحتى سمع

(1) النجم: 10.
(2) الأعراف: 144.
(3) الأعراف: مساعدة والمؤاتية والقرب في حسن مصافحة ومعاونة، انظر اللسان;
(4) الإسعاف: مادة: سعف.
محمد صرفه في كتابه، وبلغ جبريل محمدًا، وهو عند سورة الملتئم، قيل: إليها ملتئم أرواح الشهداء ما كذب الفؤاد ما رأى (1). وقال ابن عباس: رأى محمد ربه بقلبه. وعن ابن مسعود رضي الله عنهما رأى جبريل.

وهو قول قتادة. وقال الخن囚: ما رأى من مقدر الله وملكوته.

وقوله: أشترأوه عليه ما يرى (2) هو محمد رأى جبريل - عليه السلام- في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح رفرقا أخضر سما من الخلفين، ولم ير قط في صورته التي هو عليها إلا مرتين، وإنما كان يراه في صورة كان يشکل عليها من صور الآدميين وأكثرها صورة دحية الكليبي.

وفي قوله: أشترآه عليه ما يرى (2) دليل على أن العيان أكبر أسباب العلم فلا يتماري [فيه] (3) ولذلك قال عليه السلام: ليس الخبر كالمعانئة، رأيت لبعض الناس في لقاء النبي - عليه السلام- للأنبياء في السماوات دون علويين، و الأنبياء مقرهم في ساحة الجنة وريضها تحت العرش، ومن دونهم من المقربين هناك. فما وجه لقائه لأدم في السماء الدنيا، ولادرس في السماء الثانية، و هارون في الرابعة، وأخر في الخامسة، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة؟ قال: فوجهه أنهم تلقؤه عليه السلام كما يتلقى القادم يسبق الناس إليه على قدر سورهم بلقائه.

وقد روي عن [أنس في] (4) رتبة لقاء الأنبياء في السماوات خلاف حديث البخاري، روى ابن وهب، عن يعقوب بن عبد الرحمن

(1) النجم: 11 (2) النجم: 12 (3) من هـ (4) في الأصل: يونس عن. والمثبت من هـ.
الزهري، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن هاشم [بن (1) عتبة بن أبي (2) وقاص، عن أنس بن مالك فذكر حديث الإسراء: فوجد آدم في السماء الدنيا، وفي السماء الثانية عيسى وبحي بن زكريا ابنا الخالصة، وفي الثالثة يوسف، وفي السماء الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم.]

وأما قوله: "فاستيقظ وهو في المسجد الحرام" فإن أهل العلم اختلفوا في صفة مسير النبي، فقالت طائفة: أسرى الله بجسده ونفسه، روي ذلك عن ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير وقائدة، وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة.

وقالت طائفة من قال: أسرى بجسده أنه صلى بالأنبياء بيت المقدس ثم عرج به إلى السماء فأوحى الله إليه، وفرض عليه الصلاة، ثم رجع إلى المسجد الحرام من ليلته فصلى به صلاة الصبح، روى ذلك الطبري في حديث الإسراء عن أنس: ذكر من حديث أبي سعيد الخدري أنه صلى عليه السلام في بيت المقدس، ولم يذكر أنه صلى خلفه أحد، وقالت طائفة: أسرى برسول الله بجسده ونفسه غير أنه لم يدخل بيت المقدس، ولم يصل فيه، ولم ينزل عن البراق حتى رجع إلى مكة. روي ذلك عن حذيفة قال في قوله تعالى: "سبحان الذي أسرى بعده لبلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى" (3) قال: لم يصل فيه النبي - عليه السلام -، ولو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه كما كتب عليكم الصلاة عند الكعبة.

وقال آخرون: أسرى بروحه / ولم يسر بجسده، روي ذلك عن عائشة ومعاوية بن [أبي سفيان والحسن البصري، وذكر ابن فورك عن (1) في الأصل: عن . (2) من . (3) الإسراء: 1

- 512-
الحسن قال : (1) عرج بروح النبي - عليه السلام - وجدته في الأرض، وهو اختيار محمد بن إسحاق صاحب السير.

ومن حجة أهل المقالة الأولى ما روى عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريتكم إلا فتنة للناس﴾ (2) قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به إلى بيت المقدس، وليس رؤيا منام، رواه ابن عيينة، عن عمرو بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس قالوا: ولو أسرى بروحه دون جسده، وكان الإسرا في المنام ما أنكرت قريش ذلك من قوله عليه السلام، لأنهم كانوا لا ينكرون الرؤيا ولا ينكرون أحداً يرى في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل.

ومن حجة الذين قالوا: أسري بروحه دون جسده قول أنس في حديث الإسراء، قال حين أسرى به: «جاءه ثلاثة نفر وهو نائم في المسجد الحرام...» وذكر الحديث إلى قوله: «حتى أتوه ليلة أخرى فيما» (3) يرى قلبه وتائم عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فذكر النوم في أول الحديث وقال في آخره: «فاستيقظ وهو في المسجد الحرام»، وهذا بين لا إشكال فيه، وإلى هذا ذهب البخاري، ولذلك ترجم له في كتاب الأنبياء وتفسير القرآن ما ذكرته في صدر هذا الباب.

قال ابن إسحاق: وأخبرني بعض آل أبي بكر الصديق أن عائشة كانت تقول (4) : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن أسري بروحه.

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عيينة بن المغيرة أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا

(1) ياض بالأصل.
(2) الإسراء.
(3) في الأصل: وما والثابت من هه.
(4) من هنا سقط بالأصل وسيشبه على آخره، والثابت من هه.
من الله صادقة. قال ابن إسحاق: فلم ينكر ذلك من قولهما لقول
الحسن البصري: إن هذه الآية نزلت في ذلك يعني: قول الله - عز
وجل - : «وأما جعلنا الرؤيا التي أريتاك إلا فتنة للناس» (1) ولقول
الله - عز وجل - عن إبراهيم - عليه السلام - إذ قال لابنه: «يا
بني إني أرى في النماث أنى أذبحك» (2) ثم مضى على ذلك فعرف أن
الوحي من الله - عز وجل - يأتي الأنيباء أنيقاً ونياءً.
قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ يقول: «نام عمني، وقلبي
بقطان» فاتبعه علماء أي ذلك كان قد جاءه، وعاين فيه ما عاين من أمر
الله - تعالى - على أي حاله كان نائماً أو يقطان كل ذلك حق وصدق.
وذكر ابن فورك في مسائل القرآن قال: كان النبي ﷺ لليلة الإسراء
في بيت أم هانئ بنت أبي طالب. فاتبعه أعلم.
واحتج أهل هذه المقالة فقالوا: ما اعتل به من قال: إن الإسراء لو
كان في النماث مما أثكروه قريش؛ لأنهم كانوا لا ينكرون الرؤيا فلا حجة
فيه؛ لأن قريش كانت تكذب العيان، وترد شهادة الله التي هي أكبر
شهادة عليهم بذلك؛ إذ قال عنهم حين انشق القمر: «وإن يروا آية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر» (3) فأخبر عنهم أنهما يكيدون ما يرون
عيانًا، وكذلك قال عنهم: «ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظنوا
فيه يخرجون لقالوا إنما سكرت أبصقنا بل نحن قوم مسحورون» (4)
وقال تعالى عنهم أنهما قالوا: « لن نؤمن ذلك حتى تفجر لنا من
الأرض ينبوعًا» إلى إبراهيم في السماء (5) ثم قالوا بعدما تمنوهم:
ولن نؤمن لرقيق حتى ننزل علينا كتابًا (6) وقال تعالى:
وأقسموا بالله جهد أبائهم لإن جاءهم آية ليؤمنن بها» إلى قوله:

فَمَا يَشْعُرُكُم أَنَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ [١] الآية١. فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ يَكِيدُ عَقُولَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ حَتَّى يَنْكُروا الْعِيَانَ الْقاطِعَ لِلَّحَرَابِ.

وَمَثِيلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَوْ أَنَّا نُزِّلْنَا إِلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةَ وَكُلُّمِهِ الْمُوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلِ مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءُ اللَّهُ » [٢] إِنَّمَا كَانَ إِنْكَارُ قَرْيَةٍ لَّفْوَلُهُ : « أَسْرَى بِي اللِّيْلَةِ إِلَى بِتَتَّ الْمَقْدِسَ » حَرَصًا مِنْهُمْ عَلَى التَّشْيِعِ عَلَيْهِ ، وَإِثَارَةً اسْمُ الكِذْبِ عَلَيْهِ عَنْدَ الْعَالِمَةِ [٣] بِمَثَلِ هَذَا التَّشْيِعِ فَلَمْ يَسأَلُوهُ فِي الْيِقَظَةِ كَانَ ذَلِكَ الإِسْرَاءَ أَوْ فِي الْيَوْمِ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْتَقْرِيبِ لَهُ ، وَتَعْظِيمَ قَوْلِهِ ، وَهَذَا غَيْرُ مَعْدُومٍ مِنْ تَشْيِعِهِمْ ، أَلَّا تَرِى تَكْذِبِهِمْ قِبْلَ وَقْعَةٍ بَدِّرٍ لِرُؤِيَاءٍ عَانَاكَةَ بِنْتَ عَبَّدِ الرَّسُولِ ﷺ - عَمَّةٌ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِذْ قَالَتْ : رَأَيْتُ كَانَ صَخْرَةً [٤] وَقَعَتْ مِنْ أَبِي قَيْصُرٍ فَانْفَقَتْ فَمَا تُرَكَّتْ دَارًا بِمَكْهٍ إِلَّا دَخَلَتْ فِيهَا مِنْهَا فِلْقَةً . فَلَمْ أَرَوْا قَبْحٍ تَأْوِيلَهَا عَلَيْهِمْ قَالُوا : يَا بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، مَا أَهْلُ بِتَتِّ الْعَرَبِ أَكْذِبُ مَنْكُمْ ، أَمَّا كَفَّأَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُوْبُونَ فِي رَجَالِكُمْ حَتَّى جَعَلُوا مَنْكُمْ نَبِيًّا : فَشَنَعُوا رُؤِيَّاهَا ، وَأَخْبَرُوا عَنْهَا [٥] طَمَعًا فِي إِثْرَةِ الْعَالِمَةِ عَلَيْهِمْ ، فَكَذَلِكَ كَانُوا قَوْلُهُمْ فِي مسْرَارِ إِلَيْهِمْ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْلَّغَادِي : عَرُوْقُ الْحَلَقِ . وَأَهْلِ الْلِّغَةِ يَقُولُونَ : الْلَّغَادِي هِي كَالْزَوَائِدَ مِنْ لَحْمٍ يُكَانُ فِي بَاطِنِ الْأَذْنِينَ مِنْ دَاخِلٍ ، [١٦] وَعِبْضُ الْعَرَبِ تَسْمِيهِا : [ الْلَّغَادِ ] [٧] ، وَأَحَدَهَا : لَغْدٍ . ذَكَرَهُ ثَابِثُ فِي خَلَقِ الْإِنْسَانِ .

** ** **

(١) الأَنْعَامُ : ٨٩ . (٢) الأَنْعَامُ : ١١١ . (٣) إِلَى هَذَا يَنْتهِ السَّقْطُ .
(٤) فِي ﴿ هُمْ ﴾ : اِنْدُرَتْ . (٥) غَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي ﴿ الأَصِلِّ ﴾ ، وَالْمُلْبِتُ مِنْ ﴿ هُمْ ﴾ .
(٦) فِي ﴿ الأَصِلِّ ﴾ : وَاحِدَتُهُ لَغْدَةٌ . وَالْمُلْبِتُ مِنْ ﴿ هُمْ ﴾ .
(٧) فِي ﴿ الأَصِلِّ ﴾ : الأَنْعَامُ . وَالْمُلْبِتُ مِنْ ﴿ هُمْ ﴾ .
باب: كلام الله تعالى عز وجل مع أهل الجنة
فيه: أبو سعيد قال النبي - عليه السلام -: "إن الله يقول لأهل الجنة:
يا أهل الجنة. فيقولون: لي بك ربي وسعديك، والخير في بديك.
فقول: هل رضيت؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيناه ما
لم نعط أحدًا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك.
فقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟! فيقول: أهل عليكم
رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً.
وفيه: أبو هريرة: أن النبي - عليه السلام - كان يومًا يحدث - وعندما
رجل من أهل البادعة - أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال
له: أولست فيما شئت؟ فقال له: بل، ولكني أحب أن أزرع. فأسرع
بذر، فبادر الطوف نباته، واستوأوه واستحصده وتكويره أمثال الجبال
فقول الله: دونك يا ابن آدم، فإنك لا يشبعك شيء .. " الحديث.
قال المهلب: قد تقدم إثبات كلام الله مع الأنبياء ومع الملائكة،
وفي هذا الباب إثبات كلامه مع أهل الجنة بقوله عليه السلام: " إن
الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لي بك ربي وسعديك."
فإن قال قال من القدرية: إن في هذا الحديث ما يدل على وسهوه
وسقوطه، وهو قوله: أهل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده
ابداً. لأن فيه ما يوهمن له أن يسخط على من صار في الجنة، وقد
نطق القرآن بخلاف ذلك قال تعالى: "فمن زحزح عن النار وأدخل
الجنة فقد فاز" (1)، وقال: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إبائهم بظلم
أولئك لهم الأمن وهم مهتدون" (2) / و أنهم خالدون في الجنة أبداً.

(1) آل عمران: 185 (2) الأنعام: 82
فكيف يحل [١] عليهم رضوانهم، وقد أوجي بهُم لاهل الجنة بتقوله:
خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه [٢]. فيقال له: لما ثبت أن الله تفضل بخلق العباد، وأخرجهم من العدم إلى الوجود، وأنعم عليهم بخلق الحياة وإدامة الصحة والالتباز بنعمة، وكان له تعالى آلا يخرجهم ويبقىهم على العدم، ثم لما خلقهم كان له آلا يخلقهم أحياء ملذتين، وألا يديم لهم الصحة.

فكأن تعالى في مجازاة المحسنين وإنجاز ما وعدهم من إحسانه متفضلا عليهم، ولم يجب تعالى عليهم لأحد شيء يلزمهم، إذ ليس فوقع تعالى من شره له شرعًا، ولا آلهة حكمًا، وللمفضل أن يتفضلا وألا يتفضلا، كما له أن يتبع عباده بلا جزاء ولا شكور ت시설وا كسائر المخلوقات، لوجه أن يجازي مدة مدة، ومدة الأعمال في الدنيا متناهية فيقطع ما تفضل به من المجازة على ما تفضل به عليهم من العمل والمعونة.

وعلموا أن آدم عليه السلام كلف في الجنة [اجتناب] [٣] أكل الشجرة، فجاز عليه التكلف والمعصية، لم يأمنوا ما الله تعالى في خلقه مثلك ذلك من ابتداء التكلف وجواز المعصية، فزاد الله سرورهم بأن أمنهم ما كان له أن يفعله فيهم، ورفعه عنهم بالرضوان عليهم وإسقاط التكلف لهم [وعصمهم] [٤] من جواز المعصية عليهم، فلعل عبد الله العبد ألف سنة بعد تقدم أمره إليه بذلك لما وجب له عليه جزاء على عباده.

وكيف يجب له ثواب [وأقل] [٣] نعمة من نعمه تستغرق جميع أعماله التي تقرب بها إليه، فحلول رضواته عليهم أنعم لنفسهم من

(١) يباش بالأصل. والمثبت من «هد» (٢) المائدة: ١١٩. وغيرها.
(٣) من «هـ». (٤) في الأصل: وعنهم. والمثبت من «هد».
كل ما خولهم في جناته تعالى ، فسقط اعتراضهم ، وصع معنى الحديث .

ودخل حديث [ الزارع ] (1) في الجنة لتكلم الله له .

وقوله : " دونك يا ابن آدم ، فإنه لا يشعك شيء " فإن ظن من لما ( ينعم ) (2) النظر أن قوله : لا يشعك شيء . معارض لقوله :
" إن لك ألا تجوع فيها " (3) فليس كما ظن ; لأن نفي الشبع لا يوجب الجوع ؛ لأن بينهما واسطة الكفاية والشبع بعده ، وأكل أهل الجنة لا عن جوع أصلاً لنبي الله - تعالى - الجوع عنهم ، وختلف في الشبع فيها ، والصواب : لا شبع ؛ لأنه لو كان فيها لمنع طويل الأكل المستدلك منها مدة الشبع ، وإنما أراد بقوله عليه السلام : " لا يشعك شيء " ذم ترك القناعة بما كان فيه ، وطلب الزيادة عليه ، أي لا تشبع عينك ولا نفس بشيء ، والله الموفق .

* * *


وقال ماجد : " وإن أحد من المشركين استجارت فأجزه " (7) إنسان

(1) في " الأصل " : الزراع . والمثبت من " هد " .
(2) في " هد " : يعن . وهما يعنى . (3) طه : 118 .
(4) في " الأصل " : العبادة الدعاء . والمثبت من " هد " . (5) البقرة : 152 .

518
[بأنيه] (1) فيسمع ما يقول وما أنزل عليه، فهو آمن حتى يسمع كلام
الله (2) ثم أبلغه مأتمه (3) حتى يبلغ مأتمه من [حيث] (4) جاء النبأ
العظيم، القرآن صواباً حقاً في الدنيا وعمل به.
معنى قوله باب ذكر الله بالأمر: أي ذكر الله لعبادة يكون مع أمره
لهم بعبادته، والتزام طاعته، ويكون مع رحمة لهم، وإنعامه عليهم
إذا أطاعوه، وبعداه إذا عصوه.
قال ابن عباس في قوله: فاذكرني أذكركم (5): إذا ذكر الله
العبد وهو على طاعته؛ ذكره برحمته، وإذا ذكره وهو على مصيبه؛
ذكره بلغته.
قال سعيد بن جبير: أذكروني بالطاعة أذكركم بالملعنة.
قال المهلب: قوله: ذكر العباد بالدعاء والتضرع في الغفران
والتفضيل عليهم بالرزق والهدية، قوله: والرسالة والإبلاغ معاه:
وذكر الله الأنبياء بالرسالة والإبلاغ بما أرسلهم به إلى عباده بما يأمرهم
به من عبادته وينهاهم، قوله: واتل عليهم نباً نوح (6): فهذا
ذكر الله لرسوله نوح بما بلغ من أمره، وتذكره قومه بآيات الله
وذلك فرض على كل نبي تبلغ كتابه وشرعته، ولذلك ذكر قوله
تعالى: وإن أحد من المشركين استجزاكم فأجزه حتى يسمع كلام
الله (7) الذي أمر بتلاوته عليهم، وإنبائهم به.
وقال مجاهد: النبأ العظيم: القرآن، سمي نبأ لأنه [منبا] (8)
به، وهو مثول للنبي - عليه السلام - ولهذا ذكر في الباب هذه الآية
من أجل أمر الله - تعالى - محمدًا - عليه السلام - إجارة [المشرك

(1) من 5 هـ، ن. (2) التوبة : 6. (3) البقرة : 152. (4) يونس : 71. (5) في 5 الآصل 0: يبنياً، وللثbbox[1113,786,1205,824]تب من 5 هـ.
إلى هذا، وعمل به في الدين، وبالتالي لل скачة لمن أذن له، وكان يتصلى أن يذكر في هذا 
باب قوله عليه السلام عن ربه تعالى: "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملاذ ذكرته في ملاذ خير منهم، أي من ذكرني في نفسه متضرعًا [4] داعيًا، ذكرته في نفسي مجيبًا مشغولاً، فإن ذكرني في ملاذ الناس بالدعاء والتضمر ذكرته في ملاذ من الملائكة - الذين هم أفضل من ملاذ الناس - بالمرفرفة والرحمة 
والهدية، يفسره قوله عليه السلام في حديث التنزل: "هل من سائل فاعظه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تأيب فأتوب عليه" هذا ذكر الله للعباد بالنعم والإجابة لدعائهم.

* * *


وقوله: "ولقد أوحى إليك وإلي الذين من قبلك لئن أشركت... " [8] الآية

وقال عكرمة: "وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون" [9] قال:


قال المهلب: غرضه في هذا الباب إثبات الأفعال كلها لله تعالى كانت من الخلقين، خيرًا أو شرًا، فهي الله خلق وللعباد كسب، ولا ينسب منها شيء إلى غير الله - تعالى - فيكون شريكًا له، ونذا مساويًا له في نسبة الفعل إليه، وبه الله عباده على ذلك بقوله: فلا تجعلوا لله أندادًا وأتم تعلمون [10] أنه الخلق لكم ولا أعفاكم وزرائكم، ردًا على من زعم من القدرية أنه يخلق أفعاله، فمن علم

أن الله خلق كل شيء فقدر، فلا ينسب شيئًا من الخلق إلى غيره. فلذا ذكر هذه الآيات في نفي الأئدادة والإلهام المدعو معه، فمنها ما حذر به المؤمنين، ومنها ما وعظ به الكافرين الصالحين، ثم أثنى على المؤمنين في قوله: «وَالذِّينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أُخَرَ (١) يَرِيدَ كَمَا يَدْعُو عَبْدَةَ الآوِئين لِتَزْنُقُهُمْ، وَتَعَافُوْهُمْ، وَهُوَ لَا يَتِلُّهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفَعًا.»
وقوله: «أي الذنوب أعظم؟ قال: أن تجعل الله نداً وهو خلقك!» معناه: رزقك بدليل قوله: "ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطمِّع ملكك كيف تقتله وقد خلق رزقه، فلا يأكل من رزقك شيئًا، فمن خلقك وخلقه، ورزقك وزرته، أحق بالتعبد من النذ الذي اتخذت معه شريكًا، ثم أن تزاني حليلة جارك، وقد خلق لك زوجة فتقطع بالزنا، الرحم والنسب، وتفطع الأرحام، سبب إلى قطع الرحمه من الله، والتراحم بين الناس، لا ترى غضب القبائل لبني عمهوا [٢] من أجل الرحم، وإن الغدر وخصم الفعل منسوب إلى أولاد الزنا، لانقطاع أرحامهم.

* * *

باب: قوله تعالى: "وما كنت تسترون أن يشهد عليكم سمعكم" الآية

(١) القرآن: ٢٨. (٢) في الآصل: «عنها» والثبت من «ه».
(٣) فصلت: ٢٢. (٤) غير واضحة بالأصل. والثبت من «ه»، ن.
فإنه يسمع إذا أخفينا ؛ فأنزل الله : ﴿ وما كنت تسترون أن يشهد عليكم ﴾ (1) الآية.

غرضه في هذا الباب إثبات السمع لله تعالى - والعلم بنيات [الكلام] (2) في هذه الآية ومن سائر الآيات [في الأبواب] (3) المتقدمة، وإذا ثبت أنه سمع فواجب كونه [سامعًا] (4) بسمع، كما أنه لما ثبت كونه عالماً وبُعذ كونه عالماً بعلم، خلافًا من أنكر صفات الله من المعتزلة، وقالوا: معنى وصفه بأنه سامع للمسموعات: معنى وصفه بأنه عالم بالمعلومات ولا سمع له، ولا هو سامع حقيقة، وهذه شناعة ورد (5) لظواهر كتاب الله وسنن رسوله، وموجب كون المخلوق أكمل أوصافًا من الخالق ؛ لأن السامع هنا يسمع الشيء ويعمله حقيقة، وكذلك البصير مما يرى الشيء ويعمله حقيقة، فلو كان الباري سامعًا لما يسمعه، وتكلم به معنى أنه [عالم] (6) فقط ؛ لكنه أكمل وصفًا منه تعالى من حيث أدركنا الشيء من جهة السمع والعلم، وأدركه هو من جهة العلم فقط، ومن أدرك الشيء من وجهين أولى بصفة الكمال من مدركه من وجه واحد، وهذا يوجب عليهم أن يكون خالقهم بصفة الأصم الذي يعلم الشيء ولا يسمعه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا.


(1) فصلت : 22 (2) في "الأصل" : الإخلاص. والثبت من "هذ". (3) من "هذ". (4) في "الأصل" : سامع. والثبت من "هذ". (5) في "الأصل" : عالمًا. والثبت من "هذ". (6) في "الأصل" : عالمًا. والثبت من "هذ".
ولأ يسمع إن أخفينا قد أخطأ في قياسه لأنه شبه الله - تعالى - بخيله الذين يسمعون الجهر، ولا يسمعون السر، والذي قال: "إن كان يسمع إن جهروا، فإنه يسمع إن أخفينا" أصاب في قياسه حين لم يشبه الله بالمخلوقين، ونزاهم عن مخالفتهم.

فإن قيل: فإن كان أصاب في قياسه، فكيف جعله النبي (平静) عليه السلام - من جملة الذين شهد [ لهم ] (平静) بقية الفقه.


* * *


فيه: ابن عباس قال: "كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم، وعندكم كتاب الله أقرب الكتاب عهدًا بالله، تقرون منه محضاً لم يشب".

وقال مرة: كتابكم الذي أنزل على نبيكم [ (平静) أحدث الأخبار بالله.

(平静) الحديث موفوق على ابن مسعود من قوله وليس للنبي (平静) في ذكر فتته.

(1) في "الأصل": له، والثابت من "ه": (平静).

(2) في "الأصل": له، والثابت من "ه": (平静).

(3) في "الأصل": له، والثابت من "ه": (平静).

(4) في "الأصل": له، والثابت من "ه": (平静).

(5) في "الأصل": له، والثابت من "ه": (平静).

(6) في "الأصل": له، والثابت من "ه": (平静).

(7) في "الأصل": له، والثابت من "ه": (平静).

(8) في "الأصل": له، والثابت من "ه": (平静).

(9) في "الأصل": له، والثابت من "ه": (平静).

(10) في "الأصل": له، والثابت من "ه": (平静).
غرضه في هذا الباب الفرق بين وصف كلام الله بأنه مخلوق، وبين وصفه بأنه محدث، فأتال وصفه بالخلق، وأجاز وصفه بالحدث، اعتمادًا على قوله تعالى: ۴۰ ما يأتيهم من ذكر من ربه، محدثٍ. (1) وهذا القول لبعض المعتزلة ولبعض أهل الظاهر، وهو خطأ في القول؛ لأن الذكر الموصوف في الآية بالإحداث، ليس هو [ نفسه [ (2) كلامه تعالى؛ لقيام الدليل على أن محدثاً، ومخلوقاً، ومنشئًا، ومخترعًا: ألفاظ متراكبة على معنى واحد.

فإذا لم يجز وصف كلامه تعالى القائم بذاته بأنه مخلوق، لم يجز وصفه بأنه محدث، وإذا كان ذلك كذلك كذكر كان الذكر الموصوف في الآية بأنه محدث [ راجعًا [ (3) إلى أنه الرسول - عليه السلام - ؛ لأنه قد سمى الله تعالى - في آية أخرى ذكرًا، فقال تعالى: ۴۱ قد أنزل الله إليكم ذكرًا رسولًا. (4) فسماه ذكرًا في هذه الآية، فيكون المعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم، معنى: ما يأتيهم رسول. ويجعل أن يكون الذكر في الآية هو وعظ الرسول، وتحذيره إياهم من معاصي الله، فسمي وعظه ذكرًا، وأضافه إليه، إذ هو [فاعل] (5) له، ومقدر رسوله على اكتسابه.

وقال بعض المتكلمين في هذه الآية: يحتل أن يرجع الإحداث إلى [الإيمان ] (6)، لا إلى الذكر القديم؛ لأن نزول القرآن على النبي كان شيئاً بعد شيء، فكان يحدث نزوله حيناً بعد حين، ألا ترى أن العالم يعلم ما لا يعلمه الجاهل، فإذا علمه الجاهل، حديث عنده العلم، ولم يكن إحداثه عند التعلم [إحداث عين العلم]. (7)

باب: [قوله تعالى: لا تحرك [1] به لسانك] (2)

وفعل النبي ذلك حين ينزل عليه الوحي

وقال أبو هريرة: [عن النبي ﷺ: قال الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني وحركت بي شفتيه]

فهي: ابن عباس في قول الله - تعالى -: لا تحرك به لسانك (3)

قال: كان النبي ﷺ يعالج من التنزل شدة، كان يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: [فأنا أحركهما] (4) ذلك كما كان النبي يحركهما، فحرك شفتيه، فأنزل الله - تعالى -: لا تحرك به لسانك لتعلجل به إن علينا جمعه (5)

قال: جمعه في صدره ثم تقرأه، قال: [إذا قرأناه فاتبع قرأته] (6)

قال: فاستمع له وأنصت، ثم إن علينا أن نقرأ، فكان النبي ﷺ إذا آتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي - عليه السلام - كما أقرأه.

قال المهلب: غرضه في هذا الباب، أن يعرفك أن روعاء القلب لامسمعه من القرآن، وأن قراءة الإنسان وحركية شفتيه [ولسانه] (7)، عمل له وكسب يؤجر عليه، فكان عليه السلام يحرك به لسانه عند قراءة جبريل [عليه] (8) مبادرةً لا يفلت منه ما سمع، فنهى الله عن ذلك، ورفع عنه الكلفة والمشقة التي كانت تناله في ذلك، مع ضمانه تعالى تسهيل الحفظ على نبيه، وجمعه له في صدره، وأمره أن يقرأ إذا فرغ جبريل من قراءته، وهو معنى قوله تعالى: [إذا قرأناه فاتبع قرأته] (9).

وقيل معنى قوله تعالى: [إذا قرأناه فاتبع قرأته] (10): أي

(1) طمس بالأصل، والشبت من هـ.
(2) القياسة: 16.
(3) في الأصل: أنا أحركهما، والشبت من هـ.
(4) القياسة: 18.
(5) في الأصل: عليه السلام، والشبت من هـ.
(6) في الأصل: لا تحرك به لسانك.
(7) القياسة: 16-17.
(8) في الأصل: لا تحرك به لسانك.
(9) في الأصل: لا تحرك به لسانك.
(10) في الأصل: لا تحرك به لسانك.
عمل بما فيه، فأما إضافته فعل القراءة إليه بالقوله: (فإذا قرأناه)  
والقارئ لكلامه تعالى على محمد ﷺ هو جبريل دونه [ تعالى ] فهذه إضافة فعل فعله في غيره، كما تقول: قتل الأمر اللص وصلبه، وهو لم يل ذلك بنفسه، إنما أمر من فعله.
ففيه بيان لما يشكل من كل فعل ينسب إلى الله - تعالى -، مما لا يليق به فعله من الإتيان، والنزول، والمجيء، أن ذلك الفعل إنما هو مستنبط إلى الملك المرسل به، كقوله: (وجاء ربك) والمجيء مستحيل عليه لاستحالة الحركة، وإنما معناه: واجه أمر ربك ورسل ربك، فنها استحالت عليه الحركة والانتقال، كذلك استحالت عليه القراءة المعلومة [ منا ] لأنها محاولة [ حركة ] أعضاء وآيات، والله تعالى عن ذلك، وعن شيء الخليفة في قول أو عمل.
وأما قوله: (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفته) فمعناه:
أنا مع عبدي زمن ذكره لي أي: أنا معه بالحفظ والكلاء، لا على أنه معه بذاته حيث حل العبد وتبقلب، ومعنى قوله: (وهتكب بي شفته) تحركت بسمي وذكره لي [ وسائر ] أسمائه تعالى الدالة عليه، لا أن شفته ورسالته تتحرك بذاته تعالى، إذ محل حلونه في الأماكن، ووجوده في الأفواه، وتعاقب الحركات عليه.


باب: قوله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به) إلى الخبير (1) يتخافون: ينسرون
فيه: ابن عباس في قوله: (ولا تجه بصلاتك ولا تخافت

(1) القياس: 18. (2) من هـ.  
(2) النجر: 22. (4) في "الأصل": منها. والثبت من هـ.  
(3) في "الأصل": سائر. وأثبت من هـ. (6) الملك: 14.

527 -
لاستواء علمه بالسر من القول والجهر، وقد بينه تعالى في آية أخرى، فقال:

"سواء منكم من أسر القول ومن جهر به" (الأنفال: 36).

وفي دليل أن اكتساب العباد من القول والفعل خلق الله - تعالى - ألا ترى قوله:

"وأرسوا قولكم أو أجهروا به إن هؤلاء بذات الصدور" (الأنفال: 37).

ثم قال عقيب ذلك:

"ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" (الأنفال: 38).


فإن قال قائل من القدرية الذين يزعمون أن أفعال العباد ليست

رائع بالأحلى إلى [الأنفال: 36] تعالى - قوله: "لا يعلم من خلق" غير

الآية [دليل لكم على كونه تعالى خالقًا لقول القائلين] قيل [الأنفال: 37] له:

هذا تأويل فاسد؛ لأن الله - تعالى - أخرج هذا الكلام مخرج التمدد


(6) في الأصل : متدح. (7) في الأصل : خلق. (8) بياض في الأصل.
منه بعلمه ما أسره من قولهم وجهروا به، وخلقه لذلك مع خلقه
خلقه، ديلي على كونه عالما به.
فلو كان غير خالق له، [ومتدحما] (1) بكونه عالما بقوله، وإلخ.
لهم دون قولهم؛ لم يكن في الآية دليل على صحة كونه عالما
بقولهم، كما ليس في عمل العامل ظرفًا من الظروف دليل على علمه
ما أودعه غيره فيه.
وأله تعالى فقد جعل خلقه ديلي على كونه عالما بقولهم؛ فيجب
رجوع خلقه تعالى إلى قولهم؛ ليصح له التمديح بالأمرين، ولتكون
أحدهما ديلي على الآخر، وإذا كان ذلك كذلك، ولا أحد من الآمة
يفرق بين القول وسائر الأعمال، وقد دلت الآية على كون الأقوال
خلقه له تعالى؛ وجب كون سائر أعمال العباد خلقا له.
وما قوله عليه السلام: «ليس منا من لم يتغنى بالقرآن» فقد تقدم
في فضائل القرآن، وتلخيص معناه: الحسب على تحسين الصوت به،
والغناة الذي أمر النبي - عليه السلام - أن يقرأ القرآن به، هو الجهر
بالصوت وإخراج تلاوته من حدود مساق الإخبار والمحادثة؛ حتى يتميز
التالي له المتحدث تعظيمًا له في النقوش وتجبيء إليها.
فإن قال قائل: فإن كان معنى قوله عليه السلام: «ليس منا من لم
يتغنى بالقرآن» ما ذكرت من تحسين الصوت به، أفتقد من لم يحسن
صوته بالقرآن فليس من النبي - عليه السلام -؟
قبل: معناه لم يستن بنا في تحسين الصوت بالقرآن؛ لأنه عليه
السلام كان يحسن صوته به، ويرجع في تلاوته على ما حكاه ابن مغفل،
على ما يأتي بعد، فمن لم يفعل مثل ذلك فليس بيعت لسته عليه
السلام، ولا مقتديًا به في تلاوته.

(1) في الأصل: متدحاً، والثبت من هـ.
باب: قول النبي عليه السلام: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل، فإن أن قيامه بالكتاب هو فعله. وقال تعالى: (1) فمن آياته خلق السماوات والأرض
واختلف ألسنتكم وألوانكم (2) قال تعالى: (3)
وافعلوا الخير لعلكم تفلحون (3) فيه: أبو هريرة قال النبي عليه السلام: لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار، (فهو) يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل، ورجل آتاه الله مالا فهو ينطقه في حقه، يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا عملت فيه مثل ما يعمل.

هذا الباب مستغنى عن الكلام فيه لبيانه ووضوح معناه من تأمله من ذوي الألباب.

* * *

باب: قوله تعالى: (4) يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك (5) الآية
وقال الزهري: من الله الرسالة، وعلى رسوله البلاغ، وعليه التسليم. وقال تعالى: (6) ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم. وقال: أبلغكم رسالات ربي (7) وقال في قصة كعب حين تخلف عن النبي:

وَسَيِّرَ اللَّهُ عَلَمَكُم وَرُسُولُهُ، (١) وَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِذَا أَعْجَبَكَ حَسَن
عمل أُمَرّى. فَقَلَّ: أَعْمَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَمَكُم وَرُسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَلَا
يَسْتَخْفِىَ أَحَدٌ. وَقَالَ مَعْمَرُ: "ذَلِكَ الْكِتَابُ" (٢) هَذَا الْقُرْآنُ "هَذِه
للْمَتَّقِينَ" (٣) بِيَانٍ وَدُلْوَةٍ، كَذِكْوَلِهِ: "ذَلِكَ حَكِيمُ اللَّهِ" (٤) هَذَا
حَكِيمُ اللَّهِ، "لَا رَبَّ فِيهِ" (٥) لَا شَكَّ. "ذَلِكَ آيَاتٌ" (٦) يَعْنِي
هَذِهِ أَعْلَامُ الْقُرْآنِ، وَمِثْلَهُ: "حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفَلَكِ وَجَرِينَ بِهِمْ" (٧)
يَعْنِي: بِكَمْ. وَقَالَ أَنْسٌ: بَعْثَ النَّبِيّ عَلیهِ السَّلاَمُ خَالِئًا [حَرَامًا] (٨) إِلَى
قُومٍ، وَقَالَ أَنْسُوْنيٌّ حَتَّى أَبْلَغَ رَسَالَةَ رُسُولِ اللَّهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیهِ وَسَلَّمَ [بِحَدِيثِهِ] (٩)
فِي: الْمُغْيِرَةُ: "أَخْبِرْنَا نَبِيًا عَن رَسَالَةِ رَبِّنَا، أَنْ هَذَا مِنْ قَطِلَ منْ صَارِإِلِ
الْجَنَّةِ". (١٠)

وَفِيهِ: عَائِشَةُ قَاوْلَتْ: "مَنْ حَدَّثَكَ أَنْ مُحَمَّدًا كَانَ شَيْئًا مِنْ الْوُحِي، فَلا
تَصْدِقُهُ إِنَّ اللَّهَ مُحَمَّدًا أَنْ تَقُولُ: "يَا أَبِي الْرَّسُولُ بَلْغَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ" (١١) الْآيَةُ.

وَفِيهِ: عَامِرُ الْأَرْضِ: "قَالَ [رَجُلٌ] رَسُولُ اللَّهِ، أَيَّ الْذِّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟
قَالَ: (١٢) أَنْ تَدْعُو اللَّهَ نَذَاً، وَهُوَ خَلْقُكُنَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
تَصْدِيقَهُ: "وَالْذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهِ آخَرًا" (١٣) الْآيَةُ.

قَالَ الْمُهْلَبُ: هَذَا الْبَابُ كَالَّذِي قَبْلَهُ، وَهُوَ فِي مَعْنَا وَتَبْلِيغٍ
الْرَّسُولِ فَعَلَّ مِنْ أَفْعَالِهِ.

وَقُولُ الْزَّهْرِيِّ: مِنْ اللَّهِ الرَّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِهِ الْبَلَاغُ بِيَنِي هَذَا،
وَأَنْهُ قُولُ أَئِمَّةِ الْدِّينِ.

---

وقوله : ﴿ فسيرى الله عملكم ﴿ (1) يعني : تلاوتحم وجميع أعمالهم، ومنعى قوله : ﴿ بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴿ (2) يريد بلغه جهارةً وعلانيةً، فإن لم تفعل فما بلغت كل التبليغ.

قول عائشة : "إذا أعجبك حسين عمل أمرئي" تلاوته من عمله.

وقولها : "ولا يخفنك أحد" أي لا يستخفك بعمله، فتنزه به الخير، لكن حتى تراها عاملا على ما شرع الله، ورسوله على ما سن، والمؤمنون على ما عملوا.

قول معمر في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴿ (3) ففسر ذلك [هذا و] [هذا] ذلك ما يخبر به [عن] [الغائب]، [وهذا] [هذا] إشارة إلى الحاضر، والكتاب حاضر، ومنعى ذلك أنه لما أيده جبريل بتلاوة القرآن للحمد - عليه السلام - كفت حضرته التلاوة عن أن يقول هذا الذي يسمع، هو ذلك الكتاب لا ريب فيه، فاستغنى بأحد الضميرين عن الآخر.

قوله تعالى : ﴿ حتى إذا كنت في الفلك وجرين بهم ﴿ (4) فلما جاز أن [يخبر] [هذا] عنهم بضميرين مختلفين : ضمير المخاطبة والحضر، وضمير الخير عن الغيبة، فذلكل أخير بضمير الغائب بقوله : ﴿ ذلك ﴿، وهو يريد هذا الحاضر، وهذا مذهب مشهور للعرب، سمه أصحاب المعاني : الالتفات، وهو انصرف المتكلم عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر.

وقوله تعالى: { كنتم  كنتتم  ثم قال:  پهم } يدل أنه خاطب الكل، ثم أخبر عن الرازيين للفلك خاصة [اذق قد يركبها الأقل] (1) من الناس، لكن جواز أن يركبها [كل] (2) واحد من الخاطبين خاطبهم بضمير الكل، ولن لا يركبها إلا الأقل آخر عن ذلك الأقل يقوله: {پهم}. 

* * *

باب: قوله تعالى: {فانتوا بالتوراة فاتلوها}

إن كنتم صادقين (3)


فيه: ابن عمر: { قال النبي : إنما ينقئكم فيما سلف من الأئمة. كما بين [صلاة] (1) العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة، فعملوا بها حتى انتصف النهار، ثم عجزوا، ثم أوتي أهل الإنجيل.

(1) في الأصل: أنه يركبها الأول. والثبت من هـ.
(2) في الأصل: لكل. والثبت من هـ. (3) آئ عمران: 93.
(4) في الأصل: يلون. والثبت من هـ. (5) الجمعية: 5.
(5) من هـ. ن. (7) في هـ، ن. بارجي.
الإنجيل، فعملوا به حتى صليت العصر، ثم عجزوا، [ثم أوتيتم] القرآن، فعملتم به حتى غربت الشمس... الحديث، وسمي النبي صلى الله عليه وسلم «صلاة: عملا، وقال: لا صلاة ممن لم يقرأ باğaزة الكتاب».

وفيه ابن مسعود: أن رجلا أتى النبي فقال: أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله.

قال المهرب: مغني هذا الباب كالذي قبله، أن كل ما يكسبه الإنسان مما يؤمر به من صلاة أو حج أو جهاد وسائر الشرائع عمل له يجازى على فعله، ويعاقب على تركه، إن أنذر الله على الوعيد.

وأما قوله - عليه السلام - حين سئل أي العمل أفضل، فقال: [الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد] فقرر حك الوالدين

[بِحَقِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى عَبَادِه بَيْنِ النَّفْسِ وَالْحَرْطَمِ، وَلَيْسَ هَذَا بِمُخَالِفَةٍ لِلْحَدِيثِ الْآخِرِ] (2) أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أي العمل أفضل، فقال: إيمان بالله، ثم الجهاد، ثم حج مبرور، ولم يذكر بر الوالدين، وإذاما يفيئ السائل بحسب ما يعلم من حاله، أو ما يتقي عليه من فترة الشيطان.

فذلك اختفي ترتيب أفضل الأعمال، مع أنه قد يكون العمل في وقت أوكده أفضله منه في وقت آخر، كالجهاد الذي يتأكد مرة، ويتراخي مرة، أما تراه أمر وفد عبد الله يأمر بائد الفضل باستغاثتهم ذلك منه، فلم يريبه لهم الأعمال، ولا ذكر لهم الجهاد ولا بر الوالدين، وإذاما ذكر لهم أداء الحج مما يغنمون، وذكر لهم الانتباه في الوقت فيما نجاهم عنه، وفي المنهاج ما هو أوكده منه مراة.

١٠٤٣٤
باب: قوله تعالى: "إن الإنسان خلق هلوساً»: ضجرًا
(1)
إذا مسه الشر جزوعًا وإذا مسه الخير منوعًا
(2)
فيه: عمرو بن [تغلب] قال: أما النبي - عليه السلام - قال:
كأعطى قومي ومنع آخرين، فبلغتهم عني، فقال: إن أعطي الرجل
وأدع الرجل، والذي أدع أحده من الذي أعطي، أعطي أقوامًا لما
في قلوبهم من اللمع والجزوع، وأكل أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهم
من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب، قال عمرو: ما أحب أن لي
بكلمة النبي حمّر النعم».
قال المهلب: يعني هذا الباب إثبات خلق الله للإنسان بأخلاقه التي
خلقته عليه من اللمع، والمُع، والإعطاء، والصبر على الشدة،
واحتساب ذلك على الله - عز وجل - وفسر هلوساً بقول من قال:
ضجرًا، لأن الإنسان إذا مسه الشر ضجر به، ولم يصر محتمًا،
ولزم من آمن بالقدر خيره وشره، وعلم أن الذي أصابه لم يكن
ليمته، وما أخطاه لم يكن ليضيء، الصبر على كل شدة تنزل به.
ألا ترى أن الله - تعالى - قد استثنى المصلين الذين هم على
صلاته دائمون، لا يضجرون بتكرارها عليهم، ولا يملون؛ لأنهم
محتمسين لها، ومكتسبون بها التجارة الراجعة في الدنيا والأخرة،
وذلك لا يعنون حقوق الله في أمواله، فعرفك بما خلق الله عليه
أهل الجنة من حسن الأخلاق، وما استثنى به العارفين المحتمسين
بالمصلى [الصدقة].
فقد أفهمك أن من أدّى نفسه قدرة وحولا بالإمساك والضجر
والضرور من الإملاك والفقر، وقوة الصبر لقدر الله الجاري عليه بما سبق
في علمه ليس بقدر ولا عابد الله على حقيقة ما يلزمه، فمن

(1) المراجع: 19 - 21. (2) في الأصل: "ثعلبة". والثبت من هنالك.
(3) في الأصل: "بالصبر والصلاة". والثبت من هنالك.

- 535 -
ادعى أن له قدرة على نفع نفسه، أو دفع الضر عنها، فقد ادعى أن
فهي صفته الإلهية من القدرة.

وفي حديث عمرو بن تغلب دليل أن أرقاء العباد ليست من الله - تعالى - على قدر الاستحقاق والدرجة والرفعة عنه، ولا عند السلطان في الدنيا، وإنما [هـ] (1) على وجه المصلحة، والسياسة لنفس العباد الأمارة بالسوء، ألا ترى أنه عليه السلام [كان] (2) يعني أقوامًا؛
ليداوي ما بقوهم من جزء، وكذلك المنع، هو على وجه الثقة
(بتميزه) (3) بما قسم الله [هـ] (4) لمنعه عليه السلام أهل البصائر والقائمين.

قال غيره: وفيه من الفقه أن البشر فاضلهم ومفضلهم، قد جلوا
على حب العطاء، وبغض المنع، والإسراع إلى إنكار ذلك قبل
الفكرة في عافيته، وهل [إفعالية] (5) ذلك مخرج؟ وفيه أن المنع قد
لا يكون مذمومًا، وكون أفضل للممتنع لقوله عليه السلام: (6) وأكل
أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغني والخير.

وهذه المنزلة التي شهد لهم بها النبي - عليه السلام - أفضل من
العطاء الذي هو عرض الدنيا، ألا ترى أن عمرو بن تغلب اغتنم
بذلك بعد جزء منه، وقال: (7) ما أحب أن لي بذلك حمر النعم
وفي استثناء من يخشى منه، والاعتدار إلى من ظنًا والأمر
بخلاف ظنه، وهذا موضع كان يحتفل الثواب للفظان، واللوم له
لكنه عليه السلام رفوف رحيم كما وصفه الله.

* * *

باب: ذكر النبي عليه السلام وروايته / عن ربه
فبه: أنس عن النبي يرويه عن ربه قال: [إذا تقرب العبد

(1) في الأصل: هو. والثبت من هـ.
(2) في الأصل: قال. والثبت من هـ.
(3) في الأصل: فاعل. والثبت من هـ.
(4) من هـ.
(5) في الأصل: فاعل. والثبت من هـ.
(6) في الأصل: هو. والثبت من هـ.

- 536 -
إلي شيرك تقربت إليه ذراعًا... الحديث [1]

وفيه: أبو هريرة: عن النبي - عليه السلام - يرويه عن ربيكم قال:

«كل عمل كفارة، والصوم لـ... الحديث.


قال: لا ينبغي للعبد أن يقول [ إنه ] [3] خير من ينس بن متي.»

وفيه: ابن مغفل: رأيت النبي - عليه السلام - يوم الفتح على ناقة له، يقرأ سورة الفتح، قال: فرجع فيها، ثم قرأ معاوية بن قرة يحكي قراءة ابن مغفل، وقال: لولا أن يجتمع الناس عليك لرجعت كما رجع ابن مغفل يحيكي عن النبي، فقلت [لمعاوية] [4]: كيف كان ترجعه؟

قال: أأ أ ثلاث مرات.»


1 [لايجيب بالأصل. والمثبت من هـ، (3) من هـ، (4) في الأصل: لا من معاوية. والمثبت من هـ، (5) النجم: 3-4
وقول معاوية: «لولا أن يجتمع الناس إلى لرجلت كما رفع ابن مغفل يحيى عن النبي» يدل أن القراء بالترجيح والأخلاقي تجمع نفس الناس إلى الأصغاء والتفهم، ويستعملها ذلك حتى لا تتكات نصبر عن استماع الترجيح المشوب بذلة الحكمة المفهومة منه، وقد تقدم [في كتاب فضائل القرآن [1]] في باب من لم يتعن بالقرآن: [اختلاف أهل العلم في التغني.

* * *

باب: ما يجوز من تفسير التوراة وكتب الله بالعربية، وخبرها لقوله تعالى: ﴿فاتوا بالتوراة فاتلوها﴾ [2]

إن كنتم صادقين [3]


وفيه ابن عمر: «أن النبي ﴿أني برجل وامرأة زما من اليهود، فقال: فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ [2] [قالوا:

(1) من ﴿هـ﴾ 93 آل عمران.
(2) من ﴿هـ﴾ 64 آل عمران.
(3) من ﴿هـ﴾ 136 البقرة.


وسمي ذلك قرآناً، وكذلك الإيمان يصح أن يقع بالعربية (1) وبالفارسية، وحجة من لم يجز قراءة القرآن بالفارسية قوله تعالى: "إنا أنزلنا قرآناً عربياً" (2) فأخبر تعالى أنه (1) [أنزله عربياً] (3). فبطل أن يكون القرآن الأعمجي منزلاً، ويقال لهم: أخبرونا إذا قرأ فاتحة الكتاب بالفارسية، هل تسمى فاتحة الكتاب أو تفسير فاتحة الكتاب، فإن قالوا: تفسير فاتحة الكتاب، قبل لهم: قد قال عليه السلام: "لا صلاة من لم يقرأ بفاتحة الكتاب"، ولم يقل بتفسير فاتحة الكتاب.

لا ترى أنه لو قرأ تفسيرها بالعربية في الصلاة لم يجز، ففسرها بالفارسية أولئك ألا يجوز. وقولهم: إن الله حكي قول الأنباء - عليهم السلام - الذي بلسأنهم بلسان عربي في القرآن، كقول نوح: "يا بني أركب معنا" (4) وأن نوح قال هذا بلسأنه، فذلك يجوز أن يحكى القرآن بلسانهم.

فإجابتنا أن نقول: أنهم ما نطقوا بما حكي عنهم إلا كما في القرآن، ولو قلنا ما ذكرنا لم يلزمنا نحن أن نحكى القرآن بلغة أخرى؛ لأنه يجوز أن يحكى الله - تعالى - قولهم بلسان العرب، ثم يعتدنا نحن بتلاوته على ما أنزله فلا يجوز أن نتعداه، وما يحتاجون به أنه في الصحف الأولى، وما يحتاجون به من قوله: وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ» (5) فأتذر به على لسان كل أمة، فإجابتنا أن العرب إذا حصل عندها أن ذلك معجز، وهم أهل الفصاحية كانت العجم أتباعًا لهم، كما كانت العامة أتباعًا للسحرة في زمن موسى، وأتباعًا للطب في زمن عيسى، فقد يمكن العجم أن يتعلموا بلسان العرب.

---

(1) يباض بالأصل، والثبوت من هـ.
(2) يس.” الأصل: عربياً. والثبوت من هـ.
(3) هود: 42.
(4) الأفعال: 19.
(5) الأفعال: 19.
وأما قولهم: إن الإيمان يصح أن يقال بالفارسية، فاجواب أن الإيمان يقع بالاعتقاد دون اللفظ؛ ولهذا جاز اللفظ بالشهادات بكل لغة؛ لأن المقصود منه يحصل؛ إذ أصله التصديق بالشريعة، وإذا قرئ بالفارسية سقط المعجز، الذي هو النظم والتاليف، فإن قيل: أتمنى [تجوزونه] (1) بالفارسية إذا لم يقدر على العبرية؛ فبغي ألا يفترق الحكم؛ قيل: إما أجزئه للضرورة، وليس ما جاز مع الضرورة يجوز مع القدرة، ولو كان كذلك لجاز التيمم مع وجود الماء، ولجاز ترك الصلاة مع القدرة؛ لأنه يسقط مع العذر.

* * *

باب: قول النبي عليه السلام: الماهر بالقرآن مع الكريم

البررة، وقال زينوا القرآن بأصواتكم

 فيه: أبو هريرة: «قال: ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهز به».

وفيه: عائشة حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، قالت: «وأنت ما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحيًا يتللى، وشأنني في نفسي كان أحر من أن يتكلم الله في أمر يتللى»، فأنزل الله: «إن الذين جاءوا بالإفك» (1) العشر الآيات.

فيه: الɒر: «سمعت النبي - عليه السلام - يقرأ في العشاء بالثنين والذينون، فما سمعت أحدًا أحسن صوًا - أو قراً - منه».

وفيه: ابن عباس: «كان النبي متوار بمكنة، وكان يرفع صوته

(1) في: الأصل: تجوزنها، والثبت من هـ.
(2) النور: 11- 20.
بالقرآن، فإذا سمعه [المشركون] (1) سبوا القرآن ومن جاء به، فقال الله
لنبيه: "ولأ تجهر بصلاتك ولا تخافت بها" (2).

وفيه: أبو سعيد قال لابن أبي صعصعة: "إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غمك أو بادتتك فأذنت للصلاة، فافرع صوتك بالنداء، فإن لا يسمع مدى صوت المؤذن إنس ولا جن ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة، سمعته من النبي - عليه السلام".

وفيه: عائشة: "كان النبي - عليه السلام - يقرأ القرآن ورأسه في حجري وآنا حائض".

قال المهلب: المهارة بالقرآن: جودة التلاوة له بجودة الحفظ، فلا يتلعثم في قراءته، ولا يتغير لسانه [بتشكل] (3) في خرف أو قصة مختلفة النص، وتكون قراءته سمعة بتيسر الله [له] (4) كما يسره على الملائكة الكرم البررة، فهو معها في مثل حالها من الحفظ، وتفسير التلاوة، وفي درجة الأجر إن شاء الله، فيكون المهارة عند الله كريماً برأ ، وكأن البحاري أشار بهذه الترجمة وما ضمنها من الأحاديث في حسن الصوت، إلى أن الماهر بالقرآن هو الحافظ له مع حسن الصوت به، إلا تراه أدخل بأثر ذكر الماهر قوله عليه السلام / زينوا القرآن بأصواتكم« فاحال عليه السلام على الأصوات التي تنزين بها [التلاوة في الأسماع، لا الأصوات التي [5] تمجها الأسماع إنكارها، وقفها [على] (6) حاسة السمع، وتلألأ بقرع الصوت [المنكر] (7) وقد قال تعالى: "إن أنكر الأصوات لصوت الحميز" (8).

(1) في "الأصل" الشركاء، والمشتري من "ه"، ن.
(2) الإصراء: 110. (3) في "الأصل" فيشكل (4) من "ه".
(4) بياض بالأصل، والمشتري من "ه".
(5) في "الأصل" مع "ه".
(6) نص بالأصل، والمشتري من "ه".
(7) نص بالأصل، والمشتري من "ه".
(8) لقمان: 19.
لجهارته - والله أعلم - وشدة قرعه للسمع ، وفي إتباعه أيضًا لهذا المعنى [ بقوله ] (1) : "ما آذن الله ليشيء ما آذن لبني حسن الصوت بالقرآن" ما يقول قولنا ويشهد له ، وقد تقدم في فضائل القرآن ونزدها وضوحًا ، فقوله : "إني الجهر المراد في قوله : "يجهر به" هو إخراج الخروج في التلاوة عن مساق المحادثة بالأخبار ، بالإلزام أسماعهم بحسن الصوت وترجميعه لا الجهر النهي عنه الجافى على السامع ، [ كما قال عز وجل للنبي ] (2) : "ولأ تجهر بصلالتك ولا تخافته بها وابن بين ذلك سبيلا" (3) ، و ] (2) كما قال تعالى في النبي : "ولأ تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض" (4) وقوله : "أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون" (4) دليل أن رفع الصوت على المكان بأكثر من صوته من الأذى له ، والأذى خطيئة .

وبدل على أن المقاومة في مقدار المتكلمين معاهمة من الخطأ ، إلا في النبي وحده ، فمنع الله من مقاومته في الآية ، ووقرأ له وإعظامًا ، وقد روي نفظ الترجمة عن النبي - عليه السلام - من حديث قتادة ، عن زرارة بن أوفي ، عن سعيد بن هشام ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ( الذي يقرأ القرآن وهو به ماهر مع السفرة الكرام ) البردة ، والذي يقرأ القرآن وهو يشد عليه فله أجران .

وتؤويل قوله : "أجران" والله أعلم - تفسيره حديث ابن مسعود : من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات ، فيضافfelt الآجر لمن يشتد عليه حفظ القرآن فيعطي بكل حرف عشرون حسنة ،

(1) في البصائر ٤ لقوله وفظب من هم (2) الإسراء : ١٠٠ .
(2) من هم .
(3) الحجورات : ٢ .
(4)
ولأجر الماهر أضعف هذا إلى ما لا يعلم مقداره، لأنّه مساو للسورة الكرام البررة، وهم الملائكة. وفي هذا تفضيل الملائكة على بني آدم، وقد تقدم.

وكلّذك لم يسع البخاري قوله عليه السلام: «زينوا القرآن بأصواتكم» ورواه شعبة ومنصور، عن طلحة بن مصطفى، عن عبد الرحمن بن عوضة، عن البراء بن عازب، عن النبي - عليه السلام- وقوله: «زينوا القرآن بأصواتكم» تقسيم قوله عليه السلام: «ليس منا لم يتغنى بالقرآن» لأن تزيينه بالصوت لا يكون إلا بصوت يطرب [سامعه] (1) ويلتقى [بسماعه] (2) وهو التغي الذي أشار إليه النبي، وهو الجهر الذي قيل في الحديث، يجهر به بتحسين الصوت المليئ [للقلب] (3) من القسوة إلى الخشوع، وهذا التزيين الذي أمر به عليه السلام أمه.


وفسر أبو سليمان الخطابي الحديث بتفسير آخر، قال:معنى قوله عليه السلام: «زينوا القرآن بأصواتكم» أي زينوا أصواتكم بالقرآن على مذهبهم في قلب الكلام، وهو كثير في كلامهم، يقول: عرضت الناقة على الحوض: أي [عرضت] (5) الحوض على الناقة،

(1) في الأصل: سامعه، والمثبت من "ه".
(2) في الأصل: سامعه، والمثبت من "ه".
(3) في الأصل: القراب، والمثبت من "ه". (4) من "ه".
(5) في الأصل: أعرضت، والمثبت من "ه".
وإذا تأولنا الحديث على هذا المعنى، لأن الله لا يجوز على القرآن وهو كلام الخالق أن يزنه صوت مخلوق.

وقال شعبة: نهائي أبو بكر أن أحدث بهذا الحديث. وهكذا رواه سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

"زينوا أصواتكم بالقرآن." [والمعنى: أشغلو أصواتكم بالقرآن] (1)

والهجوا بقراءته، واتخذوه شعارًا.

ولم يرد تطريب الصوت به والتهييج [لله] (1)، إذ ليس ذلك في وسع كل أحد، لعل من الناس من يريد [التهييج] (2)، له فيفضي ذلك به إلى التهيج، وهذا معنى قوله عليه السلام: "ليس منا من لم يتهيج بالقرآن" إذا هو أنشأ الله تعالى كما يلهج الناس باللغاء والطرب عليه.

[وهكذا] (3) فسره أبو سعيد بن الأعرابي، سأل عنه إبراهيم ابن فراس فقال: كنت العرب تنغنى بالركابي، وهو الشديد بالتمطيط والهد [4)، إذا ركبت الإبل، وإذا جلست في الأفية، وعلى أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحب النبي أن يكون القرآن هجريهم، مكان [التنغنى] (5) بالركابي.


(1) من "هم".
(2) في "الأصل:" التهيج.
(3) في "الأصل:" وهذا والثبت من "هم".
(4) في "الأصل:" واللذاد والثبت من "هم".
(5) في "الأصل:" الغني والثبت من "هم".
(6) بيأس في "الأصل" والثبت من "هم".

- 540 -
ولو كان المعنى زينوا أصواتكم بالقرآن كما زعم هذا القائل؛ لدخل في الخطاب من كان قبيح الصوت وحسن، ولم يكن للحسن الصوت فضل على غيره، ولا غرر للحديث معنى، ولما (ثبت أن) النبي - عليه السلام - قال لأبي موسى الأشعري - حين سمع قراءته:

وحسن صوته - «لقد أتى هذا مزمارًا من مزمير آل داود».

وثبت أن عقبة بن عامر كان حسن الصوت بالقرآن، فقال له عمرو ابن الخطاب: «قرأ سورة كذا، فقرأها عليه، فبكي عمر وقال: ما كنت أظن أنها نزلت. فدل ذلك أن النزيف للقرآن إما هو تحسین الصوت به [ليعظَم] (2) موقعه من القلوب، وتسميل مواعظه النفس، ولا ينكر أن يكون القرآن يزين صوت من أدنى قراءته، وآثره على حديث الناس، غير أن جلالته موقعه من القلوب، والذذاد السامعين به لا يكون إلا مع تحسيين الصوت به.

وقوله في حديث أبي سعيد: "إرفع صوتك بالنداء" ففيه دليل أن رفع الصوت وتحسينه بذكر الله في القرآن وغيره من أفعال البر، فإن في ذلك تعظيم أمر الله، والإعلان بشريعته، وذلك يزيد في التخشع، وتزيين النفس.

قال المهلب: "أما حدث عائشة أن النبي - عليه السلام - كان يقرأ القرآن ورأسه في حجره وهي حائض، ففيه معنى ما ترجم به من معنى المهارة بالقرآن، لأنه كان قد يسر الله [عليه] (3) قراءته حتى كان يقرأه على كل أحواله لا يحتاج أن يتيه له بقعود، ولا بإحضار حفظه; لاستحکامه فيه، فلا يخف عليه توقفًا، فلذلك كان يقرؤه راكباً ومباشراً وقاعدًا وقائعاً ولا يتآبه لقوة حفظه ومهارته عليه السلام.

(1) في الأصل: ستئ. والثبت من هـ.
(2) في الأصل: لعظيم. والثبت من هـ.
(3) من هـ.
بما أن المؤمن لا ينحسر كما قال عليه السلام، وأن وصف المؤمن بالنجاسة إنما هو إخبار عن حال مباشرة الصلاة، ونقص غسله ووضوئه، ألا ترى سمعًا عائشة قراءة الرسول وهي حائض، والسمع عمل من أعمال المؤمنين مدكور لهم به الحسنات ورفع الدرجات.

* * *

باب: قوله تعالى: "فأقرأوا ما تيسر من القرآن" (1)

فيه عمر: "سمعت [هشام بن حكيم] (2) يقول سورة الفرقان في حياة رسول الله عليه حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ففقدت أسوارها في الصلاة، فنصبت حتى سلم فليته بردته ... فذكر الحديث إلى قوله: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه".

وقد تقدم في فضائل القرآن.

قال المهلبي: ومنع قوله: "فأقرأوا ما تيسر من القرآن" (1) ما تيسر على القلب حفظه من آياته، وعلى اللسان من نغاته، وإعراب حركاته، كما نسره النبي في هذا الحديث.

وذكر في هذا الموضع ما لم يمض في فضائل القرآن إن قال قائل:

إذا ثبت أن القرآن أنزل على سبعة أحرف فكيف سأغ للقراء تكرير الروايات وقراءتهم بسبعين رواية وبازيد من مائة؟

قال المهلبي: فالجواب: أن عثمان لما أمر بكتابة المصاحف التي بعث بها إلى البلدان أخذ كل إمام من أئمة القراء في

(1) المزمل: 200.
(2) في الأصل: هـ: حكيم بن هشام. والمثبت من "ن".
كل أفق نسخته، فما أنفك له من سواده وحروف مدادها مما وافق قراءته التي كان يقرأ لم يكن مفارقة لقيامه من سواد الحفظة، وأنه كان عنده فيه رواية إلى أحد من الصحابة، مع أنه لم تكن النسخ التي بعث بها عثمان مضبوطة بشكل لا يمكن تعديه، ولا تحقيق هجاء عين معانيه؛ إذ كانوا يسمحون في الهجاء بإسقاط الألف من كل م لعلمهم بها استخفافًا لكثرة تكرر هذا كافل العالمين والمهاجمين، وكل ألف (هي) (1) في المصحف ملحقة بالخمرة.

وقال يزيد الرماشي: كان في المصحف [ كانوا ] (1) : كنوا ، وقالوا : قلوا، فزدنا فيها ألفا، [ يريد ] (2) جماعة القراء حين جمعهم الحجاج، وكذلك ما زادوا في الخط وقد كان في المصحف:

"ماه غير بين 'فردنا الحجاج مع جماعة القراء 'آنهم' وفي الزخرف: 'معيشهم' فردها (معيشتهم')".

فكل تأول من / ذلك الخط ما وافق قراءته كيفما كان من طريق الشكل [ وحركات الحروف مما يدل المعنى ، وقد يجوز أن يكون ذلك] (3) من وهل الأقلام، ويبدل على ذلك استجاب الحجاج [مصحف أهل المدينة ورد مصاحف البصرة والكوفة إليه] (4) وإيقاء ما لا يغير معنى، وما له وجه جائز من وجوه ذلك المعنى وصار [ خط مصحف أهل المدينة ستة متبعة] (5) لا يجوز فيها التغيير؛ لأنها القراءة المتراوحة سمعًا، وأن (السنة) (6) المتروكة قطعًا للذريعة الاختلاف ما وافق منها المنفك من سواد الخط لأهل الأمصار فتواطأوا عليها جوز

(1) من "ده". (2) كلمة غير واضحة في الأصل. والثبت من "ده".
(3) يباض في الأصل. والثبت من "ده".
(4) طمس في الأصل. والثبت من "ده". (5) في "ده" : الست. (6) من "ده".
لهم تأويلهم فيه بما وافق روايتهم عن صحابي خشية التحرب الذي منه هربوا، ولكن كثرة من أتباع القراء في تلك الأمصار من العامة [غير] إلهامهم عند منازعتها، فهذا وجه تجويز العلماء أن يقرأ بخلاف أهل المدينة [وبروايات] كثيرة.

وأما ما ذكر من قراءة ابن مسعود فهذا تبديل كلمة بآخرى كفه قوله:


(1) في 8 الأصل: "عنهم، والمثبت من هم.
(2) في 8 الأصل: "وتركوا آيات، والمثبت من هم.
(3) يس 29، وغيرها.
(4) الصافات 48.
(5) من 9: "كتابين.
(6) في 9: "نها: الكابيين.
(7) في 9: "وأما سوي.
(8) في 9: "حدثا.
أمرتم به فاعلوا به، وما نهيتم عنه فانتهروا  فدل هذا أنه لم يك في السبع الذي نزل بها القرآن ما يحل الأمر والنهي عن مواضعه، ولا يجليل الصفات عن مواضعها؛ لأنها مأمور باعتقادها ومنهي عن قياسها على المعاني؛ لأنه تعالى برئ من الآية والانداد، وبقيت حركات الإعراب مستعملة لمن أنفك من سواج الخط في المجتمع عليه، وعلى هذا استقر أمر [ القراءات ] (1) عند العلماء. 

* * *

باب: قوله تعالى: "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر؟" (2)

و قال عليه السلام: كل ميسر لما خلق له مهياً.

فيه: عمران قلت: "با رسول الله، فقيم يعمل العاملون؟! قال: كل ميسر لما خلق له".

وروي علي معناه: عن النبي - عليه السلام - قد تقدم في كتاب القدر.

ويشير القرآن للذكر هو تسهيله على اللسان، ومسارعته إلى القراءة حتى أنه ربما سبق اللسان إليه في القراءة فيجاوز الخرف إلى ما بعده، ويحذف الكلمة حرصًا على ما بعدها.

وقوله: "فهل من مذكر؟" (2) أي: متفكر ومتدبر لما يقرأ ومستيقظ لما يسمع، بأموره أن يعتبروا، ويحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم هلك من الأمم قبلهم، وأصله: مذكر، متعلق من الذكر، أغمت الذال في الناء، ثم قلبت دالاً، وأغمت الذال في الدال؛ لأنها أشبه بالدال من الناء.

(1) في "الأصل"، الإعراب، والثبت من "هِ". (2) القدر: 17.
باب: قوله تعالى: «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» (1) والطور وكتاب مسطور في رق منشور (2)


قال [أهل التفسير: «بل هو قرآن مجيد» (1) أي: كريم على الله تعالى في لوح محفوظ ] (8) وهو أم الكتاب عند الله.


(1) البروج: 21 - 22.
(2) الطور: 1 - 3.
(3) في الآلية: كتاب. والمثبت من: له، نه.
(4) الأعلام: 19.
(5) يضاير بالآلية. والمثبت من: له.
وكتاب مسطور في رق مشحور (1) قال الحسن: هو القرآن في أيدي السفرة. وقال الزجاج: الكتاب ها هنا ما أثبت على بني آدم من أعمالهم.
قال المهلب: وما ذكره النبي ﷺ من سبق رحمة الله ﷺ لغضبه فهو ظاهر؛ لأن من غضب الله عليه من خلقه لم يخيبه في الدنيا من رحمة ورأيته، بأن زرقة ونعمه وخوله مدة عمره أو وقتًا من دهره، ومكنته من آماله وملاذه، وهو لا يستحق بكفره ومعاندة غير أليم العذاب، فكيف رحمة (بمن (2) آمن به واعترف بذنوبه، ورجاء غفرانه، ودعواه تضرعاً وخفية؟.

وقد قال بعض المتكلمين: إن رحمة تعالى لم تنقطع عن أهل النار [المخلدين] (3) الكفار، إذ من قدرته أن يخلق لهم عذابًا تكون عذاب النار لأهلها رحمة وتخفيفًا بالإضافة إلى ذلك العذاب.

** * * *

باب قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعَمَّلُونَ» (4)

«إِنَّا كُلٌّ شَيْءٌ خُلِقْناً بِقَدْرٍ» (5)

ويقال للمصورين: أحيوا ما خلقتم إن ربكُم الله الذي خلق السماوات والأرض (6) الآية.


(1) الطور: 1 - 2. (2) في الأصل: من. والثبت من هم.
(3) في ه: المخلدين. (4) الصفات: 96. (5) الفصل: 49.
(6) الأعراف: 54. (7) السجدة: 17.
(8) الطور: 1 - 2.
وقال وفد عبد القيس للنبي ﷺ: مَنْ نَا بِحَمْلِ مِنَ الْأَمْرِ إِنْ عَمِلَنَا بِهَا دُخَلْنَا الْجَنَّةَ، فَأُمِرُوهُم بِالإِيَامِ وَالشِّهادَةِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيَتَاءِ الزِّكَاةِ، فِي نَفْرٍ مِن الأشِعْرَاءِ نَسْتَحْلِمُهُمْ، فَقَالَ: وَلَوْلَا أُحْمَلُكُمْ... ﴿وَذِكَّرْ الْخَيْدَةَ إِلَىَّ قُوَّلَهُ: لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ، ﴿[1] ﴿وَلَكَنْ إِنِّي ﷺ حَمَلْتُكُمْ... إِلَى أَخْرَجِه...﴾ [2]

فِيه: أَبُو مُوسَى قَالَ: "أَنبِئُ النَّبيَّ - عَلِيْهِ الصَّلَاةُ - فِي نَفْرٍ مِن الأشِعْرَاءِ نَسْتَحْلِمُهُمْ، فَقَالَ: وَلَوْلَا أُحْمَلُكُمْ... ﴿وَذِكَّرْ الْخَيْدَةَ إِلَىَّ قُوَّلَهُ: لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ، ﴿[1] ﴿وَلَكَنْ إِنِّي ﷺ حَمَلْتُكُمْ... إِلَى أَخْرَجِه...﴾ [2]

وَفِيه: أَبُو عَقَسَ: "قُدِّمْ وَفِيدْ عَبْدُ قِيسَ عَلَى النَّبيَّ - ﷺ - فَقَالَ: مَنْ نَا بِحَمْلِ مِنَ الْأَمْرِ إِنْ عَمِلَنَا بِهَا دُخَلْنَا الْجَنَّةَ وَنَدِعْنَهَا إِلَى وَرَاءَهَا، فَقَالَ: آَمَرْنَا بِالإِيَامِ وَالشِّهادَةِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيَتَاءِ الزِّكَاةِ، فِي نَفْرٍ مِن الأشِعْرَاءِ نَسْتَحْلِمُهُمْ، فَقَالَ: وَلَوْلَا أُحْمَلُكُمْ... ﴿وَذِكَّرْ الْخَيْدَةَ إِلَىَّ قُوَّلَهُ: لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ، ﴿[1] ﴿وَلَكَنْ إِنِّي ﷺ حَمَلْتُكُمْ... إِلَى أَخْرَجِه...﴾ [2]

وَفِيه: إِبْنُ عَبَّاسَ: "قُدِّمْ وَفِيدْ عَبْدُ قِيسَ عَلَى النَّبيَّ - ﷺ - فَقَالَ: مَنْ نَا بِحَمْلِ مِنَ الْأَمْرِ إِنْ عَمِلَنَا بِهَا دُخَلْنَا الْجَنَّةَ وَنَدِعْنَهَا إِلَى وَرَاءَهَا، فَقَالَ: آَمَرْنَا بِالإِيَامِ وَالشِّهادَةِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيَتَاءِ الزِّكَاةِ، فِي نَفْرٍ مِن الأشِعْرَاءِ نَسْتَحْلِمُهُمْ، فَقَالَ: وَلَوْلَا أُحْمَلُكُمْ... ﴿وَذِكَّرْ الْخَيْدَةَ إِلَىَّ قُوَّلَهُ: لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ، ﴿[1] ﴿وَلَكَنْ إِنِّي ﷺ حَمَلْتُكُمْ... إِلَى أَخْرَجِه...﴾ [2]

وَفِيه: إِبْنُ عَبَّاسَ: "قُدِّمْ وَفِيدْ عَبْدُ قِيسَ عَلَى النَّبيَّ - ﷺ - فَقَالَ: مَنْ نَا بِحَمْلِ مِنَ الْأَمْرِ إِنْ عَمِلَنَا بِهَا دُخَلْنَا الْجَنَّةَ وَنَدِعْنَهَا إِلَى وَرَاءَهَا، فَقَالَ: آَمَرْنَا بِالإِيَامِ وَالشِّهادَةِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيَتَاءِ الزِّكَاةِ، فِي نَفْرٍ مِن الأشِعْرَاءِ نَسْتَحْلِمُهُمْ، فَقَالَ: وَلَوْلَا أُحْمَلُكُمْ... ﴿وَذِكَّرْ الْخَيْدَةَ إِلَىَّ قُوَّلَهُ: لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ، ﴿[1] ﴿وَلَكَنْ إِنِّي ﷺ حَمَلْتُكُمْ... إِلَى أَخْرَجِه...﴾ [2]
[1/2175-200]

ومثل هذا قوله في حديث أبي هريرة: قال الله تعالى: "ومن أظلم من ذهب يخلقه كخليقي" يريد يصور صورة شبه خليقي فسمى فعل الإنسان في تصوير مثالها خلقًا له تواصيًا له على تشبه بالله فيما صور فاحكم وأنفق على غير مثال احتراء ولا من شيء قديم ابتداء، بل أنشأ من معدوم، وابتدأ من غير معلوم، وأنتم صورتم من خشب موجود وحجر غير مفقود على شبه معهود مضاهين له، وموهمن الأغمار أنكم خلقتم كخليقه، فخلقوا أقل مخلوقاته واحقرها الذرة المتعدية في أدق من الشعر، وإنفذ منكم بعيد آلة في نحت الحجر فتجذكه مسكناً وتدخر فيه قوتها نظراً في معاشها، أو اخليقوا حبة من هذه الأقوات التي خلقها الله لعباده، ثم يخرج منها زرعًا لا يشبهها نباته، ثم يطلع منها بقدرته من جنسها بعد أن أعدم شخصها عددًا من غير نوع نباتها الأخضر قدرة بالغة لمعتبر، و[إعجازا] (1) لجميع البشر.

***

باب: قراءة الفاجر والمتألق

وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم

فيه: أبو موسى: قال - عليه السلام -: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالآثرجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالثمرة طعمها طيب ولا ريح لها، مثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها".

وفيه: عائشة: سأل [آناس] (2) النبي - عليه السلام - عن الكهان

---

(1) في: الآصل: إعجاز، والمثبت من: "هـ".
(2) في: الآصل: الناس. والمثبت من: "هن".  
---

500
فقال: إنهم ليسوا بشيء. قالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً قال النبي ﷺ: تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني [فيقرئها] (1) في أذن وليه كقررة الدجاجة، فخالطون فيها أكثر من مائة كنبة.

وفيه: أبو سعيد قال عليه السلام: "يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجازون تراقيهم، يقرؤون من الذين يقلق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه. قيل: ما سيؤمهم؟ قال: التحليق [أو] (2) التسبيد.

معنى هذا الباب أن قراءة الفاجر والمنافق لا ترتفع إلى الله ولا تزكى عنه، وأنا أزكر عنده ويرفع إليه من الأعمال ما أريد به وجهه، وكان عن نية وقرية إليه تعالى، ألا ترى أنه شبه الفاجر الذي يقرأ القرآن بالرياحنة، ريحها طيب وطعماً فيه مر حين لم ينفع بركة القرآن، ولم يفز بحلواء أجره فلم يجاوز الطيب حروفه من موضع الصوت، ولا بلغ إلى قلوبهم ذلك الطيب، لأن طعم قلوبهم مر وهو النفاق المستنير كما استمر طعم الرياحنة في عودها مع ظهور راحتها وهؤلاء هم الذين يقرأون من الذين يقلق السهم من الرمية.

وأما قوله: "ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه." فهذا الحديث أخرجهم من الإسلام، وهو بخلاف الحديث الذي قال فيه عليه الصلاة السلام: "ويتمارى في الفوق" لأن ذلك التماري أبقاهم في الإسلام.

وهذا الحديث أخرجهم من الإسلام، لأن السهم لا يعود إلى فوقه بنفسه أبداً، فيمكن أن يكون هذا الحديث في قوم عرفهم النبي - عليه.


وأما قوله: "فيقررها في آذن وليه كفررة الدجاجة" أي يضعها في الأذن بصوت شبه كفررة الدجاجة.

قال الأصسمي: قرر البعير كفررة إذا صفا ورجع.

وقد روي: كفررة الزجاجة، وكلا الروايتين صواب، ويدل على

(1) في الأصل: نأملهم، والمثبت من له.
(2) في الأصل: نديبه، والمثبت من له.
(3) يتعليم في الأصل: FALSE، والمثبت من له.
(4) في الأصل: المرة، والمثبت من له.
(5) في الأصل: تلك المرة، والمثبت من له.
صحة الرواية بالزجاجة روايةً من رويا: كما تقر القارورة، فإن القروقرة قد تكون في الزجاجة عند وضع الأشياء فيها كما تقرر النجارة أيضًا، وكما تكون القروقرة في البطن، ووقع في كتاب بدم الخلق: فقيرها في أذن وليه كما تقر القارورة، والمقنع فيه: أن الشيطان تقر الكلمة في أذن الكاهن كما يقر الشيء في القارورة، وهذا على الانتساب كقوله تعالى: «بل مكر الليل والنهار» (1) والمقنع: بل مكرهم في الليل والنهار. لأن القارورة لا تقر، وإنا يقر فيها كما لا يكون المكر لليل والنهار (2) وإنما يكون فيهما.


قوله [3]: «سيامهم التحليق أو التسبيد» شك من المحدث في أي اللفظين قال عليه السلام، ومعناهما متقارب.

قال صاحب العين: سيد رأسه: استأصل شعره، والتسبيد أن بنت شعره بعد أيام.

***

باب: قوله تعالى: «ووضع الموازين القسط ليومن القيامة» (4)

وأن أعمال بني آدم وأقوالهم توزن.

وقال مجاهد: القسطاس: العدل بالرومیة. ويقال: القسط مصدر القسط، وهو العادل فأما القاسط فهو الجائر.

(1) سبأ: 33.
(2) من هم.
(3) في الأصل: وقولهم. والثبوت من هم.
(4) الآثاب: 47.

558
قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: "كلمتان حبيتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

قال الزجاج: القسط: العدل، المعنى: ونضع الموازين ذات القسط، وقسط مثل عدل مصدر يوصف به، يقال: ميزان قسط، وميزانات قسط وموازين قسط.

وأجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزون يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكتفان (1) الأعمال بما يوزن، وخلاف ذلك المعتزلة وأنكروا الميزان وقالوا: الميزان عبارة عن العدل، وهو خلاف لنصر كتاب الله، وقول رسول الله ﷺ.

قال المهلب: فأخبر الله تعالى - أنه يضع الموازين لتوزن أعمال العباد بها، فيهم أعمالهم ممتلئة في الميزان لاعين العاملين، ليكونوا على أنفسهم شاهدين فطعًا (2) وبلاغًا في إنصافهم عن أعمالهم الحسنة، وتبيكًا لمن قال أن الله لا يعلم كثيرًا مما يعملون، وتصبيًا عليهم لأعمالهم المخالفة لما شرع لهم، وبرهانًا على عدله على جميعهم، وأنه لا يظلم مثاله حقًا من خردن حتى يعترف كل بما قد نسيه من عمله، ويِملِس ما عساه قد (3) من فعله. وقيل له عند اعترافه: كفى بنفسك اليوم عليك حسبي.

وقوله: "(ثقيلتان) (4) في الميزان يدل أن تصبح الله وتقديسه من أفضل النوافل، وأعظم الذُّكَر عنده تعالى، ألا ترى / قوله (5) في الأصل (5): حبيتان إلى الرحمن".

(1) في الأصل: وتُثلَّم، والثبت من "ه".
(2) في الأصل: سَحْرُوهُم، والثبت من "ه".
(3) في الأصل: أَجْرِهُم، والثبت من "ه".
(4) في الأصل: ثقِيلان، والثبت من "ه".

- 559 -
قول البخاري: ويقال: القسم مصدر [ القسم فإنما أراد ] (1)
المصدر المحدود الزوائد، كالقدر مصدر قدرة إذا حذفت زوائده،
قال الشاعر:

إف وان تهلك فذلك [ كان ] (2) قدري
معنى: تقدر المحذوف زوائده، ورده إلى الأصل، ومثله كثير,
وإذا تخذ المحذوف زوائده المصدر لرود الكلام إلى أصله، ويبدل عليه
ومصدر المقط: الجارى على فعله الإقسا (3).

* * *

_____________________________
(1) طمس بالأصل، والثبت من هؤلاء.
(2) في الأصل: حين، والمثبت من هؤلاء.
(3) كتب الناسخ: ثم الكتاب والحمد لله رب العالمين، وصلته على سيدهنا محمد
والله وصبه وسلم تسليماً كبيراً، وافق الفراق منه على يد أضعف عباد الله
وأرجاهم لثواب الله العبد الفقير إلى رحمة الله أبو بكر بن أبي الفضل بن عامر
الاحلي غفر الله عه ورحمه وغفر له وولاده وجميع المسلمين، وكان الفراق من
نسخه لعشر خلول من شهر شعبان المبارك من شهر ستة ثمان وسبعين
وستمائة، حامداً الله ومصلياً على نبيه وخليفته محمد واله وصبه.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>كتاب الفتن</td>
<td>5</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : قول النبي عليه السلام : &quot;سترون بعدي أمورًا تكثرونها&quot;</td>
<td>7</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : قول النبي عليه السلام : &quot;هلاك أمتي على يدي أغبلة سفهاء من قريش&quot;</td>
<td>8</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : قول النبي عليه السلام : &quot;ويل للعرب من شر قد اقترب&quot;</td>
<td>11</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : ظهور الفتن</td>
<td>12</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه</td>
<td>14</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : قول النبي عليه السلام : &quot;من حمل علينا السلاح فليس منا&quot;</td>
<td>16</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : قول النبي عليه السلام : &quot;لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض&quot;</td>
<td>18</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم</td>
<td>20</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : إذا الفتي المسلمون بسيفوهم</td>
<td>31</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : كيف الأمر إذا لم يكن جماعة</td>
<td>32</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : من كره أن يكتشر سواد الفتن والظلم</td>
<td>36</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : إذا بقي في حثالة من الناس</td>
<td>37</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : التحرب في الفتنة</td>
<td>40</td>
</tr>
<tr>
<td>الموضوع</td>
<td>صفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>----------------------------------------</td>
<td>--------</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: التعود من الفتى</td>
<td>41</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: قول النبي عليه السلام: &quot;الفتى من قبل المشرق&quot;</td>
<td>43</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: الفتية التي توج كمرج البحر</td>
<td>45</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: إذا أنزل الله بقوم عذابًا</td>
<td>52</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: قول النبي للحسن بن علي: &quot;إن ابني هذا سيء ولعل الله يمسحه&quot;</td>
<td>53</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: إذا قال عند قوم شيا تخرج فقال بخلافه</td>
<td>55</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: لا تقوم الساعة حتى يغيب أهل القبور</td>
<td>58</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: تغير الزمان حتى تعيد الأرواح</td>
<td>59</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: خروج النار</td>
<td>61</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: ذكر الدجال</td>
<td>63</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: لا يدخل الدجال المدينة</td>
<td>69</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: ياجوج ومأجوج</td>
<td>72</td>
</tr>
<tr>
<td>كتاب الدعاء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>باب: قول الله تعالى: &quot;إدعوني استجب لكم&quot;</td>
<td>72</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: فضل الاستغفار</td>
<td>75</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: استغفار النبي عليه السلام في اليوم والليلة</td>
<td>77</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: توبوا إلى الله توبة نصوحًا</td>
<td>78</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: الضحع على الشق الأيمن</td>
<td>82</td>
</tr>
<tr>
<td>الموضوع</td>
<td>صفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>----------</td>
<td>--------</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : إذا بات طاهراً</td>
<td>82</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : ما يقول إذا نام</td>
<td>83</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : وضع اليد تحت الخد اليمنى</td>
<td>84</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : الدعاء إذا انتبه من النوم</td>
<td>85</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : التكرير والتسبيح عند النوم</td>
<td>87</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : التوعث والقراءة عند النوم</td>
<td>88</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : الدعاء نصف الليل</td>
<td>89</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : الدعاء عند الخلاء</td>
<td>90</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : ما يقول إذا أصبح</td>
<td>91</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : الدعاء في الصلاة</td>
<td>92</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : الدعاء بعد الصلاة</td>
<td>93</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : قول الله تعالى: ﴿ورسل عليهم﴾</td>
<td>95</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : ما يكره من السجع في الدعاء</td>
<td>97</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : ليعزم المسألة فإنه لا مكره له</td>
<td>99</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : يستجب للعبد ما لم يعجل</td>
<td>100</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : رفع الأيدي في الدعاء</td>
<td>101</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : الدعاء غير مستقبل القبلة</td>
<td>105</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : الدعاء مستقبل القبلة</td>
<td>105</td>
</tr>
<tr>
<td>باب : دعوة النبي عليه السلام خادمه بطول العمر وكرة ماله</td>
<td>106</td>
</tr>
<tr>
<td>الصفحة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>------------------</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>107</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>110</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>111</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>112</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>113</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>114</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>115</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>116</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>116</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>117</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>121</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>122</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>123</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>124</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>124</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>124</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>124</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>125</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

الموضوع

باب: الدعاء عند الكرم

باب: التعود من جهد البلاء

باب: الدعاء بالموت والحياة

باب: الدعاء للصبيان بالبركة ومسح روعسهم

باب: الصلاة على النبي ﷺ

باب: هل صلى على غير النبي عليه السلام

باب: قول النبي عليه السلام من آديته فاجعله له زكاة ورحمة

باب: التعود من الفتن

باب: التعود من فترة الموت والموت

باب: التعود من المأموم والمغرب

باب: الدعاء برفع الوراء والوجه

باب: الدعاء عند الاستغارة

باب: الوضوء عند الدعاء

باب: الدعاء إذا علا عقبة

باب: الدعاء إذا أراد سفرًا أو رجع منه

باب: الدعاء للمتزوج

باب: ما يقول إذا أتى أهله

باب: قول النبي عليه السلام: "رينا آتنا في الدنيا حسنة،...

باب: تكرير الدعاء
الموضوع

باب : الدعاء على المشركين ............................................. 125
باب : الدعاء للمشركين ............................................. 127
باب : قول النبي عليه السلام : " اللهم اغفر لي ما قدم وما أخرى" ............................................. 128
باب : الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة ............................................. 129
باب : قول النبي عليه السلام : " يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا " ............................................. 130
باب : فضل التهليل ............................................. 131
باب : فضل التسبيح ............................................. 132
باب : فضل ذكر الله ............................................. 134
باب : الله مائة اسم غير واحد ............................................. 140

كتاب الرفاق

باب : لا عيش إلا عيش الآخرة ............................................. 146
باب : مثل الدنيا في الآخرة ............................................. 147
باب : قول النبي عليه السلام : " كن في الدنيا كأنك غريب " ............................................. 148
باب : في الأمل وطوله ............................................. 149
باب : من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر ............................................. 151
باب : ما يحضر من زهرة الدنيا والتناسف فيها ............................................. 154
باب : قوله تعالى : " أي أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا " ............................................. 157
<table>
<thead>
<tr>
<th>الصفحة</th>
<th>الموضوع</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>158</td>
<td>باب: ذهاب الصالحين</td>
</tr>
<tr>
<td>159</td>
<td>باب: ما يبقى من فتنة المال</td>
</tr>
<tr>
<td>160</td>
<td>باب: قول النبي عليه السلام: &quot;إن هذا المال خضراء حلوة&quot;</td>
</tr>
<tr>
<td>162</td>
<td>باب: ما قدم من ماله فهو له</td>
</tr>
<tr>
<td>163</td>
<td>باب: المكلون هم المقلون</td>
</tr>
<tr>
<td>164</td>
<td>باب: قول النبي عليه السلام: &quot;ما أحب أن لي أحدًا ذهبا&quot;</td>
</tr>
<tr>
<td>165</td>
<td>باب: الغني غني النفس</td>
</tr>
<tr>
<td>166</td>
<td>باب: فضل الفقر</td>
</tr>
<tr>
<td>174</td>
<td>باب: كيف كان عيش النبي عليه السلام وأصحابه وتخليلهم من الدنيا</td>
</tr>
<tr>
<td>178</td>
<td>باب: القصد والمداومة على العمل</td>
</tr>
<tr>
<td>182</td>
<td>باب: الصبر على محارم الله</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>باب: حفظ اللسان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت</td>
</tr>
<tr>
<td>187</td>
<td>باب: البكاء من خشية الله</td>
</tr>
<tr>
<td>189</td>
<td>باب: الخوف من الله</td>
</tr>
<tr>
<td>194</td>
<td>باب: الانتهاء عن المعاصي</td>
</tr>
<tr>
<td>195</td>
<td>باب: قول النبي عليه السلام: &quot;للو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا&quot;</td>
</tr>
<tr>
<td>197</td>
<td>باب: حجبت النار بالشهوات</td>
</tr>
<tr>
<td>199</td>
<td>باب: لينظر من هو أسفل منه</td>
</tr>
</tbody>
</table>

- 666 -
ال الموضوع

باب : من هم بحسنة أو سيئة ........................................... 199
باب : ما يتقى من محقرات الذنوب ........................................... 202
باب : الأعمال بالحرأيات وما يخف منها ........................................... 203
باب : العزلة راحة من خلطاء السوء ........................................... 204
باب : رفع الأمانتا ........................................... 205
باب : الرياء والسمعة ........................................... 208
باب : من جاهد نفسه في طاعة الله ........................................... 210
باب : التواضع ........................................... 211

كتاب فضائل القرآن

باب : كيف نزول الوحي وأول ما نزل ........................................... 215
باب : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ........................................... 217
باب : جمع القرآن ........................................... 220
باب : ذكر كاتب النبي عليه السلام ........................................... 227
باب : آنزل القرآن على سبعة أحرف ........................................... 228
باب : تأليف القرآن ........................................... 237
باب : القراء من أصحاب النبي ........................................... 240
باب : فضل فأحة الكتاب ........................................... 244
باب : فضل البقرة ........................................... 247
باب : فضل الكهف ........................................... 248

567
<table>
<thead>
<tr>
<th>الصفحة</th>
<th>الموضوع</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>249</td>
<td>باب: فضل سورة الفتح</td>
</tr>
<tr>
<td>251</td>
<td>باب: فضل ﷺ قل هو الله أحد</td>
</tr>
<tr>
<td>252</td>
<td>باب: المعوذات</td>
</tr>
<tr>
<td>253</td>
<td>باب: نزول السكينة والملائكة عند القراءة</td>
</tr>
<tr>
<td>255</td>
<td>باب: الوصاية بكتاب الله</td>
</tr>
<tr>
<td>256</td>
<td>باب: فضل القرآن على سائر الكلام</td>
</tr>
<tr>
<td>258</td>
<td>باب: من لم يغني بالقرآن</td>
</tr>
<tr>
<td>261</td>
<td>باب: اغتاظ صاحب القرآن</td>
</tr>
<tr>
<td>265</td>
<td>باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه</td>
</tr>
<tr>
<td>266</td>
<td>باب: القراءة على ظهر قلبه</td>
</tr>
<tr>
<td>267</td>
<td>باب: استذكار القرآن وتعاهده</td>
</tr>
<tr>
<td>268</td>
<td>باب: القرآن على الدابة</td>
</tr>
<tr>
<td>269</td>
<td>باب: تعليم الصبيان القرآن</td>
</tr>
<tr>
<td>270</td>
<td>باب: نسياً القرآن وهل يقول: نسيت آية كذا وكذا</td>
</tr>
<tr>
<td>271</td>
<td>باب: من لم ير باسأ أن يقول: سورة البقرة</td>
</tr>
<tr>
<td>272</td>
<td>باب: الترتيل في القرآن</td>
</tr>
<tr>
<td>274</td>
<td>باب: مدة القراءة</td>
</tr>
<tr>
<td>275</td>
<td>باب: التراجع</td>
</tr>
<tr>
<td>275</td>
<td>باب: حسن الصوت بالقراءة</td>
</tr>
</tbody>
</table>

- 568
الموضوع

باب : من أحب أن يسمع القرآن من غيره ............... 277
باب : قول المقرئ للقارئ : حسبك ....................... 278
باب : في كم يقرأ القرآن .................. 279
باب : البكاء عند قراءة القرآن ............... 281
باب : من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فجر به 283
باب : أقرؤوا القرآن ما انطفئت قلوبكم ....... 284

كتاب التمثي

باب : من يتمثى الشهادة .................. 286
باب : تمثى الخير وقول النبي عليه السلام : "لو كان لي أحد ذهبًا" .... 286
باب : قول النبي عليه السلام : "لو استقبلت من أمري ما استدرت" ... 288
باب : قول النبي عليه السلام : "ليت كنا كذا" ......... 289
باب : تمثى القرآن والعلم ..................... 289
باب : ما يكره من التمثي ..................... 290
باب : قول الرجل : لولا الله ما اهتدينا .............. 291
باب : كراهية التمثى للقاء العدو .................. 292
باب : ما يجوز من اللو وقوله تعالى : "لا أن لي بكم قوة" .... 292

كتاب القدر

باب : في القدر ...................... 296

- 569 -
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>صفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>باب: جف الظلم على علم الله</td>
<td>298</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: قوله: الله أعلم بما كانوا عاملين</td>
<td>300</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: وكان أمر الله قدرًا مقدرًا</td>
<td>302</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: العمل بالخواتيم</td>
<td>305</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: إلقاء النذر بالعبد إلى القدر</td>
<td>307</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: لا حول ولا قوة إلا بالله</td>
<td>308</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: المعصوم من عصمه الله</td>
<td>310</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: وحرم على قريه أهل كناها أنهم لا يرجعون</td>
<td>311</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: قوله تعالى: وما جعلنا الرؤيا التي أرينك إلا فتنة للناس</td>
<td>313</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: محاجة آدم موسى</td>
<td>314</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: لا منع لما أعطي الله</td>
<td>321</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: نعوذ بالله من ذرک الشقاء وسوء القضاء</td>
<td>322</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: يحول بين المرء وقليبه</td>
<td>323</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: قل: لىصيبني إلا ما كتب الله لنا</td>
<td>325</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: وما كنا لنهتدي لولا أن هداتنا الله</td>
<td>326</td>
</tr>
<tr>
<td>كتاب الاعتزام بالكتاب والسنة</td>
<td>328</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: قول النبي عليه السلام: بعثت بجوامع الكلم</td>
<td>329</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: الانتقاء بين رسول الله</td>
<td>331</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعني</td>
<td>337</td>
</tr>
<tr>
<td>موضوع</td>
<td>صفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>--------</td>
<td>--------</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: الافتعاد بأفعال النبي عليه السلام</td>
<td>345</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: ما يكره من التعقم والتنازع والغلو في الدين</td>
<td>347</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: إثم من آوى محدنا</td>
<td>350</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس</td>
<td>351</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: ما كان النبي عليه السلام يسأل فيما لم ينزل عليه الوعي</td>
<td>355</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: تعليم النبي عليه السلام أمه من الرجال والنساء مما علمه الله</td>
<td>357</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: قول النبي عليه السلام: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق</td>
<td>358</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: قوله تعالى: الذين يبلسمكم شيخاً</td>
<td>360</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: من شبه أصلا معلوماً بأصل مبين</td>
<td>360</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: اجتهاد القضاء بما أنزل الله</td>
<td>363</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: قول النبي عليه السلام: لنتبع سنن من كان قبلكم</td>
<td>365</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيدة</td>
<td>366</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: ما ذكر النبي وحض عليه من اتفاق أهل العلم</td>
<td>367</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: قوله تعالى: ليس لك من الأمر شيء</td>
<td>370</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: قوله تعالى: وكان الإنسان أكثر شيء جدلا</td>
<td>372</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: كلامناكم أمة وسطا</td>
<td>373</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: إذا اجتهاد العالم أو الحاكم فأخلاقه</td>
<td>378</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: أجر الحاكم إذا اجتهاد فأصاب أو أخطأ</td>
<td>380</td>
</tr>
</tbody>
</table>
الصفحة

الموضوع

باب: الحجّة على من قال: إن أحكام النبي صلى الله عليه وسلم كانت ظاهرة.
384

باب: من رأى ترك التنكر من النبي صلى الله عليه وسلم حجة لا من غيره.
385

باب: الأحكام التي تعرف بالدلائل.
388

باب: قول النبي عليه السلام: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء".
390

باب: النهي على التحرير إلا ما تعرف إباحته وكذلك الأمر.
392

باب: قوله تعالى: "وأمرهم شورى بينهم".
397

كتاب التوحيد والرد على الجهمية وغيرهم

باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله.
401

باب: قوله تعالى: "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن".
403

باب: قوله تعالى: "إن الله هو الرزاق ذو الفورة المتين".
404

باب: قوله تعالى: "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا".
407

باب: قوله تعالى: "السلام المؤمن المهمين".
408

باب: قوله تعالى: "ملك الناس".
410

باب: قوله تعالى: "وهو العزيز الحكيم".
411

باب: قوله تعالى: "وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق".
414

باب: قوله تعالى: "وكأن الله سميعا بصيرا".
416

باب: قوله تعالى: "قل هو القادر".
418

باب: مقلب القلوب.
419

باب: قول النبي عليه السلام: "إن الله ماتة اسم إلا واحد".
419

572
الموضوع
باب: السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها

باب: ما يذكر في الذات والنوع وأسماء الله

باب: قوله تعالى: { وحذركم الله نفسه } 

باب: قوله تعالى: { كل شيء هالك إلا وجهه } 

باب: قوله تعالى: { ولتصنع على عيني } 

باب: قوله تعالى: { هو الله الخالق البارى المصير } 

باب: قوله تعالى: { لما خلقته بيدي } 

باب: قوله تعالى: { لى أحد غير من الله } 

باب: قوله تعالى: { فل أي شيء أكبر شهادة قل الله } 

باب: قوله تعالى: { وكان عرشه على الماء } 

باب: قوله تعالى: { تعرج الملائكة والروح إليه } 

باب: قوله تعالى: { وجهه يومئذ ناضرة إلى ربي ناظرة } 

باب: قوله تعالى: { إن رحمة الله قريب من المحسنين } 

باب: قوله تعالى: { إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا } 

باب: ما جاء في خلق السماوات والأرض وغيرهما من المخلوقات

باب: قوله تعالى: { إما أمرنا ليشيء } 

باب: في المشيئة والإرادة 

باب: { يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر } 

باب: قوله تعالى: { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين }
الموضوع
باب: قوله تعالى: {قل لو كان البحر مداً لكلمات ربي} 489
باب: قوله تعالى: {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من آذن له} 490
باب: كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل ربنا}
باب: أنزله بعلمه والملائكة يشهدون
باب: قوله تعالى: {يريدون أن يبدلا كلام الله} 496
باب: كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل ربنا}
باب: قوله تعالى: {وما كنت تسترون أن يشهد عليكم سمعكم}
باب: قوله تعالى: {كل يوم هو في شأن}
باب: قوله تعالى: {لا تحرك به لسانك}
باب: قوله تعالى: {واسروا قولكم أو أهجروا به}
باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: {رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به}
باب: قوله تعالى: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك}
باب: قوله تعالى: {فأتوا بالتوراة فأتلوها إن كنت صادقين}
باب: قوله تعالى: {إن الإنسان خلق هلوسا} 535

الإبلاغ
باب: قوله تعالى: {فلا تجعلوا الله أندادا} 520
باب: قوله تعالى: {وأما كنت تسترون أن يشهد عليكم سمعكم}
باب: قوله تعالى: {كل يوم هو في شأن}
باب: قوله تعالى: {لا تحرك به لسانك}
باب: قوله تعالى: {واسروا قولكم أو أهجروا به}
باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: {رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به}
باب: قوله تعالى: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك}
باب: قوله تعالى: {فأتوا بالتوراة فأتلوها إن كنت صادقين}
باب: قوله تعالى: {إن الإنسان خلق هلوسا} 535
الموضوع

باب: ذكر النبي عليه السلام وروايته عن ربه ................. 536
باب: ما يجوز من تفسير التوراة وكتب الله بالعربيه ............ 538
باب: قول النبي عليه السلام: ﴿الماهر بالقرآن مع الكرام البررة﴾ ........ 541
باب: قوله تعالى: ﴿فأقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ .................. 547
باب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَرَّنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكَارِ فَهُمْ مِنْ مَدْكُورٍ﴾ ........ 550
باب: قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مُجِيدٌ فِي لَوْحٍ مُحْفُوظٍ﴾ ........ 551
باب: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ .................. 552
باب: قراءة الفجر والمنافق ................. 555
باب: قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٌ يَنْفُخُهُمُ اللَّهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ........ 558

575